

مُخْتَارُ الْأَخْيَارِ

فِي

الْأَخْيَارِ وَالنَّبِيَّاتِ



اخْتِيَار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ

حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

إبراهيم الأبياري

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأناض والانش
الدار المصرية للتأليف والترجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

أَجْمَعِينَ .

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى :

أقدم هنا حكاية وجدتها في آخر مختصر من هذا الكتاب ، اختصره الرشيدي أبو الحسين أحمد بن الرشيد بن الزبير ، وهي : « قال أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى : سألت أبا الفرج الأصبهاني : في كم جمع كتابه الأغاني ؟ فذكر أنه جمعه في خمسين سنة .

وقال أبو الفرج : إنه كتب الأغاني في عمره مرة واحدة ، وأهداه إلى سيف الدولة ، فأنفذه له ألف دينار . ولما حدثت الصحاب بن عباد بذلك ، قال : لقد قصر سيف الدولة وأنه يستحق أضعافها ؛ إذ كان كتابه مشحونا بالحاسن المنتخبة والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهاة ، وللعالم مادة وزيادة ، وللكتاب والتأدب بضاعة وتجارة ، وللبطل رجة وشجاعة ، وللمتطرف (١) رياضة وصناعة ، وللملك طيبة ولذاذة ، ولقد اشتملت خزانتى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ، ما فيها من هو سميرى غيره ، ولا راقى منها سواه ؛ ولقد عنيت بامتحانه في أخبار العرب وغيرهم ، فوجدت جميع ما نقر (٢) عن أسمع من

(١) في ت : المضطر ، وفي غ : المضطرب ، وما أثبتنا عن كتاب تجريد الأغاني .

(٢) في غ : يعز .

قَرَفَهُ (١) بذلك قد أوردته العلماء في كُتُبِهِمْ ، فَفَازَ بِالسَّبْقِ فِي جَمْعِهِ وَحُسْنِ رِصْفِهِ وَتَأْلِيفِهِ . وَلِلَّهِ دَرُّ أَبِي الْفَرَجِ ، فَلَقَدْ أَبْقَى لَهُ ذِكْرًا لَا يُنْسَى ، وَبَسَطَ مُعْرِفَةً (٢) لَا تَبْلَى ، وَلَقَدْ جَمَلَ الدُّنْيَا بِفَضْلِهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ فِيهِ ، فَهُوَ حَقِيقٌ بِتَسْمِيَتِهِ الْحَاوِي لَا الْأَغَانِي . وَلَقَدْ كَانَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ لَا يُفَارِقُهُ فِي سَفَرِهِ وَلَا حَضْرَهُ . لَقَدْ كَانَ جَلِيسَهُ الَّذِي يَأْتِسُّ بِهِ ، وَخِدْنَهُ الَّذِي يَرْتَأِحُ إِلَيْهِ ، فَزَادَهُ بِذَلِكَ شَرَفًا إِلَى شَرَفِهِ ، وَنُبُلًا إِلَى نُبُلِهِ .

قال أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد (٣) : اتَّصَلَ بِي أَنَّ أَصْلَ أَبِي الْفَرَجِ مِنْ مُسَوَّدَةِ الْأَغَانِي أُخْرِجَتْ إِلَى سُوقِ الْوَرَّاقِينَ لِتُبَاعَ ، وَأَنَّهَا بَلَغَتْ فِي الْفِدَاءِ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَأَنَّ أَكْثَرَهَا فِي ظُهُورٍ وَبِحِطِّ التَّمْلِيقِ ، وَأَنَّهَا اشْتَرِيَتْ لِأَبِي أَحْمَدَ مُحَمَّدَ بْنَ حَفْصٍ .



(١) قرفه بكذا : اتهمه به .

(٢) المرفة : الطائفة .

(٣) في ت : أبو جعفر محمد بن يحيى بن سرزاد .

المختار من الأصوات

رَوَى أَنَّ الرَّشِيدَ أَمَرَ الْمُغْنِينَ أَنْ يَخْتَارُوا لَهُ مِائَةَ صَوْتٍ ، فَأَخْتَارُواَهَا ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ
بِاخْتِيَارِ عَشْرَةِ مِنْهَا ، فَأَخْتَارُواَهَا ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِاخْتِيَارِ ثَلَاثَةِ مِنْهَا ، فَأَخْتَارُواَهَا .

من الثلاثة في شعر أبي قطيبة :

الْقَصْرُ فَالْتَّخَلُّ فَالْجَمَاءُ بَيْنَهُمَا (١)

أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونَ

ومنها في شعر عمر بن أبي ربيعة :

تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَرِيَّ لَمَّا جَهَدْتُهُ

وَبَيَّنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَقَكَلَّمَا

ومنها في شعر نصيب :

أَهَاجَ هَوَاكَ الْمَنْزِلُ الْمُتَقَادِمُ نَعَمْ ، وَبِهِ مِمَّنْ (٢) شَجَاكَ مَعَالِمِ

وَذَكَرَ جَحْظَةً أَنَّ مِنَ الثَّلَاثَةِ الْأَصْوَاتِ فِي شِعْرِ الْمَجْنُونِ :

إِذَا مَا طَوَاكَ الدَّهْرُ يَا أُمَّ مَالِكِ فَشَأْنُ الْمَنَايَا الْقَاضِيَاتِ وَشَأْنِيَا

يُقَالُ : إِنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ الْأَصْوَاتِ عَلَى تِلْكَ الطَّرَائِقِ لَا تَبْقَى نِعْمَةً فِي الْغِنَاءِ

إِلَّا وَهِيَ فِيهَا .

قال إبراهيم بن المهدي :

أمر الرشيد المغنين أن يختاروا له أحسن صوت غنى فيه ، فأختاروا له لحن

ابن محرز في شعر نصيب :

أَهَاجَ هَوَاكَ الْمَنْزِلُ الْمُتَقَادِمُ نَعَمْ وَبِهِ مِمَّنْ شَجَاكَ مَعَالِمِ

(١) فت : منزلة .

(٢) فت : مما .

الصوتُ الْمُخْتَارُ فِي شِعْرِ أَبِي قَطِيفَةَ :

الْقَصْرُ فَالنَّخْلُ فَالْجَمَاءُ بَيْنَهُمَا أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونَ
إِلَى الْبِلَاطِ فَمَا حَازَتْ قَرَائِنُهُ دُورٌ نَزَحْنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالهُونِ
قَدْ يَكْتُمُ النَّاسُ أَسْرَارًا فَأَعْلَمُهَا وَلَا يَنَالُونَ حَتَّى الْمَوْتِ مَكْنُونِي

الْقَصْرُ الَّذِي عَنَاهَا هُنَا هُوَ قَصْرُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بِالْعَرَصَةِ ؛ وَالنَّخْلُ هُوَ نَخْلُ سَعِيدِ بْنِ قَصْرِهِ وَبَيْنَ الْجَمَاءِ ، وَهِيَ أَرْضُ كَانَتْ لَهُ ، فَصَارَ جَمِيعَ ذَلِكَ لِعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بَعْدَ وَفَاةِ سَعِيدٍ ، أَبْتَاعَهُ مِنْ أَبِيهِ عَمْرُو بِاحْتِمَالٍ دَيْنَهُ عَنْهُ . وَأَبْوَابُ جَيْرُونَ بِدِمَشْقَ . وَيُرْوَى : « حَازَتْ قَرَائِنُهُ » وَالْقَرَائِنُ : دُورٌ كَانَتْ لِسَعِيدٍ^(١) بْنِ الْعَاصِ مُتَلَصِّصَةً ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَقْتِرَانِهَا ، وَنَزَحْنَ : بَعُدْنَ . وَالْمَكْنُونُ : الْمَسْتُورُ الْخَفِيُّ ، مِنَ الْكِنِّ . فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَصْوَاتُ هِيَ الْمُخْتَارَةُ مِنْ كُلِّ صَوْتٍ غُنِّيَ بِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الشَّرْطُ فِي هَذَا الْأَخْتِيَارِ تَرْكُ ذِكْرِ الْأَصْوَاتِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ الْأَصْوَاتَ مِنْهَا لِنُكْتَةِ أَنَّهَا مُخْتَارٌ مَا غُنِّيَ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي غُنِّيَ فِيهَا ، وَمَا عَسَى أَنْ تُطْرِبَ جُودَةُ التَّلْحِينِ مَعَ سَمَاجَةِ هَذَا الشُّعْرِ ، فَرَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْفَرَجِ ، أَيْنَ هُوَ مِنْ صِنَاعَةِ أَهْلِ الْعَصْرِ فِي تَلْحِينِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ لَهُ الشُّعْرَ الرَّيْقِيُّ الْفَائِقُ (وَلَقَدْ غُنِّيَ فِي عَصْرِنَا قَوْلٌ فِي شِعْرِ أَبِي نُوَّاسٍ غَنَّاهُ شَمْسُ الدِّينِ بْنِ بَدَلٍ لغيره :

غَنَّا بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلِينَا وَاسْقِنَا نُعْطِكَ الشَّنَاءَ الشِّمِينَا

فَلَوْ سَمِعَهُ أَبُو الْفَرَجِ شَقَّقَ ثِيَابَهُ ، وَمَزَّقَ كِتَابَهُ ، وَأَضْرَبَ عَنْ ذِكْرِ الْغِنَاءِ وَالْأَصْوَاتِ ، وَقَالَ : هَيْهَاتَ !)

(١) فِي غ : لَبِي سَعِيدٍ .

وغنى أيضا في زماننا خفيف في شعر البُحْتَرِي ، صَنَفَهُ الأَمِيرُ شهاب الدين أحمد

ابن يَعمور :

ضَمَانٌ عَلَى عَيْنَيْكَ أُنِّي لَا أَسْأَلُو
وَلَوْ شِئْتَ يَوْمَ الْبَيْنِ بَلَّ غَلِيلَهُ
وَمَا النَّائِلُ الْمَطْلُوبُ مِنْكَ بِمُعْوِزِ
أَطَاعَ لَهَا دَلٌّ غَرِيرٌ وَوَأَضَحَ
وَالْحَاطِظُ عَيْنَ مَا عَلِقْنَ بِفَارِغِ
وَأَنَّ فَوَادِي مِنْ جَوَى بِكَ لَا يَخْلُو
مُحِبُّ بَوَصْلٍ مِنْكَ إِنْ أَمَكَّنَ الْوَصْلُ
لَدَيْكَ بَلِ الْإِسْعَافُ يُعْوِزُ وَالْبَدَلُ
شَنِيبٌ وَقَدْ مُفْعَمٌ وَشَوَى جَدَلُ
فَخَلَّيْنَهُ حَتَّى يَكُونَ لَهُ شُغْلُ

لَوْ طَرَفَ أُذُنَ الْأَصْبَهَانِي نَسِي أَصْبَهَانَ ، وَقَضَى عَلَى سَائِرِ الْأَلْحَانِ .

ولقد عَرَضَ عَلَى بَعْضِ أَعْدَاءِ الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ التَّرْكِيَّةِ نُسخَةَ مِنْ مَصَارِعِ

العُشَاقِ ، وَكُنْتُ حَاضِرًا عِنْدَهُ ، فَأَرْتَجَلْتُ بِدِيهَا :

إِنْ جُرْتَ سَلْعًا سَلَّ عَنِ الشُّتَاقِ مَاذَا صَنَعْتَ بِهِ يَدَ الْأَشْوَاقِ
وَاكَتَبُ حَدِيثَ الْعِشْقِ عَنِ جِيرَانِهِ فَهُمُ رُؤَاةُ مَصَارِعِ (١) الْعُشَاقِ

وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ بَعْضُ الْمُغَنِّيِّينَ ، فَأَخَذَ آلَتَهُ وَأَصْلَحَهَا ، وَلَحَنَهُ فِي أَسْرَعِ مِنْ

نَظْمِي وَغَنَّاهُ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَجْلِسِ مَنْ لَا غَلْبَةَ الطَّرْبَ وَاسْتَفْزَهَ ، وَحَرَكَةَ السَّرُورِ

وَهَزَّهَ . وَغَنَّى أَيْضًا فِي شِعْرِي :

وَفَاتِنِ الْقَدِّ فَاتِرِ الْأَحْظِ أَغْيَدَ حُلُو الْعِتَابِ وَاللَّفْظِ
رَضِيْتُ عَنْ قِسْمَةِ الزَّمَانِ وَقَدْ أَصْبَحَ مِنْ سَائِرِ الْوَرَى حَظِّي

فِي تَصْنِيفِ لَوْ سَمِعَهُ أَحْمَدُ لِأَحْمَدَهُ ، أَوْ مَعْبَدَ لِأَسْتَعْبَدَهُ ، صَنَفَهُ شَمْسُ الدِّينِ

ابن بَدَلٍ . وَلَعَمْرِي كَمَا يَنْبَغِي أَنْ تُتَخَيَّرَ الْأَلْحَانُ الْمُعْجِبَةُ ، لِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُتَقَدَّمَ

بِاخْتِيَارِ الْأَشْعَارِ الْمُطْرِبَةِ ، فَإِنَّ الشُّعْرَ الطَّيِّبَ لَوْ أُورِدَ إِيرَادًا بِغَيْرِ تَلْحِينٍ ، بَلَغَ

(١) ت : « واستعمل حديث العشق من جبرته فالقوم رواة مصرع » .

في الإطراب ما لا تبلغه صنعة الغنين ، وإنما يستدرك بالألحان بعد اللذة بالمعاني
العجيبة ، والأشعار الغريبة ، فحينئذ تجتمع اللذتان ، ويتضاعف الطَّبان .
ولم أذكر هذه النبذة إلا لأن زماننا ، وإن قصرت قدرة أهليه عن قدرة
أهل ذلك الزمان ، فيه من الإخوان المتوعين في التعمم والتلذذ ، ولو تكمل
بالإمكان ، لشغل أهليه بإخوانهم عن ذلك الزمان وأولئك الإخوان .

حَرْفُ الْأَلِفِ

أَبُو الْعَتَاهِيَةِ إِسْمَاعِيلَ

(أَبُو الْعَتَاهِيَةِ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ سُؤَيْدِ بْنِ كَيْسَانَ ؛ وَكُنْيَتُهُ أَبُو إِسْحَاقَ) وَأُمُّهُ أُمُّ زَيْدِ بِنْتِ زِيَادِ الْمُحَارِبِيِّ ، مَوْلَى بَنِي زُهْرَةَ .
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو قَابُوسَ النَّصْرَانِيُّ ، وَقَدْ بَلَّغَهُ أَنَّ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ فَضَّلَ عَلَيْهِ الْعَتَابِيَّ ، فَقَالَ :

قَالَ لِلْمُكَنِّي نَفْسَهُ مُتَخَيِّرًا بَعْتَاهِيَةَ
وَالرُّسُلِ الْكَلِمِ الْقَبِيحِ وَوَعْتَهُ أَذْنَ وَأَعِيَةَ
إِنْ كُنْتَ سِرًّا سَوَّيْتَنِي أَوْ كَانَ ذَاكَ عَلَانِيَةَ
فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ ذِي الْجَلَالِ لَ وَأُمُّ زَيْدٍ زَانِيَةَ

أُمُّ زَيْدٍ هِيَ أُمُّ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ (وَمَنْشُؤُهُ بِالْكُوفَةِ ، وَبِهَا تَأَدَّبَ . وَكَانَ فِي أَوَّلِ
أَمْرِهِ يَتَخَنَّنُ ^(١) وَيَحْمِلُ زَامِلَةَ الْخُنَيْنِ ، وَكَانَ يَبِيعُ الْفَخَّارَ بِالْكُوفَةِ ، ثُمَّ قَالَ
الشَّعْرُ وَبَرَعَ فِيهِ فَتَقَدَّمَ .)

(وَيُقَالُ : أَطْبَعُ النَّاسَ بَشَّارًا ، وَالسَّيِّدَ ^(٢) ، وَأَبُو الْعَتَاهِيَةَ ، وَمَا قَدَرَ أَحَدٌ قَطًّا
عَلَى جَمْعِ شَعْرٍ هُوَ لِأَنَّ الثَّلَاثَةَ لِكَثْرَتِهِ .)

(وَكَانَ لَطِيفَ الْمَعَانِي ، سَهْلَ الْأَلْفَاطِ ، كَثِيرَ الْإِفْتِنَانِ ، قَلِيلَ التَّسْكَفِ ،
غَزِيرَ الْبَحْرِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَثِيرُ السَّاقِطِ الْمَرْدُولِ مَعَ ذَلِكَ . وَأَكْثَرُ شِعْرِهِ فِي الرَّهْدِ

(١) في ت : نخث .

(٢) السيد : هو السيد الحميري ، واسمه إسماعيل بن محمد أبو هاشم .

والأُمثال ، وكان يُنسبُ إلى القولِ بِمَذْهَبِ الْفَلَّاسِيفَةِ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ ،
وَيَحْتَجُّونَ بِأَنَّ شِعْرَهُ ، إِنَّمَا هُوَ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ ، دُونَ ذِكْرِ النُّشُورِ وَالْمَعَادِ .
وَلَهُ أَوْزَانٌ ظَرِيفَةٌ^(١) قَالَهَا ، مِمَّا لَمْ يَتَقَدَّمْهُ الْأَوَائِلُ فِيهَا)

(وكان من أبخل النَّاسِ مَعَ بَسَارِهِ) وَكَثْرَةِ مَا جَمَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ (وكان سببُ
تَكْنِيئِهِ بِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَالَ لَهُ يَوْمًا : أَنْتَ مُتَحَدِّقٌ مُعْتَهٍ) فَاسْتَوَتْ لَهُ
مِنْ ذَلِكَ كُنْيَةٌ غَلَبَتْ عَلَى اسْمِهِ وَسَارَتْ فِي النَّاسِ . قَالَ : وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ
الْمُتَحَدِّقِ : عَتَاهِيَةٌ ، كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ الطَّوِيلِ : سَنَاحِيَةٌ .

ويقال : أَبُو عَتَاهِيَةٍ ، بغير ألف ولام . وقيل : كُنِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ
الشَّهْرَةَ وَالْمُجُونَ وَالتَّعَتَّةَ . فَكُنِيَ لِعَتَّتِهِ^(٢) بِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ .

وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن (أصلهم من عنزة) وأن جدَّهم كيسان
كان من أهل عين التمر ، فلما غزاهما^(٣) خالد بن الوليد كان جدُّهم كيسان هذا
يتيمًا صغيرًا ، يكفله قرابة له من عنزة فرسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها ،
وَوَجَّهَ بِهِمْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَوَصَلُوا إِلَيْهِ بِحَضْرَةِ عَبَّادِ
ابنِ رِفَاعَةَ الْعَنْزِيِّ أَحَدِ بَنِي مَعْدَمِ بْنِ عَنْزَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زَنْزَارِ ، فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْأَلُ الصَّبِيَّانِ عَنْ أَسَابِهِمْ ، فَيُخْبِرُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ بِمَبْلَغِ مَعْرِفَتِهِ .
حَتَّى سَأَلَ كَيْسَانَ ، فَذَكَرَ أَنَّ مِنْ عَنْزَةَ . فَلَمَّا سَمِعَهُ عَبَّادٌ يَقُولُ ذَلِكَ
أَسْتَوْهَبَهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنَّهُ قَدْ صَارَ خَالِصًا لَهُ ، فَوَهَبَهُ لَهُ وَأَعْتَقَهُ .

(١) في غ : طريفة .

(٢) في ت : لعنوه .

(٣) في ت : عزله .

فتولاه من عنزة مندل وأخوه، فقيهان من بنى عمر بن عامر، فظن من تقدم أنه من عنزة، وكانا من سادات أهل الكوفة .

قال أبو دؤيب مصيب بن برد : لَمْ أَرَقَطَّ مَنَدَلَ بْنَ عَلِيٍّ وَأَخَاهُ حَيَّانَ بْنَ عَلِيٍّ غَضِبًا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا ، دَخَلَ عَلَيْهِمَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَهُوَ مُضْمَخٌ بِالْدَّمَاءِ فَقَالَ لَهَا : مَنْ أَنَا ؟ فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ أَخُونَا وَابْنُ عَمَّتِنَا وَمَوْلَانَا ؛ فَقَالَ : إِنْ فُلَانًا الْجَزَّارَ قَاتَلْتَنِي ^(١) وَزَعَمَ أَنَّي نَبِطِي ^(٢) ، فَإِنْ كُنْتُ نَبِطِيًّا هَرَبْتُ عَلَى وَجْهِ ، وَإِلَّا فَقَوْمًا وَخُذَالِي بِحَقِّي ؛ فقام معه مندل بن علي ، وما تعلق نعله ^(٣) غضباً ؛ وقال : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَقُّكَ عَلَى عَيْسَى بْنِ مُوسَى ^(٤) لَأَخَذْتَهُ لَكَ مِنْهُ ، وَمَرَّ مَعَهُ حَافِيًا حَتَّى أَخَذَ لَهُ بِحَقِّهِ .

وقيل : أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مَوْلَى عَطَاءِ بْنِ مِحْجَنَ الْعَنْزِيِّ .

وكان أبو العتاهية وإبراهيم الموصلي من أهل المذار . وكان أبو العتاهية وأهله يعملون الجرار الأخضر . فقدموا إلى بغداد . فنزل إبراهيم الموصلي ببغداد . ونزل أبو العتاهية الحيرة .

(وولاء أبي العتاهية من قبل أبيه لعنزة . ومن قبل أمه لبني زهرة) ثم لمحمد ابن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص . وكانت أمه مولاة لهم يقال لها : أم زيد .

قال الخليل بن أسد : وكان أبو العتاهية يستأذن ، ويقول : أَبُو إِسْحَاقَ الْخَرَافِ . وكان أبوه حجّاماً من أهل ورجه ^(٥) ، ولذلك يقول أبو العتاهية :

(١) في غ : قتلى .

(٢) النبط : جيل من الناس ينزلون بالبطائح بين العراقيين .

(٣) ما تعلق نعله ، أى ما لبسه .

(٤) في ت : على بن عيسى .

(٥) في ت : ورجه .

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَىٰ هُوَ الْعِزُّ وَالكَرَمُ وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الْفَقْرُ وَالْمَدَمَ
وَلَيْسَ عَلَىٰ عَبْدٍ تَقِي تَقِيصَةً إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَىٰ وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ
أَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ : جَاذِبْ رَجُلًا مِنْ كِفَانَةِ أَبِي : أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ، فِي شَيْءٍ
فَفَخَّرْ عَلَيْهِ الْكِنَانِيَّ وَأَسْتَطَالْ بِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِهِ ؛ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ أَبِي وَجَدِّ وَنَسَبِ يُعْلِيكَ سُورَ الْمَجْدِ
مَا الْفَخْرُ إِلَّا فِي التَّمَىٰ وَالزُّهْدِ وَطَاعَةِ تُعْطَىٰ جِنَانَ الْخُلْدِ
لَا بُدَّ مِنْ وِرْدٍ لِأَهْلِ الْوَرْدِ إِمَّا إِلَىٰ ضَحْضَلٍ وَإِمَّا عِدَّةً (١)
أَوْ كَانَ مَذْهَبُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ التَّوْحِيدَ وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ جَوْهَرَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ لَا مِنْ شَيْءٍ ، وَبَنَى الْعَالَمَ هَذِهِ الْبَيْتَةَ مِنْهُمَا ، وَأَنَّ الْعَالَمَ حَدِيثُ الْعَيْنِ (٢) وَالصَّنْعَةَ
لَا مُحَدَّثَ لَهُ إِلَّا الْمَتَعَالَى ، وَيَزْعَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَعِيدٌ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى الْجَوْهَرَيْنِ
الْمُتَضَادَّيْنِ (٣) قَبْلَ أَنْ تَفْتَنِيَ الْأَعْيَانُ جَمِيعًا . وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْمَعَارِفَ وَاقِعَةٌ
بِقَدْرِ الْفِكْرِ وَالْأَسْتِدْلَالِ وَالْبَحْثِ طَبَاعًا . وَكَانَ يَقُولُ بِالْوَعِيدِ وَبِتَحْرِيمِ الْمَكْسَبِ
وَيَتَشَبَّهُ عَلَى مَذْهَبِ الزَّيْدِيَّةِ لَا يَنْقُصُ أَحَدًا وَلَا يَرَى مَعَ ذَلِكَ الْخُرُوجَ عَلَى السُّلْطَانِ .
وَكَانَ جَبْرِيًّا (٤) .

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ لِثُمَّامَةَ بَيْنَ يَدَيِ الْمُؤْمِنِ - وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُعَارِضُ فِي الْإِجْبَارِ - :
أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ ؟ فَقَالَ لَهُ الْمُؤْمِنُ : عَلَيْكَ بِشِعْرِكَ ؛ فَقَالَ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي مَسْأَلَتِهِ وَيَأْمُرُهُ بِإِجَابَتِي ! فَقَالَ : أَجِبْهُ إِذَا سَأَلَكَ ، فَقَالَ : أَنَا أَقُولُ :

(١) الضحل : الماء القليل على الأرض لا عمق له ، والعد : الماء الجاري لا ينقطع .

(٢) في ت : المعنى .

(٣) في ت : الجوهر المتعاد من قبل ..

(٤) الجبري : المنسوب إلى الجبر ، وهو القول بأن الله يجبر العباد على الذنوب .

إِنَّ كُلَّ مَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَهُوَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنْتَ تَأْتِي ذَلِكَ ، فَمَنْ حَرَّكَ يَدِي هَذِهِ؟ - وَجَمَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يُحَرِّكُ يَدَهُ - فَقَالَ لَهُ نُجْمَانَةٌ : حَرَّكَهَا مِنْ أُمِّهِ زَانِيَةً ؛ فَقَالَ : شَتَمَنِي وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَضَحَكَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ لَهُ : أَلَمْ أَمُرْكَ أَنْ تَشْتَغَلَ بِشِعْرِكَ وَتَدَعَ مَا لَيْسَ مِنْ عَمَلِكَ ^(١) ! قَالَ نُجْمَانَةٌ : فَلَقِيَنِي بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ : يَا أَبَا مَعْنٍ ، أَمَا أَعْنَاكَ الْجَوَابُ عَنِ السَّفَهَةِ ! فَقُلْتُ : إِنَّ مِنْ أُمَّتِ السَّلَامِ مَا قَطَعَ الْحُجَّةَ ، وَعَاقَبَ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَشَفَى الْغَيْظَ وَانْتَصَرَ مِنَ الْجَاهِلِ .

وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مُدْبِدْبًا فِي دِينِهِ ، فَإِذَا سَمِعَ طَاعِنًا عَلَيْهِ تَرَكَ أَعْتِقَادَهُ إِيَّاهُ وَأَخَذَ فِي غَيْرِهِ .

قَالَ أَبُو الشَّعْمَقِيِّ : رَأَيْتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ يَحْمِلُ زَامِلَةَ الْمُخَنَّثِينَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَمِثْلُكَ يَضَعُ نَفْسَهُ [هَذَا الْمَوْضِعَ] ^(٢) مَعَ سِنَّكَ وَقَدْرِكَ وَشِعْرِكَ ؟ ! فَقَالَ : أُرِيدُ أَنْ أُنْعِمَ كِيَادَهُمْ ^(٣) وَأَحْفَظَ كَلَامَهُمْ .

قَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ : بَلَغَنِي أَنَّكَ لَمَّا نَسَكْتَ جَلَسْتَ تَحْجُمُ الْيَتَامَى وَالْفُقَرَاءَ لِلْسَّبِيلِ ، قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا أُرَدْتَ بِذَلِكَ ؟ قَالَ : أُرَدْتُ أَنْ أَغْضُ ^(٤) مِنْ نَفْسِي حَسَبًا رَفَعْتَنِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، وَأَضَعُ مِنْهَا لِيَسْقُطَ عَنِّي الْكِبَرُ ، وَأُكْتَسَبَ بِمَا فَعَلْتُهُ الثَّوَابَ . وَكُنْتُ أَحْبَبُّمُ الْفُقَرَاءَ وَالْيَتَامَى خَاصَّةً ؛ فَقَالَ لَهُ بَشْرٌ : دَعْنِي مِنْ تَذَلُّلِ نَفْسِكَ بِالْحِجَامَةِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِحُجَّةٍ لَكَ أَنْ تُؤَدِّبَهَا وَتُصَلِّحَهَا بِمَا تُفْسِدُ بِهِ غَيْرَهَا . هَلْ كُنْتَ تَعْرِفُ الْوَقْتَ الَّذِي يَحْتَاجُ فِيهِ مَنْ تَحْجُمُهُ إِلَى إِخْرَاجِ الدَّمِّ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَهَلْ كُنْتَ تَعْرِفُ مِقْدَارَ مَا يَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى

(١) في ت : عملك .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) كيادهم : مكرمهم .

(٤) في ت : أضغ .

ما يُخرجه على مِقْدَارِ طَبْعِهِ ، مِمَّا إِذَا زِدْتَ عَلَيْهِ أَوْ نَقَصْتَ مِنْهُ ضُرَّ الْمَحْجُومِ ؟
قال : لا . قال : فما أَرَأَيْكَ إِلاَّ أَرَدْتَ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْحِجَامَةَ عَلَى أَقْفَاءِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ !
وكان حَمْدُويَه صاحبُ الزنادقة أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ ، ففزعَ مِنْ ذَلِكَ ،
فقد حَجَّامًا . وقيل : كان لأبي العتاهية جارة تشرف عليه فرأته ليلةً يقنتُ فروت عنه
أنه يكلم القمر . وأتصلَ الخَبْرُ بحمدُويَه فمضى إلى منزلها وباتَ وأشرفَ على
أبي العتاهية فرآه يُصَلِّي ولم يزل يرقبه حتى قنتَ وصار إلى مَضْجَعِهِ فأنصرفَ
حَمْدُويَه حَاسِنًا .

ولمَّا أُخْبِرَ يحيى بن خالد أن أبا العتاهية نَسَكَ ، وأنه قد يحجُمُ الْيَتَامَى لِلأَجْرِ
تواضعا بذلك ؛ قال : ألمَ يَكُنْ يَبِيعُ الْجِرَارَ قَبْلَ ذَلِكَ ؟ فقيل : بلى ؛ قال : أما
في بَيْعِ الْجِرَارِ مِنَ الدُّلِّ ما يَكْفِيهِ وَيَسْتَعْنِي بِهِ عَنِ الْحِجَامَةِ !

قال أبو شعيب صاحبُ ابن أبي داود^(١) : قلتُ لأبي العتاهية : القرآنُ عِنْدَكَ
مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ؟ فقال لي : أسألتني عن اللهِ أَوْ عَنِ غَيْرِ اللَّهِ ؟ فأمسكتُ
ثم أعدتُ عَلَيْهِ ، فأجابني هذا الجوابَ نفسه حتى فعل ذلك مرارًا ؛ فقلت له : مالك
لا تُحِبُّنِي ؟ فقال : قد أَحْبَبْتُكَ وَلَكِنَّكَ حِمَارٌ .

[وكان أبو العتاهية قَضِيْفًا أبيضَ اللونِ أسودَ الشعرِ ، له وَفْرَةٌ جَعْدَةٌ وَهَيْئَةٌ
حَسَنَةٌ ولباقةٌ) وكان له عبيدٌ من السودانِ ولأخيه زيدٌ أيضا عبيدٌ منهم يعملون
الخزفَ في أثونَ لهم ، فإذا اجتمعَ منه الشيءُ ألقوه على أجيرٍ لهم يقال له أبو عباد
من أهل طاقِ الجرارِ بالكوفة ، فيبيعه على يده ويردُّ فضلَه إليهم . وقيل : بل كان
يَفْعَلُ ذَلِكَ أَخُوهُ زَيْدٌ لا هُوَ . وسُئِلَ عن ذلك فقال : أنا جَرَّارُ القَوَافِي
وأخي جَرَّارُ التَّجَّارَةِ .

(١) في ت : صاحبُ ابن داود .

قال عَبْدُ الْحَمِيدِ مَوْلَى بَنِي عَجَلٍ : رَأَيْتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ ، وَهُوَ جَرَّارٌ يَأْتِيهِ
الْأَحْدَاثُ وَالْمُتَأَدَّبُونَ يُنْشِدُهُمْ أَسْمَارَهُ فَيَأْخُذُونَ مَا تَكَسَّرَ مِنْ الْخَرْفِ
فِيكْتُبُونَهَا فِيهِ .

وكان يُبَاهِجِي وَالْبَةَ بِنَ الْحَبَّابِ ، فَقَالَ فِيهِ وَالْبَةَ :

كَانَ فِينَا يُكْنَى أَبَا إِسْحَاقٍ وَبِهَا الرَّكْبُ سَارَ فِي الْآفَاقِ
فَتَكْنَى مَعْتُوهُنَا بَعْتَاهُ يَا لَهَا كُنْيَةَ أَتَتْ بِاتِّفَاقِ
خَلَقَ اللَّهُ لِحَيَّةٍ لَكَ لَا تَنْدُ فَكُ مَعْقُودَةٌ لَدَى الْخَلَّاقِ (١)

قال النُّوشَجَانِي : أَدَانِي الْبَوَّابُ يَوْمًا فَقَالَ : أَبُو إِسْحَاقِ الْخَرْفِ بِالْبَابِ .
فَقُلْتُ : إِذَنْ (٢) له ، فَإِذَا أَبُو الْعَتَاهِيَةَ ، فَوَضَعْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قِنُودَ مِنْ مَوْزٍ ؛ فَقَالَ :
قَدْ صرْتُ تَقْتُلُ الْعُلَمَاءَ بِالْمَوْزِ ، قَتَلْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ بِالْمَوْزِ ، وَتُرِيدُ أَيْضًا أَنْ تَقْتُلَنِي بِهِ !
لَا وَاللَّهِ لَا أَذُوقُهُ . وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَدْ رُئِيَ خَارِجًا مِنْ دَارِ أَبِي إِسْحَاقِ فِي شِقِّ
مَحْمِلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ حَيٌّ ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ قِنُودُ مَوْزٍ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ قِنُودُ مَوْزٍ آخَرَ ، يَذْهَبُ بِهِ
إِلَى أَهْلِهِ ؛ فَقَالَ لَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ نَعُودُهُ وَقُلْنَا لَهُ : مَا سَبَبُ عِلَّتِكَ ؟ فَقَالَ : هَذَا
النُّوشَجَانِي جَاءَنِي بِمَوْزٍ كَأَنَّهُ أُيُورُ الْمَسَاكِينِ ، فَأَكْثَرْتُ مِنْهُ ، فَكَانَ سَبَبَ الْعِلَّةِ ،
وَمَاتَ فِي تِلْكَ الْعِلَّةِ .

وَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّبْرِي يَقُولُ : أَبُوالْعَتَاهِيَةَ أَشْعَرُ النَّاسِ ؛ فَقِيلَ لَهُ :
بِأَيِّ شَيْءٍ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : بِقَوْلِهِ :

تَعَلَّقْتُ بِأَمْالٍ طَوَالَ أَيِّ أَمْالٍ
وَأَقْبَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا مُلِحًّا أَيِّ إِقْبَالٍ

(١) كَذَا فِي تِ وَالِدِيَوَانَ . وَفِي غٍ : بَدَاءُ الْخَلَّاقِ .

(٢) فِي تِ : فَأَذْنُ لَهُ .

أَيَا هَذَا تَجَهَّزْ لـ فِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ

فَلَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالِ

قال مُصَـبٌ : هَذَا كَلَامٌ حَقٌّ لَا حَشْوَ فِيهِ وَلَا نَقْصَانَ ، يَعْرِفُهُ الْعَاقِلُ وَيُقِرُّ بِهِ الْجَاهِلُ .

وكان الأَصْمَعِيُّ يَسْتَحْسِنُ قَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ :

أَنْتَ مَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ صَا حَبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ

فَإِذَا اخْتَجَّتْ إِلَيْهِ سَاعَةٌ بِحَبِّكَ فُؤُهُ

قال صَالِحُ الشَّهْرَزُورِيِّ (١) : أَنْتِ سَلِمًا الْخَاسِرِ فَقُلْتُ لَهُ : أَنْشَدْنِي لِنَفْسِكَ ،

فقال : لا ، وَلَكِنِّي أَنْشَدُكَ لِأَشْعَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ، لِأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ ، ثُمَّ أَنْشَدَنِي لَهُ :

— سَكَنٌ يُبْقَى لَهُ سَكَنٌ مَا بِهِدَا يُؤْذِنُ الزَّمَنُ

→ نَحْنُ فِي دَارٍ يُخَبِّرُنَا بِيَلَاهَا نَاطِقٌ لَسِنُ

دَارٍ سَوَاءٍ لَمْ يَدُمْ فَرَحٌ لِأَمْرِي فِيهَا وَلَا حَزَنُ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفُسُنَا كُلُّنَا بِالْمَوْتِ مُرْتَهَنُ

— كُلُّ نَفْسٍ عِنْدَ مِيتَتِهَا حَظُّهَا مِنْ مَالِهَا الْكَفَنُ

— إِنْ مَالَ الْمَرْءِ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ إِلَّا ذِكْرُهُ الْحَسَنُ

(١) قال محمد الأَنْمَاطِيُّ : قُلْتُ لِدَاوُدَ بْنِ رَزِينِ الشَّاعِرِ : مَنْ أَشْعَرُ أَهْلِ زَمَانِهِ (٢) ؟

قال : أَبُو نُؤَاسٍ ، قُلْتُ : فَمَا تَقُولُ فِي أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ ؟ فقال : أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ أَشْعَرُ

الْجِنَّ وَالْإِنْسِ .

(١) كذا في غ . والشهرزوري : نسبة إلى شهرزور؟ وهي كورة واسعة في الجبال بين إربل

وهمدان « معجم البلدان ٣ / ٣٤٠ » وفي ت : الشهرودي « تحريف » .

(٢) كذا في غ ، وفي ت : زماننا .

وقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُعَرِّي (١) : أَشْعَرُ النَّاسِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ حَيْثُ يَقُولُ :

مَا ضَرَّ مَنْ جَعَلَ التُّرَابَ مِهَادَهُ
أَلَّا يَنَامَ عَلَى الْحَرِيرِ إِذَا قَنِعَ
صَدَقَ وَاللَّهِ وَأَحْسَنَ .

قال المُعَلِّيُّ بْنُ عُثْمَانَ : قِيلَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ : كَيْفَ تَقُولُ الشُّعْرَ ؟ قال : ما أَرَدْتُهُ قَطًّا إِلَّا مِثْلَ لِي ، فَأَقُولُ ما أَرِيدُ وَأَتْرُكُ ما [لا] أَرِيدُ .

(وكان أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَقُولُ : لو شِئْتُ أَنْ أَجْمَلَ كَلَامِي كُلَّهُ شِعْرًا لَفَعَلْتُ .)
(جَلَسَ الْمَهْدِيُّ يَوْمًا لِلشُّعْرَاءِ ، فَأَذِنَ لَهُمْ وَفِيهِمْ بَشَّارٌ وَأَشْجَعٌ ، وَكَانَ أَشْجَعٌ يَأْخُذُ عَنِ بَشَّارٍ وَيُعَظِّمُهُ ، وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِيهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعَ بَشَّارٌ كَلَامَهُ قَالَ لِأَشْجَعٍ : يَا أَخَا سُلَيْمٍ ، أَهَذَا ذَلِكَ الْكُوفِيُّ الْمَلَقَّبُ ؟ فقلت : نعم ، فقال : لا جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَنْ جَمَعَنَا مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : أَنْشِدْ ، فَقَالَ بَشَّارٌ : وَيْحَكَ ! وَيَقْدَمُ فَيُسْتَنْشَدُ قَبْلَنَا أَيضًا ! فقلت : قد تَرَى) فَأَنْشَدَ :

أَلَا مَا لِسَيِّدَتِي مَالَهَا	أَدَلًّا (٢) فَأَحْمِلْ إِذْ لَالَهَا
وَإِلَّا فَنِيمَ تَجَنَّتْ وَمَا	جَنِيْتُ سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَهَا
أَلَا إِنْ جَارِيَةَ لِلْإِمَامَا	مَ قَدْ أُسْكِنَ الْحَسَنَ (٣) سِرًّا بِهَا
مَشَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الْخَطَا	تُجَاذِبُ فِي الْمَشَى (٤) أَكْفَالَهَا
وَقَدْ أَتَعَبَ اللَّهُ نَفْسِي بِهَا	وَأَتَعَبَ بِاللَّوْمِ عَذَابَهَا

(١) كذا في غ ، وفي ت : القمي

(٢) في ت : دلالا .

(٣) في غ : الحب .

(٤) في ت : الحسن .

فقال بَشَّارُ : وَيَحْكُ يَا أَخَا سُكَيْمِ ! مَا أَدْرِي مِنْ أَىِّ أَمْرِيهِ عَجَبٌ : أَمِنْ
ضَعْفِ شِعْرِهِ أَمْ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِجَارِيَةِ الْخَلِيفَةِ يَسْمَعُ ذَلِكَ بِأُذُنِهِ (حَتَّى أَتَى عَلَى قَوْلِهِ :

— أَتَتَكَ^(١) الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْكَ^(٢) تَجَرَّرُ أَذْيَالَهَا

— وَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا

— وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا

وَلَوْ لَمْ تُطْعَمْ بَنَاتُ الْقُلُوبِ لَمَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا

وَإِنَّ الْخَلِيفَةَ مِنْ بُغْضٍ لَا إِلَيْهِ لِيُبْغِضَ مَنْ قَالَهَا

فقال بَشَّارُ وَقَدْ اهْتَرَّتْ طَرْبَا : وَيَحْكُ يَا أَخَا سُكَيْمِ ! أَتَرَى الْخَلِيفَةَ لَمْ يَهْتَرِ^(٣)

عَنْ فَرَشِهِ طَرْبَا لِمَا يَأْتِي بِهِ هَذَا الْكُوفِيُّ؟ قَالَ أَبُو عَمْرٍو^(٤) الْقَرَشِيُّ : لِمَا قَصَّ^(٥)

مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ عَلَى النَّاسِ مَجْلِسَ^(٦) الْبِعُوضَةِ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : إِنَّمَا سَرَقَ مَنْصُورٌ

هَذَا الْكَلَامَ مِنْ رَجُلٍ كُوفِيٍّ ؛ فَبَلَغَ قَوْلُهُ مَنْصُورًا فَقَالَ : أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : زِنْدِيقٌ ،

أَمَا تَرَوْنَهُ لَا يَذْكُرُ فِي شِعْرِهِ قَطَّ الْجَنَّةِ^(٧) وَلَا النَّارَ ، إِنَّمَا يَذْكُرُ الْمَوْتَ فَقَطَّ ! فَبَلَغَ

ذَلِكَ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ ، فَقَالَ :

يَا وَعَظَ النَّاسَ قَدْ أَصْبَحْتَ مُتَّهَمًا إِذِ عِبَتَ مِنْهُمْ أُمُورًا أَنْتَ تَأْتِيهَا

كَالْمَلْبَسِ الثَّوْبَ مِنْ عُرْيٍ وَعَوْرَتَهُ لِلنَّاسِ بَادِيَةً مَا إِنَّ بُوَارِيهَا

وَأَعْظَمَ الْإِثْمَ بَعْدَ الشَّرْكِ تَعَلَّمَهُ فِي كُلِّ نَفْسٍ عَمَّا هَا عَنْ مَسَاوِيهَا

(١) في غ : أته

(٢) في غ : إليه .

(٣) في غ : يطر .

(٤) في ت : أبو عمرو .

(٥) في ت : قضى « تحريف » .

(٦) في ت : مجلس « تحريف » .

(٧) في ت : لا الجنة .

عرفانها بميؤوب النَّاسِ تُبْصِرُهَا منهم ولا تُبْصِرِ الْعَيْبَ الَّذِي فِيهَا
فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى مات منصور بن عمار ، فوقف أبو العتاهية على
قبره وقال : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أبا السَّرِيِّ ما كنتَ رَمَيْتَنِي بِهِ .
أقال الخليل بن أسد النوشجاني : جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : أَيْزَعُمُ
النَّاسُ أَنِّي زَنْدِيقٌ ! وَاللَّهِ ما دِينِي إِلا التَّوْحِيدُ . فقلت : قل شيئاً تتحدَّثُ بِهِ
عَنْكَ . فقال :

ألا إننا كلنا بأئدُ وأىُّ بني آدمٍ خالدُ
وبدوهم كان من ربهم وكلُّ إلى ربِّه عائدُ
فيا عجيباً كيف يعصى الإلـه أم كيف يمجِّده الجاحِدُ
وفي كلِّ شئٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ

قال أبو دلف محمد بن هاشم الخزاعي^(١) : تَدَا كَرُوا يوماً شِعْرَ أبي العتاهية
بحضرة الجاحظ إلى أن جرى ذِكْرُ أَرْجُوزَتِهِ المزدوجة التي سماها « ذات
الأمثال » فأخذ بعض من حضر يُنشدُها حتَّى أتى إلى قوله :
يا للشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب
فقال الجاحظ للمُنشد : قف ، ثم قال : انظروا إلى قوله :

* رَوَائِحُ الْجَنَّةِ فِي الشَّبَابِ *

فإن له معنى كمعنى الطرب ، لا يقدر أحدٌ على معرفته إلا بالقلوب ،
وتعجز عن ترجمته^(٢) الألسن إلا بعد التطويل وإدامة التفتُّر ، وخير المعاني
ما كان القلبُ إلى قبوله أسرعَ مِنَ اللسانِ إلى وصفه .

(١) في ت : هاشم بن محمد الخزاعي .

(٢) في ت : معرفته .

وهذه الأَرْجُوزَةُ من بَدَائِعِ الشُّعْرِ يقال إنَّ فيها أربعةَ آلافِ مثلٍ مِنْهَا قَوْلُهُ :

حسبك مما تبغنيه القوتُ
هي المقادير فلمني أو فذر
لكل ما يؤذي وإن قلَّ ألم
ما أنتفع المرء بمثل عقله
من جعل النمام^(١) عيناً هلكا
إن الفساد ضده الصلاح
— إن الشباب والفراغ والجدة
ما عيش من أفته بقاؤه
ما زالت الدنيا لنا دار أذى
من لك بالحض وليس محض
يا رب من أسخطنا بجهده
— ما تطلع الشمس ولا تغيب
— لكل إنسان طبيعتان
والخير والشر إذا ما عدا
إنك لو تستنشق الشحيحا
— كذا قضى الله فكيف أصنع

ما أكثر القوت لمن يموت
إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر
ما أطول الليل على من لم ينم
وخير دخر المرء حُسن فعله
مبلغك الشر كباغيه لكا
ورب جد جره المزاح
مفسدة للمرء أي مفسده
نعص عيشاً كله فناؤه
ممزوجة الصفو بألوان القدي
يحب^(٢) بعض ويطيب بعض
قد سرنا الله بغير حمده
إلا لأمره شأنه عجيب
خير وشر وهما ضدان
بينهما بون بعيد جداً
وجدته أنتن شيء ربحاً
الصمت إن ضاق الكلام أوسع

(١) فت : المنام « تحريف »

(٢) فت : يحب .

قال رَوْحُ بْنُ الْفَرَجِ : شاورَ رَجُلٌ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ فِيمَا يَنْقُشُ عَلَى خَاتَمِهِ ، فقال :
انقشْ عَلَيْهِ : لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ ، ثم أنشد :

برمتُ بالنَّاسِ (١) وأخلاقهم فصرتُ أَسْتَأْنِسُ بِالوُحْدَةِ
مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لِعَمْرِي وَمَا أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

قيل إنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَلَاءِ مَوْلَى عَمْرُو بْنِ حُرَيْثٍ صَاحِبِ الْمَهْدِيِّ كَانَ مُمَدِّحًا ،
فَمَدَّحَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ فَأَمَرَ لَهُ بِسَبْعِينَ (٢) أَلْفَ دِرْهَمٍ ؛ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
وَقَالَ : كَيْفَ فَعَلَ هَذَا بِهَذَا السُّكُوفِيِّ ، وَلَيْسَ مِقْدَارُ شِعْرِهِ هَذَا ، فبَلَغَهُ ذَلِكَ
فَأَحْضَرَهُ وَقَالَ : إِنَّ الْوَاحِدَ مِنْكُمْ لَيُدْوِرُ عَلَى الْمَعْنَى فَلَا يُصِيبُهُ وَيَتَعَاطَاهُ فَلَا يُحْسِنُهُ
حَتَّى يُشَبَّ بِمِثْلِهِمْ يَبْتَأُ ثُمَّ يَمْدَحُنَا بِبَعْضِهَا ، وَهَذَا كَانَ الْمَعَانِي تُجْمَعُ لَهُ ، مَدَّحَنِي
فَقَصَّرَ التَّشْبِيحَ ، وَقَالَ :

إِنِّي أُمِنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ لَمَّا عَلِقْتُ مِنَ الْأَمِيرِ حَبَالًا
لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مِنْ إِجْلَالِهِ جَعَلُوا (٣) لَهُ حُرَّ الْوُجُوهِ نِعَالًا
إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا تَطْوِي (٤) إِلَيْكَ سَبَابًا وَرِمَالًا
وَإِذَا وَرَدْنَ بِنَا وَرَدْنَ خَفَائِقًا (٥)
أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ نَصِيبٍ :

فَمَاجُوا فَأَنْتَوْنَا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
قال مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ : أُخْرِجْتُ رَسُولًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَهُوَ يُرِيدُ

(١) كذا في غ والتجريد . وفي ت : برئت من الناس .

(٢) كذا في غ والتجريد . وفي ت : بعشرين .

(٣) كذا في ت : وفي غ والتجريد : لحدوا .

(٤) كذا في ت ، وفي غ والتجريد : قطعت .

(٥) كذا في ت والديوان طبع بيروت ٣٢٤ ، وفي غ والأمالى ٢٤٨/١ والتجريد : مخفة

مِصْرَ ، فَتَزَلْتُ عَلَى الْعَتَابِيِّ ، وَكَانَ لِي صَدِيقًا فَقَالَ : أَنْشِدْنِي لِشَاعِرِ الْعِرَاقِ - يَعْنِي
أَبَا نُوَّاسٍ وَكَانَ قَدْ مَاتَ - فَأَنْشَدْتُهُ مَا كُنْتُ أَحْفَظُ مِنْ شِعْرِهِ وَمُلَّحِّهِ وَقُلْتُ لَهُ :
مَا ظَنَنْتُكَ تَقُولُ هَذَا إِلَّا لِأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ ؛ فَقَالَ : لَوْ أَرَدْتُ أَبَا الْعَتَاهِيَّةِ لَقُلْتُ :
أَنْشِدْنِي لِأَشْعَرِ النَّاسِ وَلَمْ أَقْتَصِرْ عَلَى الْعِرَاقِ .

أَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ : أَكْثَرُ النَّاسِ يَتَكَلَّمُونَ بِالشَّعْرِ وَلَا يَعْلَمُونَ ، وَلَوْ أَحْسَنُوا
تَأْلِيْفَهُ لَسَاكَانُوا شُعْرَاءَ كُلِّهِمْ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ قَالَ رَجُلٌ لِآخِرِ مَعَهُ مِسْحُ :
يَا صَاحِبَ الْمِسْحِ تَبِيْعُ الْمِسْحَا .

فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ : هَذَا مِنْ ذَلِكَ . أَلَمْ تَسْمَعُوهُ يَقُولُ :

يَا صَاحِبَ الْمِسْحِ تَبِيْعُ الْمِسْحَا .

فَقَدْ قَالَ شِعْرًا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّجُلُ :

تَعَالَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الرَّبْحَا .

فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ : قَدْ أَجَازَ الْمِصْرَاعَ بِمِصْرَاعٍ آخَرَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، قَالَ :

تَعَالَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الرَّبْحَا .

(قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : شِعْرُ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ مِثْلُ كُسَاخَةِ ^(١) الْمُلُوكِ يَقَعُ فِيهَا الْجَوْهَرُ

وَالذَّهَبُ وَالتَّرَابُ وَالتَّخْرِيفُ وَالتَّنَوُّيُ)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ : سُئِلَ أَبِي : هَلْ تَعْرِفُ الْعَرُوضَ ؟ فَقَالَ :

أَنَا أَكْبَرُ ^(٢) مِنَ الْعَرُوضِ . قَالَ : وَلَهُ أَوْزَانٌ لَا تَدْخُلُ الْعَرُوضُ .

قَالَ أَبُو عَكْرِمَةَ : حُمَّ الرَّشِيدُ فَصَارَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ إِلَى الْفَضْلِ ^(٣) بِرُقْعَةٍ فِيهَا :

(١) الكساحة : الكناسة . وفي غ : شعر أبي العتاهية كساحة الملوك .

(٢) في ت : أكثر .

(٣) هو الفضل بن الربيع .

لو عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ أَنْتَ لَهُمْ مَا تَوَا^(١) إِذَا مَا أَلِمْتَ أَجْمَعَهُمْ
 خَلِيفَةَ اللَّهِ أَنْتَ تَرْجَحُ بِاللَّهِ سَ إِذَا مَا وُزِنْتَ أَنْتَ وَهُمْ
 قَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ وَجْهَكَ يَسَدُ تَغْنَى إِذَا مَا رَأَاهُ مُعَدُّهُمْ
 فَأَنْشَدَهَا الْفَضْلُ الرَّشِيدَ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فَمَا زَالَ يُسَامِرُهُ وَيُحَدِّثُهُ
 إِلَى أَنْ بَرَى وَوَصَلَهُ بِمَالٍ جَزِيلٍ .

قال ابن الأعرابي وقد حدث هذا الحديث ، فقال له رجل في المجلس لَمَّا
 أَنْشَدَهَا الشُّعْرُ : مَا هَذَا الشُّعْرُ بِمُسْتَحْسَنٍ^(٢) وَهُوَ ضَعِيفٌ . فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الضَّعِيفُ
 وَاللَّهُ عَقْلُكَ ، الْأَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَقُولُ : ضَعِيفُ الشُّعْرِ ! وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُ شَاعِرًا أَطْبَعَ وَلَا
 أَقْدَرَ عَلَى بَيْتٍ شَعَرَ مِنْهُ ، وَلَا أَحْسَبُ مَدَّهَبَهُ إِلَّا ضَرْبًا مِنَ السَّحْرِ . ثُمَّ أَنْشَدَ لَهُ :

قَطَّعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمِطْيِ رِحَالِي
 وَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَأْسِ بَيْنَ جَوَانِحِي^(٣) فَأَرَحْتُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ تَرَحَالٍ
 يَا أَيُّهَا الْبَطْرِ^(٤) الَّذِي هُوَ فِي غَدِي فِي قَبْرِهِ مَتَمَزَّقُ الْأَوْصَالِ
 حَذَفَ الْمَنَى عَنْهُ الشُّمْرُ فِي الْهَدَى^(٥) وَأَرَى مِنْكَ طَوِيلَةَ الْأَذْبَالِ
 — حَيْلُ ابْنِ آدَمَ فِي الْأُمُورِ كَثِيرَةٌ وَالْمَوْتُ يَقْطَعُ حَيْلَةَ الْمُحْتَالِ
 قَسَتْ السُّؤَالَ فَكَانَ أَعْظَمَ قِيَمَةً^(٦) مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُؤَالِ
 — فَإِذَا أَبْتَلَيْتَ بِيَدَلٍ وَجْهَكَ سَائِلًا فَايْذُلُهُ لِلْمُتَكَرِّمِ الْمِفْضَالِ

(١) كذا في غ والتجريد . وفي ت : مات .

(٢) في غ : بمستحق لما قلت .

(٣) في ت : جوارحي « تحريف » .

(٤) في ت : البطل « تحريف » .

(٥) في ت : حذر المنى عنه الشعر في الهوى .

(٦) في ت : حيلة .

وَإِذَا خَشِيتَ تَعَدُّرًا فِي بَلَدَةٍ فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ
وَاصْبِرْ عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

ثم قال للرجل : هل يُحسِنُ أَحَدٌ [أن] ^(١) يقول مثل هذا؟ فقال له الرجل :
لم أَرُدُّ عليك [ما قلتَ] ولكن الزُّهْدَ مَذْهَبُ أَبِي العَتَاهِيَةِ ، وشِعْرُهُ فِي المَدِيحِ
ليس كَشِعْرِهِ فِي الزُّهْدِ . فقال له ابنُ الأعرابي : أليس هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي المَدِيحِ :

وهَارُونَ ماءُ المِزْنِ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى إِذَا مَا الصَّدَى بِالرِيقِ غَصَّتْ حَنَاجِرُهُ
وَأَوْسَطُ بَيْتِ ^(٢) فِي قُرَيْشٍ لَبِيتُهُ وَأَوَّلُ عِزٍّ فِي قُرَيْشٍ وَأَخْرَهُ
وَزَحْفٍ لَهُ تَحْكِي البُرُوقِ سَمِوْفُهُ وَتَحْكِي الرُّعُودِ القَاصِفاتِ زَمَاجِرُهُ ^(٣)
إِذَا حَمِيَتْ شَمْسُ النِّهَارِ تَضَاحَكَتْ إِلَى الشَّمْسِ فِيهِ بَيْضُهُ وَمَعَا فِرُهُ
إِذَا نَكَبَ الإِسْلَامُ يَوْمًا بَنَكَبَةَ فَهَارُونَ مِنْ بَيْنِ البَرِيَّةِ نَائِرُهُ
وَمَنْ ذَا يَقُوتُ المَوْتَ وَالمَوْتَ مُدْرِكُهُ كَذَا لَمْ يَفْتِ هَارُونَ ضِدًّا يُنَافِرُهُ

فَتَخَلَّصَ الرَّجُلُ مِنْ شَرِّ ابْنِ الأعرابيِّ بَأَنَّ قَالَ : القَوْلُ كَمَا قُلْتَ ، وَمَا كُنْتُ
سَمِعْتُ لَهُ بِمِثْلِ هَذَا ، وَكَتَبْتُهَا عَنْهُ .

قال هَارُونَ بْنُ سَعْدَانَ بْنِ الحَارِثِ مولى عَبَّادَ : حَضَرْتُ بِالْأَمْسِ مَجْلِسًا
فَأُنشِدْتُ شِعْرًا ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ المَجْلِسَ : أَنْتَ أَشْعَرُ النَّاسِ ، فَقُلْتُ : أَمَا
وَالشَّيْخُ حَىِّ فَلَا (يَعْنِي أَبَا العَتَاهِيَةَ) .

قال ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ : أَنشَدَنِي أَبُو العَتَاهِيَةَ :

إِذَا المرءُ لَمْ يُعْتِقْ مِنَ المَالِ نَفْسَهُ تَمَلَّكَه المَالُ الَّذِي هُوَ مَالِكُهُ

(١) ساقطة من ت .

(٢) كذا في غ والتجريد . وفي ت : وأوسط عز .

(٣) زجاجة كل شيء صوته . وفي غ والتجريد : حوافره .

— أَلَا إِنَّمَا مَالِي الَّذِي أَنَا مُنْفِقُهُ وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَافْتَنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ .
 إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ فَبَادِرْ بِهِ الَّذِي يَحِقُّ وَإِلَّا اسْتَهْلَكَتَهُ مَهَالِكُهُ

قلت له : من أين قضيت بهذا؟ فقال : مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 « إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَافْتَنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ » .
 فقلت له أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه الحق؟ فقال :
 نعم : قلت : فَلِمَ تَحْسِبُ عِنْدَكَ سَبْعًا وَعِشْرِينَ بَدْرَةَ فِي دَارِكَ ، لَا تَأْكُلُ مِنْهَا
 وَلَا تَشْرَبُ ، وَلَا تَزُكِّي وَلَا تُقَدِّمُهَا ذُخْرًا لِيَوْمِ قَفْرِكَ وَفَاقَتِكَ ؟ فقال : يَا أَبَا مَعْنٍ ،
 وَاللَّهِ إِنَّ مَا قُلْتَ لَهُوَ الْحَقُّ وَلَكِنِّي أَخَافُ الْفَقْرَ وَالْحَاجَةَ إِلَى النَّاسِ ؛ قلتُ : وَبِمَا
 تَرِيدُ حَالٌ مِنْ أِفْتَقَرٍ عَلَى حَالِكَ وَأَنْتَ دَائِمُ الْحِرْصِ دَائِمُ الْجَمْعِ شَحِيحٌ عَلَى نَفْسِكَ
 لَا تَشْتَرِي اللَّحْمَ إِلَّا مِنْ عِيدٍ إِلَى عِيدٍ ؟ ! فترك جواب كلامي كله ثم قال : وَاللَّهِ لَقَدْ
 أَشْرَيْتُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ لَحْمًا وَتَوَابِلَهُ وَمَا يَنْبَغُهُ بِخُمْسَةِ دَرَاهِمٍ ؛ فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ
 أَضْحَكَنِي حَتَّى أَذْهَلَنِي عَنْ جَوَابِهِ وَمُعَاتَبَتِهِ ، فَأَمْسَكْتُ عَنْهُ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ
 مَعْنٍ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ .

كان مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى فِي حَارَةِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، قَالَ : كَانَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ جَارٌ
 يَلْتَقِطُ النَّوَى ضَعِيفٌ سَيِّئُ الْحَالِ ، وَكَانَ يَمُرُّ بِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ طَرَفَ النَّهَارِ فَيَقُولُ أَبُو
 الْعَتَاهِيَةِ : اللَّهُمَّ أَعْنِهِ عَلَى مَا هُوَ بِسَيِّئِهِ ، شَيْخٌ ضَعِيفٌ سَيِّئُ الْحَالِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ
 مُتَجَمِّلٌ ، اللَّهُمَّ اصْنَعْ لَهُ ؛ فَيَتْبَعُنِي عَلَى هَذَا الْحَالِ إِلَى أَنْ مَاتَ الشَّيْخُ نَحْوًا مِنْ
 عِشْرِينَ سَنَةً ، لَا وَاللَّهِ مَا تَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِدِرْهَمٍ وَلَا دَانِقٍ قَطُّ ، وَلَا زَادَهُ عَلَى الدُّعَاءِ
 شَيْئًا ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا : يَا أَبَا إِسْحَاقَ : إِنِّي أَرَاكَ تَكْثُرُ الدُّعَاءَ لِهَذَا الشَّيْخِ وَتَزْعُمُ
 أَنَّهُ فَقِيرٌ مُعِيلٌ ^(١) ، فَلِمَ لَا تَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ ؟ فقال : أَخْشَى أَنْ يَمْتَدَّ الصَّدَقَةُ
 وَالصَّدَقَةُ آخِرُ مَكْسَابِ الْعَبْدِ ، وَإِنَّ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا كَثِيرًا .

(١) في غ : مقل .

قال الخزيمى^(١): كان لأبى العتاهية خادمٌ أسودٌ طويلٌ كأنه محراكٌ أتون، وكان يُجرى عليه في كلِّ يومٍ رَغيفين، فجاءني الخادمُ يوماً فقال لى: والله ما أشبع؛ فقلتُ: وكيفَ ذلك؟ قال: لأنى ما أفتر من السكِّد وهو يُجرى على رَغيفين بغير أدم^(٢)، فإن رأيت أن تُكلمه حتى يزيدنى رَغيفاً فتموَّجِر! فوعدهُ بذلك؛ فلما جلستُ معه مرَّ بنا الخادمُ فكرهتُ إعلامه أنه قد شكاه إلى . فقلتُ له: يا أبا إسحاق: كم تُجرى على هذا الخادمِ كلِّ يوم؟ فقال: رَغيفين؛ فقلتُ: لا يكفِيَانِه^(٣)؛ فقال: من لم يكفه القليلُ لم يكفه الكثيرُ، وكلُّ من أعطى نفسه شهوتها هلك [و] هذا خادمٌ يدخلُ على حُرْمى وبناتى، فإن لم أعوده القناعةَ والأقتصادَ أهلكنى وأهلك عيالى، ثم مات الخادمُ بعد ذلك فكفنته فى إزارٍ [و] فراشٍ - كان له - خلق؛ فقلتُ له: سُبْحَانَ اللَّهِ! خادِمٌ قَدِيمٌ^(٤) الحرمةَ طويلُ الخدِمةِ واجبُ الحقِّ تكفنته فى خلق، وإنما يكفِيهِ كفنٌ بدينار! فقال: إنه يصير إلى البلى، والحى أولى بالجديد من الميت؛ فقلتُ: يرْحَمَك اللهُ! فلقد عودته الأقتصادَ حياً وميتاً .

وقال الخزيمى: وقف سائلاً من الظرفاء العيارين يوماً على أبى العتاهية [وجامعةً من جيرانه حواره، فسأله من بين الجيران؛ فقال: صنعَ اللهُ لك^(٥) فأعاد السؤالَ فردَّ عليه مثلَ ذلك، فأعاد الثالثةَ فردَّ عليه مثلَ ذلك، فغضب وقال له: ألسْتَ الذى تقول:

- (١) فى ت: الحرقى «تحريف» .
- (٢) فى غ: إدام .
- (٣) فى ت: لا يكفِيهِ .
- (٤) فى ت: متهم «تحريف» .
- (٥) بياض بالأصل والتسكلة من غ .

كُلُّ حَى عِنْد مِيتَتِهِ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ الْكَفْنُ

قال : نعم . قال : فَبِاللَّهِ أَتُرِيدُ أَنْ تُعَدَّ مَالَكَ كُلَّهُ لِتَمَنِّ كَفْنِكَ ؟ قال : لا ؛ قال :
بِاللَّهِ فَكَمْ قَدَّرْتَ لَكَفْنِكَ ؟ قال : خَمْسَةُ دِنَانِيرٍ ؛ قال : فَبِى حَظُّكَ إِذَا مِنْ مَالِكَ .
قال : نعم . قال : فَتَصَدَّقْ عَلَى مَنْ غَيْرِ حَظُّكَ بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ ؛ فقال : لَوْ تَصَدَّقْتُ
عَلَيْكَ لَكَانَ حَظِّي ؛ قال : فَأَعْمَلْ عَلَى أَنْ دِينَارًا مِنْ الْخَمْسَةِ وَضِيعَةً قِيرَاطَ ،
وَأَدْفَعْ لِي قِيرَاطًا ، وَإِلَّا فَوَاحِدَةً أُخْرَى [قال : وما هى ؟ قال :] ^(١) الْقُبُورُ تُحْفَرُ
بثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ فَأَعْطِنِي دِرْهَمًا وَأَقِيمْ لَكَ كَفِيلًا بِأَنِّي أَحْفِرُ لَكَ بِهِ قَبْرَكَ مَتَى مِتُّ ،
وَتَرَبِّحُ دِرْهَمَيْنِ لَمْ يَكُونَا مِنْ حِسَابِكَ ، فَإِنْ لَمْ أَحْفِرْ لَكَ بِهِ رَدَدْتُهُ عَلَى وَرَثَتِكَ
أَوْ رَدَّهُ كَفِيلِي عَلَيْهِمْ ؛ فَخِجِلْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَقَالَ : اعزُبْ عَنِّي وَضَحِكُ جَمِيعُ
مَنْ حَضَرَ ، وَمَرَّ السَّائِلُ يَضْحَكُ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَقَدْ اغْتَاظَ وَقَالَ :
مِنْ أَجْلِ هَذَا وَأَمْثَالِهِ حُرِّمَتِ الصَّدَقَةُ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : وَمَنْ حَرَّمَهَا ؟ وَمَتَى حُرِّمَتْ ؟
فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا ادَّعَى أَنْ الصَّدَقَةَ حُرِّمَتْ قَبْلَكَ وَلَا بَعْدَكَ !

وقال الخزيمي هذا : قلت لأبي العتاهية : أتزكى مالك ؟ فقال : والله ما أنفق
على عيالي إلا من زكاة مالي ؛ فقلت له : سبحان الله إنما ينبغي أن تخرج زكاة
مالك إلى الفقراء والمساكين ؛ فقال : لو أنقطعت زكاة مالي عن عيالي لم يكن
أفقر منهم .

قِيلَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ : أَيُّ شَعْرٍ قَلْتَهُ أَحْكَمَ ؟ قَالَ : قَوْلِي :

عَلِمْتَ يَا مُجَاشِعُ بْنُ مَسْعَدَةَ أَنَّ الْفِرَاقَ وَالشَّبَابَ وَالْجِدَةَ ^(٢)

مُفْسِدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مُفْسِدَةٍ

(١) ساقط من ت .

(٢) في غ : أن الشباب والفرغ والجده .

قال أَبُو غَزِيَّةَ : كَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ إِذَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ يَجْلِسُ إِلَيَّ ؛ فَأَرَادَ مَرَّةَ
الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَدَّعَنِي ثُمَّ قَالَ :

إِنْ نَمِشَ نَجْتَمِعُ وَإِلَّا فَمَا أَشْفَلُ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الْأَنْامِ
كَانَ لِبَعْضِ تُجَّارِ بَابِ الطَّاقِ^(١) عَلَى أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ ثَمَنٌ نِيَابٌ أَخَذَهَا مِنْهُ ؛ فَمَرَّ
بِهِ يَوْمًا ، فَقَالَ لِعِلَّامٍ لَهُ حَسَنُ الْوَجْهِ : أَدْرِكُ أَبَا الْعَتَاهِيَّةِ وَلَا تُفَارِقَهُ حَتَّى تَأْخُذَ مِنْهُ
مَا لَنَا عَلَيْهِ ؛ فَأَدْرَكَهُ عَلَى رَأْسِ الْجِسْرِ ، فَأَخَذَ بَعِنَانِ حِمَارِهِ وَوَقَفَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا
حَاجَتَكَ يَا عِلَّامُ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَنَا رَسُولُ فُلَانٍ بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِأَخَذَ مَا لَكَ عَلَيْكَ ،
فَأَمْسَكَ عَنْهُ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ ، وَجَمَلَ كُلُّ مَنْ يَمُرُّ فَيَرَى الْعِلَّامَ مَتَعَلِّقًا بِهِ يَقِفُ وَيَنْظُرُ ،
فَلَمَّا أَجْتَمَعَ النَّاسُ وَتَكَاثَرُوا قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

وَاللَّهِ رَبِّكَ إِنَّنِي لِأَجِلُّ وَجْهَكَ عَنْ فِعَالِكَ
لَوْ كَانَ فِعْلُكَ مِثْلَ وَجْهِكَ كُنْتُ مُكْتَفِيًا بِذَلِكَ

فَخَجِلَ الْعِلَّامُ وَأَرْسَلَ عِنَانَ الْحِمَارِ ، وَرَجَعَ إِلَى صَاحِبِهِ وَقَالَ بَعَثَنِي إِلَى
شَيْطَانٍ جَمَعَ عَلَى النَّاسِ وَقَالَ فِي الشُّعْرِ حَتَّى أَخَجَلَنِي فَهَرَبْتُ مِنْهُ .

قال أبو عكرمة : كَانَ الرَّشِيدُ إِذَا رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ تَمَثَّلَ قَوْلَ
أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ فِيهِ :

أَخْتُ بَنِي شَيْبَانَ مَرَّتْ بِنَا
وَأَوَّلُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الَّتِي هَجَاهُ بِهَا :

يَا صَاحِبِي رَحَلِي لَا تُكْثِرَا
سَبْحَانَ مَنْ حَصَّ ابْنُ مَعْنٍ بِمَا
قَالَ ابْنُ مَعْنٍ وَجَبَلًا نَفْسَهُ
فِي شَتْمِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ عَدْلٍ
أَرَى بِهِ مِنْ قَلَّةِ الْعَمَلِ
عَلَى مَنْ الْجُلُودُ يَا أَهْلِي

(١) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد .

أنا فتاة الحَيِّ مِنْ وائِل
 ما في بَنِي شَيْبَانَ أَهْلَ الْعَلَا (١)
 [يا ليتني أبصرتُ دَلالة
 وَيَلِي وَيَا لَهْنِي عَلَى أَمْرِدِ
 صَافِحْتُهُ يَوْمًا عَلَى خَلْوَةٍ
 أُخْتُ بَنِي شَيْبَانَ مَرَّتْ بِنَا
 تُكْنِي أَبَا الْفَضْلِ وَيَا مَنْ رَأَى
 قَدْ نَقَطَتْ فِي وَجْهِهَا نُقْطَةً
 إِنْ زُرْتُمُوهَا قَالَ حُجَّابُهَا
 مَوْلَاتُنَا مَشْغُولَةٌ عِنْدَهَا
 يَا بِنْتَ مَعْنٍ الْخَيْرِ لَا تَجْهَلِي
 أَتَجَلِدُ النَّاسَ وَأَنْتِ أَمْرُؤُ
 مَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَنْسُبُوا
 يَبْذُلُ مَا يَمْنَعُ أَهْلُ النَّدَى
 مَا قَلْتُ هَذَا فَيْكَ إِلَّا وَقَدْ

فِي الشَّرَفِ الشَّامِخِ وَالنُّبْلِ
 جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ مِثْلِي
 تَدُلُّنِي الْيَوْمَ عَلَى فَحْلٍ (٢)
 يُلْزِقُ (٣) مَنِّي الْقُرْطَ بِالْحِجْلِ
 فَقَالَ دَعْ كَفِّي وَحُدِّ رِجْلِي
 مَمْشُوطَةً كُورًا عَلَى بَعْلِ
 جَارِيَةٌ تُكْنِي أَبَا الْفَضْلِ
 خَافَةَ الْعَيْنَ مِنَ الْكُحْلِ
 نَحْنُ عَنِ الزُّوَّارِ فِي شُغْلِ
 بَعْلٍ وَلَا إِذْنَ عَلَى الْبَعْلِ
 وَأَيْنَ تَقْصِيرٌ عَنِ الْجَهْلِ (٤)
 تُجَلِّدُ فِي دَبْرِكَ وَالْقُبْلِ
 مَنْ كَانَ ذَا جُودٍ إِلَى الْبُخْلِ
 هَذَا لَعَمْرِي مُنْتَهَى الْبَدْلِ
 جَفَّتْ بِهِ الْأَفْلامُ مِنْ قَبْلِي

فبعث إليه عبد الله بن معن ، فأقْبَ به ، فدعا بعلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا
 منه الفاحشة ، ففعلوا ذلك ، ثم أجلسه وقال له : لقد جزيتك على قولك في ،
 فهل لك بعد هذا في الصلح ومعه مَرَكَبٌ وعشرة آلاف درهم أو تُقيم على الحرب ؟

(١) في غ : الحجا .

(٢) لم يرد البيت في غ ولا في التجريد .

(٣) في غ والتجريد : يالصق .

(٤) في غ : وأين لإقصار عن الجهل .

فقال : بل الصُّلْحُ ؛ قال : فأسمِعني ما تُقُولُهُ في مَعْنَى الصُّلْحِ ، فقال :

ما لَعُدَّالِي وَمَالِي أَمْرُونِي بِالضَّلَالِ
عَدُّوْنِي فِي اغْتِفَارِي^(١) لِأَبْنِ مَعْنٍ وَأَحْتِمَالِي
إِنْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنْهُ فَبِجُرْمِي وَفِمَالِي
قَلْ لِمَنْ يَعْجَبُ مِنْ حُسْنِ نِ رُجُوعِي وَمَقَالِي
— رَبِّ وَوَدِّ بَعْدَ صِدِّ وَهَوَى بَعْدَ تَقَالِي^(٢)
— قَدْ رَأَيْتَا ذَا كَثِيرًا جَارِيًا بَيْنَ الرَّجَالِ
— إِنَّمَا كَانَتْ يَمِينِي لَطَمَتْ مِنْنِي شِمَالِي
[مَالُهُ بَلْ نَفْسُهُ لِي وَلَهُ نَفْسِي وَمَالِي
أَنَا مِنْهُ كُنْتُ أَكْتَنِي زَيْدُهُ فِي كُلِّ حَالٍ]^(٣)

وكان أبو العتاهية في حدائته يهوى امرأة نائحة من أهل الحيرة لها حسن وكفاية يُقال لها سُمْدَى ؛ وكان عبدُ الله بن معن بن زائدة يهواها أيضا ، وكانت مولاة لهم ، ثم اتهمها أبو العتاهية بالنساء ؛ فقال فيها :

— أَلَا يَأْذَوَاتِ السَّحْقِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ أَفْقِنَ فَإِنَّ النَّيْكَ أَشْفَى مِنَ السَّحْقِ
أَفْقِنَ فَإِنَّ الْخُبْزَ بِالْأَدَمِ يُشْتَهَى وَلَيْسَ يَسُوعُ الْخُبْزُ بِالْخُبْزِ فِي الْخَلْقِ^(٤)
أَرَأَيْتَ تَرَقَمْنَ الْخُرُوقَ عَمِلْهَا وَأَتَى وَمَا يُسْتَرْقَعُ الْخُرُوقُ بِالْخُرُوقِ^(٥)
— وَهَلْ يَصْلُحُ الْمِهْرَاسُ إِلَّا بَعُودَهُ إِذَا احْتِيجَ مِنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الدَّقِّ

(١) فت : اعتقادي .

(٢) فت : رب صد بعد ود .

(٣) ما بين القوسين زيادة فت لم ترد في غ .

(٤) فت : فإن الأدم بالخبز بشمى !

(٥) في غ والتعريد: وأى لبيب يرقع الخرق بالخرق .

تهدد^(١) عبدُ الله بن مَعْنُ أبا العتاهية ونهاه أن يتعرَّض لسُعدى ؛ فقال :

ألا قل لأبن مَعْنٍ ذَا أَلِّ	ذِي فِي الْوُدِّ ^(٢) قَدْ حَالَا
لَقَدْ بُلَّغْتُ مَا قَالَ	فَا بِالْبَيْتِ مَا قَالَا
وَلَوْ كَانَ مِنَ الْأَسَدِ	لَمَا رَاعَ ^(٣) وَلَا هَالَا
فَضَعُ مِنْ حَلِيَّةِ السَّيْفِ	الَّذِي قَلَّدَتْ خَلْخَالَا ^(٤)
وَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ	إِذَا لَمْ تَكُ قِتَالَا
أَرَى قَوْمَكَ أَبْطَالَا	وَقَدْ أَصْبَحْتَ بَطَالَا
وَلَوْ مَدَّ إِلَى أُذُنَيْ	هُ كَفَيْهِ لَمَا نَالَا
قَصِيرَ الطُّولِ وَالطَّمِيدِ	لَا سَبَّ وَلَا طَالَا ^(٥)

ثم إنَّ عبدَ الله بن مَعْنٍ أَحْتَالَ عَلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ حَتَّى أَخَذَهُ فِي مَكَانٍ فَضَرَبَهُ مِائَةً سَوْطٍ لَيْسَ بِالْبَرْحِ غَيْظًا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَعْنَفْ فِي ضَرْبِهِ خَوْفًا مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُعْنَى بِهِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَهْجُوه :

جَلَدْتَنِي بِكَفِّهَا	بِنْتُ مَعْنٍ بِنِ زَائِدَةَ
جَلَدْتَنِي فَأَوْجَعَتْ	بِأَبِي تَلَكَّ جَالِدَهُ
وَتَرَاهَا مَعَ الْخِصِّ	حَى عَلَى الْبَابِ قَاعِدَهُ
تَتَكْنَى كُنَى الرَّجَا	لِ بَعْدِ مُكَابِدِهِ
جَلَدْتَنِي وَبَالَعْتُ	مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَهُ
إِجْلِدِي وَأَجْلِدِي	إِنَّمَا أَنْتِ وَالِدَهُ

(١) في ت : فتعهد .

(٢) في ت : الوجد .

(٣) في غ : صال .

(٤) في غ : فصع ما كنت حليت به سيفك خلخالاً .

(٥) في ت : والطول بدل والطميلة .

وقال :

ضَرَبْتُ بِكَفِّهَا بِنْتُ مَعْنٍ أَوْجَعَتْ كَفِّهَا وَمَا أَوْجَعْتَنِي
وَلَمَعْرِي لَوْلَا أَدَى كَفِّهَا إِذْ ضَرَبْتَنِي بِالسَّوْطِ مَا تَرَكَتَنِي

وهما أخاه يزيداً معه ، وكان زائدة أخوها صديقا لأبي العتاهية فلم يُعِنْ إخوته عليه ، فلما مات رثاه أبو العتاهية بأبيات .

قال أحمد بن أبي قنن : كنا يوماً عند ابن الأعرابي فذكر قول ابن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي :

إِذَا ذَاتُ دَلٍّ (١) كَلَّمْتَهُ لِحَاجَةٍ فَهَمَّ بَأَنْ يَقْضِي تَنْحَنَحَ أَوْ سَعَلَ
وَأَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَالَ : تَرَكَتَنِي وَاللَّهِ وَأَنْ السُّعْمَلَةَ لَتَعْرِضَ لِي فِي الْخَلَاءِ فَأَذْكَرُ
قَوْلَهُ فَأَهَابَ أَنْ أَسْأَلَ ؛ قَالَ : فَقُلْتُ لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ : فَهَذَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَالَ فِي
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْنٍ :

فَصَعُ مَا كُنْتَ حَلَيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالَ
وَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالًا

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ : مَا لَبِستُ سَيْفِي قَطَّ فَرَأَيْتُ إِنْسَانًا يَلْمَحُنِي إِلَّا ظَنَنْتُهُ
يَحْفَظُ قَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِيَّ فَيَتَأَمَّلُنِي لِذَلِكَ فَأُخْجَلُ .

اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد فجرى بينهما كلام فقال مسلم : والله لو كنت أرضى أن أقول مثل قولك :

الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ لَكَ وَالْمَلِكُ لِاشْرِيكَ لَكَ

لَبَّيْكَ إِنَّ الْمَلِكَ لَكَ

لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت . ولكني أقول .

(١) في ت : يوم « تحريف » ،

مُوفٍ عَلَى مَهَجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهَاجٍ كَأَنَّهُ أَجَلَ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ

فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : يَا بَنَ أَخِي : قُلْ مِثْلَ قَوْلِي :

* الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ لَكَ *

حَتَّى أَقُولَ مِثْلَ قَوْلِكَ :

* كَأَنَّهُ أَجَلَ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ *

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَابِقٍ : قَالَ بَشَّارٌ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ : أَنَا أَسْتَحْسِنُ اعْتِدَارَكَ

حَيْثُ تَقُولُ :

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي أَسَا رِقَهُ الْبُكَاءِ مِنَ الْحَيَاءِ
فَإِذَا تَأَمَّلَ لَا مَسِي فَأَقُولُ مَا بِي مِنْ بُكَاءِ
لَسْكَنٍ ذَهَبَتْ لِأَرْتَدِي فَطَرَفْتُ عَيْنِي بِالرِّدَاءِ

فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : يَا أَبَا مُعَاذٍ مَا لُدْتُ إِلَّا بِعَمَانِكَ وَلَا جَنَيْتُ إِلَّا مِنْ غَرَسِكَ

حَيْثُ تَقُولُ :

شَكَوْتُ إِلَى الْغَوَانِي مَا الْآقِي وَقُلْتُ لَهْنٍ مَا يَوْمِي بِعَمِيدٍ
فَقُلْنَا بِكَيْتٍ قُلْتُ لَهْنٌ كَلَّا وَقَدِ يَسْكِي مِنَ الشُّوقِ ^(١) الْجَلِيدُ
وَلَسْكَنِي أَصَابَ سَوَادَ عَيْنِي عَوَيْدُ قَدِّي لَهُ طَرَفٌ حَدِيدُ
فَقُلْنَا فَمَا لِدَمْعِهِمَا سَوَاءٌ أَكَلْنَا مُقَاتَتَيْكَ أَصَابَ عَوْدُ

قَالَ مُخَارِقٌ : لَمَّا لَبَسَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ الصُّوفَ أَمَرَهُ الرَّشِيدُ أَنْ يَقُولَ شِعْرًا فِي

الْفَزْلِ ، فَامْتَنَعَ ، فَضْرَبَهُ سِتِّينَ عَصًا ، وَحَلَفَ لَا يَخْرُجُ مِنْ حَبْسِهِ حَتَّى يَقُولَ شِعْرًا

فِي الْفَزْلِ ، فَلَمَّا ضُرِبَ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : كُلُّ مَمْلُوكٍ لَهُ حُرٌّ وَامْرَأَتُهُ طَالِقٌ إِنْ

(١) فِي ت : الطَّرِب .

تَكَلَّمَ سَنَةً إِلَّا بِالْقُرْآنِ أَوْ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . وكان الشَّيْءُ تَحَرَّجَ
مِمَّا فَعَلَهُ فَحَبَسَهُ فِي دَارٍ وَوَسَّعَ عَلَيْهِ ، ولم يَمْنَعْ أَحَدًا مِمَّنْ يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ ،
وكانت الحَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ الموصليِّ لَطِيفَةً ، وكان يَبْعَثُ بِي إِلَيْهِ أَنْتَعَرَفُ
خبرَهُ فإذا دخلتُ إِلَيْهِ وَجَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ظَهْرًا^(١) ودِوَاءَةً فَيَكْتُبُ إِلَيَّ بِجَمِيعِ
مَا يُرِيدُ ، وَأَكَلَّمُهُ أَنَا ، فَكُنْتُ كَذَلِكَ سَنَةً ، واتفق أن إِبْرَاهِيمَ صَنَعَ صَوْتَهُ :

أَعْرِفَتْ دَارَ الْحَيِّ بِالْحَجْرِ فَشَرُّو رَبَانَ فُقُنَّةَ النَّمْرِ^(٢)
وَهَجَرْتَنَا وَأَلْفَتْ رَسْمَ بِلَى والرَّسْمُ كانَ أَحَقَّ بِالْهَجْرِ^(٣)

قال مُخَارِقُ : فَقَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ : اذْهَبْ إِلَى أَبِي العَتَاهِيَةِ وَغَنَّهُ هَذَا الصَّوْتُ
فَأَنْتَبَهُ فِي اليَوْمِ الَّذِي انْقَضَتْ فِيهِ يَمِينُهُ ، فَمَنْعَتْهُ إِيَّاهُ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ بَعْدَ أَنْ
غَنَيْتُهُ : هَذَا اليَوْمُ تَنْقِضِي فِيهِ يَمِينِي ، فَأُحِبُّ أَنْ تُقِيمَ عِنْدِي إِلَى اللَّيْلِ ، فَأَنْتُ
نَهَارِي كُلَّهُ عِنْدَهُ ، حَتَّى إِذَا أَذَنَّ [النَّاسُ]^(٤) الْمَغْرِبَ كَلَّمَنِي فَقَالَ : يَا مُخَارِقُ ،
قُلْتُ : لَبَّيْكَ ؛ [قَالَ : قُلْ لِصَاحِبِكَ : يَا بِنَ الزَّانِيَةِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَبَقِيْتُ لِلنَّاسِ فِتْنَةً
إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، فَانظُرْ أَيْنَ أَنْتَ مِنَ اللَّهِ غَدًا !]^(٥) قَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَفْطَرَ
عَلَى كَلَامِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : هَلْ قُلْتَ شَيْئًا تَتَخَلَّصُ بِهِ مِنْ هَذَا المَوْضِعِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ
قَدْ قُلْتُ فِي امْرَأَتِي شِعْرًا ؛ فَقُلْتُ : هَاتِهِ ، فَأَنْشَدَنِي :

مَنْ لِقَلْبِ مُتَمِّمِ مُسْتَمَاقٍ شَفَّهُ شَوْقُهُ وَطُولُ الفِرَاقِ
طَالَ شَوْقِي إِلَى قَعِيدَةِ بَيْتِي لَيْتَ شِعْرِي فَهَلْ لَنَا مِنْ تَلَاقِي

(١) في ت : طهوراً .

(٢) في غ : فشدو ربان ، والعمر ، بدل النمر .

(٣) في ت : وهجرتها بدل وهجرتنا (تحريف) ورسماً بأبنا بدل : رسم بلى .

(٤) ساقطة من : ت .

(٥) كلام ساقط من « ت » لا يستقيم الكلام إلا به والتكلمة من غ .

هِيَ حَظِيٌّ قَدْ أَقْتَصَرْتُ عَلَيْهَا مِنْ ذَوَاتِ الْمُقَوِّدِ وَالْأَطْوَاقِ
جَمَعَ اللَّهُ عَاجِلًا بِكَ شَمْلِي عَنْ قَرِيبٍ وَفَسَكْنِي مِنْ وَثَاقِي
فَكْتَبْتُمَا وَصَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ؛ فَصَنَعَ فِيهَا لِحْنًا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ ، فَكَانَ
أَوَّلَ صَوْتٍ غَنَّاهُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ^(١) ، فَأَعْجَبَهُ وَسَأَلَهُ . لِمَنْ هَذَا الشُّعْرُ وَالغِنَاءُ ؟ فَقَالَ
إِبْرَاهِيمَ : أُمَّتَا الْغِنَاءُ فِي وَأَمَّا الشُّعْرُ فَلِأَسِيرِكَ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ ؛ قَالَ : أَوْ قَدْ فَعَلَ ؟ قَالَ :
نَعَمْ . فَدَعَا بِهِ ثُمَّ قَالَ لِمَسْرُورٍ : كَمْ كُنَّا ضَرَبْنَا أَبَا الْعَتَاهِيَّةِ ؟ فَقَالَ سِتِّينَ عَصَاً ،
فَأَمْرَ لَهُ بِسِتِّينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَطْلَقَهُ .

قال الفضلُ بنُ العباسِ : وجدَ الرشيدُ وهو بالرقَّةِ على أبي العتاهيةِ في شيء ،
وأبو العتاهيةِ في مَدِينَةِ السَّلَامِ ، وكان أبو العتاهيةِ يَرُجُو أن يَتَكَلَّمَ فِيهِ الْفَضْلُ
ابنُ الرَّبِيعِ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَجْفَوْتَنِي فِيمَنْ جَفَانِي وَجَعَلْتَ شَأْنَكَ غَيْرَ شَانِي
وَلَطَّالِمَا مَنِّيْتَنِي مِمَّا أَرَى طُولَ الْأَمَانِي
حَتَّى إِذَا انْقَلَبَ الزَّمَانُ نُ عَلَى صِرْتٍ مَعَ الزَّمَانِ

فَكَلَّمَ الْفَضْلُ فِيهِ الرَّشِيدَ ، فَرَضِيَ عَنْهُ ، وَأَرْسَلَ الْفَضْلُ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ بِالشُّخُوصِ
وَيَذُكُرُ لَهُ أَنَّ الرَّشِيدَ رَضِيَ عَنْهُ ، فَشَخَّصَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْفَضْلِ أَنْشَدَهُ قَوْلَهُ
فِيهِ :

قَدْ دَعَوْنَاهُ نَائِبِيًّا فَوَجَدْنَا ه عَلَى نَائِيهِ قَرِيبًا سَمِيمًا
فَادْخَلَنَاهُ إِلَى الرَّشِيدِ وَرَجَعَ إِلَى حَالَتِهِ الْأُولَى .

وكان يَزِيدُ بنُ مَنْصُورٍ خَالَ الْمَهْدِيِّ يَتَعَصَّبُ لِأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَدْحُ
الْيَمَانِيَّةِ .

(١) في ت : الشعر .

وكان أبو العتاهية في مدة حياة يزيد بن منصور يدعى أنه مولى لليمن ويتنفي من غيرهم .

فلما مات يزيدُ رجَعَ إلى ولأيه الأوَّل . وسُئِلَ عن ذلكَ فقال: ذلكَ شيءٌ احتجنا إليه في ذلكَ الزمان « وكان قد ادعى ولأه اللخميَّين » .

وكان يزيدُ بنُ منصورٍ من أكرم الناس وأحفظهم لحرمة ، وأرعاهم لمهدٍ ، وكان باراً بأبي العتاهية ، كثير الصلَّة له ^(١) ، وكان أبو العتاهية في سعة ومنعة من كثرة ما يدفعه إليه ويحميه من المكاره . ولما مات رثاه أبو العتاهية فقال :

أنعمي يزيد بن منصور إلى البشر	أنعمي يزيد لأهل البدو والحضر
ياسا كن الحفرة المهجور ساكنها	بمد المقاصير والأبواب والحجر
وجدتُ فقدك في مالي وفي نسيبي	وجدتُ فقدك في شعري وفي بشري ^(٢)
فلست أدري جزاك الله صالحه	أمنظري فيك أسوأ اليوم أم خبري ^(٣)

ولما حبس المهدي أبو العتاهية تكلم فيه يزيد بن منصور الحميري حتى أطلقه ؛ فقال فيه أبو العتاهية :

ما قلتُ في فضله شيئاً لأمدحه	إلا وفضلُ يزيدٍ فوق ما قلتُ
مازلتُ من صرفِ دهرِي خائفاً وجلاً	فقد كفاني بمد الله ما خفتُ ^(٤)

قال عبد الله بن الحسن ^(٥) : جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إلي ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، أما يصعبُ عليك شيءٌ من الألفاظ تحتاجُ فيه إلى استعمال

(١) في غ : كثيراً فضله عليه .

(٢) في ديوانه : « شعري - بكسر الشين - وفي نثري » .

(٣) في غ : أمنظري اليوم أسوأ فيك أم خبري . وفي الديوان : أمنظري أسوأ هو فيك أم خبري .

(٤) في غ : ريب بدل صرف .

(٥) في ت : عبید بن الحسن .

الغريب كما يحتاج إليه سائر الناس ممن يقول الشعر؟ فقال : لا ؛ فقلت : إني لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة ؛ قال : فأعرض علي ما شئت من القوافي الصعبة ؛ فقلت : قل أبياتا على مثل البلاغ ؛ فقال من ساعته :

أَيُّ عَيْشٍ يَكُونُ أَفْضَلَ (١) مِنْ عَيْدٍ شِ كِفَافٍ قُوْتٍ بِقَدَرِ الْبَلَاغِ
صَاحِبُ الْبَغْيِ لَيْسَ يَسْلَمُ مِنْهُ وَعَلَى نَفْسِهِ بَغْيٌ كُلُّ بَاغِي
رُبَّ ذِي نِعْمَةٍ تَعَرَّضَ مِنْهَا حَائِلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسَاغِ
أَبْلَغَ الدَّهْرِ فِي مَوَاعِظِهِ بَل زَادَ فِيهِنَّ لِي عَلَى الْإِبْلَاغِ
غَبَّتَنِي الْأَيَّامُ عَقْلِي وَمَالِي وَشَبَابِي وَصِحَّتِي وَفِرَاقِي

قال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ : كُنْتُ مُسْتَحْفَافًا بِشِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، فَلَقِيَنِي يَوْمًا فَسَأَلَنِي أَنْ أَصِيرَ إِلَيْهِ ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ فَأَحْضَرْتُ لِي لَوْنًا (٢) وَاحِدًا فَأَكَلْنَاهُ ، وَأَحْضَرْتُ لِي (٣) تَمْرًا ، وَجَلَسْنَا نَتَحَدَّثُ ، وَأَنْشَدْتَهُ أَشْعَارًا لِي فِي الْغَزْلِ ، وَاسْتَنْشَدْتُهُ (٤) فَأَنْشَدَنِي قَوْلَهُ :

بِاللَّهِ يَا قُرَّةَ الْعَيْنَيْنِ زُورِيَنِي قَبْلِ الْمَمَاتِ وَإِلَّا فَاسْتَزِيرِيَنِي
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ حُبِّ يُقْرَبُنِي مِمَّنْ يُبَاعِدُنِي مِنْهُ وَيُقْصِيَنِي (٥)
أَمَّا الْكَثِيرُ فَلَا أَرْجُوهُ مِنْكَ وَلَوْ أَطْمَعْتَنِي فِي قَلِيلٍ كَانَ يَكْفِيَنِي (٦)
ثم أنشدني :

— رَأَيْتُ الْهَوَى جَمَرَ النَّضَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى حَرِّهِ فِي صَدْرِ صَاحِبِهِ حُلُوُّ

(١) في غ : أبلغ .

(٢) في غ : فجاءني بلون واحد .

(٣) في غ : وأحضرتني .

(٤) في غ : وسألته أن ينشدني .

(٥) في ت : فن .. عنه .

(٦) في غ : فأرجوه .

أَخْلَىٰ بِي شَجْوٌ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجْوُ
 — وما من مُحِبِّ نال ممن يُحِبُّهُ
 — مُبْلِيَةٌ وَكَانَ الْمَرْحُ بَدءَ بِلِيَّتِي
 — وَعُلِّقْتُ مَنْ يَزْهُو عَلَيَّ تَجْبُرًا
 — [أَذَابَ الْهُوَى عَظْمِي وَمَحَىٰ وَقُوَّتِي
 ثم أنشدني أيضا :

صَبْرٌ وَلَا وَاللَّهِ مَا بِي جَلَادَةٌ
 — عَلَى الصَّبْرِ لَكِنِّي صَبْرْتُ عَلَى الرَّغْمِ (٣)
 — يُصَابُ فَوَادِي حِينَ أَرْمِي وَرَمِيَّتِي
 — تَعُودُ إِلَى نَجْرِي وَيَسْلُمُ مِنْ أَرْمِي
 — أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جِسْمِي وَقُوَّتِي
 — أَلَا مُسْعِدٌ حَتَّىٰ أَنْوَحَ عَلَىٰ جِسْمِي
 فقلت له : يَا أَبَا إِسْحَاقَ مَا يُبَالِي مَنْ أَحْسَنَ (٤) أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا الشُّعْرِ
 — مَا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا ! فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، لَا تَقُلْ هَذَا (٥) فَإِنَّ الشُّعْرَ أَيْضًا مِنْ مَصَائِدِ
 — الدُّنْيَا .

اجتمع الشعراء على باب الرشيد فأذن لهم فدخلوا وأنشدوا ، وأنشد أبو العتاهية :
 — يَا مَنْ يُرْجَى زَمَنًا صَالِحًا هَارُونَ لَا شَكَّ صَلَاحُ الزَّمَنِ (٦)
 — كُلُّ لِسَانٍ هُوَ فِي مُلْكِكَ بِالشُّكْرِ فِي إِحْسَانِهِ مُرْتَهَنٌ
 فاهتز الرشيد ، وقال له : أحسنت والله ، ولم يخرج أحد من الشعراء في ذلك
 — اليوم بصلية غيره .

(١) في غ : عن شجوة .

(٢) لم يرد البيت في غ .

(٣) في غ : رغمي .

(٤) في ت : حسن .

(٥) في ت : كذا .

(٦) في غ : تبغى بدل يرجى ، والشرط الثاني : صلاح هارون صلاح الزمن .

قال ابن الأعرابي: أجزى الرشيد الخيل فجاء فرس له يُقال له المُشمر سابقا، وكان الرشيد مُعجباً بذلك الفرس، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه فبدرهم أبو العتاهية، فقال:

جاء المُشمر والأفراسُ يقدّمها هو نأ على رسله منها وما أنبها
وخلف الريح حسرى وهي جاهدة ومرّ يختطفُ الأبصارَ والنظا
فأجزلَ صلته وما جسرَ أحدٌ أن يقولَ بعده في ذلك شيئا .

كان علي بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية وبينهما مُجاوبات في الزهد والحكم، فتوفى علي بن ثابت، فقال أبو العتاهية:

مؤنسٌ كان لي هالك والسبيل التي سلك
يا علي بن ثابت غفر الله لي ولك
كلُّ حيٍّ مُملكٍ سوف يفنى وما ملك

وحضر أبو العتاهية علي بن ثابت هذا وهو يجود بنفسه فلم يزل ملتزماً^(١) ويبكي حتى فاظ، فلما شدَّ لحياه^(٢) بكى طويلاً ثم أنشأ يقول:

يا شريكاً^(٣) في الخير قربك اللد ه فنعمة الشريك في الخير كُنْتَا
قد لعمري حكييت لي غصص الموء ت فحررتني لها وسكنتا
ولما دُفن وقف على قبره يبكي أحرَّ بكاء ويردد أبياتاً منها:

— بكيئتك يا علي بدمع عيني فما أغنى البكاء عليك شيئاً
— وكانت في حياتك لي عظامٌ وأنت اليوم أوعظُ منك حياً

(١) في ت: يلتزمه .

(٢) في ت: شد لحييه .

(٣) في غ: شريكى .

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى من كلام الفلاسفة لَمَّا حَضَرَ تَابُوتُ الإسْكَندَرِ
وَأُخْرِجَ لِيُدْفَنَ قَالَ : كَانَ الْمَلِكُ أَمْسَ أَهْيَبَ مِنْهُ الْيَوْمَ وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسَ .
وقال آخر : سَكَدَتْ حَرَكَةُ الْمَلِكِ فِي لَذَاتِهِ وَحَرَّ كِنَانَا سَكُونَهُ جِزْعًا لِفَقْدِهِ .

قال جعفر بن الحسين المهلبي : لقيت أبا العتاهية فقلت له : يا أبا إسحاق ،
من أشعر الناس ؟ قال الذي يقول :

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل (١)

فقلت له : أنشدني من شعرك شيئاً ، فأنشدني :

يا صاحب الروح ذي الأنفاس في البدن (٢) بين النهار وبين الليل مُرْتَهِنَ
لقل ما يتخطاك اختلافهما حتى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالبَدَنِ
لَتَجِدَ بَنِي يَدِ الدُّنْيَا بِقُوَّتِهَا إِلَى الْمَنَائِمَا وَإِنْ نَازَعْتُمَا رَسَنِي

قال : فكتبتُها ، ثم قلت : أنشدني شيئاً من شعرك في الغزل ، فقال : يا بن أخي :

إِنَّ الْغَزَالَ يُسْرِعُ إِلَى مِثْلِكَ ؟ فَقُلْتُ : أَرْجُو عِصْمَةَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلِّ ، فَأَنْشَدَنِي :

كأنها من حُسْنِهَا دُرَّةٌ أَخْرَجَهَا الْمَوْجُ (٣) إِلَى السَّاحِلِ
كأن في فيها وفي طرفها سَوَاحِرًا أَقْبَلْنَ مِنْ بَابِلِ
يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بَكَى مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ إِلَى الْقَاتِلِ (٤)

فقلت : يا أبا إسحاق ، هذا من قول صاحبنا جميل :

حَلِمِيَّ فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي

قال : هو ذاك يا بن أخي .

(١) في بعض نسخ غ : الرجل بالجيم المعجمة .

(٢) كذا في الديوان ، وفي ت : والأنفاس والبدن .

(٣) في غ : اليم .

(٤) في غ : من شدة الوجد على القاتل .

واجتاز أبو العتاهية في أول أمره وعلى ظهره قفص فيه فخار يدور به في الكوفة
ويبيع منه ، فمرّ بفتيان جلوس يتذاكرون الشعرَ ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص
عن ظهره ، ثم قال لهم : يا فتیان أراكم تتذأكرون الشعرَ وتقولونه ، فأقول شيئاً
وتُجيزونه ، فإن فعلتم فلكم على عشرة دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم .
فهِزُوا^(١) منه وسخروا به وقالوا : نعم ؛ فقال : لا بد أن نشتري بأحد القارين رطباً
يوكل فإنه قمار^(٢) حاصل ، وجعل رهنه على يد أحدهم ففعلوا . فقال : أجزوا :

* ساكيني الأجداتِ أنتم *

وجعل بينه وبينهم وقتاً وعلامةً في موضع إذا بلغت الشمس ولم يجزوا البيت
وجبت القمرة عليهم ، فلم يأتوا بشيء ، فأخذ الدراهم وجعل يهزأ بهم وتممه ، فقال :

— ساكيني الأجداتِ أنتم مثلنا بالأمس كُنتُم
— ليت شعري ما صنعتم أَرِجْتُم أم خسرْتُم

وهي قصيدة طويلة من شعره .

ولما حبس الرشيدُ أبا العتاهية وحلف ألا يُطلقه أو يقول شعراً ، قال
أبو حبش : أسمع بأعجب من هذا ، يقول الشعراء الشعرَ النادرَ الجيدَ فلا يسمع
منهم ! ويقول هذا الخنثُ المسكك^(٣) تلك الأشعارَ بالشفاعة ، ثم أنشد أبيتاً منها :

أبا إسحاق راجعت الجماعة وعُدت إلى القوافي والصناعة
وكنت كجامح^(٤) في النعي عاصٍ وأنت اليوم ذو سَمْعٍ وطاعة
كسدنا ما نرُاد وإن أجدنا وأنت تقول شرك بالشفاعة^(٥)

(١) في ت : فهِزُوا .

(٢) في ت وبعض نسخ غ : « القمرين . . قر » .

(٣) في ت : المحبب المشكل .

(٤) في ت : كجامع .

(٥) في ت : ما يراد .

قال أبو العتاهية : أخرجني المهديّ معه إلى الصّيد ، فوقفنا منه على شيء كثير ، فتفرّق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريقٍ غيرِ طريقهم فلم يلتقوا ، وعرض لنا وادٍ عظيمٌ ، جرّارٌ وعيمنت السماء وبدأت تُمطر ، وأشرفنا على الوادي فإذا فيه ملاحٌ يُعبّر الناس ، فلجأنا إليه وسألناه عن الطريق ، فجعل يُضعف رأينا ويُعجزنا في بذلنا أنفسنا في ذلك العيم والمطر للصّيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كوخاً^(١) له ، وكاد المهديّ يموت برُداً ؛ فقال له : أعطيك بجبتي هذه الصوف ؟ فقال : نعم ، فنظّاه بها ، فتماسك قليلاً ونام ، وافتقده غلامه وتبعوا أثره حتى جاءونا ، فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة [فهرب]^(٢) وتبادر الغلمان فنحّوا الجبّة عنه والقوا عليه الوشيّ والخزّ ، فلما أنتبه قال لي : ويحك ! ما فعل الملاح ؟ فقد وجب حقه علينا ؛ فقلت : هرب خوفاً من قبّح ما خاطبنا به ؛ قال : والله لقد أردت أن أعنيه وبأى شيءٍ خاطبنا ! والله نحن مُستحقّون لأقبّح ما خاطبنا به ! بحياتي عليك إلا ما هجوتني ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تطيبُ نفسِي أن تهجوك ! قال : والله لتفعلنّ فإني ضعيفُ الرأي مُغرّم بالصّيد ، فقلت :

يا لابسَ الوشيّ على نوبه ما أقبّح الأشيبَ في الرّاح^(٣)

فقال : زدني بحياتي ، فقلت :

لوشئت أيضاً جلت في حامة^(٤) وفي وشاحين وأوضاع

فقال : ويلك ! هذا معنى سوء يرويه^(٥) الناسُ عنك ، وأنا أستأهل ؛ زدني

شيئاً آخر ؛ فقلت : أخاف أن تغضب فقال : لا والله ، فقلت :

(١) في ت : لوكاله « تحريف » .

(٢) ساقطة من : ت

(٣) في ت : بالراح .

(٤) في ت : حلة .

كَمْ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ فِي نَفْسِهِ . قَدْ نَامَ فِي جُبَّةٍ مَلَّاحٍ

فقال : معنى سوء عليك لعنة الله ! وقتنا فركبنا وأنصرفنا .

كان عليُّ بن يقطين صديقاً لأبي العتاهية وكان يبره كل سنة برّاً واسعاً ، فأبطأ عليه بالبر سنة من السنين وكان إذا لقيه أبو العتاهية سرّاً به ورفع مجلسه ، لا يزيدُه على ذلك ؛ فلقبه ذات يوم وهو يريد الخليفة فاستوقفه وأنشده :

حَتَّى مَتَى لَيْتَ شِعْرِي يَا بْنَ يَقِطِينَ أَتُنِي عَلَيْكَ بِمَا لَا مِنْكَ تُؤَلِّمُنِي

إِنَّ السَّلَامَ وَإِنَّ الْبِشْرَ مِنْ رَجُلٍ فِي مِثْلِ مَا أَنْتَ فِيهِ لَيْسَ يَكْفِينِي

أَمَا عَلِمْتَ جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً وَزَادَكَ اللَّهُ فَضْلاً يَا ابْنَ يَقِطِينَ

أَنْ أُرِيدَكَ لِلدُّنْيَا وَعَاجِلِهَا وَمَا أُرِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ لِلدِّينِ

فقال عليُّ بن يقطين : لست أبرح ولا تبرح من موضعنا هذا إلا راضياً ، وأمر له بما كان يبعث إليه في كل سنة ، فحمل معه من وقته .

ولما ضرب الرشيدُ أبا العتاهية وحبسَه وكَلَّ به صاحبَ خَبَرٍ يَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَيَسْمَعُهُ . فكتب بأنه سمعه يُنشد :

→ أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لَوْمٌ وَمَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظَّلْمُ

→ إِلَى دِيَّانٍ ^(١) يَوْمَ الدِّينِ نَمَضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ

فبَكَى الرشيدُ ، وأمر بإطلاقِ أَبِي العتاهية وأحضره وأمر له بألقى دينار .

وقال محمد بن أبي العتاهية : قال أبي في عتبه ^(٢) :

كَأَنَّ عِتَابَةً مِنْ حُسْنِهَا دُمِيَةٌ قَسَّ فَتَنَّتْ قَسَّهَا

يَارَبِّ لَوْ أَنْسَيْتَنِيهَا بِهَا ^(٣) فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ لَمْ أَنْسَهَا

(١) في ت : ديوان .

(٢) هي عتبه جارية المهدي ، كان يحبها ويشبب بها .

(٣) في ت : كما « تحريف » .

شَنَّعَ عَلَيْهِ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ بِالرُّنْدَقَةِ وَقَالَ : يَتَهَمُونَ بِالْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا ،
وَشَنَّعَ عَلَيْهِ أَيْضًا بِقَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَلِيكَ رَأَى أَحَدًا سَنَّ خَلْفَهُ وَرَأَى جَمَالَكَ
فَإِذَا بِقُدْرَةِ نَفْسِهِ حُورَ الْجِنَانِ عَلَى مِثَالِكَ

قال : نستغفرُ اللهَ العَظِيمَ أَيُّسُورَ اللهُ الحُورَ عَلَى مِثَالِ امْرَأَةِ آدَمِيَّةٍ ! وَاللهُ
لَا يَحْتَاجُ إِلَيَّ مِثَالٍ ! فَأَوْقِعْ لَهُ هَذَا عَلَى السُّنَّةِ العَامَّةِ ؛ فَلَقِيَ مِنْهُمْ بَلَاءً .

قال أبو سَلَمَةَ البَادَغِيْسِيُّ : قلت لأبي العتاهية : في أيِّ شِعْرِكَ أَنْتَ أَشْعَرُ ؟ قال
قَوْلِي :

النَّاسُ فِي غَفَلَاتِهِمْ وَرَحَا المَنِيةَ تَطْحَنُ
[مَا دُونَ دَائِرَةِ الوَرَى حِصْنٌ لِمَنْ يَتَحَصَّنُ]^(١)

دَخَلَ أَبُو العَتَاهِيَةِ عَلَى المَأْمُونِ فَأَنشَدَهُ :

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا إِذَا أَطَاعَ اللهُ مَنْ نَالَهَا
مَنْ لَمْ يُوَاسِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِهَا عَرَّضَ لِالإِدْبَارِ إِقْبَالَهَا

فَقَالَ المَأْمُونُ : مَا أَجُودَ البَيْتَ الأوَّلُ . فَأَمَّا التَّأْنِي فَمَا صَنَعْتَ فِيهِ شَيْئًا ، الدُّنْيَا
تُدْبِرُ عَمَّنْ وَاسَى مِنْهَا أَوْضَنَ بِهَا ، وَإِنَّمَا يُوجِبُ السَّمَاخَةَ بِهَا الأَجْرُ وَالضَّنَّ
بِهَا الوِزْرُ .

فَقَالَ : صَدَقْتَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، أَهْلُ الفَضْلِ أوَّلَى بِالْفَضْلِ ، وَأَهْلُ النِّقْصِ
أوَّلَى بِالنِّقْصِ . فَقَالَ المَأْمُونُ : يَا أَبَا ثَابِتٍ ، ادْفَعْ إِلَيْهِ عَشْرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ لِاعْتِرَافِهِ
بِالْحَقِّ .

(١) لم يرد هذا البيت في غ .

فلما كان بعد أيام عادَ فَأَنشَدَهُ :

كَمْ غَافِلٍ أَوْدَى بِهِ الْمَوْتُ لَمْ يَأْخُذِ الْأَهْبَةَ لِلْفَوْتِ
مَنْ لَمْ تَزُلْ نِعْمَتُهُ قَبْلَهُ زَالَ عَنِ النَّعْمَةِ بِالْمَوْتِ

فقال له : أحسنت ! الآن طَبَّقْتَ (١) المعنى وأمر له بعشرين ألف درهم .

كَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَحُجُّ كُلَّ سَنَةٍ ، فَإِذَا قَدِمَ أَهْدَى إِلَى الْمَأْمُونِ بُرْدًا وَنَعْلًا
سَوْدَاءَ وَمَسَاوِيكَ مِنْ أَرَاكٍ ، فَيَبْعُثُ إِلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ يُوصِّلُ
الْهَدِيَّةَ مِنْ جِهَتِهِ مِنْجَابَ مَوْلَى الْمَأْمُونِ وَيَجِيءُ إِلَيْهِ بِالْمَالِ (٢) ؛ فَأَهْدِي لَهُ مَرَّةً كَمَا
كَانَ يُهْدِي كُلَّ سَنَةٍ إِذَا قَدِمَ وَلَمْ يَبْعَثْ إِلَيْهِ بِالْوِظِيْفَةِ فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

خَبَرُونِي أَنْ مِنْ ضَرْبِ السَّنَةِ جُدُدًا بِيضًا وَصُفْرًا حَسَنَةً
أُحْدِثْتُ لَكِنِّي لَمْ أَرَهَا مِثْلَمَا كُنْتُ أَرَى كُلَّ سَنَةٍ

فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ فَحَمَلَ إِلَيْهِ عِشْرُونَ أَلْفًا ، وَقَالَ : أَغْفَلْنَا حَتَّى ذَكَرْنَا .

[وَيَقَالُ : إِنَّ الْمَأْمُونَ كَانَ يُوجِّهُ إِلَى أُمِّ جَعْفَرِ زُبَيْدَةَ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ
وَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ جُدُدًا فَأَغْفَلَهَا سَنَةً ، فَتَقَدَّمَتْ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ أَنْ يَمْعَلَ أَيْبَاتًا
يُذَكِّرُهَا بِهَا ، فَقَالَ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ ، فَحَمَلَ إِلَيْهَا الْمَأْمُونُ عَادَتَهَا] (٣) .

وَلِمَا وُلِيَ الْهَادِي الْخِلَافَةَ كَانَ وَاجِدًا عَلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ لِمُلَازِمَتِهِ أَخَاهُ هَارُونَ
وَأَتَقَطَاعِهِ إِلَيْهِ ؛ وَاتَّفَقَ أَنْ وُلِدَ لِلْهَادِي وَلِدٌ فِي أَوَّلِ يَوْمِ وُلِيَ الْخِلَافَةَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ
أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَنشَدَهُ :

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَّادِهِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ

(١) فِي غ : طَبِيت .

(٢) فِي غ : وَيَجِيئُهُ بِالْمَالِ .

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ لَمْ يَرُدْ فِي « غ »

وجاءنا من ضلِّبه سيِّدٌ أصيدُ في تقطيعِ أجدادهِ
 فاكتستِ الأرضُ بهِ بهجةً واستبشر الملكُ بميلادهِ
 وابتسم المنبرُ من فرحةٍ (١) بقائمٍ من فوقِ أعوادهِ
 كأنني بعد قليلٍ بهِ بين موالِيهِ وقوادهِ
 في جحفلٍ (٢) تخفقُ رايَّاتهُ قد طبَّقَ الأرضَ بأجنادهِ

فأمر له موسى بألف دينارٍ وطيبٍ ورَضِيَ عنه بعد أن كان ساخطاً عليه .

قال يحيى بن الربيع : دخل أبو عبَّيد الله على المهدي ، وكان قد وجد عليه في أمر بلغته عنه ، وأبو العتاهية حاضر ، فجعل المهدي يشتم أبا عبَّيد الله ويتغيظُ عليه ، ثم أمر به فجرَّ برجله وحسب ؛ ثم أطرق المهدي طويلاً ؛ فلما سكن غضبه أنشده أبو العتاهية :

— أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كثرتْ لديه
 — تهينُ الكرمين لها بصغرٍ (٣) وتكريم كلِّ من هانت عليه
 — إذا استغنيت (٤) عن شيء فدعه وخُذ ما أنت محتاجٌ إليه

فتبسَّم المهدي ثم قال لأبي العتاهية : أحسنت ! فقام أبو العتاهية فقال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدنيا ولا أضنَّ (٥) بها ولا أشحَّ عليها من هذا الذي جرَّ برجله الساعة ، ولقد دخلتُ على أمير المؤمنين ودخل وهو أعزُّ

(١) في غ : عن فرحة : والشطر الثاني فيه :

* علت بها ذرؤة أعواده *

(٢) في غ : في محفل .

(٣) كذا في غ ، وفي ت : تهى الكرمين لها بصفو .

(٤) في ت : استغنيت « تحريف » .

(٥) في غ : أصوت .

النَّاسَ فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى رَأَيْتُهُ أَدَلَّ النَّاسَ ، وَلَوْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَكْفِيهِ
لَا سْتَوَتْ أَحْوَالُهُ وَلَمْ تَتَفَاوَتْ ؛ فَتَبَسَّمَ الْمَهْدِيُّ وَدَعَا بِأَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ وَرَضِيَ عَنْهُ ؛
وَكَانَ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ يَشْكُرُ ذَلِكَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ .

كَانَ إِسْحَاقُ بْنُ عُرْزِيزٍ يَتَعَشَّقُ عِبَادَةَ جَارِيَةِ الْمَهَلْبِيَّةِ ، وَكَانَتْ الْمَهَلْبِيَّةُ
مُنْقَطِعَةً إِلَى الْخَيْرُورَانَ ، فَرَكِبَ إِسْحَاقُ يَوْمًا وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبٍ يُرِيدَانِ
الْمَهْدِيَّ ، فَلَقِيَا عِبَادَةَ ؛ فَقَالَ إِسْحَاقُ : يَا أَبَا بَكْرَ ، هَذِهِ عِبَادَةُ ، وَحَرَكَ دَابَّتَهُ
حَتَّى سَبَقَهَا فَنظَرَ إِلَيْهَا ، فَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبٍ يَتَعَجَّبُ مِنْ فِعْلِهِ ؛ وَدَخَلَ عَلَى
الْمَهْدِيِّ فَحَدَّثَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبِ الْحَدِيثَ فَقَالَ : أَنَا أَشْتَرِيهَا لَكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ؛
فَدَخَلَ عَلَى الْخَيْرُورَانَ ، فَدَعَا بِالْمَهَلْبِيَّةِ فَخَضَرَتْ ، فَأَعْطَاهَا بِعِبَادَةَ خَمْسِينَ أَلْفَ دَرَاهِمَ ؛
فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُهَا لِنَفْسِكَ فَهِيَ ^(١) لَكَ ؛ فَقَالَ : إِنَّمَا
أُرِيدُهَا لِإِسْحَاقَ بْنِ عُرْزِيزَ ؛ فَبَكَتْ وَقَالَتْ : أَتَوَثِّرُ عَلَى إِسْحَاقَ وَهِيَ يَدِي وَرِجْلِي
وَلِسَانِي فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي ! فَقَالَتْ الْخَيْرُورَانُ لَهَا عِنْدَ ذَلِكَ : مَا يُبْكِيكَ ؟ وَاللَّهِ
لَا وَصَلَ إِلَيْهَا ابْنُ عُرْزِيزَ أَبَدًا ، صَارَ يَتَعَشَّقُ جَوَارِيَ النَّاسِ ! فَخَرَجَ الْمَهْدِيُّ فَأَخْبَرَ
أَبْنَ عُرْزِيزَ بِمَا جَرَى وَقَالَ لَهُ : الْخَمْسُونَ أَلْفًا لَكَ مَكَانَهَا ، فَأَخَذَهَا وَلَهَا عَنِ عِبَادَةَ .

فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يُعِيرُهُ بِذَلِكَ :

مَنْ صَدَقَ الْحُبَّ لِأَحْبَابِهِ فَإِنْ حُبَّ ابْنِ عُرْزِيزَ غُرُورُ
أَنْسَاهُ عِبَادَةَ ذَاتَ الْهَوَى وَأَذْهَبَ الْحُبَّ الَّذِي فِي الضَّمِيرِ
خَمْسُونَ أَلْفًا كُلُّهَا رُحِمَ ^(٢) حُسْنًا ^(٣) لَهَا فِي كُلِّ كَيْسٍ صَرِيرُ

(١) في ت : هي بدون فاء « تحريف » .

(٢) في غ : راجع .

(٣) في ت : خشن .

قال مسعود بن بشر المازني : لَقِيتُ ابْنَ مُنَادِرٍ بِمَكَّةَ ، فقلتُ له : مَنْ أَشْعَرُ أَهْلَ الإِسْلَامِ ؟ فقال : مَنْ إِذَا سُدَّتْ هَزَلٌ ، وَإِذَا سُدَّتْ جَدٌّ . قلتُ (١) : مَنْ ؟ قال : مثلُ جَرِيرٍ حَيْثُ يَقُولُ فِي النَّسِيبِ (٢) :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِبَيْتِكَ غَادَرُوا وَشَلَّا بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا
غَيْضُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنْ وَقُلْنِ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَىٰ وَلَقِينَا
مُضْرَهُ أَبِي وَأَبُو الْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ يَا آلَ تَغْلِبٍ مِنْ أَبِي كَأَيْنَا
ثم قال أبو العتاهية : قلتُ : في ماذا ؟ قال في قوله :

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَوْلَاتِي أَبَدْتُ لِي الصَّدَّ وَالْمَلَالَاتِ
لَا تَغْفِرِ الذَّنْبَ إِنْ أَسَأْتُ وَلَا تَقْبَلُ عُذْرِي وَلَا مَوَاتَاتِي (٣)
مَنْحَتَهَا مُهَجَّتِي وَخَالِصَتِي فَكَانَ هِجْرَانُهَا مُكَافَاتِي
أَقْلَقَنِي حُبُّهَا وَصَيَّرَنِي أُحْدُوثَةً فِي جَمِيعِ جَارَاتِي
وَلَهَا | قَدْ قَطَعْتُ طَامِسَةً قَفْرًا عَلَى الْهَوْلِ وَالْمَخَافَاتِ (٤)
بِحُجْرَةٍ جَمْرَةٍ عُدَا فِرَةٍ خَوْصَاءَ عَيْرَانَةٍ عَلَنَدَا
تُبَادِرُ الشَّمْسَ كُلَّمَا طَلَعَتْ بِالسَّيْرِ تَبْعِي بِذَاكَ مَرْضَاتِي
حَتَّى تُتَاخَى بِنَا إِلَى مَلِكٍ تَوَجَّهَ اللَّهُ بِالْمَهَابَاتِ
عَلَيْهِ تَاجَانِ فَوْقَ مَفْرِقِهِ تَاجُ جَلَالٍ وَتَاجُ إِخْبَاتِ (٥)
يَقُولُ لِلرِّيْحِ كُلَّمَا عَصَفَتْ هَلْ لَكَ يَارِيحُ (٦) فِي مَبَارَاتِي

(١) في ت : قال .

(٢) في ت . الشيب .

(٣) في ت : مولاتي .

(٤) في غ والتجريد : ومهمه ... قفر .. والحمامة .

(٥) الإخبات : الخضوع .

(٦) في ت : هل للرياح .

مَنْ مِثْلُ مَنْ عَمَّهُ الرَّسُولُ وَمَنْ أَخُوَالَهُ أَكْرَمُ الْخُوُولَاتِ (١)
 وَلَمَّا وَلى مُوسَى الْهَادِيَ الْخِلَافَةَ ، قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَمْدَحُهُ وَكَانَ وَاجِدًا عَلَيْهِ :
 يَضْطَرِبُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ إِذَا حَرَّكَ مُوسَى الْقَضِيبَ أَوْ فَكَّرَ
 مَا أَبْيَنَ الْفَضْلَ فِي مُعَيَّبٍ مَا أوردَ مِنْ رَأْيِهِ وَمَا أَصْدَرَ
 يُثْمِرُ مِنْ مَسِّهِ الْقَضِيبُ وَلَوْ يَمَسُّهُ غَيْرُهُ لَمَّا أَثْمَرَ
 مَنْ مِثْلُ مُوسَى وَمِثْلُ وَالِدِهِ الْ مَهْدِيٍّ أَوْ جَدِّهِ أَبِي جَمْفَرٍ
 فرضى عنه ودخل عليه ، وأنشده قصيدته التي أولها :

لَهْفَى عَلَى الزَّمَنِ الْقَصِيرِ بَيْنَ الْخَوْرَنْقِ وَالسِّدْرِ
 فَأَجْرَلْ صِلَتَهُ وَعَادَ إِلَى أَفْضَلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ .

قال أبو حاتم : قدم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون ، فصار إليه أصحابنا
 فأسنشدوه ، فأنشدهم :

أَلَمْ تَرِيبَ الدَّهْرَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ
 — أيا باني الدنيا لغيرك تبتنى ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع
 أَرَى الْمَرْءَ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا مَحَالَةَ مَصْرَعُ
 — تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ غَيْرُهُ مَتَى تَنْقَضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ
 وَأَيُّ امْرِئٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ إِلَى غَايَةِ أُخْرَى إِلَيْهَا (٢) تَطَّلَعُ

وكان يقال : لو أعين طبع أبي العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعر الناس .

قال محمد بن أبي العتاهية : كان أبي لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر
 إلا في طريق الحج ، وكان يجزى عليه في كل سنة خمسين ألف درهم ، فلما قدم

(١) في ت : من مثل من عمر الهول في : خؤولكم أكرم الخوولات « تحريف » .

(٢) في غ : سواها .

الرشيْدُ الرَّقَّةَ لَيْسَ أَبِي الصُّوفِ وَتَزَهَّدَ ، وَتَرَكَ حُضُورَ الْمُنَادِمَةِ وَقَوْلَ الْغَزَلِ ،
فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِحَبْسِهِ فَحُبِسَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَيْبَاتًا مِنْهَا :

تَذَكَّرَ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَخُرْمَتِي وَمَا كُنْتُ تُوَلِّئِنِي وَذَلِكَ يُذَكِّرُ^(١)
لِيَأْتِي تَدُنِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ بِمَجْلِسِي وَوَجْهِكَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَىٰ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

فَلَمَّا قَرَأَهَا الرَّشِيدُ قَالَ : قَوْلُوا لَهُ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ أَيْبَاتِ :
أَمِينَ اللَّهِ إِنَّ الْحَبْسَ بَأْسٌ وَقَدْ أُرْسَلْتَ لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ

وَلَمَّا حُبِسَ جُعِلَ فِي بَيْتِ خَمْسَةِ أَشْبَارٍ فِي مِثْلِهَا فَصَاحَ : الْمَوْتُ ، أَخْرَجُونِي ،
أَنَا أَقُولُ كُلَّ مَا سَأَلْتُمْ ؛ فَقِيلَ لَهُ : قُلْ . فَقَالَ : حَتَّى أَتَنَفَّسَ ، فَأُخْرَجَ وَأُعْطِيَ دَوَاةً
وَقِرْطَاسًا فَقَالَ أَيْبَاتَهُ الَّتِي أَوْلَهَا :

مَنْ لِعَبْدٍ أَذَلَّهُ مَوْلَاهُ مَا لَهُ شَافِعٌ إِلَيْهِ سِوَاهُ
يَشْتَكِي مَا بِهِ إِلَيْهِ وَيَحْشَاهُ وَيَرْجُوهُ مِثْلَ مَا يَحْشَاهُ

وَدَفِعَتْ إِلَى مَسْرُورِ الْخَادِمِ ، فَأَوْصَلَهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَأَحْضَرَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ،
وَاسْتَنْشَدَهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ .

وَلَأَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي الرَّشِيدِ لَمَّا حَبَسَهُ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا :

لَا أَرَاكَ اللَّهُ سُوءًا أَبَدًا مَا رَأَتْ مِثْلَكَ عَيْنِي^(٢) أَحَدًا
يَا رَشِيدَ الرَّأْيِ^(٣) ارشِدْنِي إِلَى وَجْهِ نَجْحِي لَا عَدَمْتَ الرَّشْدَا
أَعْنِ الْخَائِفَ وَأَرْحَمْ صَوْتَهُ رَافِعًا نَحْوَكَ يَدْعُوكَ بِدَا

(١) في غ : لعلك تذكّر .

(٢) في غ : عين .

(٣) في غ : الأمر .

وَابْلَائِي مِنْ دَعَاوِي (١) أَمَلٍ كَلَّمَا قَلْتُ تَدَانِي بِمُدَا
 كَمْ أُمْنِي بَعْدَ بَعْدٍ غَدٍ يَنْفَدُ الْعُمُرُ وَلَمْ أَلْقَ غَدًا
 ومرو القاسم بن الرشيد في موكب عظيم ، وكان من أتبيه الناس ،
 وأبو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق ، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظامًا
 له ، فلم يزل قائمًا حتى جاوزه ، فجاز ولم يلتفت إليه ، فقال أبو العتاهية :
 يتيه ابن آدم من جهله كأن رحي الموت لا تطحنه
 فسمعه بعض من في موكبه فأخبر به القاسم ، فبعث إلى أبي العتاهية وضر به
 مائة مِرْعَة ، وقال له : يا ابن الفاعلة ! تعرّض بي في مثل ذلك الموضع ! وحبسه
 في داره ؛ فدسّ أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جعفر ، هذه الأبيات « وكانت
 توجب له [حقه] (٢) » :

حَتَّى مَتَى ذُو التَّيِّهِ فِي تَيْهِهِ أَصْلَحَهُ اللَّهُ وَعَافَاهُ
 يَتِيَهُ أَهْلُ التَّيِّهِ مِنْ جَهْلِهِمْ وَهُمْ يَمُوتُونَ وَإِنْ تَاهُوا
 مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ لِيَبْقَى بِهِ فَإِنَّ عِزَّ الْمَرْءِ تَقْسَوَاهُ
 لَمْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ لَيْسَ يَرْجُوهُ وَيُحْشَاهُ

وكتب إليها بحاله وضيع حبسه ، وكانت مائله إليه ، فرمت (٣) له وأخبرت
 الرشيد بأمره وكلمته فيه ، فأحضره وكساه ووصله وأطلقه ، ثم لم يرض عن
 القاسم حتى برّه وأدناه واعتذر إليه .

بعث الرشيد من يستخرج له مالا من بقايا الحراج ، فجبى مالا عظيما
 ووافى به باب الرشيد ، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه ، فاستعظم

(١) في ت : دواعي .

(٢) في ت : كلمة حقه ساقطة .

(٣) في غ : فرقت .

الناسُ ذلكَ وتحدُّثوا به وأخذَ أبو العتاهيةَ من ذلكَ شبهَ الجُنُونِ فقيلَ له : مالَكَ ؟
فقال : سبحانَ الله ! أيُدْفَعُ هذا المَالُ الجليلُ إلى امرأةٍ ولا تتعلَّقُ كفى بشيءٍ منه ،
ثم دَخَلَ على الرَّشيدِ بعد أيامٍ فأنشده :

اللهُ هَوْنٌ عِنْدَكَ اللهُ نِيًّا وَبَغْضًا إِلَيْكََا
فَأَيَّتَ إِلَّا أَنْ تُصَفِّ رَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدَيْكََا
مَا هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَيَّ أَحَدٍ كَمَا هَانَتْ عَلَيَّكََا

فَقَالَ الفَضْلُ بنُ الرَّبيعِ : يا أميرَ المؤمنين ، ما مُدِحَتِ الخلفاءُ بأصدقٍ من
هذا المدحِ ؛ فقال : يا فَضْلُ ، أَعْطَاهُ عَشْرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ^(١) ؛ فغداً أبو العتاهيةَ على
الفَضْلِ فأنشده :

إِذَا مَا كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مَثَلُ الفَضْلِ فَاتَّخِذِ الخَلِيلَا
بِرَى الشُّكْرِ البَسِيرِ^(٢) لَهُ عَظِيمًا وَيُعْطِي مِنْ مَوَاهِبِهِ الجَزِيلَا
أَرَانِي حَيْثُمَا يَمَّتْ طَرْفِي وَجَدْتُ عَلَى مَكَارِمِهِ دَلِيلَا

فقال له : واللهِ لولا أن أُساوىَ أميرَ المؤمنين لأعطيتك مثلاً ، ثم أعطاه
مأمرَ لهُ به الرَّشيدُ ، وزاده خَمْسَةَ آلافٍ مِنْ عِنْدِهِ .

قال هَارُونُ بنُ سَمْعَانَ : كُنْتُ معَ أَبِي نُوَاسٍ قَريبًا من دُورِ بَنِي نُوبَخْتِ^(٣)
وعنده جَمَاعَةٌ ، فجعلَ يَمُرُّ به الحُجَّابُ والقُوَّادُ وبنو هاشمٍ وهو مُتَّكِيٌّ مَمْدُودُ
الرَّجْلِ لا يتحرَّكُ لأحدٍ منهم حتى نَظَرَ فنظرنا إليه وقد قبضَ رِجْلِيهِ وَوَثَبَ فقام
إلى شَيْخٍ وقد أَقْبَلَ على حِمَارِ له فاعتنقه ، وَوَقَفَ أَبُو نُوَاسٍ يُحَادِثُهُ ، ولم يزل واقفاً

(١) في غ : عشرين ألف .

(٢) في غ : القليل .

(٣) في غ : نبيخت .

يرفع رجلاً ويضع أخرى ، ثم مضى الشيخ ورجع أبو نؤاس إلينا وهو يتأوه ؛ فقال له بعض من حضر : والله لَأَنْتَ أشعْرُ منه ؛ فقال : والله مارأيتَه قطَّ إلا ظننْتُ أنه سمأني وأنا أرضُه (١) .

وقيل لبشار : من أشعْرُ أهلِ زماننا ؟ فقال : مخنثُ أهلِ بغداد ؛ يعنى أبا العتاهية .

قال أبو العتاهية : ماتت بنتُ المهديِّ فحزنَ عليها حزناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب ، فقلتُ أبيتاً أعزَّيه فيها (٢) فوافيته قد سلاً وقد ضحك وأكل وهو يقول : لا بدُّ من الصبر على ما لا بدَّ منه . وإن سلوتنا عمَّن فقدنا ليسلُوننا عَنَّا مَنْ يَفْقِدُنَا ، ولا يَأْتِي الليلُ والنهارُ على شيءٍ إلا أبلياه ؛ فلما سمعتُ هذا قلت : يا أميرَ المؤمنين ، أتأذن لي أن أنشدك قال : هات ؛ فأنشدته :

ما للجديدين لا يبلى اختلافهما	وكلُّ غصٍّ جديدٍ فيهما بالي
يا مَنْ سلا عن حبيبٍ بعد ميته	كم بعد موتك أيضا عنك من سالي
كانَّ كلُّ نعيمٍ أنت ذاتُه	من لذة العيش يحكي لعمَّة الآل
لا تبلعن (٣) بك الدنيا وأنت ترى	ما شئت من غير (٤) منها وأمثال
ما حيلة الموت إلا كلُّ صالحه	أولاً فما حيلة منه لمحتال

فقال : أحسنت وأصبت ما في نفسي ووعظت فأوجزت ! وأمر له عن كل بيتٍ بألفٍ درهم .

(١) في غ : . . أنه سمأ وأنا أرض .

(٢) في غ بها .

(٣) في غ : لا تلعبن .

(٤) في غ : عبر .

ولما مات مُوسَى الهَادِي قال الرّشيد لأبي العتاهية : قل غزلاً فقال : لا أقول
شِعراً بعد موسى ، فخبسه . وأمر إبراهيم الموصلي أن يُغنى ؛ فقال : لا أغنى بعد
موسى وكان مُحسناً إليهما ، فحبسه . فلما شخّص إلى الرّقة حفر لها حفرة واسعةً
وقطع بينهما بمخاطٍ وقال : كونا بهذا المكان لا تخرجا منه حتى تشعرا أنت ويُغنى
هدأ ، فصرا على ذلك برهة من الزّمان . وكان الرّشيد يشرب ذات يوم وجعفر
ابن يحيى معه ، فغنت بعض الجوّاري صوتاً فاستحسنناه وطربا منه طرباً شديداً ،
وكان بيتاً واحداً ، فقال الرّشيد : ما كان أحوجّه إلى بيت ثانٍ ليطول الغناء
ونسئمته بمدة طوله ! فقال له جعفر : قد أصبته ؛ قال : من أين ؟ قال : تبعث
إلى أبي العتاهية فيأخذه (١) به ، فقال : هو أنكد من ذلك ، ولا يُجيبنا وهو
محبوس ونحن في نعيم وطرب ؛ قال : بل يُجيب . قال : أكتب إليه حتى نعلم
ما قلت ، فكتب إليه بالقصة وقال : ألحق لنا بالبيت بيتاً آخر .

فكتب إليه أبو العتاهية :

شغل المسكين عن تلك الحن
ولقد كلفتُ أمراً عجيباً
فارق الروح وأحلى من بدن
أسأل التفریح (٢) من بيت الحزن

فلما وصلت الرّقة قال الرّشيد : قد عرفتك أنه لا يفعل ؛ قال : فتخرجه
حتى يفعل ؛ قال : لا ! حتى يشعر ، فقد حلفت . فأقام أياماً لا يفعل . ثم قال
أبو العتاهية لإبراهيم : إلى كم هذا الخلاف (٣) ! هلّم حتى أقول شعراً وتغنى فيه ؛
فقال : أفعل . فقال أبو العتاهية :

(١) في ت : فتلقه .

(٢) في غ : التفریح .

(٣) في غ : إلى كم هذا تلج الخلفاء .

بَأَبِي مَنْ كَانَ فِي قَلْبِي لَهُ مَرَّةً حُبُّ قَلِيلٍ فَسُرِقَ (١)
يَا بَنِي الْعَبَّاسِ فِيكُمْ مَلِكٌ شُبَّ الْإِحْسَانِ مِنْهُ تَفْتَرِقُ
إِنَّمَا هَارُونَ خَيْرٌ كُلُّهُ مَاتَ كُلُّ الشَّرِّ مُذْ يَوْمَ خُلِقَ

وَعَنَى بِهِ إِبْرَاهِيمَ فَدَعَا بِهِمَا الرَّشِيدَ ، فَأَنْشَدَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَعَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ ،
فَاعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَمِائَةَ ثَوْبٍ .

أَوْغَضِبَ الرَّشِيدَ عَلَى جَارِيَةٍ لَهُ فَحَلَفَ لَا يَدْخُلُ إِلَيْهَا أَيَّامًا ثُمَّ نَدِمَ وَقَالَ :
صَدَّ عَنِّي إِذْ رَأَيْتُنِي مُفْتَنَةً وَأَطَالَ الصَّدَّ لِمَا أَنْ فَطِنْتُ
كَانَ مَمْلُوكِي فَأُضْحَى مَالِكِي إِنَّ هَذَا مِنْ أَعَاجِبِ الزَّمَنِ

أَتَمَّ قَالَ لَجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى : اطْلُبْ مَنْ يَزِيدُ عَلَيَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ؛ فَقَالَ : لَيْسَ
غَيْرُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ؛ فَبَعَثُوا إِلَيْهِ فَاغْتَدَرَ ، فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ وَصَلَّتِهِ ؛ فَقَالَ : الْآنَ طَابَ
الْقَوْلُ ؛ أَمَّ قَالَ :

عِزَّةُ الْحُبِّ أَرْتَهُ ذَلَّتِي فِي هَوَاهُ وَلَهُ وَجْهُ حَسَنٍ
وَلِهَذَا صِرْتُ مَمْلُوكًا لَهُ وَلِهَذَا شَاعَ مَا بِي وَعَلَنُ

فَقَالَ : أَصَبْتَ مَا فِي نَفْسِي وَوَصَلَهُ ثَانِيًا .

قَالَ مُخَارِقُ : لَقِيتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ عَلَى الْجِسْرِ فَقُلْتُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، أُنْشِدْنِي قَوْلَكَ

فِي تَبْخِيلِ النَّاسِ كُلِّهِمْ ، فَضَحِكَ وَقَالَ : هَا هُنَا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ؛ فَأَنْشَدَنِي :

إِنْ كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا فَتَنَّقَ وَانْتَقَدِ الْخَلِيلًا
— مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُنْصِفًا فِي الْوَدِّ فَأَبْغِرْ بِهِ بَدِيلًا
وَلِرَبِّمَا سُئِلَ الْبَخِيلُ لُ الشَّيْءَ لَا يَسْوَى فَتِيلًا
فَيَقُولُ لَا أَجِدُ السَّيِّدَ لُ إِلَيْهِ يَكْرَهُ أَنْ يُنِيلًا

(١) في ت : بأبي من كان ساق قلبه .

فلذاك لا جعلَ إلا هـ له إلى خيرٍ سبيلا
— فاضرب بطرفك حيث شدت فان ترى إلا بخيلا
(١) فقلت له : أفرطت يا أبا إسحاق ؛ قال : فديتُك ، فأكدبني بجوادٍ واحد ؛
فأحبتُ موافقتَه ، فالتفتُ يميناً وشمالاً . ثم قلت : ما أجد أحداً ؛ فقبَّل بين عيني .
ثم قال : فديتُك يا بُني ، لقد رقتُ حتى كدتُ تُسرف (١)

قال شبيب (٢) بن منصور : كنتُ واقفاً على بابِ الرَّشيد ، وإذا رجل
شعث (٣) الهَيْئَةَ على بَغل (٤) قد جاء فوقف ، وجعل الناسُ يُسلمون عليه ويسألونه
ويُضاحِكونه ، ثم يسأل الناسَ عن أحوالهم ؛ فواحد يقول : كنتُ منقطعاً إلى فلان
فلم يصنع بي خيراً . وآخر يقول : أمّلتُ فلاناً فخبَّبَ أُملي . فقال الرجل :

فَتَشْتُ ذِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ أَرَاهُ لِأَخْرِ حَامِدٍ
حَتَّى كَانَ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَدْ أَفْرُغُوا فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ

فسألتُ عنه فقبيل : هذا أبو العتاهية .

كان أحمدُ بن يوسفَ صديقاً لأبي العتاهية ، فلما خدَم المأمونَ وخصَّ به
رأى منه أبو العتاهية جفوةً ، فكتب إليه :

أَبَا جَعْفَرَ إِنَّ الشَّرِيفَ يُهِينُهُ (٥)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجِي لَهُ الْغِنَى
فَإِنْ نَلْتِ تَيْمًا بِالذِّي نَلْتِ مِنْ غِنَى
فَتَأْتِيهِ عَلَى الْأَخْلَاءِ بِالْوَفْرِ
وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ
فَإِنْ غِنَايَ بِالتَّجَمُّلِ (٦) وَالصَّبْرِ
فَبِعَثْ إِلَيْهِ بِالْفَقْرِ دِرْهَمٌ وَاعْتَذِرْ إِلَيْهِ مِمَّا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ .

(١) في ت : لقد وقعت حتى كدت تشرب .

(٢) في ت : سيدي .

(٣) في غ : إشع .

(٤) في ت : بعد .

(٥) في غ : يشينه .

(٦) في ت : بالتجمل .

قال أبو جعفر : قلت لأبي العتاهية : أجز لي قول الشاعر :
وكان المال يأتينا وكُنَّا نُبذُّرُه وليس لنا عُقول
فلما أن تَوَلَّى المَالُ عَنَّا عَقَلْنَا حَيْثُ (١) ليس لنا فُضُولُ
فقال أبو العتاهية :

فَقَصَّرَ مَا تَرَى بِالصَّبْرِ حَقًّا فَكَلِّئْ إِنْ صَبَرْتَ لَهُ يَزُولُ

قال أبو العتاهية لابنه وقد غضب عليه : اذهب فإنك ثقيل الظل جامد الهواء .
قال حبيب بن الجهم التميمي (٢) : حضرت الفضل بن الربيع فإذا عون
حاجبه قد جاءه فقال : هذا أبو العتاهية قد جاءك من مكة يسلم عليك ، فقال :
أعفيني منه ، فالساعة يشغلني عن ركبوني ، فخرج إليه عون فقال : إنه على
الركوب إلى أمير المؤمنين ! فأخرج من كفه نعلًا عليها شرك فقال له : قل له
إن أبا العتاهية قد أهدأها إليك ، فدخل بها فقال : ما هذه؟ فقال : نعل وعلى
شراكها كتابة ؛ فقال : يا حبيب اقرأ ما عليها ؛ فقرأته فإذا هو .

نَعْلٌ بَعَثَتْ بِهَا لِيَلْبَسَهَا قَرَمٌ (٣) بِهَا يَمْشِي إِلَى الْمَجْدِ
لَوْ كَانَ يَصْلُحُ أَنْ أُشْرَّ كَهَا خَدْيٌ جَعَلَتْ شِرَاكَهَا خَدْيٌ

فقال لعون : أحملها معنا ، فلما دخل على الأمين ، قال له يا عباس ؛ ما هذه
النعل ؟ فقال : أهدأها إلى أبو العتاهية وكتب عليها من شعره ، وكان أمير المؤمنين
أولى بأن يلبسها لما وُصف به لابسها فقال : وماها ؟ فقرأها ؛ فقال : أجاد ،
وما سبقه أحدٌ إلى هذا المعنى ، هبوا له عشرة آلاف درهم ، فأخرجت في بدرة وهو
راكب على حمارة فقبضها وانصرف .

(١) في غ : حين .

(٢) في ت : الحميم النجيري (تحريف) .

(٣) القرم : السيد أو العظيم .

وكان أبو العتاهية من أفل الناس معرفةً ، قال له بشر المرئسي :
يا أبا إسحاق لا تصل خلف فلان إمام مسجدك فإنه مُسَبَّه . فقال : كلا ! فإنه قرأ
بنا البارحة : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » ؛ وإذا هو يظن أن المُسَبَّه لا يقرأ : « قُلْ هُوَ
اللَّهُ أَحَدٌ » .

كتب بكر بن المُنَمَّرِ إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضيق القيد ونغم
السجن^(١) ، فكتب إليه أبو العتاهية :

هِيَ الْأَيَّامُ وَالغَيْرُ^(٢) وَأَمْرُ اللَّهِ يُنْتَظَرُ
أَتْيَاسُ أَنْ تَرَى فَرْجًا فَأَيْنَ اللَّهُ وَالْقَدَرُ

قال بعضهم : كنت أمشي مع أبي العتاهية فنظر إلى الناس يذهبون ويحيئون ،
فقال : أما تراهم هذا يتيه فلا يتكلم ، وهذا يتكلم بصلف ! ؟ ثم قال لي : مرَّ
بعضُ أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يخطر ، فقال له : يا بُنَيَّ ، لو خففت بعض
هذه الخيلاء لم يكن أحسن بك من هذه الشهرة التي قد شهرت بها نفسك ؟ !
فقال له الفتى : أما تعرف من أنا ! فقال : بلى والله أعرفك معرفةً جيدة ، أولئك
نُظْمَةٌ مَدْرَةٌ وآخرك جيفةٌ قَدْرَةٌ ، وأنت بين ذلك تحمل العذرة ! قال : فأرخى
الفتى أذنيه^(٣) ، وطأطأ رأسه ومضى وكفَّ عما كان يفعلهُ .

قال أبو ذؤلف المجلي : حججتُ فرأيتُ أبا العتاهية واقفاً على أعرابي في ظلِّ
ميل^(٤) وعليه شملة إذا غطى بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطى رجليه بدا رأسه ؛
فقال أبو العتاهية : كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المُخصِبة ؛ فقال له :

(١) في غ : الحبس .

(٢) في غ : العبر .

(٣) في ت : ردينه .

(٤) الميل : منار يبنى للمسافرين في مرتفع من الأرض . وقت : جبل « تحريف » .

يا هذا ، لولا أن الله أقتع بمض العباد بشر البلاد ، ما وسع خير البلاد كل العباد
فقال له : فمن أين معاشكم ؟ قال : منكم معشر الحاج . تمرُّون بنا فننال من
فضولكم ، وتنصرفون ؛ فقال له : إنما تمرُّ وتنصرف في وقتين من السنة ،
فن أين معاشكم في سائر السنة ؟ فأطرق الأعرابي ثم قال : والله ما أدري ما أقول
إلا أنا نُرزقُ من حيث لا نحاسب ؛ فولى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يا طالب الدنيا دع الدنيا لسانيك
وما تصنع بالدنيا وظل الليل يكفيك
[هب الدنيا توأتيك أليس الموت يأتيك
كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيك]^(١)

ولما أنشد :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعتاق الرجال
قال سلم : وبلى علي ابن الفاعلة : كثر البدر وبزعم أنني حريص وأنا في ثوبتي
هذين [وكما أنشد المأمون هذا البيت قال : إن الحرص لمفسد للدين ، والله ما عرفت
من رجل قط حرصا ولا شرها فرأيت فيه مصطنعا]^(٢) .

ولما^(٣) جلس الأمين في الخلافة أنشده أبو العتاهية :

يا بن عم النبي خير البرية إنما أنت رحمة للرعيه
يا إمام الهدى الأمين المصطفى يا لباب^(٤) الخلافة الهاشمية
لك نفس أمارة لك بالخية روكف بالمكرمات نديه
إن نفسا تحملت منك ما ح ملت للمسلمين نفس قويه

(١) لم يرد البيتان في غ ولم يرد البيت الأخير في الديوان .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في غ .

(٣) جاء هذا الخبر وما بعده في ترجمة أم جعفر في الأغاني : الجزء الحادي والعشرين / ١٧

طبع ليدين .

(٤) في غ : بلباب .

(قال : وأحسَّتْ زُبَيْدَةُ مِنَ الْمَأْمُونِ بَجَفَاءً ، فَوَجَّهَتْ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ تَعْلِمَهُ بِذَلِكَ وَتَأْمُرَهُ أَنْ يَعْمَلَ^(١) فِيهِ أَيْبَاتًا تَعْطِفُهُ عَلَيْهَا : فقال :

أَلَا إِنْ صَرَفَ^(٢) الدَّهْرُ يَدَيَّ وَيُبْعِدُ وَيُوَسِّسُ بِالْأَلْفِ طُرًّا وَيُقَدِّدُ
— أَصَابَتْ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مَتَى يَدِي يَدِي فَسَلَّمْتُ لِلْأَقْدَارِ وَاللَّهُ أَحْمَدُ
— وَقُلْتُ لِرَيْبِ الدَّهْرِ إِنْ ذَهَبَتْ^(٣) يَدِي فَقَدْ بَقِيَتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِي يَدِي
— إِذَا بَقِيَ الْمَأْمُونُ لِي فَالرَّشِيدُ لِي وَوَلِي جَعْفَرٌ لَمْ يُفْقِدَا وَمُحَمَّدٌ

فَحَسُنَ مَوْقِعَ الْأَبْيَاتِ مِنَ الْمَأْمُونِ ، وَعَادَ إِلَى أَحْسَنِ مَمَا كَانَ لَهَا عَلَيْهِ .

ويقال : إِنَّهَا بَعَثَتْ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ إِلَى مُخَارِقٍ فَعَنَّاهَا الْمَأْمُونُ ، فَسَأَلَهُ الْمَأْمُونُ عَنِ الْخَبْرِ فَعَرَّفَهُ الصُّورَةَ فَبَكَى وَرَقَّ لَهَا ، وَقَامَ مِنْ وَقْتِهِ فَدَخَلَ إِلَيْهَا ، وَقَبَّلَتْ يَدَهُ ، وَقَالَ لَهَا : يَا أُمَّةَ مَا جَفَوْنَاكَ تَعَمُّدًا وَلَكِنْ شَغَلَتْ عَنكَ بِمَا لَا يُمَكِّنُ إِغْفَالُهُ : فقالت : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا حَسُنَ رَأْيُكَ لَمْ يُوحِشْنِي بَعْدَكَ^(٤) فَسَرَّ بِذَلِكَ وَأَنْتُمْ يَوْمَهُ عِنْدَهَا .

قال^(٥) العباس بن عبيد الله بن سينان بن عبد الملك بن مسمع^(٦) : كُنَّا عِنْدَ قُتَيْبِ بْنِ سَلِيمَانَ وَعِنْدَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يُنْشِدُهُ فِي الرَّهْدِ فَقَالَ لِي : قُمْ يَا عَبَّاسُ ، اطْلُبْ لِي السَّاعَةَ الْجَمَّازَ حَيْثُ كَانَ ، وَلِكِ عِنْدِي سَبَقٌ ؛ فَطَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ عِنْدَ رُكْنِ دَارِ جَعْفَرِ بْنِ

(١) في غ : يفعل .

(٢) في غ : ريب .

(٣) في ت : سلعت .

(٤) في غ : شغلك .

(٥) جاء هذا الخبر في الأغاني ٧٦/٤ طبع دار الكتب في ترجمة « أبي العتاهية » كما جاء

في الجزء ١١٧/٢١ طبع ليدن في ترجمة « سلم الحاسر » .

(٦) كذا في غ وفي الموضوعين المشار إليهما في رقم « ٢ » . وفي ت : العباس بن سليمان بن

شيبان بن عبد الملك بن مسمع .

سليمان ، فقلت : أجب الأمير ؛ فقام معي حتى أتى قُثم ، فسلم فجلس في ناحية مجلسه ،
وأبو العتاهية ينشده ؛ فأنشد الجَمَاز :

— ما أقبِحَ التَّزْهِيدُ ^(١) من وَاِعْظِ يُزْهِدُ النَّاسَ وَلَا يُزْهِدُ
— لَوْ كَانَ فِي تَزْهِيدِهِ صَادِقًا أَضْحَى وَأَمْسَى بَيْتَهُ الْمَسْجِدُ ^(٢)
يَخَافُ أَنْ تَنْفَدَ أَرْزَاقُهُ وَالرِّزْقُ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَنْفَدُ ^(٣)
وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ عَلَى مَنْ تَرَى يَسْأَلُهُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ

فالتفت أبو العتاهية إليه وقال : مَنْ هَذَا ؟ قالوا : الجَمَاز وهو ابن أخت سلم
الخَاسِرِ اقْتَصَ ^(٤) لِحَالِهِ مِنْكَ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إني لم أذهب حيث
ظننت ولا ظن ^(٥) خالك ، ولا أردت أن أهتف به ، وإنما خاطبته كما يخاطب الرجل
صديقه ، والله يغفر لكما ، ثم قام فخرج .

وخرَجَ ^(٦) إلى دار أمِّ جعفر فقالت له : أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين ،
فقال :

يَا تَمُودَ الْإِسْلَامِ خَيْرَ عَمُودِ وَالَّذِي صِيغَ مِنْ حَيَاءٍ وَجُودِ
وَالَّذِي فِيهِ مَا يُسَلَّى ذَوِي الْأَعْدِ زَانَ عَنِ كُلِّ هَالِكٍ مَفْقُودِ
وَالْأَمِينَ الْمَهْدَبَ الْمَاشِمِيَّ أَلِ قَرَمَ مُحَضِّ الْأَبَاءِ مُحَضِّ الْجُدُودِ
إِنَّ يَوْمًا أَرَاكَ فِيهِ لَيَوْمٌ طَلَعَتْ شَمْسُهُ بِسَعْدِ السُّعُودِ
فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ جَعْفَرٍ : الْآنَ وَفِيَّتَ الْمَدِيحِ حَقَّهُ ، وَأَمَرَتْ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ .

(١) في ت : الزهد .

(٢) في ت : لعنى وأضحى بيته المسجد ، والتصحيح من غ .

(٣) في ت : يخاف أن تبعد أَرْزَاقُهُ ... لا يبعد .

(٤) في غ : انتصر .

(٥) في ت : حبطت .

(٦) جاء هذا الخبر في الأغاني ١٧/٢١ طبع ليدن في ترجمة « أم جعفر » .

قال^(١) صالح بن الرّشيد : كُنَّا عِنْدَ الْمَأْمُونِ وَعَقِيدَةُ الْمُغَنِّي وَعَمْرُو بْنُ بَانَةَ
يَغْنِيَانِ وَعَيْسَى بْنُ زَيْنَبِ الْمَرَائِي حَاضِرٌ ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْأَبْنَةِ ، فَغَنَى عَقِيدَةَ فِي
شِعْرِ قَيْلٍ فِي عَيْسَى وَضَمَّنَ فِيهِ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ :

يَا عَمُودَ الْإِسْلَامِ خَيْرَ عَمُودٍ وَالَّذِي صَيَّغَ مِنْ حَيَاءٍ وَجُودٍ
لَكَ عِنْدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدٍ طُرْفَةٌ تُسْتَفَادُ يَا ابْنَ الرَّشِيدِ

فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِعَقِيدَةَ : أَنْشَدَنِي بَاقِيَ الْأَبْيَاتِ ، فَقَالَ : أَصُونُ سَمِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عِنهَا ، فَقَالَ : هَاتِهِ وَيْحَكَ [إِنْ جَمِيلَ الْأَدَبِ وَغَيْرَهُ جَمِيلٌ]^(٢) فَأَنْشَدَهُ :

كُنْتُ فِي مَجْلِسِ أَرْبُوعٍ وَرَبِيحًا نِي وَرَاحٍ وَمُسْمِعَاتٍ وَعُودٍ
فَتَغَنَّى عَمْرُو بْنُ بَانَةَ إِذَا لَكَ وَهُوَ مُمَسِّكٌ بِأَيْرٍ عَقِيدِ
يَا عَمُودَ الْإِسْلَامِ خَيْرَ عَمُودٍ وَالَّذِي صَيَّغَ مِنْ حَيَاءٍ وَجُودٍ
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ كَذَا كُ لِي مُحِبِّ صَبِّ الْفُؤَادِ عَمِيدِ

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِعَيْسَى بْنِ زَيْنَبٍ : وَاللَّهِ لَا فَارَقْتُكَ حَتَّى تَخْبِرَنِي عَنِ تَنَفُّسِكَ
عِنْدَ قَبْضِ عَمْرُو عَلَى أَيْرٍ عَقِيدِ ، لِأَيِّ شَيْءٍ تَنَفَّسْتَ ؟ ! لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَسْفًا عَلَيْهِ
بِعَيْنِهِ أَوْ عَلَى مَا يَكُونُ مِثْلَهُ ؛ لَمَنْ اللَّهُ تَنَفَّسَكَ هَذَا يَا مُرِيبَ . وَسُمِّيَ الْمَرَائِيَّ
لَأَنَّ أَبَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ صَاحِبُ مَرَائِبِ الْمَنْصُورِ ، وَأُمُّهُ زَيْنَبُ بِنْتُ بَشَرَ
صَاحِبِ طَاقَاتِ بَشَرَ بِيَابِ الشَّامِ .

اجْتَمَعَ أَبُو نُوَاسٍ وَأَبُو الشَّعْمَقِيِّ فِي بَيْتِ ابْنِ أُذَيْنَ ، وَجَاءَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ وَكَانَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الشَّعْمَقِيِّ شَرٌّ فُجِبُوهُ مِنْ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ فِي بَيْتِ ، وَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ

(١) جاء هذا الخبر في ترجمة عقيد في الجزء الحادي والعشرين من كتاب الأغاني ١٩ طبع

ليدن .

(٢) زيادة في ت .

فَنظَرَ إِلَى غَلامٍ عَندَهُم فِيهِ تَأْنِيثٌ ، فَظَنَّ أَنَّهُ جَارِيَةٌ ، فَقَالَ لابنِ أَذِينٍ : مَتَى حَصَلَتْ (١)
هَذِهِ الْجَارِيَةُ ؟ فَقَالَ : قَرِيبًا يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : قُلْ فِيهَا مَا حَضَرَ ، فَدَعَا
أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَدَهُ فَقَالَ :

مَدَدْتُ كَفِّي نَحْوَكُم سَائِلًا ماذا تَرَدُّونَ عَلى السَّائِلِ
فَلَمْ يَلْبَثُ أَبُو الشَّمْتَقِ حَتَّى نَادَاهُ (٢) مِنَ الْبَيْتِ :
نَرَدُّ فِي كَفِّكَ ذَا فَيْشَةَ يَشْفِي (٣) جَوِّي فِي اسْتِكَ مِنْ دَاخِلِ
فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : شَتَمْتُ وَاللَّهِ ! وَقَامَ مُغَضَّبًا .

وَقَالَ سَلِيمَانُ بْنُ مُنَادِرٍ : كُنْتُ عِنْدَ جَعْفَرَ بْنِ يَحْيَى وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ حَاضِرًا ؛ فَقَالَ
أَبُو الْعَتَاهِيَةِ لَجَعْفَرَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، عِنْدَكُم شَاعِرٌ يَعْرِفُ بَابْنَ أَبِي أُمَيَّةَ ، أَحَبُّ
أَنْ أَسْمَعَهُ يُنْشِدُ ؛ فَقَالَ جَعْفَرٌ : هُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْكَ ، فَأَقْبَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ عَلَى ابْنِ
أَبِي أُمَيَّةَ وَسَأَلَهُ أَنْ يُنْشِدَهُ فَأَنْشَدَ :

رُبُّ وَعْدٍ (٤) مِنْكَ لَا أَنْسَاهُ لِي أَوْجَبَ الشُّكْرَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
أَقْطَعُ الدَّهْرَ بِوَعْدِ حَسَنِ وَأَجَلِّي غَمْرَةٌ (٥) مَا تَنْجَلِي
كُلَّمَا أَمَلْتُ يَوْمًا (٦) صَالِحًا عَرَضَ الْمَكْرُوهُ دُونَ الْأَمَلِ
وَأَرَى الْأَيَّامَ لَا تُدْنِي الَّذِي أُرْتَجِي مِنْكَ وَتُدْنِي أَجَلِي

فَأَقْبَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يُرَدِّدُ الْبَيْتَ الْأَخِيرَ وَيُقْبِلُ رَأْسَ ابْنِ أَبِي أُمَيَّةَ وَيَبْكِي ،
وَيَقُولُ : وَدِدْتُ أَنَّهُ لِي بِكَثِيرٍ مِنْ شِعْرِي .

(١) في غ : استظرفت .

(٢) في ت : بادأه .

(٣) في غ : تشفى .

(٤) كذا في غ والتجريد . وفي ت : إن وعدا .

(٥) في ت : وأخل غيره ، والتصحيح من الأغاني .

(٦) كذا في ت والتجريد وفي غ : وعدا .

وكانت لأبي العتاهية بنتان ، تسمى أحدهما « لله » والأخرى « بالله »
فخطب منصور بن المهدي « لله » فلم يزوجه ، وقال : إنما طلبها لأنها بنت
أبي العتاهية ، وكأني به قد ملها فلم يكن للانتصاف منه سبيل ، وما كنت
أزوجهما إلا لبائع الخزف ، ولكنني أختاره لها مؤسراً .

وكان له ابن يقال له محمد وكان شاعراً وهو القائل :

قد أفلح السالم^(١) الصموتُ ككلام راعي الكلام قوتُ
ما كل نطقٍ له جوابٌ جوابُ ما يُكره الشكوتُ
يا عجبا لامرئٍ ظلومٍ مُستيقنٍ أنه يموتُ

وفي شعر أبي العتاهية :

ما أسرع الأيام في الشهرِ وأسرع الأشهر في العُمرِ
ليس لمن لئست له حيلةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصبرِ
فاخطُ مع الدهر إذا ما خطأ وأجر^(٢) مع الدهر كما يجرى
من سابق الدهر كباكبوةٌ لم يستقلها آخر الدهرِ

قال أبو العتاهية : ما زال الفضل بن الربيع من أميل الناس إلي ،
فلما رجع من خراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه فاستنشدني ، فأنشدته من
أبيات :

أفريتَ عمركَ إذ بارأ وإقبالا تبغى البنين وتبغى الأهل والمالا
الموتُ هولٌ فكن ما عشت^(٣) ملتمسا من هولهِ حيلةٌ إن كنت مُحْتالا
ألم ترَ الملكَ الأمسي حينَ مضى هل نال حيٌّ من الدنيا كما نالا

(١) كذا في غ والتجريد وفي ت : الساكت .

(٢) في ت : واصبر .

(٣) في غ : ما شئت .

أفناه من لم يزل يُفِئني القرون فقد أمسى^(١) وأصبح عنه الملكُ قد زال
— كم من ملوكٍ مضى ريبُ الزمان بهم قد أصبَحُوا عِبْرًا فِينَا وَأَمَّنَا
فاستحسنها وقال لي : أنت تعرف شُعْلِي ، فَعُدُّ^(٢) إلى وقت فراغِي أَعْمُدُ مَعَكَ
وَأَنْسُ بِكَ ؛ فلم أزل أراقبُ أَيَّامَهُ حتى كان يومُ فراغِهِ فصرت إليه فيه ، فبينما هو
مُقبِلٌ عَلَيَّ يسألني ويسئَلُنِي إِذْ أَنشَدْتُهُ :

وَلَى الشَّبَابُ فَعَالَهُ مِنْ حِيَلَةٍ وَكَسَا ذُو أَبَتِي المَشِيبُ خِمَارًا
أَيْنَ^(٣) البرَامِكَةُ الذين عهدتهم بالأمسِ أعظمَ أَهْلِهَا أَخْطَارًا
فلما سمع ذِكْرَ البرَامِكَةِ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ورأيتُ السِّكْرَ أَهِيَّةً فِي وَجْهِهِ فَمَا رَأَيْتُ مِنْهُ خَيْرًا
بعد ذلك .

قال أبو العتاهية : وحدثتُ بذلك أَبَا مُحَمَّدٍ الحِسنِ بِنِ سَهْلٍ ؛ فقال : لئن كان
ذَلِكَ ضَرَكًا عِنْدَ الفَضْلِ بنِ الرِّبيعِ لَقَدْ نَفَعَكَ عِنْدَنَا ، وَأَمْرٌ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ
وَعَشْرَةِ أَثْوَابٍ ، وَأَجْرِي لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فلم يزل يقبضها^(٤)
حتى مات .

قال أبو العتاهية : حبسني الرَّشِيدُ لَمَّا تَرَكْتُ قَوْلَ الشَّعْرِ ، فَأَدْخَلْتُ السِّجْنَ ،
وَأَعْلَقَ البَابُ [عَلَيَّ] فَدَهَشْتُ كَمَا يَدْهَشُ مِثْلِي لِمِثْلِ تِلْكَ الحَالِ ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
جالسٍ فِي جَانِبِ الحِجْسِ مُقَيَّدٌ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ تَمَثَّلُ .
تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ^(٥) حَتَّى أَلْفَتُهُ وَأَسْلَمَنِي حَسَنُ العَرَاءِ إِلَى الصَّبْرِ

(١) في غ : أضحى .

(٢) في ت : فاقعد .

(٣) في ت : إن .

(٤) في غ : يقبلها دارة .

(٥) كذا في ت والتجريد . وفي غ : مر الصبر .

وَصَيَّرَنِي بِأَيْمِي مِنَ النَّاسِ رَاجِيًا مُحْسِنَ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي
 [وَوَسَّعَ صَبْرِي لِلأَذَى كَثْرَةُ الأَذَى وَإِنْ كَانَ أَحْيَانًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي] (١)

فَقُلْتُ أَعِدْ أَعْرَكَ (٢) اللَّهُ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ فَقَالَ : وَيْحَكَ (٣) يَا أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ! مَا أَسْوَأَ أَدَبِكَ
 وَأَقَلَّ عَقْلِكَ ! دَخَلْتَ عَلَيَّ السَّجْنَ (٤) فَمَا سَلَّمْتَ تَسْلِيمَ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ ، وَلَا سَأَلْتَ
 مَسْأَلَةَ الحُرِّ لِلحُرِّ ، وَلَا تَوَجَّعْتَ تَوَجُّعَ المُبْتَلَى لِلْمُبْتَلَى ، حَتَّى إِذَا سَمِعْتَ أَيْبَانًا مِنَ
 الشَّعْرِ - الَّذِي لَا فَضْلَ فِيكَ غَيْرُهُ - لَمْ تَصْبِرْ عَنْ اسْتِعَادَتِهِ . وَلَمْ تُقَدِّمْ قَبْلَ مَسْأَلَتِكَ
 عَنْهُ عُذْرًا لِنَفْسِكَ فِي طَلْبِهِ ! فَقُلْتُ : يَا أَخِي إِنَّي دَهَشْتُ لِهَذِهِ الحَالِ ، فَلَا تَعْدِلْنِي
 وَاعْذُرْنِي مَتَفَضِّلًا بِذَلِكَ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ أَنَا أَوْلَى بِالدَّهْشِ وَالْحَيْرَةِ مِنْكَ ، لِأَنَّكَ
 حُيِّسْتَ فِي أَنْ تَقُولَ شِعْرًا بِهِ ارْتَفَعْتَ وَبَلَّغْتَ مَا بَلَّغْتَ ، فَإِذَا قُلْتَ أَمَّنْتَ ، وَأَنَا
 مَأْخُودٌ بِأَنْ أُدَلَّ عَلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُقْتَلَ أَوْ أُقْتَلَ دُونَهُ ، وَاللَّهِ
 لَا أُدَلُّ عَلَيْهِ أَبَدًا ، وَالسَّاعَةَ يُدْعَى بِي فَأُقْتَلَ ، فَأَيْنَا أَحَقُّ بِالدَّهْشِ ؟ فَقُلْتُ : أَنْتَ
 وَاللَّهِ أَوْلَى ، سَلَّمْتَ اللَّهَ وَكَفَّكَ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا حَالُكَ مَا سَأَلْتُكَ ، فَقَالَ :
 لَا تَبْخَلْ عَلَيكَ إِذَا ، ثُمَّ أَعَادَ الأَيَّاتِ حَتَّى حَفِظْتُهَا . فَسَأَلْتُهُ مِنْ هَرٍ ؟ فَقَالَ : أَنَا
 خَاصٌّ (٥) دَاعِيَةُ عَيْسَى بْنِ زَيْدٍ وَابْنِهِ أَحْمَدَ ، وَلَمْ نَلْبِثْ أَنْ سَمِعْنَا صَوْتَ الأَقْفَالِ ،
 فَقَامَ فَسَكَبَ عَلَيْهِ مَاءٌ كَانَ عِنْدَهُ فِي جَرَّةٍ ، وَلَبَسَ ثَوْبًا نَظِيفًا ، ثُمَّ دَخَلَ الحُرْسَ
 وَالجُنْدَ وَمَعَهُمُ الشَّمْعَ فَأَخْرَجَنَا (٦) جَمِيعًا ، وَقَدِّمْتُ قَبْلِي إِلَى الرَّشِيدِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَحْمَدَ
 ابْنِ عَيْسَى ، فَقَالَ : لَا تَسْأَلْنِي عَنْهُ وَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ فَلَوْ أَنَّهُ تَحَتَّ ثَوْبِي

(١) لم يرد البيت في غ. والسياق بعد ذلك يدل على أنهما بيتان مرة وإلى أنها أبيات مرة أخرى.

(٢) في غ : يرحمك .

(٣) في غ : ويحك .

(٤) في غ : الحبس .

(٥) في ت : حاضر .

(٦) في غ : فأخرجونا .

ما كَشَفْتُ عَنْهُ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَضُرِبَتْ ، ثُمَّ قَالَ : أَظُنُّكَ قَدِ ارْتَمَعْتَ ، فَقُلْتُ ،
دُونَ مَا رَأَيْتُ تَسِيلَ مِنْهُ النُّفُوسُ ، فَقَالَ : رَدَّوهُ إِلَى مَحْبِسِهِ ، فَرُدِدْتُ . وَاتَّحَلَّتُ
الْبَيْتَيْنِ وَزِدْتُ فِيهِمَا :

إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلِّ مَا تَكَرَّهْتُ^(١) مِنْهُ طَالَ عَتَبِي عَلَى الدَّهْرِ
قِيلَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ : مَا لَكَ تَبَخَّلَ بِمَا رَزَقَكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا بَخِلْتُ بِمَا
رَزَقَنِي اللَّهُ قَطًّا ! قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ وَفِي بَيْتِكَ مِنَ الْمَالِ مَا لَا يُحْصَى ! فَقَالَ : لَيْسَ
ذَلِكَ رِزْقِي وَلَوْ كَانَ رِزْقِي لِأَنْفُسَتِهِ .

إِذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ : لَمَّا أَحْسَسَّ الْمُعْتَصِمُ بِالْمَوْتِ قَالَ لِابْنِهِ الْوَائِقِ :
ذَهَبَ وَاللَّهِ أَبُوكَ يَا هَارُونَ ! اللَّهُ دَرُّ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ حَيْثُ يَقُولُ :

الْمَوْتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مُشْتَرِكٌ لَا سُوْقَةَ بِيَقِي وَلَا مَلِكُ
مَا ضَرَّ أَصْحَابَ الْقَلِيلِ وَمَا أَغْنَى عَنِ الْأَمْلاَكِ مَا مَلَكَوْا

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : دَخَلْتُ عَلَى يَزِيدَ^(٢) بْنِ مَرْيَدٍ ، فَأَنْشَدَنِي قَصِيدَتِي الَّتِي قُلْتُ فِيهَا :
كَأَنَّكَ فِي صَدْرِي إِذَا جِئْتُ زَائِرًا تُقَدَّرُ فِيهِ حَاجَتِي بِابْتِدَائِكَ
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٣) وَغَيْرِهِ لَيَعْلَمُ فِي الْهَيْجَاءِ فَضْلَ غَنَائِكَ
كَأَنَّكَ عِنْدَ الْكُرِّ فِي الْحَرْبِ إِنَّمَا تَفِرُّ مِنَ السَّلْمِ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ^(٤)
فَمَا آفَةُ الْأَبْطَالِ^(٥) غَيْرُكَ فِي الْوَعَى وَلَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرَ حِبَائِكَ
قَالَ : فَأَعْطَانِي عَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، وَدَابَّةً بِسَرَجِهَا وَجِلَامُهَا^(٦) .

(١) في ت : تككرمت .

(٢) في ت : بدر « تحريف » .

(٣) في ت : ولأن لك الأمر « تحريف » .

(٤) في ت : فدائسكا .

(٥) في غ والتجريد : الأملاك .

(٦) في ت : بسرجه وجامه ، « والدابة تقع على الذكر والمؤنث » .

(قال أبو تمام الطائي: لأبي العتاهية خمسة أبياتٍ مَشارَكه فيها أَحَدٌ، ولا قَدَرَ
على مثلها مُتقدِّمٌ ولا مُتأخِّرٌ فمنها قوله :
- الناسُ في غفلاتِهِم
ورحَى المَنيَّةَ تَطحَنُ

وقوله :

- ألم ترَ أَنَّ الفَقْرَ يُرَجِي له الغِنَى وَأَنَّ الغِنَى يُخْشِي عليه من الفقر

وقوله :

- ولَمَّا اسْتَقَلُّوا بِأَثْقَالِهِم
- قَرَنَتُ التَّفَاتِي بِأَثَارِهِم
وقد أزمعوا للذي أزمعوا
وأبتمتهم مقلّةً تدمع

وقوله في موسى الهادي :

- هَبِ الدُّنْيَا تَسَاقُ (١) إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى الزَّوَالِ (٢)

مرّةً عابِثٌ براهِبٍ في صَوْمَعَةٍ فقال له : عِظْنِي ؛ فقال : أَعْظُكَ وَعَلَيْكُمْ نَزَلَ
القرآن ، وَنَبِيُّكُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبُ الْعَهْدِ بِكُمْ ! قال : قلت : نعم ، قال :
فَاتَّعِظْ بِبَيْتِ شِعْرِ لِشَاعِرِكُمْ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ حَيْثُ يَقُولُ :

تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا وَقَعْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدٌ

مات شيخ ببغداد ، فدفن وأقبِلَ الناسُ على أخيه يُعزُّونه ، فجاء أبو العتاهية
إليه وبه جَزَعٌ شديد ، فعزّاه ثم أنشده :

(١) كذا في ت والديوان ، وفي غ : تصير .

(٢) كذا في ت والديوان ، وفي غ : زوال . وفي التجريد أن هذا البيت ثاني بيتين أنشدهما

المأمون حينما قال مخاطبا سالما الخاسر :

تعالى اللهُ يا سَلَمَ بنَ عمرو
أذلَّ الحِرْصُ أَعناقَ الرِجالِ
هَبِ الدُّنْيَا تَسَاقُ إِلَيْكَ جَمِعا
أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى زَوَالِ

لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ وَالْبَسَ لِكُلِّ حِينٍ (١) لِبَاسًا
لِيَدْفِنَنَا أَنَاسٌ كَمَا دَفَنَّا أَنَاسًا

قال : فَأَنْصَرَفَ النَّاسُ وَمَا حَفِظُوا غَيْرَ قَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ .

قال بعضهم : كنت في مجلس خزيمة بن خازم وعنده أبو العتاهية ، فذكر خزيمة ما سفاك من الدماء ، ثم قال : والله ما لنا عند الله عذر ولا حجة إلا رجاء عفوه ومغفرته ؛ ولولا عز السلطان وكرهه الدلة ، وأن أصير بعد الرياسة سوقةً وتابعاً — وكنت ملكاً متبوعاً — (٢) ما كان في الأرض أزهق ولا أعبد مني ؛

فإذا هو بالحاج قد دخل عليه برُعة من أبي العتاهية فيها مكتوب :

أراك (٣) امرأً ترجو من الله عفوَه وأنت على ما لا يحبُّ مُقيمٌ
تدُلُّ على التقوى وأنت مُقَصِّرٌ أيا من يداوي الناس وهو سقيمٌ
وإنَّ امرأً لم يُلْهِهِ (٤) اليومَ عن غدِّه تخوُّفَ ما يأتي به لحكيمٌ
وإنَّ امرأً لم يجعل البرَّ كثرَه وإن كانت الدنيا له لعديمٌ

فغضب خزيمة ، وقال : ما المعروف عند هذا الملحد المعتوه (٥) من كنوز البر فيرغب فيه حرٌّ ؛ فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال (٦) : « أَلَا تقرأ : « الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » .

كان الرشيد يُعجبه غناء الملاحين في الزلاّلات إذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد

(١) في ت : حى .

(٢) في غ : بعد ما كنت متبوعاً .

(٣) في ت : أذاك « تحريف » .

(٤) في ت : تلقه « تحريف » .

(٥) في غ : والله ما المعروف عند هذا المعتوه الملحد . . .

(٦) في غ : فقال : لأنه من الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله .

كَلَامِهِمْ وَلِحَنِهِمْ ، فقال : قولوا لِمَنْ مَعَنَا مِنَ الشُّعْرَاءِ يَمْعَلُ لَهُوْلَاءِ شَمْرًا يَمْنُونُ
فيه ؛ فقالوا : ليس أحدٌ أَقْدَرُ عَلَى هَذَا مِنْ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، وَهُوَ فِي الْحَبْسِ . قال :
فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ أَنْ يَقُولَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِإِطْلَاقِهِ ، فَنَظَّاهُ ذَلِكَ ، فقال :
وَاللَّهِ لَأَقُولَنَّ شَمْرًا يُحْزِنُهُ وَلَا يَسُرُّهُ ، فَعَمِلَ :

— خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ	أَيْهَا الْقَلْبُ الْجَمُوحُ
لِدَوَاعِيِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ	رُّ دُنُوقٌ وَنُزُوحٌ
— هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ	تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحٌ
مُوتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ	ض عَلَى قَوْمٍ فُتُوحٌ
— سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا	جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحٌ
— بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ	عَلِمَ الْمَوْتِ يَلُوحٌ
كُنَّا فِي غَفْلَةٍ وَالْ	مُوتُ يَفْدُو وَيُرُوحُ
لَبْنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْ	يَا غَبُوقٌ وَصَبُوحٌ
رُحْنُ فِي الْوَشْيِ وَأَقْبَدُ	ن (١) عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
— نَحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْدُ	كَيْنُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
— لَتَمُوتَنَّ وَلَوْ عُومُ	رَتُ مَا عُمرُ نُوحُ

(فَبَكَى الرَّشِيدُ بَكَاءً شَدِيدًا وَاتَّحَبَّ ، وَكَانَ مِنْ أَغْزَرِ النَّاسِ دُمُوعًا
وَقَتِ الْمَوْعِظَةَ وَأَشْدَّ مِنْ عَسْفَا وَقَتِ الْغَضَبِ)
فَلَمَّا رَأَى الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ كَثْرَةَ بَكَائِهِ أَوْمَأَ إِلَى الْمَلَّاحِينَ فَسَكَتُوا .

[وَقِيلَ : إِنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا أَطْلَقَ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ مِنَ الْحَبْسِ لَزِمَ بَيْتَهُ وَقَطَعَ النَّاسَ ،
فَذَكَرَهُ الرَّشِيدُ ، فَمَرَّ بِحَبْرِهِ . فقال : قولوا له : صِرْتَ زِيرَ نِسَاءٍ وَحِلْسَ بَيْتِ ،
فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ :

(١) فِي غ : وَأَصْبَحَن .

بِرِمَّتْ بِالنَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمِ فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالْوَحْدَةِ
مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لِعَمْرَى وَمَا أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

ثم قال : لا يمتضى شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدح له ، فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه بها وهي [(١)] :

عَادَ لِي مِنْ ذِكْرِهَا (٢) نَصَبٌ فدموع العين تَنْسَكِبُ
وَكَذَاكَ الْحُبُّ صَاحِبُهُ يَعْتَرِيهِ الْهَمُّ (٣) وَالْوَصَبُ
خَيْرٌ مَنْ يُرْجَى وَمَنْ يَهَبُ مَلِكٌ دَانَتْ لَهُ الْعَرْبُ
وَحَقِيقٌ أَنْ يُدَانَ لَهُ مَنْ أَبُوهُ لِلنَّبِيِّ أَبُ

لَمَّا عَمَدَ الرَّشِيدُ لِأَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَهُودِ : الْأَمِينِ ، وَالْمَأْمُونِ ، وَالْمُؤْتَمِنِ ،
قال أبو العتاهية :

— تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَيَقَنَ أَنَّهَا مُفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودِ
— وَشَدَّ عُرَى الْإِسْلَامِ مِنْهُ بِفَتْيَةٍ ثَلَاثَةَ أَمْلاكَ وُلاةِ عُهُودِ
— هُمْ خَيْرُ أَوْلَادٍ لَهُمْ خَيْرٌ وَالِدٍ لَهُ خَيْرٌ آبَاءَ مَضَتْ وَجُدُودِ
بنو المصطفى هارون (٤) حول سيره نَحِيرُ قِيَامِ حَوْلَهُ وَقُعُودِ
تَقَلَّبُ الْحَظَّ الْمَهَابَةَ بَيْنَهُمْ عِيونُ ظِبَاءٍ فِي قُلُوبِ أُسُودِ
— فَوَصَلَهُ الرَّشِيدُ صِلَةً مَا وَصَلَ مِثْلَهَا شَاعِرًا قَطًّا .

قال الرياشي : قدم رسول ملك الروم ، فسأل عن أبي العتاهية ، فلقبه وأنشده من شعره ، ومضى إلى بلاد الروم ، وذكره لملك الروم ، فكتب

(١) ما بين القوسين سقط من ت ، والتكلمة من غ . وتجريد الأغانى .

(٢) في ت : عادني من الرجا .

(٣) في ت : الحب .

(٤) يباض بالأصل والتكلمة من غ .

ملك الروم يسأل الرشيد أن يوجه إليه بأبي العتاهية فاستعفى منه وأباه ، واتصل بالرشيد أن ملك الروم كتب بيتين من شعر أبي العتاهية على أبواب مدينته وهما :

ما اختلف الليل والنهارُ وَلَا دَارَتْ نُجُومُ السَّمَاءِ فِي الْفَلَكَ

إِلَّا لِنَقْلِ السُّلْطَانِ عَنْ (١) مَلِكِ قَدْ انْقَضَى مَلِكُهُ إِلَى مَلِكِ

[وَمَلِكِ ذِي الْعَرْشِ دَائِمًا أَبَدًا لَيْسَ بِفَانٍ وَلَا بِمُشْتَرِكٍ] (٢)

قال الرشيد لأبي العتاهية عظمي ؛ فقال : أَخَافُكَ . فقال له : أَنْتَ آمِنٌ ؛ فقال :

— لَا تَأْمَنُ الْمَوْتَ فِي طَرْفِ وَفِي (٣) نَفْسِ إِذَا تَسْتَرَّتْ بِالْأَبْوَابِ وَالْحَرَسِ

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ سِهَامَ الْمَوْتِ قَاصِدَةٌ لِكُلِّ مُسَدَّرِعٍ مِنْهَا وَمُتَّرِسِ

— تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا (٤) إِنَّ السَّقِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

لِفَيْكِي الرَّشِيدِ حَتَّى بَلَ كَمَّةً .

قال مُحَارِقُ : جَاءَنِي أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَوْمًا فَقَالَ لِي : قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَتَزَوَّدَ

مِنْكَ يَوْمًا تَهْبُهُ لِي ، فَتِي تَنْشَطُ لَهُ ؟ فَقُلْتُ : مَتَى شِئْتَ ؛ فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ تَقْطَعَ بِي ؛

فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ وَلَوْ طَلَبَنِي الْخَلِيفَةُ ، فَقَالَ : يَكُونُ ذَلِكَ فِي غَدٍ ؛ فَقُلْتُ :

أَفْعَلُ . فَبَا كَرَنِي رَسُولُهُ ، فَجِئْتُ ، فَأَدْخَلَنِي بَيْتًا نَظِيمًا فِيهِ فَرَشٌ نَظِيفٌ ، وَدَعَا بِمَاءِ

عَلَيْهَا خُبْرٌ سَمِيمٌ ، وَجَدَنِي مَشْوِيٌّ وَبَقْلٌ وَخَلٌ ، فَأَكَلْنَا ثُمَّ دَعَا بِسَمَكٍ مَشْوِيٍّ ،

فَأَصْبَنَا مِنْهُ ، وَغَسَلْنَا أَيْدِيَنَا ، وَجَاءُوا بِمَاءٍ كَثِيرٍ وَرِيحَانٍ وَأَلْوَانَ مِنَ الْأَنْبُذَةِ ، فَقَالَ :

اخْتَرْنَا مَا يَصْلُحُ لَكَ ، فَاخْتَرْتُ وَشَرِبْتُ ؛ وَصَبَّ قَدْحًا .

(١) كذا في غ والتجريد وفي ت : من .

(٢) لم يرد البيت في غ ولا في الديوان .

(٣) في غ : ولا .

(٤) في غ : طريقها .

ثم قال غنني في قولي :

أَتَحِبُّ الْغَدَاةَ عُثْبَةَ حَمَّاسًا
قَالَ لِي أَحْمَدُ (١) وَلَمْ يَدْرِ مَا بِي
فَنَنَفَسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حـ

فَفَنَيْتُهُ فَشَرِبَ قَدْحًا وَهُوَ يَبْكِي أَحْرَبَكَ ثُمَّ قَالَ : غَنَّنِي فِي قَوْلِي :

لَيْسَ لِمَا لَيْسَتْ لَهُ حِيلَةٌ
مَوْجُودَةٌ شَيْءٍ سِوَى (٢) الصَّبْرِ

فَفَنَيْتُهُ وَهُوَ يَبْكِي وَشَرِبَ قَدْحًا آخَرَ . ثُمَّ قَالَ غَنَّنِي فَدَيْتُكَ فِي قَوْلِي :

خَلِيلِي مَالِي لَا تَزَالُ مَضْرَبِي
تَكُونُ مَعَ الْأَقْدَارِ حَتْمًا مِنَ الْحَتْمِ

فَفَنَيْتُهُ ، وَمَا زَالَ يَفْتَرِحُ عَلَيَّ وَأَغْنَيْتِهِ وَيَشْرَبُ حَتَّى صَارَتْ الْمَتَمَّةُ ، فَقَالَ لِي :

أَحِبُّ أَنْ تَصْبِرَ عَلَيَّ حَتَّى تَرَى مَا أَصْنَعُ ، فَجَلَسْتُ فَأَمَرَ ابْنَهُ وَغُلَامَهُ فَكَسَّرَا كُلَّ

مَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنَ النَّبِيدِ وَاللَّهْمِ وَالْمَلَامِي ، وَأَمَرَ بِإَخْرَاجِ كُلِّ مَا فِي بَيْتِهِ مِنَ النَّبِيدِ

وَاللَّهْمِ ، فَأَخْرَجَ جَمِيعَهُ ، فَازَالَ يَكْسِرُهُ وَيَصُبُّ النَّبِيدَ وَيَبْكِي حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ

ذَلِكَ شَيْءٍ ، وَنَزَعَ ثِيَابَهُ وَاعْتَسَلَ ، وَلَبَسَ ثِيَابَ الصُّوفِ ، وَعَانَقَنِي وَبَكَى . وَقَالَ :

عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا حَبِيبِي وَفَرَحِي مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ ، سَلَامَ الْفِرَاقِ الَّذِي لَا لِقَاءَ بَعْدَهُ ؛

وَجَمَلٌ يَبْكِي ، وَيَقُولُ : هَذَا آخِرُ عَهْدِكَ بِي فِي حَالِ تَعَاشُرِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، فَظَنَنْتُهَا

بَعْضَ حَمَاقَاتِهِ ، فَانصرفت فَمَا لَقِيْتُهُ زَمَانًا ، ثُمَّ تَشَوَّقْتُهُ فَأَتَيْتُهُ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ

لِي ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَخَذَ قَوْصَرَيْنِ فَتَقَبَّ إِحْدَاهُمَا ، وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ وَبِيَدَيْهِ

فِيهَا وَأَقَامَهَا مَقَامَ الْقَمِيصِ ، وَتَقَبَّ الْأُخْرَى وَأَخْرَجَ (٣) رِجْلَيْهِ مِنْهَا وَأَقَامَهَا مَقَامَ

السَّرَاوِيلِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ نَسِيتُ مَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْغَمِّ ، وَضَحِكْتُ ضَحْكًا مَاضِحَكْتُ

مِثْلَهُ قَطْ ؛ فَقَالَ : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَضْحَكُ ؟ لَا ضَحِكْتُ ! فَقُلْتُ : أَسْخَنَ اللَّهُ عَيْنَكَ !

(١) في غ : أحمد قال لي . .

(٢) في غ : خير من .

(٣) في ت : فأدخل .

إيش هَذَا؟ من (١) بَلَغَكَ أَنَّهُ فَعَلَ مِثْلَ هَذَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوِ الصَّحَابَةِ أَوِ الزُّهَادِ أَوِ الْمَجَانِينِ ، إِنْزِعْ عَنْكَ يَاسِخِينِ الْعَيْنِ ! فَكَأَنَّهُ اسْتَحْيَا مِنِّي ، ثُمَّ بَلَغَنِي أَنَّهُ جَلَسَ حَجَّامًا ، فَجَهِدْتُ أَنْ أَرَاهُ بِتِلْكَ الْحَالِ فَلَمْ أَرَهُ ، ثُمَّ مَرِضَ فَبَلَغَنِي أَنَّهُ يَشْتَهِي (٢) أَنْ أُنْغِيَهُ ، فَأَتَيْتُهُ عَائِدًا ، فَخَرَجَ رَسُولُهُ إِلَيَّ وَقَالَ : يَقُولُ لَكَ : إِنْ دَخَلْتَ إِلَيَّ جَدَدْتَ لِي حُرْنَا وَتَأَقَّتْ نَفْسِي إِلَى سَمَاعِكَ وَإِلَى مَا قَدْ غَلَبَتْهَا عَلَيْهِ (٣) ، وَأَنَا أَسْتَوِدُّعُكَ اللَّهُ وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ تَرْكِ الْإِقْتَاءِ (٤) فَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهِ .

وقيل لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي أن يحيى مخارق^٥ ويضع فمه على أذني ويغنييني :

سِيمَرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلخَلِيلِ خَلِيلُ
إِذَا مَا تَقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي فَإِنَّ غِنَاءَ الْبَاكِيَاتِ قَلِيلُ

قال محمد بن أبي العتاهية : آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي مات فيه :

— إِلَهِي لَا تَمْدُبْنِي فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
— وَمَالِي حِيَلَةٌ إِلَّا رَجَائِي لِعَفْوِكَ إِنْ عَفَوْتَ (٥) وَحَسَنُ ظَنِّي
— وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ
— إِذَا فَكَّرْتُ فِي نَدَمِي عَلَيْهَا عَضِضْتُ أَنْامِلِي وَقَرَعْتُ سِنِّي
— أَجْنُ بَزْهَرَةَ الدُّنْيَا جُنُونًا وَأَقْطَعُ طَوْلَ عَمْرِي بِالتَّمَنِّي
— وَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ فِيهَا (٦) قَلْبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمَجْنُ

(١) فوغ : هذا أى شيء هو ؟

(٢) فت : يشتهي .

(٣) فوغ : وتأقت نفسي من سماعك إلى ما قد غلبتها عليه .

(٤) فوغ : الإلتقاء .

(٥) فت : فعلت .

(٦) فوغ : عنها .

— يظنّ الناسُ بي خيراً وإني لشرُّ الناسِ^(١) إن لم تعف عني
(قال مخارق: توفي أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلي ، وأبو عمرو الشيباني
في خلافة المأمون في يوم واحد سنة سبع ومائتين^(٢)) وقيل : مات هو ورشد
الحنّاق وهشيمة في يوم واحد سنة سبع ومائتين^(٣) .

قال محمد بن سعد كاتب الواقدي : مات أبو العتاهية يوم الاثنين لثمان
خَلون من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين (ودفن ببغداد بالجانب
الغربي حيال قنطرة الرّيباتين^(٤))

(وقال محمد : إنَّ أباه مات سنة عشر ومائتين ، ولما مات أمر أن يُكتبَ
على قبره :

اسمعي ^(٥) ثم عي وعي	أذن حَيَّ تسمعي
فاحذري مثل مصرعي	— أنا رهن بمضجعي
أسلمتني لمضجعي ^(٦)	— عشت تسعين حجة
في ديار الترعزع	كم ترى الحق ^(٧) ثابتاً
نفسدي منه أودعي	— ليس زاد سوى التقى

وقيل : إنَّ ابنه كان يُنكرُ أنَّه أوصى أن يُكتبَ على قبره شعر .

(١) كذا في ت والديوان ، وفي غ : الخلق .

(٢) في غ : ثلاث عشرة ومائتين .

(٣) في غ : تسع ومائتين .

(٤) كذا في غ ، وفي ت : الرياشي .

(٥) في ت : فاسمعي .

(٦) في الديوان وفي غ : في ديار الترعزع ، ولم يرد في الديوان هذا الشطر ؛ وكذا الشطر

الأول من البيت الذي يليه .

(٧) كذا في تجريد الأغاني . وفي ت وبعض أصول الأغاني : الحى بدل الحق .

أُمِّيَّةُ بنِ أَبِي الصَّلْتِ

(اسمُ أَبِي الصَّلْتِ عَبْدُ اللَّهِ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ) بنِ عَوْفِ بنِ عُقْدَةَ بنِ عَنزَةَ (١)
ابنِ قَسِيٍّ (٢) وهو ثَقِيفٌ بنِ مُنْبَهٍ بنِ بَكْرٍ بنِ هَوَازِنَ ، وأمُّ أُمِّيَّةٌ رُقِيَّةُ بنتُ عبدِ شمسِ
ابنِ عبدِ منافِ .

وكان أبوه أبو الصلت شاعراً ، وهو الذي مدح سيفَ بنَ ذِي يَزَنَ وكان له
أربعةُ بَنِينَ آخرُ : عمرو ورَبِيعَةُ ووَهْبُ والقاسِمُ ؛ وكان القاسِمُ شاعراً ؛ وهو الذي
يقول أنشدنيهِ الأَخْفَشُ وغيرُهُ عن ثعلبٍ له ، وقيل : هي لأُمِّيَّةِ :

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبُ بَدَّارِهِمْ رَدَّوهُ رَبَّ صَوَاهِلِ وَقِيَانِ
لَا يَنْسَكُتُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤْلِهِمْ لَتَعَطَّبَ (٣) الْعَلَاتِ بِالْمَعِيدَانِ
[بَلْ يَبْسُطُونَ وَجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ] (٤)
يمدح بها عبد الله بن جُدعان وأولها :

قَوْمِي ثَقِيفٌ إِنْ سَأَلْتَ وَأُسْرَتِي وَبِهِمْ أَدِافِعُ رُكْنٍ مِنْ عَادَانِي
(وكان أُمِّيَّةٌ قد قرأ كتابَ اللهِ عزَّ وجلَّ الأولُ ، وكان يأتي في شِعْرِهِ بأشياء
لا تَعْرِفُهَا الْعَرَبُ .)

قال أبو عُبَيْدَةَ : اتَّفَقَتِ الْعَرَبُ عَلَى أَنَّ أَشْعَرَ أَهْلَ الْمَدْرِ (٥) أَهْلُ يَثْرِبِ ثُمَّ عَبْدُ
الْقَيْسِ ثُمَّ ثَقِيفِ ، وكان أَشْعَرَ ثَقِيفِ أُمِّيَّةُ بنِ أَبِي الصَّلْتِ .

(١) كذا في ت و غ ، وفي كتاب الشعر والشعراء : غيره « وزان عنبة » اسم قبيلة أيضا .

(٢) في ت : قيس .

(٣) في غ : لتلمس .

(٤) لم يرد هذا البيت في غ .

(٥) في غ : المدن .

وكان السكْمِيْتُ يقول : أُمِيَّةٌ أَشْعَرُ النَّاسِ ، قَالَ : فَقَالَ كَمَا قُلْنَا ؛ وَقُلْنَا ، فَلَمْ
نَقُلْ كَمَا قَالَ (١) .

وكان أُمِيَّةٌ قد لَبِسَ المُسُوْحَ تَعْبُدًا ، وكان مِمَّنْ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
عَلَيْهِمَا السَّلَامَ وَالْحَنِيفِيَّةَ ، وَحَرَّمَ الخَمْرَ وَشَكََّ فِي الأَوْثَانِ ، وكان مُحَقِّقًا (٢) ،
والتَّمَسَّ الدِّينَ وَطَمَعَ فِي النُّبُوَّةِ ؛ لِأَنَّهُ قَرَأَ فِي السُّكُتِ أَنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ مِنَ العَرَبِ ؛
فَكَانَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَهُ . فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ لَهُ : هَذَا الَّذِي
كَنتَ تَقُولُ فِيهِ ؛ فَحَسَدَهُ عَدُوُّ اللهِ وَقَالَ : إِنَّمَا كَنتَ أَرْجُو أَنْ أَكُونَهُ ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ
تَعَالَى فِيهِ : « وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا » .
وهو الذي يقول :

كُلُّ دِينٍ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ إِلَّا دِينَ الحَنِيفَةِ زُورٌ
وكان يُحَرِّضُ قُرَيْشًا بِمَدْبَدٍ ، وَيَرْتِي مِنْ قُتَيْلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي وَقْعَةٍ بَدْرَ بِأَشْيَاءٍ
مِنْهَا :

مَاذَا بِيَسْدِرٍ وَالْعَقْدِ قَلٌّ مِنْ مَرَازِيَةِ جَجَّاجِجٍ (٣)
وهي قصيدة نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رِوَايَتِهَا .
ويقال : إِنَّ أُمِيَّةً قَدِمَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَأَخَذُوا عَنْهُ : بِاسْمِكَ اللهُمَّ ، فَجَعَلُوهَا
مَكَانَ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .
وقال الحَجَّاجُ عَلَى المِنْبَرِ : ذَهَبَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ شِعْرَ أُمِيَّةَ ، وَكَذَلِكَ أَنْدَرَسُ
السُّكُوتِ (٤) .

(١) في غ : قال كما قلنا ولم تقل كما قال .

(٢) في ت : وصام

(٣) العقنقل : كثيب رمل بيدر . والمرازية : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع ، معرب
وأصله فارسي . وججاجج : جمع ججاج ، وهو السيد السارع في الكلام .

(٤) في ت : تدارس العلم ؛ والتصحيح من غ .

ذَكَرَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ أَنَّ أُمِّيَّةَ وَأَبَا سُفْيَانَ اصْطَحَبَا فِي تِجَارَةِ إِلَى الشَّامِ وَأَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ: كَمْ سِنَّةٌ؟ فَذَكَرَ سِنًّا، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَنْ مَالِهِ، فَذَكَرَ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: وَضَعْتَهُ. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: بَلْ رَفَعْتُهُ، فَقَالَ: إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ لَيْسَ شَيْخًا، وَلَا ذَا مَالٍ.

وَكَانَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى الشَّامِ مَرَّ بِكَنِيسَةٍ فَقَالَ أُمِّيَّةُ: إِنَّ لِي حَاجَةً فِي هَذِهِ الْكَنِيسَةِ فَانْتَظِرُونِي، فَدَخَلَ الْكَنِيسَةَ وَأَبْطَأَ، ثُمَّ رَجَعَ كَمَا سَفَا مُتَغَيِّرًا، فَرَمَى بِنَفْسِهِ، فَأَقَامُوا عَلَيْهِ حَتَّى سُرِّي عَنْهُ، ثُمَّ مَضَوْا فَمَضَوْا حَتَّى رَجَعُوا، فَلَمَّا صَارُوا إِلَى الْكَنِيسَةِ قَالَ لَهُمْ: انْتَظِرُونِي وَدَخَلَ أَيْضًا فَابْطَأَ، ثُمَّ خَرَجَ بِأَسْوَأَ حَالٍ مِنْ حَالَتِهِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: قَدْ شَقَقْتَ عَلَي رُقَّتِكَ^(١)، فَقَالَ: خَلُونِي؛ فَإِنِّي أُرْتَادُ لِنَفْسِي، وَأَنْظُرُ لِمَعَادِي^(٢). هَاهُنَا رَاهِبٌ عَالِمٌ، أَخْبَرَنِي أَنَّهُ يَكُونُ بَعْدَ عِيسَى سِتِّ رَجَعَاتٍ^(٣)، وَقَدْ مَضَتْ مِنْهَا خَمْسٌ وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ، فَخَرَجْتُ وَأَنَا أَطْمَعُ فِي النَّبُوءَةِ وَأَخَافُ أَنْ تُخْطِئَنِي، فَأَصَابَنِي مَا رَأَيْتُ أَوْلَا؛ فَلَمَّا رَجَعْتُ ثَانِيَةً قَالَ لِي: قَدْ كَانَتْ الرَّجْعَةُ^(٤)، وَقَدْ بُعِثَ نَبِيُّ الْعَرَبِ فَأَيْسْتُ^(٥) مِنَ النَّبُوءَةِ، وَأَصَابَنِي مَا رَأَيْتُ، إِذْ فَاتَنِي مَا كُنْتُ أَطْمَعُ فِيهِ. (وَكَانَ الرَّاهِبُ أَيْسَهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْأَمْرَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ.)

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَآتَى أُمِّيَّةَ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، عَمِيَ الْخَبْرُ، فَهَلْ أَحْسَسْتَ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ! قَالَ: قَدْ وَجَدْتُهُ يُخْرِجُ الْعَامَ.

(١) فِي غ: رِفْقَاتِكَ .

(٢) فِي غ: فَإِنِّي أُرْتَادُ لِنَفْسِي لِمَعَادِي .

(٣) فِي ت: رَجَعَاتٍ .

(٤) فِي ت: الرَّجْفَةُ .

(٥) فِي غ: فَيُسْتُ .

وكان أمية جالساً ، فررت به غنم فقتت منها شاة ، فقال للقوم : هل تدرؤن ما تقول ؟ قالوا : لا ؛ قال : قالت لسخلتها : مرى لا يجىء الذئب فياً كلك كما أكل أختك عام أول في هذا الموضع ، فقال بعض القوم للرأعى : أخبرنا عن هذه الشاة التي ثفت ألهما سخله ؟ قال : نعم ، هذه سخلتها ؛ قال : أكانت (١) لها عام أول سخله ؟ قال : نعم أكلها الذئب ها هنا .

(قال الأصمى : ذهب أمية في شعره بعامته ذكر الآخرة ، وذهب عنتره بعامته ذكر الحرب ، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامته ذكر الشباب .)

خرج ركب من تقيف إلى الشام ، وفيهم أمية بن أبي الصلت فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلاً ليمعشوا بمشاء ، إذ أقبلت عظاية حتى قربت (٢) منهم ، فحصبها بعضهم بشيء في وجهها ، فرجعت ، وكفتوا (٣) سفرتهم ثم قاموا يرحلون ، فطلعت عليهم عجوز من وراء كثيب هناك تتوكأ على عصا ، فقالت لهم : ما منعكم أن تطعموا رجيمة (٤) الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشيّة (٥) ؟ فقالوا : ما أنت ؟ قالت : أنا أم العوام أيمت (٦) منذ أعوام ؛ أما ورب العباد ، لتنفرون (٧) في البلاد ؛ وضربت بعصاها الأرض ، ثم قالت : أطيلي أنايتهم (٨) ، ونفري ركايتهم ؛ فنفرت (٩) الإبل كأن على ذروة كل بعير شيطان ، ما تملك منها شيئاً ، حتى

(١) فت : فكانت .

(٢) في غ : دنت .

(٣) فت كتبوا . والتصحيح من غ .

(٤) فت : رحيمة .

(٥) فت غشيمة .

(٦) في غ : إمت .

(٧) في غ : لتفترقن .

(٨) في غ بطى لياهم .

(٩) في غ فوثبت .

تَفَرَّقَتْ فِي الْوَادِي ، فَجَمَعْنَاهَا فِي آخِرِ النَّهَارِ مِنْ غَدٍ وَلَمْ نَكِدْ ، فَلَمَّا أَنْخَنَاهَا لِرَحْلِهَا (١)
 طَلَعَتْ عَلَيْنَا الْعَجُوزُ وَقَالَتْ كَقَوْلِهَا بِالْأَمْسِ ، فَعَمَلَتِ الْإِبِلَ كِفْعَلِهَا بِالْأَمْسِ ، فَلَمْ نَجْمَعْهَا
 إِلَّا (٢) الْغَدَ عَشِيًّا ، فَلَمَّا أَنْخَنَاهَا لِرَحْلِهَا ، أَقْبَلَتِ الْعَجُوزُ فَعَمَلَتْ كِفْعَلِهَا فِي الْيَوْمَيْنِ ،
 فَتَفَرَّقَتْ (٣) الْإِبِلَ ، فَعَلْنَا لِأُمِّيَّةَ : أَيْنَ مَا كُنْتَ تُخْبِرُنَا بِهِ عَنْ نَفْسِكَ ؟ فَقَالَ :
 اذْهَبُوا أَنْتُمْ فِي طَلَبِ الْإِبِلِ وَدَعُونِي لِأَتَوَجَّهَ إِلَى الْكَثِيبِ الَّذِي كَانَتْ الْعَجُوزُ تَأْتِي
 مِنْهُ حَتَّى عِلَّاهُ ، وَهَبَطَ مِنْهُ إِلَى وَادٍ ، فَإِذَا فِيهِ كَنِيْسَةٌ ، وَإِذَا رَجُلٌ مُضْطَجِعٌ مُعْتَرِضٌ
 عَلَى بَابِهَا ، وَإِذَا رَجُلٌ آخِرُ جَالِسٍ أَيْضُ الرُّأْسِ وَاللَّحْيَةِ ؛ فَلَمَّا رَأَى أُمِّيَّةَ قَالَ :
 إِنَّكَ لَمَتَّبِعُوعٌ فَمَنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ صَاحِبُكَ ؟ قَالَ : مِنْ أُذُنِي الْيُسْرَى . قَالَ : فَيَأْتِي
 الثِّيَابَ بِأَمْرِكَ ؟ قَالَ : بِالسَّوَادِ . قَالَ : هَذَا خَبِطٌ (٤) مِنَ الْجِنِّ ، كَدْتَ أَنْ تَكُونَ
 نَبِيَّ الْعَرَبِ وَلَمْ تَفْعَلْ ، إِنَّ صَاحِبَ النَّبُوَّةِ يَأْتِيهِ صَاحِبُهُ مِنْ قَبْلِ أُذُنِهِ الْيُمْنَى ،
 وَيَأْمُرُهُ بِلِبْسِ الْبِياضِ ؛ فَمَا حَاجَتُكَ ؟ فَخَدَّئْتَهُ حَدِيثَ الْعَجُوزِ ؛ قَالَ : صَدَقَتْ هِيَ
 امْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ (٥) مِنَ الْجِنِّ ، هَلَكَ زَوْجُهَا مِنْذُ أَعْوَامٍ ، وَأَنْهَا لَا تَزَالُ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِكُمْ
 حَتَّى تُهْلِكَكُمْ إِنْ اسْتَطَاعَتْ ؛ قَالَ أُمِّيَّةُ : وَمَا الْحِيلَةُ ؟ قَالَ : أَجْمِعُوا ظَهْرَكُمْ ،
 فَإِذَا جَاءَتْ فَعَمَلَتْ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ ، فَقُولُوا لَهَا : سَبْعٌ مِنْ فَوْقٍ وَسَبْعٌ مِنْ أَسْفَلِ
 بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ ؛ فَلَنْ تَضُرَّكُمْ ؛ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ أُمِّيَّةٌ وَقَدْ جَمَعُوا الظَّهْرَ ، فَلَمَّا أَقْبَلَتْ
 قَالَ لَهَا مَا أَمَرَهُ الشَّيْخُ بِهِ ، فَلَمْ تَضُرَّهُمْ ، فَلَمَّا رَأَتْ الْإِبِلَ لَمْ تَتَحَرَّكَ قَالَتْ : قَدْ عَرَفْتُ
 صَاحِبَكُمْ ، لِيَبْيَضَنَّ أَعْلَاهُ وَلِيَسْوَدَنَّ أَسْفَلُهُ ، فَأَصْبَحَ أُمِّيَّةٌ وَقَدْ بَرَّصَ فِي عِدَارِيهِ ،

(١) في غ : لترحلها .

(٢) في ت : إلى .

(٣) في غ : وتفرقت .

(٤) في غ : خطيب وفي التجريد : خاطر .

(٥) في ت : بهولية .

وَأَسْوَدَ أَسْفَلَهُ ، فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ ذَكَرُوا لَهُمْ ذَلِكَ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا كَتَبَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي كُتُبِهِمْ : « بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ » .

وقال الزُّهْرِيُّ : دخل يوماً أُمِّيَّةُ بنُ أَبِي الصَّلْتِ على أُخْتِهِ وَهِيَ تُهَيِّئُ أَدَمًا لَهَا ، فَنَامَ على سِرِيرٍ في نَاحِيَةِ البَيْتِ ، قال : فَانشَقَّ جَانِبٌ من سَقْفِ البَيْتِ وَإِذَا بِطَائِرَيْنِ ، فَوَقَعَ أَحَدُهُمَا على صَدْرِهِ ، وَوَقَفَ الآخَرُ مَكَانَهُ ، فَشَقَّ الوَاقِعُ صَدْرَهُ ، فَأَخْرَجَ قَلْبَهُ فَشَقَّهُ ، فقال الطَّائِرُ الأَعْلَى ^(١) للطَّائِرِ الذِي على صدره : أُوَعِيَ ! قال : وَوَعِيَ ؟ قال : أَقْبِلْ ؟ قال : أَيْ ، فَرَدَّ الطَّائِرُ قَلْبَهُ في مَوْضِعِهِ ، ثم نَهَضَ فَاتَّبَعَهُمَا أُمِّيَّةُ طَرْفَهُ وقال :

لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

لا بَرِيءٌ فَأَعْتَذِرُ ، وَلَا ذُو عَشِيرَةٍ فَأَنْتَصِرُ . فَرَجَعَ الطَّائِرُ فَوَقَعَ على صدره فَشَقَّهُ ، وَأَخْرَجَ قَلْبَهُ فَشَقَّهُ ، فقال الطَّائِرُ الأَعْلَى : أُوَعِيَ ؟ فقال : وَوَعِيَ ، قال : أَقْبِلْ ؟ قال : أَيْ ، فَرَدَّ قَلْبَهُ ثم نَهَضَ فَاتَّبَعَهُمَا أُمِّيَّةُ طَرْفَهُ وقال :

لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

مَحْفُوفٌ بِالنِّعَمِ ، مَحْوَظٌ مِنَ الرِّيبِ . قال : فَرَجَعَ الطَّائِرُ فَوَقَعَ على صدره فَشَقَّهُ ، ثم أَخْرَجَ قَلْبَهُ فَشَقَّهُ ، فقال له الأَعْلَى : أُوَعِيَ ؟ قال : وَوَعِيَ ، قال : أَقْبِلْ ؟ قال : أَيْ ، وَنَهَضَ فَاتَّبَعَهُمَا طَرْفَهُ فقال :

لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا

ثم انطَبَقَ السَّقْفُ وَجَلَسَ أُمِّيَّةُ يَمْسَحُ صَدْرَهُ ، فقالت أُخْتُهُ : يَا أُخِي ، أَتَجِدُ شَيْئًا ؟ قال : لا وَلَكِنِّي أَجِدُ حَرًّا في صَدْرِي ، ثم أنشد :

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدَّ بَدَأَ لِي فِي قِنَانِ الجِبَالِ أُرْمِي الوُعُولَا

(١) في غ : الواقف .

قال عكرمة : أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول أمية :

الحمد لله مُمَسَّنًا وَمُصَبَّحَنَا بِالْخَيْرِ صَبَّحْنَا رَبِّي وَمَسَّانَا
أَلَا نَبِيَّ لَنَا مِنَّا فَيُخَبِّرُنَا مَا بَعْدَ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مَحْيَانَا
بَيْنَا يُرِيِّنَا آبَاؤُنَا هَلَكُوا وَبَيْنَا نَقَعْنِي ^(١) الْأَوْلَادَ أَفْنَانَا
وَقَدْ عَلِمْنَا لَوْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنَا أَنْ سَوْفَ يَلْحَقُ أُخْرَانَا بِأَوْلَانَا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن كاد أمية ليُسلم » .

وعتب أمية على ولده ، وكان عاقباً له . فقال فيه :

غَدَوْتُكَ مَوْلوداً وَعَلْتُكَ يَافِعاً تَعَلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتُنَهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ تَأْتِيكَ بِالشُّكُو ^(٢) لَمْ أَبِتْ لِشُكُوكِ إِلَّا سَاهِراً أَتَمَلَّمُ
كَأَنِّي أَنَا المَطْرُوقُ دُونِكَ بِالدِّي طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَمِيَنِي تَهْمَلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّهَا لَتَعَلِّمُ ^(٣) أَنَّ المَوْتَ وَقت ^(٤) مُوجِّلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ مِنْكَ ^(٥) مُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جِرَائِي غِلْظَةً وَفِظَاطَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُنْفَضِلُ
[وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ المُنْعِدِّ رَأْيُهُ وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْمَلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أُبُوَّتِي فَعَلْتَ كَمَا الجَارُ المَجَاوِرُ يَفْعَلُ ^(٦)]

قال أبو بكر الهمداني لعكرمة : ما رأيت ما بلغنا ^(٧) عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) كذا في غ ، وفي ت : نغى .

(٢) في غ : آبتك بالشجو وفي شرح ديوان الحماسة : نابتك بالشكو .

(٣) في غ : ولاني لأعلم .

(٤) في غ : حتم .

(٥) في غ : فيك .

(٦) لم يرد البيتان الأخيران في غ وجاء في التجريد .

(٧) في غ : ما رأيت من بلغنا .

أَنَّهُ قَالَ لِأُمِّيَّةَ : « آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ » فقال : هو حق ، وما الذي أنكرتم ؟
فقلت : أنكرنا قوله :

والشمس تطلع كلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حمراء تطلع^(١) لونها مُتَوَرِّدٌ
تَأْتِي وما تبدو لنا في رِسْلِهَا إِلَّا مُعَذِّبَةً وَإِلَّا تُجَلِّدُ

فاشأن^(٢) الشمس تُجَلِّدُ ؟ فقال : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، ما طَلَعَتْ قَطَّ حَتَّى
يَحْتُمُهَا^(٣) سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَقُولُونَ لَهَا : أَطْلُعِي ؛ فتقول : كيف أَطْلُعُ على قوم
يَعْبُدُونَني من دون الله تَعَالَى ! قال : فَيَأْتِيهَا شَيْطَانٌ حِينَ تَسْتَقْبِلُ الضِّيَاءَ يريد أن
يَصُدَّهَا عن الطُّلُوعِ ، فتَطْلُعُ على قَرْنِيهِ فَيُحْرِقُهُ اللهُ بِحَرِّهَا ، وما غَرَبَتْ قَطَّ
إِلَّا خَرَّتْ لَهِ سَاجِدَةً ، فَيَأْتِيهَا شَيْطَانٌ يريد أن يصدّها عن السُّجُودِ ، فتَغْرُبُ على
قَرْنِيهِ فتُحْرِقُهُ ، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ
شَيْطَانٍ وَتَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ » .

(ولما مَرِضَ أُمِّيَّةُ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، جعل يقول : قَد دَنَا أَجَلِي وَفِي هَذِهِ
الْمَرَضَةِ مَنِيَّتِي ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ حَقٌّ ، وَلَكِنِ الشَّكُّ فِي مُحَمَّدٍ) ولما دَنَتْ وَفَاتُهُ
أُعْمِي عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ :

لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

لَا مَالٌ لِي يَفِدِنِي وَلَا عَشِيرَةٌ تُنَجِّينِي ثُمَّ أُعْمِي عَلَيْهِ حَتَّى ظَنَّ مِنْ حَضْرِهِ
أَنَّهُ قَضَى ، ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ :

(١) في غ : مطلع .

(٢) في ت : بيان .

(٣) في غ : ينجسها .

(٤) في ت : يستقل .

لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

لا بَرِيءٌ فَأَعْتَدِرْ وَلَا قَوِيٌّ فَأَنْتَصِرْ ، وتحدث ساعة ، ثم أغمى عليه حتى أيسَ من حياته وأفاق وهو يقول :

لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرِ جَمًّا وَأَيَّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمًا

ثم أقبل على القوم فقال : قد جاءني وَفِيّ ، فكونوا في أهبي ، وحدثهم قليلا حتى أيسَ القوم من موته (١) ، وأنشأ يقول :

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا مُنْتَهَى أَمْرِهِ إِلَى أَنْ يَزُولَا

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدَّ بَدَا لِي فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ أُرْعَى الْوُعُولَا

فَأَجْعَلَ الْمَوْتَ نُصَبَ عَيْنَيْكَ وَاحْتَدَرَ غَوْلَا

ثم قَضَى نَحْبَهُ ولم يُؤْمَنَ بالنبي صلى الله عليه وسلم .

وقيل في خبره : أنه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، أخذ بنتيه (٢) وهرب

بهما إلى أقصى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف ، فبينما هو يشرب مع إخوان له في قصر (٣)

غَيْلان بالطائف وقد أودع ابنتيه (٤) باليمن ، ورجع إلى بلاده إذ سقط غرابٌ على

شُرْفَةِ الْقَصْرِ ، فَنَعَبَ نَعْبَةً فَقَالَ أُمِيَّةٌ : بِفِيكَ الْكُشْكُثُ - وَهُوَ التُّرَابُ - فَقَالَ لَهُ

أَصْحَابُهُ : مَا يَقُولُ ؟ فَقَالَ : يَقُولُ : إِنَّكَ إِنْ شَرَبْتَ الْكَأْسَ الَّذِي فِي يَدِكَ مُتَّ ،

ثُمَّ نَعَبَ نَعْبَةً أُخْرَى ، فَقَالَ أُمِيَّةٌ نَحْوَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : مَا يَقُولُ ؟ قَالَ :

(١) في غ : مرضه .

(٢) في ت : بنيه .

(٣) في ت : قصره مرة .

(٤) في ت : ابنيه .

زعم أنه يقع على هذه المزبلة أسفل القصر فيبتدع عظما فيشجى به فيموت ، فوقع
الغرابُ على المزبلة فأثار العظم وابتلمه فشجى به ، فمات فانكسر أمية ، ووضع
الكأس من يده ، وتغير لونه ، فقال له أصحابه : ما أكثر ما سمعنا مثل هذا
وكان باطلاً ، فألحوا عليه حتى شرب الكأس ، فمال في شقٍ ، وأغمى عليه ، ثم
أفاق فقال : لا يرى ، فأعترى ولا قوى فأنتصر ثم مات .

أبو سعيد مولى فائد

٦ هو أَبُو سَعِيدِ إِبْرَاهِيمَ مَوْلى فَائِدٍ : مولى عَمْرُو بنِ عُمَانَ بنِ عَفَانَ .
وهو يُعْرَفُ فِي الشُّعْرَاءِ بِابْنِ أَبِي سَنَّةٍ (١) مولى بنى أمية ، وفي المُنَنِينَ بِأَبِي سَعِيدِ
مَسْولى فَائِدٍ . وكان شاعراً مُجِيداً نَاسِكاً وَمُغْنِيّاً فَاضِلاً مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ بِالْمَدِينَةِ
مُعَدَّلاً ، وَعَمَّرَ إِلَى خِلافةِ الرَّشِيدِ ، وَلَقِيَهُ إِبْرَاهِيمُ بنِ المَهْدِيِّ . وإِسْحاقُ المَوْصِلِيُّ .
وَلَهُ مَرَاثٍ جِيادِي فِي نَبِيِّ أُمِّيَّةٍ (الَّذِينَ قَتَلَهُمُ عَبْدُ اللَّهِ وَداوودُ ابْنُا عَلِيَّ بنِ عَبْدِ اللَّهِ
ابنِ عَبَّاسٍ .

قال إسحاق : حَجَّجْتُ مَعَ الرَّشِيدِ ، فَلَمَّا قَرَبْتُ مِنْ مَكَّةَ اسْتَأْذَنْتُ فِي التَّقَدُّمِ
فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ مَكَّةَ ، فَسَأَلْتُ عَنْ أَبِي سَعِيدِ مَوْلى فَائِدٍ ، فَقِيلَ لِي : هُوَ فِي المَسْجِدِ
الْحَرَامِ ؛ فَأَتَيْتُ المَسْجِدَ فِإِذْ هُوَ قائِمٌ يُصَلِّي ، فَجَلَسْتُ قَرِيباً مِنْهُ ، فَلَمَّا فَرَغَ قالَ لِي :
يَا فَتَى ، أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، تُغْنِيْنِي . وَقِيلَ : إِنْ الَّذِي سَأَلَهُ الغَنَاءَ هُوَ المَهْدِيُّ
فقال له : غَنِّينِي :

لَقَدْ طُفْتُ سَبْعاً قَاتُ لَمَّا قَضَيْتُهَا	أَلَا لَيْتَ هَذَا لَا عَلِيَّ وَلَا لِيَا
يُسَائِلُنِي صَاحِبِي فَمَا أَعْتَلِ الَّذِي	يَقُولُونَ مِنْ ذِكْرِ اللَّيْلِ اعْتَرَانِيَا
إِذَا جِئْتَ بَابَ الشَّعْبِ شِعْبِ ابْنِ عَامِرٍ	فَأَقْرِي (٢) غَزَالَ الشَّعْبِ مِنْ سَلَامِيَا
وَقُلْ لِعَزَّالِ الشَّعْبِ هَلْ أَنْتَ نَازِلٌ	بِشِعْبِكَ أَمْ هَلْ يُصْبِحُ القَلْبُ ثَاوِيَا
لَقَدْ زَادَنِي الحُجَّاجُ شَوْقاً إِلَيْكُمْ	وَإِنْ كُنْتُ قَبْلَ اليَوْمِ لِلحَجِّ قَالِيَا
وَمَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى وَجْهِ قَادِمٍ	مِنَ الحَجِّ إِلَّا بَلَّ دَمْعِي رِدَائِيَا

(١) في ت : بابن أبي أشبه .

(٢) في ت : فأقري .

فقال له : أَوْ أُغْنِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا هُوَ أَحْسَنَ مِنْهُ ؟ قَالَ : أَنْتَ وَذَلِكَ

فَفَنَاءُ :

إِنْ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ نَشَرَ المَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَا تَا
وَبَنَاهُ عَلَى أُسَاسٍ وَرَيْقٍ وَعِمَادٍ قَدْ أُثْبِتَتْ إِثْبَاتَا
مِثْلَ مَا قَدْ بَنَى لَهُ أَوْلُوهُ وَكَذَا يُشْبِهُ البُنَاةُ البُنَاتَا

فَقَالَ لَهُ المَهْدِيُّ : أَحْسَنْتَ يَا أَبَا سَعِيدٍ ، فَغَنَّنِي :

لَقَدْ طُفْتُ سَبْعًا قُلْتُ لَمَّا قَضَيْتُهَا أَلَا لَيْتَ هَذَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

فَقَالَ : أَوْ أُغْنِيكَ أَحْسَنَ مِنْهُ ؟ قَالَ : أَنْتَ وَذَلِكَ فَفَنَاءُ :

قَدِمَ الطَّوِيلُ فَأَشْرَقَتْ وَاسْتَبْشَرَتْ (١) أَرْضُ الحِجَازِ وَبَانَ فِي الأشْجَارِ
إِنَّ الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ فَأَعْلَمُوا سَادَ الحُضُورِ وَسَادَ فِي الأَسْفَارِ

فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ فَغَنَّنِي : لَقَدْ طُفْتُ سَبْعًا . قَالَ أَوْ أُغْنِيكَ أَحْسَنَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ :

افْعَلْ ، فَفَنَاءُ :

أَيُّهَا السَّائِلُ (٢) الَّذِي يَخِيطُ الأَرْضَ ضَرَعَ النَّاسَ أَجْمِينَ وَرَاكَا
وَأْتِ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ إِنَّ تَخَوَّفْتَ عَيْلَةً (٣) أَوْ هَلَكََا

فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ ، فَغَنَّنِي : لَقَدْ طُفْتُ سَبْعًا ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ فِيهَا غَنَّيْتُ ، وَلَكِنْ

أُحِبُّ أَنْ تُغْنِيَنِيَا مَا اسْتَدَّ عَيْمَاهُ مِنْكَ ، قَالَ : لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لِأَنِّي
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنْأَى وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ لَا أُدْرِي مَا هُوَ ، وَقَدِ رَفَعَهُ
لِيَضْرِبَنِي وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، لَقَدْ طُفْتُ سَبْعًا ، مَا صَنَعْتَ بِأُمَّتِي فِي هَذَا الصَّوْتِ !

(١) فِي غ : لِقُدُومِهِ .

(٢) فِي ت : السَّائِرُ .

(٣) فِي ت : عَوْلَةٌ .

قلت له : بأبي وأمي اغفر لي ، فوالذي بعثك بالحق وأصطفاك بالنبوة لا غنيتُ
هَذَا الصَوْتَ أَبَدًا ، فَرَدَّ يَدَهُ عَنِّي وَقَالَ : عفا الله عنك إِذَا ؛ ثم اتبته ؛ وما كنت
لأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا في منامي فأرجع عنه في يقظتي ، فبكي
المَهْدِيُّ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَبَا سَعِيدٍ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، لَا تَعُدْ فِي غِنَائِهِ ، وَحَبَاهُ وَكَسَاهُ
وَأَمْرُ بَرْدِهِ إِلَى الْحِجَازِ ؛ فَقَالَ : لَكِنْ أَسْمَعُهُ مِنْ مَنَّةٍ جَارِيَةِ الْبِرَامِكَةِ : « وَأُظِنُّ هَذِهِ
الْحِكَايَةَ غَلَطًا ؛ لِأَنَّ مَنَّةَ جَارِيَةِ الْبِرَامِكَةِ إِنَّمَا نَشَأَتْ وَعُرِفَتْ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ » .
وقيل : إِنَّهُ قَالَ لَهُ : اشْخَصْ مَعِيَ إِلَى بَغْدَادَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا كُنْتُ
لَأَخْذُكَ بِمَا لَا تُحِبُّ ، وَلَوْ كُنْتُ غَيْرُكَ لَأَكْرَهْتُهُ عَلَى مَا أُحِبُّ ، وَلَكِنْ دَلَّنِي عَلَى
مَنْ يُنُوبُ عَنْكَ ؛ فَدَلَّهَ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ ، وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ بِغِلَامِ بَنِي سَهْمٍ قَدْ أَخَذَ عَنِّي
وَعَنْ نَظْرَانِي ، وَهُوَ كَمَا تُحِبُّ ، فَهَذَا كَانَ سَبَبَ قُدُومِهِ بِبَغْدَادَ .

الطَّوِيلُ مِنْ آلِ حَفْصِ الْمَعْنِيِّ فِي الشَّعْرِ ، هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ
الْمَخْزُومِي ، كَانَ مُوسِرًا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ وَيَجْزِلُ الْعَطَاءَ ، وَسَبَبَ يَسَارَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ
الْمَخْزُومِيَّةَ امْرَأَةَ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ ، فَصَارَ إِلَيْهِ مِنْهَا مَالٌ عَظِيمٌ وَكَانَ يَتَسَمَّحُ بِهِ
وَيَتَسَّعُ فِي الْعَطَاءِ . وَكَانَتْ أُمَّ سَلَمَةَ مَاتِلَةً إِلَيْهِ فَأَعْطَتْهُ مَا لَا يَدْرِي مَا هُوَ ، ثُمَّ إِنَّمَا أَتَمَّتْهُ
فِي جَارِيَةٍ لَهَا فَاحْتَجَبَتْ عَنْهُ ، فَلَمْ تَعُدْ إِلَيْهِ حَتَّى مَاتَ .

وَكَانَ طَوِيلًا جَمِيلَ الْوَجْهِ فَقَالَ أَبُو سَمِيدٍ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِيهِ .
وفيه قال الدَّارِمِيُّ أَيُّهَا السَّائِلُ الَّذِي يَخْبِطُ الْأَرْضَ .
وفيه يقول الدَّارِمِيُّ أَيضًا :

إِنَّ الطَّوِيلَ إِذَا حَلَّتْ بِهِ يَوْمًا كَفَاكَ مَوْوَنَةَ الثَّقَلِ
فَطَلَّتْ فِي دَعَةٍ إِلَى كَنْفٍ ^(١) رَحْبِ الْفِنَاءِ وَمَنْزِلِ سَهْلِ

(١) في غ : وحللت في دعة وفي كنف .

حضر أبو سعيد مجلس محمد بن عمران التيمي^(١) قاضي المدينة لأبي جعفر ، وكان
مقدمًا لأبي سعيد ؛ فقال له ابن عمران : يا أبا سعيد أنت القائل :

لقد طُفْتُ سَبْعًا قُلْتُ لَمَّا قَضَيْتُهَا أَلَا لَيْتَ هَذَا لَاعِلَى وَلَا لِيَا .

قال : إِي لَعْمَرُ أَبِيكَ ، وَإِنِّي لَأُذَمِّجُهُ إِذْ مَا جَا مِنْ لَوْلُو ، فَرَدَّ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ
شَهَادَتَهُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ . وَقَامَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ مَجْلِسِهِ مُغْضِبًا ، وَحَلَفَ أَلَّا يَشْهَدَ عِنْدَهُ .
فَأَنْكَرَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَلَى ابْنِ عِمْرَانَ رَدَّ شَهَادَتِهِ وَقَالُوا لَهُ : عَرَضْتَ حُقُوقَنَا لِلتَّوْبَى^(٢)
وَأَمَوْنَا اللَّتْفَ ؛ لِأَنَّ كُنَّا نَشْهَدُ هَذَا الرَّجُلَ لِعِلْمِنَا بِمَا كُنْتَ عَلَيْهِ وَالْقَضَاءُ قَبْلَكَ مِنْ
الثَّقَّةِ بِهِ وَتَقْدِيمِهِ وَتَعْدِيلِهِ ؛ فَندِمُ ابْنَ عِمْرَانَ عَلَى رَدِّ شَهَادَتِهِ ، وَوَجْهٌ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ حُضُورَ
مَجْلِسِهِ وَالشَّهَادَةَ عِنْدَهُ لِيَقْضِيَ بِشَهَادَتِهِ ؛ فَأَمْتَنَعَ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى حُضُورِ
مَجْلِسِهِ لِيَمِينٍ لَزِمَتْهُ إِنْ حَضَرَ حَنْثٌ . فَكَانَ ابْنُ عِمْرَانَ بَعْدَ ذَلِكَ ، إِذَا ادَّعَى عِنْدَهُ
أَحَدٌ شَهَادَةَ أَبِي سَعِيدٍ ، صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ أَوْ مَكَانِهِ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ مِنْهُ شَهَادَتَهُ
فِيُجِيزُهَا . وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ ، كَثِيرَ اللَّحْمِ ، عَظِيمَ الْبَطْنِ ، كَبِيرَ الْمَجْزِ ،
صَغِيرَ الْقَدَمَيْنِ ، دَقِيقَ السَّاقَيْنِ يَشُقُّ عَلَيْهِ الْمَشْيُ ، فَكَانَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ : اُنْعَبْنِي^(٣)
هَذَا الصَّوْتُ وَأَضْرَبْنِي إِضْرَابًا طَوِيلًا .

كَانَ الْمُطَّلِبُ بْنُ حَنْطَبٍ قَاضِيًا عَلَى مَكَّةَ ، فَشَهِدَ^(٤) أَبُو سَعِيدٍ [عِنْدَهُ] بِشَهَادَةِ
فَقَالَ : أَلَسْتَ الَّذِي تَقُولُ :

* لَقَدْ طُفْتُ سَبْعًا قُلْتُ لَمَّا قَضَيْتُهَا *

لَا قَبِيلَتُكَ لَكَ شَهَادَةٌ أَبَدًا . فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : نَعَمْ وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :

(١) في ت : الطلي ، والتصحيح من غ .

(٢) التوى : الهلاك .

(٣) في ت : ويعني والتصحيح من غ .

(٤) في ت : فاستشهد والتصحيح من غ .

كَأَنَّ وُجُوهَ الْحَنْطَبِيِّينَ ^(١) فِي الدَّجَى قَنَادِيلُ تَسْقِيهَا السَّلِيلُطَ الْهَيَاكِلُ
فَقَالَ الْحَنْطَبِيُّ : إِنَّكَ كَمَا عَلِمْنَا مَا عَلِمْنَاكَ إِلَّا دَبَّابًا حَوْلَ الْبَيْتِ فِي الظُّلَمِ مُدْمِنًا
لِلطَّوَافِ بِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَقَبِلَ شَهَادَتَهُ .

(وَلَا حَجَّ الرَّشِيدُ أَحْضَرَ أَبَا سَعِيدٍ ، وَقَالَ لَهُ : أُنشِدْنِي قَصِيدَتَكَ فِي بَنِي أُمَيَّةَ)
تَقُولُ أُمَامَةٌ لَمَّا رَأَتْ نُشُوزِي عَنِ الْمَضْجَعِ الْأَنْفَسِ
وَقِلَّةَ نَوْمِي عَلَى مَضْجَعِي لَدَى هَجَمَةِ الْأَعْيُنِ الثَّمَسِ
(فَغَنَاهُ لِحَنَّا لَهُ فِي أَبْيَاتِ مِنْهَا :

أَفَاضَ الْمَدَامَعَ قَتْلِي كُدَى وَقَتْلِي بِكُثُوبَةٍ لَمْ تُرْمَسِ
وَكَانَ الرَّشِيدُ مُغْضِبًا فَسَكَنَ غَضْبُهُ وَطَرِبَ ، فَقَالَ : أُنشِدْنِي الْقَصِيدَةَ ؛ فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ الْقَوْمَ مَوَالِيٍّ وَأَنْعَمُوا عَلَيَّ فَرَيْتَهُمْ وَلَمْ أَهْجُ أَحَدًا ، فَتَرَكَهُ)
وَهَذِهِ قَصِيدَةٌ لَهُ رَثَى بِهَا بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ مَوْلَاهُمْ ، حَدَّثَ الْحَزَنَ نَبْلُ ، قَالَ : كُنَّا
عِنْدَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَحَضَرَ مَعَنَا أَبُو هَفَّانٍ فَأُنشِدْنَا ابْنَ الْأَعْرَابِيَّ عَمَّنْ أَنْشَدَهُ فَقَالَ :
قَالَ ابْنُ أَبِي سُنَّةٍ ^(٢) الْعَبَلِيُّ :

أَفَاضَ الْمَدَامَعَ قَتْلِي كَذَا وَقَتْلِي بِكُبُوبَةٍ لَمْ تُرْمَسِ
فَغَمَزَ أَبُو هَفَّانٍ رَجُلًا وَقَالَ : قُلْ لَهُ : مَا مَعْنَى كَذَا ؟ قَالَ : يَرِيدُ كَثْرَتَهُمْ ؛ فَلَمَّا
قَتْنَا قَالَ لِي أَبُو هَفَّانٍ : أَسَمِعْتَ إِلَى هَذَا الْمُعْجَبِ الرَّقِيعِ هُوَ ابْنُ أَبِي سُنَّةٍ ^(٣) . وَصَحَّفَ
فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مَوْضِعَيْنِ فَقَالَ : قَتْلِي ^(٤) كَذَا وَقَتْلِي بِكُبُوبَةٍ ^(٥) ؛ وَأَغْلَظُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يُفَسِّرُ
تَصْحِيفَهُ بِوَجْهِهِ وَقَاحٍ .

(١) الحنطبيون : بطن من مخزوم ، ينسبون إلى حنطب بن الحارث .

(٢) في ت : الأشبه « تحريف » .

(٣) في ت : أشبه « تحريف أيضا » :

(٤) في ت : فتي « تحريف » .

(٥) في ت : بلبوة « تحريف » .

وهذا الشعر يَقُولُهُ أَبُو عَدِيٍّ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الْعَبْدِيِّ فِيمَنْ قَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ
بِنَهْرِ أَبِي فُطْرُسٍ (١) وَفِيمَنْ قَتَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ بَعْدَهُمْ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ . وَمِنْ
الْقَصِيدَةِ :

أَفَاضَ الْمَدَامِيعَ قَتَلَى كَدَا وَقَتَلَى بِكُتُوَّةٍ (٢) لَمْ تُرْمَسِ
وَقَتَلَى بَوَّجٍ وَبِاللَّابَتِي مِنْ (٣) مَنْ يَثْرِبُ خَيْرُ مَا أَنْفَسِ
وَبِالزَّائِبِينَ (٤) نَفُوسٌ ثَوَتْ وَأُخْرَى بِنَهْرِ أَبِي فُطْرُسٍ (٥)
أَوْلَيْتُكَ قَوْمِي أَنْأَخْتُ بِهِمْ نَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَعِسِ
إِذَا رَكَبُوا زَيْنُوا الْمُوكِبِينَ وَإِنْ جَلَسُوا الزَيْنُ فِي الْمَجْلِسِ
هَمْ أَضْرَعُونِي لِزَيْبِ الزَّمَانِ وَهَمْ أَلْصَقُوا الرِّغْمَ فِي الْمَعِطَسِ (٦)

ولما استمرت الهزيمة بمر وان أيام عبد الله بن علي بالرقّة وأخذ أخوه عبد الصمد
في طلبه [فصار] (٧) إلى دمشق وأتبعه جيشاً عليهم أبو إسماعيل عامر الطويل من قواد
خراسان ، فلاحقه ، وقد جاز مصر في قرية تدعى أبو صير (٨) فقتله ووجهه برأسه
إلى عبد الله بن علي ، فأثمه عبد الله إلى أبي العباس السّفّاح ؛ فلما وُضِعَ بين يديه خراً
ساجداً لله تعالى ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرتني بك ،

(١) في ت : قرطس « تحريف » .

(٢) في ت : بكنوة « تحريف » .

(٣) في ت : وبالإنس « تحريف » .

(٤) في ت : وبالرامتين « تحريف » .

(٥) في ت : قرطس « تحريف » ونهر أبي فطرس : نهر قرب الرملة من أرض فلسطين

على اثني عشر ميلاً من الرملة .

(٦) في غ : بالمعطس .

(٧) ساقطة من (ت) والتكلمة من غ .

(٨) في غ : بوضير .

ولم يُبقِ ثأري قبلك وقيل رهطك أعداء الدين ، وتمثل بقول ذي الإصمِع
العدواني :

لو يَشْرَبُونَ دَمِي لم يُرَوْ شَارِبَهُمْ ولا دِمَاؤُهُم لِلغَيْظِ تُرْوِينِي
نَظَرَ عبد الله بن عليٍّ إِلَى فَتَى عَلَيْهِ أُبْهَةٌ الشَّرْفِ وهو يقاتل مُسْتَقْعِلًا^(١) ،
فناداه : يا فتى لك الأمانُ ولو كُنْتَ مروان بن محمد ؛ فقال : إِلَّا أَكُنْهُ فَلَسْتُ
بِدُونِهِ ؛ قال : فلك الأمانُ ولو كُنْتَ مَنْ كُنْتُ ؛ فأطرق ملياً ثم قال :
أَذَلَّ الحَيَاةِ وَكُرَّهَ المَمَاتِ وَكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا^(٢)
فإن لم يَكُنْ غيرُ إحداهما فَسَيَّرًا^(٣) إلى الموتِ سَيْرًا جَمِيلًا
ثم قاتل حتى قتل ، فإذا هو ابن مَسْلَمَةَ^(٤) بن عبد الملك .

(١) في غ : مستتلا ، والمستنل : الخارج من الصف المتقدم على أصحابه .

(٢) في غ : وكلا أرى لك شرأ وبيلا .

(٣) في ت : فسيري .

(٤) في النجوم الزاهرة ١ / ٢٥٨ : فإذا هو محمد بن عبد الملك ، وقيل : ابن لسلمة بن عبد

الملك بن مروان بن الحكم .

إبراهيم بن هرمة

(هو إبراهيم بن علي بن سلمة^(١) بن عامر بن هرمة بن الهديل بن ربيع بن عامر ابن صبيح^(٢) بن عدي بن قيس بن الحارث بن فهر - وفهر أصل قريش ، وقيس ابن الحارث هو الخليج ، وكانوا في عدوان ، ثم انتقلوا عنه إلى بني نصر بن معاوية ابن بكر بن هوازن . فلما استخلف عمر رضي الله عنه أتوه ليفرض لهم ، فأنكر نسبهم ؛ فلما استخلف عثمان رضي الله عنه أتوه فأثبتهم في بني الحارث بن فهر وجعل معهم لهم ديوانا . وسُموا الخليج لأنهم نزلوا بالمدينة على خليج ، فسُموا بذلك ، ولهم بالمدينة عدد .

قال عبد الله^(٣) بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر : زرت عبد الله بن حسن بياديته وزاره ابن هرمة ، فجاءه رجل من أسلم ؛ فقال ابن هرمة لعبد الله ابن حسن : أصلحك الله ، سل الأسلمي أن يأذن لي أن أخبرك خبري وخبره ، فقال له عبد الله بن حسن : ائذن له ، فأذن له الأسلمي ؛ فقال إبراهيم بن هرمة : خرجت أبنعي ذودا^(٤) لي فأوحشت^(٥) هدا الأسلمي ، فذبح لي شاة وخبز لي خبزاً وأكرمني ، ثم عدت من عنده ، فأقمت ما شاء الله ، ثم خرجت أيضا في بغاء ذود لي ، فأوحشت فقلت : لو ضفت الأسلمي ! فمليت إليه فجاءني بلبن وتمر ، ثم خرجت من بعد ذلك فقلت : لو ضفت الأسلمي ! فاللبن والتمر خير من

(١) في ت : مسلمة .

(٢) في ت : صبح .

(٣) في ت : عبيد الله .

(٤) الذود : القطيع من الإبل من الإبل من الثلاث إلى التسع .

(٥) جعت ونقد زادي .

الطوى فجاءني بلبن حامض . فقال الأسلمي : قد أجبتُهُ إِلَى ما سَأَلَ ، فاسأله أَنْ يَأْذَنَ لِي أَنْ أُخْبِرَكَ لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ فقال : ائْذَنْ لَهُ ؛ فَأَذِنَ ، فقال الأسلمي : ضا فِئِي ، فسألتُهُ مِنْ هُوَ ؟ فقال : رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فذَبَحْتُ لَهُ الشَّاةَ الَّتِي ذَكَرَ ، ووالله لو كان لي غَيْرُها لَدَبَحْتُها حينَ ذَكَرَ أَنَّهَ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثمَّ غَدَا مِنْ عِنْدِي وَغَدَا عَلَى الحَيِّ ، فقالوا : مَنْ كانَ ضَيْفَكَ البَارِحَةَ ؟ فقلتُ : رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ؛ فقالوا : لَيْسَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَلَكِنَّهَ دَعَى فِيها ، فَأَضًا فِئِي الثَّانِيَةَ عَلَى أَنهَ دَعَى فِي (١) قُرَيْشٍ ، فحِثُّهُ بِلَبْنٍ وَتَمْرٍ وَقُلْتُ : دَعَى فِي قُرَيْشٍ حَيْثُ مِنْ غَيْرِهِ ؛ ثمَّ غَدَا مِنْ عِنْدِي وَغَدَا عَلَى الحَيِّ ، فقالوا : مَنْ كانَ ضَيْفَكَ البَارِحَةَ ؟ قلتُ : ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي زَعَمْتَ أَنَّهَ دَعَى فِي قُرَيْشٍ ؛ فقالوا : لا والله ما هُوَ دَعَى فِي قُرَيْشٍ ، وَلَكِنَّهَ دَعَى أُدْعِيَاءَ قُرَيْشٍ فَقَرَيْتُهُ الثَّالِثَةَ : لَبْنًا حَامِضًا (٢) . ووالله لو كانَ عِنْدِي شَرٌّ مِنْهُ لَقَرَيْتُهُ إِياهُ . قال : فَاَنْخَذَلِ ابْنَ هَرْمَةَ ، وَضَحِكْنَا مِنْهُ .

وكان ابنُ هَرْمَةَ مشتهراً بالنَّبِيذِ مَدْمِناً لَهُ فَاتَى أَبَا عَمْرٍو بْنِ أَبِي رَاشِدٍ (٣) فَأَكْرَمَهُ وَسَقَاهُ أَيَّاماً ثَلَاثَةً (٤) ؛ فدعا ابنُ هَرْمَةَ بالنَّبِيذِ ، فقال لَهُ غلامُ أَبِي عَمْرٍو : لِمَ يَبِيقُ عِنْدَنَا مِنْهُ شَيْءٌ ، فَزَعَّ ابْنُ هَرْمَةَ رِداً عَنْ ظَهْرِهِ وَقَالَ لِلغلامِ : اذْهَبْ إِلَى ابْنِ حَوْقَلِ (٥) (نَبَأٌ بِالْمَدِينَةِ) فَارْهَنْهُ عِنْدَهُ وَأَتِنَا بِنَّبِيذٍ ففعل . وجاء ابنُ أَبِي رَاشِدٍ (٦) ، فجعل يشرب معه مِنْ ذَلِكَ النَّبِيذِ ، ثمَّ قال لَهُ : أَيْنَ رِداؤُكَ يا أبا إِسْحاقَ ؟ فقال : أَلَمْ يَكْ نِصْفُهُ فِي بَطْنِكَ وَنِصْفُهُ فِي القَدَحِ .

(١) في ت : من .

(٢) في ت : جامعا « تحريف » .

(٣) في ت : أبا عامر بن راشد . وصحته من غ .

(٤) في ت : ثلاثا .

(٥) في غ : ابن حوقل .

(٦) في ت : ابن راشد .

ووفد ابن هرمة على عبد الله بن حسن وهو بالسيالة^(١)، فأثدده مديحا له ،
فقام عبد الله إلى غم له ، فرمى بساجة^(٢) عليها فتفرقت فرقتين ، قال : فاختر
أيهما شئت ؟ قال : فإمّا أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة عن
الأخرى ، وكانت ثلاثمائة . وكتب له إلى المدينة بدنا نير ، وقال له : يا ابن هرمة ،
انقل عيالك إلينا يَكُونُوا مع عيالنا ، قال : أفعل ، ثم قدم المدينة وجّه عياله
لينقلهم إلى عبد الله بن حسن ، فبينما هو قد أكثرى وجمع متاعه وحمله والكرى^(٣)
ينظره أن يتحمل ، إذ أتاه صديق له ، فقال له يا أبا إسحاق ، عندى نبيذ يسقط
غم^(٤) الوجه ، فقال : ويحك ! أما ترانا على مثل هذه الحال ! [أعليها]^(٥) يمكن الشراب !
فقال : إنما هي ثلاثة لا تزيد عليهن ، فمضى معه وهم وقوف ينتظرونه^(٦) ، فلم
يزل يشرب حتى مضى من الليل صدر صريح ، ثم أتى به وهو سكران ، فطرح
في شقّ الحِمْل وعادلتته^(٧) امرأته ومضوا^(٨) ، فلما أسحروا رفع رأسه فقال : أين
أنا ؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه وتمذّله ، وقالت : قد أفسد عليك النبيذ دينك
ودنياك ، فلو تعلمت عنه بالألبان ! فرفع رأسه إليها وقال :
لا تبتغي لبن البعير وعندنا ماء الزبيب ونأطف المعصار

(١) موضع قرب المدينة .

(٢) واحدة الساج ؛ وهو نوع من الخشب .

(٣) الكرى : السكرى .

(٤) في غ : لحم .

(٥) زيادة من غ بها يستقيم المعنى .

(٦) في غ : ينظرون .

(٧) في ت : عدلته .

(٨) في ت : ومضى .

(ومدح ابنِ هَرَمَةَ أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم ؛ فقال : لا تقع مني هذه ، قال : ويحك ! إنها كثيرة ، قال : إن أردت أن تهنيئني فأبسط لي الشراب فإني مغرمٌ به ؛ فقال له : ويحك ! هذا حدثٌ من حدود الله عز وجل ! قال : احتل يا أمير المؤمنين ، قال : نعم . فكتب إلى وإلى المدينة : من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة مَفْرَعَة واضرب ابنَ هَرَمَةَ ثَمَانِينَ ، قال : فجعل الجَلَوَازُ (١) إذا مرَّ بابن هَرَمَةَ سكران يقول : من يشتري الثمَّانِينَ بِمِائَةٍ

حدث ابنُ رُبَيْحٍ (٢) راوية ابن هَرَمَةَ قال : أصاب ابن هَرَمَةَ أزمَةٌ ، فقال لي في يوم حارٍّ : اذهب فتكار لي حمارين إلى ستة أميال ، ولم يسم الموضع ، فركب واحداً وركبت واحداً ، وسرنا إلى قصور حسن بن زيد بيطحاء ابن أزهَر ، فدخلنا مسجده ، فلما مالت الشمس خرج علينا مُسْتَمِلًا على قيصه ، فقال لمولاه : أذن ، فأذن ولم يُكَلِّمْنَا كَلِمَةً وَاحِدَةً ، ثم قال : أقم ، فأقام فَصَلَّى بِنَا ، ثم أقبل على ابن هَرَمَةَ فَقَالَ : مرحبا بك أبا إسحاق ، حاجتك ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأُمِّي أبيات قلتها ، وقد كان عبد الله وحسن وإبراهيم بنو حسن وعدوه شيئاً فأخلفوه . قال : هاها ، فأنشد :

أما بنو هاشمٍ حَوَّلِي فَقَدْ قَرَعُوا (٣)
فأبيثرب (٦) منهم من أعاتبه
اللهُ أعطاك فضلاً من عطيتيه
نبل الضباب (٤) التي جمعت في قرن (٥)
إلا عوائد أرجوهن من حسن
على هنٍ وهنٍ فيما مضى وهنٍ

(١) في ت : الجوار « تحريف »

(٢) في ت : زببح (تحريف) .

(٣) في ت : عرفوا .

(٤) في ت : قبلي الصياب « تحريف » .

(٥) في ت : قوني « تحريف » .

(٦) في ت : يشرب « تحريف » .

قال : حَاجَتَكَ ! قال : لابن مُضَرَّسٍ ^(١) عَلَيَّ حَمْسُونَ وَمِائَةٌ دِينَارٌ ؛ فقال لمولى له يقال له هَيْثِمٌ : اركب هذه وأتني بابن مُضَرَّسٍ وذِكْرِي حَقَّهُ ^(٢) . قال : فما صَلَّيْنَا العَصْرَ حتى جاء به ؛ فقال : مَرَّحِبًا بِكَ يَا ابن مُضَرَّسٍ ، أَمَعَكَ ذِكْرُ حَقِّكَ علي ابن هَرْمَةَ ؟ قال : نعم ، قال : فامحُه ، فمحاها . ثم قال : يا هَيْثِمُ ، بيع ابن مُضَرَّسٍ من عَمْرِ الخَلْقَيْنِ مِائَةٌ وَخَمْسِينَ دِينَارًا ، وزِدْهُ في كُلِّ دِينَارٍ رُبْعَ دِينَارٍ ، وِكلِ ابنِ هَرْمَةَ مِائَةٌ وَخَمْسِينَ دِينَارًا ، وِكلِ ابنِ رُبَيْحٍ ^(٣) بثلاثين دِينَارًا . ثم انصرفنا من عنده فَلقِينَا مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بالسَّيَّالَةِ ، وقد بلغه الشَّعْرُ ، فغَضِبَ لأبيه وَعُموَّمَتِهِ ، فقال : يا مَاصَّ بَطْرُ أُمَّه ! أنت القائل :

* علي هَنٍ وَهَنٍ فيمَا مَضَى وَهَنٍ *

قال : لا ، ولكني القائل :

لَا وَالذِي أَنْتَ مِنْهُ نِعْمَةٌ سَلَفَتْ	نَجُو عَوَاقِبَهَا فِي آخِرِ الزَّمَنِ
لَقَدْ أُتِيَتْ بِأَمْرٍ مَا عَمِدَتْ لَهُ	وَلَا تَعَمَّدَهُ قَوْلِي وَلَا سَدَنِي
وَكَيْفَ أَمْشِي مَعَ الْأَقْوَامِ مُعْتَدِلًا	وَقَدِ رَمَيْتُ بَرِيءَ الْعُودِ بِالْأَبْنِ
مَا غَيَّرَتْ وَجْهَهُ أُمَّ مَهْجَنَةٌ	إِذَا الْقِتَامُ تَغَشَّى أَوْجُهَ الْهَجْنِ
وَأُمُّ الْحَسَنِ أُمَّ وَلَدٍ .	

ولما قالَ هَذَا الشَّعْرُ في الحَسَنِ بنِ زَيْدٍ قالَ عَبْدُ اللَّهِ بنِ حَسَنِ : وَاللَّهِ ما أَرَادَ الفَاسِقَ غَيْرِي وَغَيْرَ أَخَوَيْ : الحَسَنِ ^(٤) وَإِبْرَاهِيمَ . وكانَ عَبْدُ اللَّهِ يُجْرِي علي ابنِ هَرْمَةَ رِزْقًا فَقطَعَهُ عَنْهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ؛ فَأَتَاهُ يَمْتَدِّرٌ فَنُحِّي وَطُرِدَ ؛ وسألَ رِجَالًا أَنْ يُكَلِّمُوهُ

(١) في ت : لابن مضرس .

(٢) ذكر حقه : الصك الذي يكتب فيه الدين .

(٣) في ت : زبنح « تحريف » .

(٤) في غ : حسن .

فيه فردّم وأيسَ مِنْ رِضَاهُ فَاجْتَنَبَهُ وَخَافَهُ ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ مَرَّ عَشِيَّةً وَعَبَدُ اللَّهِ عَلَى زَرْبِيَّةٍ فِي مَمَرٍ^(١) الْمُنْبَرِ وَلَمْ تَكُنْ تُبَسِّطُ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ تَضَاعُلَ وَتَصَاغَرَ وَأَسْرَعَ الْمَشَى ، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ رَقَّ لَهُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : يَا فَاسِقُ ، يَا شَارِبَ الْخَمْرِ عَلَى هَنْ وَهَنْ أَنْفَضِلْ الْحَسَنَ عَلَيَّ وَعَلَى أَخَوَيَّ ! فَقَالَ : يَا أَبَى أَنْتَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ وَرَبُّ الْقَبْرِ مَا عَنَيْتُ إِلَّا فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ ، أَنْتَغَضِبَ لَهُمْ ! فَضَحِكَ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا كَاذِبًا . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُكَ . فَأَمَرَ بِأَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِ جِرَائَتُهُ .

وَذَكَرَ عَامِرُ بْنُ صَالِحٍ لِابْنِ هَرْمَةَ قَصِيدَةً نَحْوَ أَرْبَعِينَ بَيْتًا لَيْسَ فِيهَا حَرْفٌ يُعْجَمُ وَذَكَرَ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْهَا ؛ وَلَمْ أَجِدْ^(٢) هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي شِعْرِ ابْنِ هَرْمَةَ ، وَلَا كُنْتُ أَظُنُّ أَحَدًا تَقَدَّمَ رُزِينًا الْعَرُوضِيَّ إِلَى هَذَا الْبَابِ ، وَهِيَ فِي رِوَايَةِ الْأَصْمَعِيِّ وَابْنِ السَّكَيْتِ اثْنَا عَشَرَ بَيْتًا ، وَلَيْسَ فِيهَا حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْعُجْمِ إِلَّا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ الْكُتَّابُ مِنْ تَصْيِيرِهِمُ الْأَلْفَ مَكَانَ الْيَاءِ مِثْلَ أَعْلَى ، فَإِنَّهَا فِي اللَّفْظِ بِالْأَلْفِ وَنَحْوِ هَذَا :

مُعْطَلًا^(٤) رَدَّهُ الْأَحْوَالُ كَالْحَلَلِ
رَامَ الصُّدُودَ وَعَادَ الْوُدَّ كَالْمُهْلِ
وَلَوْ دَعَاكَ طَوَالَ الدَّهْرِ لِلرَّحْلِ
أَحَلَّهَا الدَّهْرُ دَارًا مَا كَلَّ الْوَعْلِ
سَهْمٌ دَعَا أَهْلَهَا لِلصَّرْمِ وَالْعَلْلِ

أَرَسَمُ سَوْدَةَ أَمْسَى^(٣) دَارِسَ الطَّلَلِ
لَمَّا رَأَى أَهْلَهَا سَدُّوا مَطَالِمَهَا
وَعَادَ وَذُكِّ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ
مَا وَصَلُ سَوْدَةَ إِلَّا وَصَلُ صَارِمَةَ
وَعَادَ أَمْوَاهُهَا سُدْمًا وَطَارَ لَهَا

(١) فت : مرير « تحريف » .

(٢) فت : توجد .

(٣) فت : محل .

(٤) فت : معطل .

وَحَامَ لِلرَّيْدِ رَدَّهَا حَوْمَةَ الْعِلَلِ
 مَا مَاءَ رَدَّهِ لَعَمْرُؤُ اللَّهِ كَالْعَسَلِ
 لَمَّا دَعَاهُ رَأَى طَامِحَ الْأَمْسَلِ
 وَمُرْغُ السَّرَّ سَهْلٌ مَا كِدُّ السَّهْلِ
 وَالصَّرْمُ دَا لَأَهْلِ اللَّوْعَةِ الْوُضَلِ
 وَاللَّهُ أَعْطَاكَ أَعْلَى صَالِحِ الْعَمَلِ
 مُسَوِّدٌ لِكِرَامٍ سَادَةِ خُضَلِ

صَدَّوْا وَصَدَّ وَسَاءَ الرَّءِ صَدُّهُمْ
 وَحَلَّوْهُ رِدَّاهَا مَاؤُهَا (١) عَسَلِ
 دَعَا الْحَمَامُ حَمَامًا سَدَّ مَسْمَمَهُ
 طُمُوْحٌ سَارِحَةٌ حَوْمِ (٢) مُلَمَّمَةٌ
 وَحَاوَلُوا رَدَّ أَمْرٍ لَا مَرَدَّ لَهُ
 أَحَلَّكَ اللَّهُ أَعْلَى كُلِّ مَكْرَمَةٍ
 سَهْلٌ مَوَارِدُهُ سَمَّحٌ مَوَاعِدُهُ

كان السُّورِيُّ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخَزْوَمِيُّ يَعْيبُ شِعْرَ ابْنِ هَرْمَةَ وَكَانَ السُّورِيُّ

عَالِمًا بِالشَّعْرِ وَالنَّسَبِ فَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ فِيهِ :

نِكَلًا يُنَكِّلُ قَرَّاصًا عَلَى (٣) اللُّجَمِ
 مَشَى الْمُقَيْدُ ذِي الْقِرْدَانِ وَالْحَلَمِ
 إِلَى وَاسْتَحْصَدَتْ مِنْهُ قُوَى الْوَدَمِ
 طَوْقَ الْحَمَامَةِ لَا يَبْسِلِي عَلَى الْقِدَمِ
 كَفَّأى لَكِن لِسَانِي صَائِعُ الْكَلِمِ
 جَهْلًا لِنُو نَفَلٍ بَادٍ وَذُو حَلَمِ
 أَيَّدِي الْخَوَالِقِ إِلَّا جَيْدَ الْأَدَمِ (٥)

إِبَّاكَ لَا الزَّمَنُ لِحَيْمِيكَ مِنْ لُجْمِي
 يَدُقُّ لِحَيْمِيكَ أَوْ تَنْقَادَ مُتَّبِعًا
 إِنِّي إِذَا مَا أَمْرُوْ حَفَّتْ نَعَامَتُهُ
 عَقَدْتُ فِي مُلْتَقَى أوداجِ لَبْتِهِ
 إِنِّي أَمْرُوْ لَا أَصُوغُ الْحَلِي تَمَمَلَهُ (٤)
 إِنَّ الْأَدِيمَ الَّذِي أَمْسَيْتَ تَقَرُّظُهُ
 وَلَا يَطُطُّ بِأَيْدِي الْخَالِقِينَ وَلَا

(١) فت : ماؤه .

(٢) فت : حول .

(٣) فت : من .

(٤) فت : تعلقه « تحريف » .

(٥) فت : الألم « تحريف » .

قال ابن هرمة : ما رأيت أسخى ولا أكرم من رجلين : إبراهيم بن عبد الله ابن مطيع ، وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله ^(١) بن ميمر . أمّا إبراهيم ابن طلحة فأتيته فقال : أحسنوا ضيافة أبي إسحاق ، فأتيت بكلّ شيء من الطعام ، فأردت أن أنشده ؛ فقال : ليس هذا وقت الشعر . ثم أخرج إلى الغلام رقعة فقال : التّق ^(٢) بها الوكيل ، فأتيته بها ؛ فقال : إن شئت أعطيتك القيمة ؛ فقلت : وما أمر لي به ؟ قال : مائتا شاة برغيانها ^(٣) ، وأربعة أجمال ، وغلّام جمال ، ومظلة وما تحتاج إليه ، وقوتك وقوت عمالك سنة ؛ فقلت : أعطني القيمة فأعطاني مائتي دينار .

وأمّا إبراهيم بن عبد الله فأتيته في منزله على إثر الوليد بن عثمان ، فدخل منزله ، ثم خرج إلى برزمة ^(٤) فيها ثياب وحلي وصرّة دراهم وصرّة دنانير ، ثم قال : والله ما أبقينا في منزلنا ثوباً إلا ما تنواري به امرأة ولا حلياً ولا ديناراً ولا درهماً .

بيننا محمد بن عبد العزيز الزهري هو وابن هرمة إذ مرّت بهم إبل لمحمد بن عمران تحمّل علفاً ، فقال محمد بن عبد العزيز لابن هرمة : يا أبا إسحاق ، ألا تستعلم محمد بن عمران ! وهو يريد أن يعرضه لمنعه فيجوه ؛ فأرسل ابن هرمة رسولا حتى وقف على باب ابن عمران ، فأبلغه رسالته ؛ فردّ عليه الجمال بما عليها ، وقال : إن احتجت إلى شيء زدناك ، فأقبل ابن هرمة على محمد بن عبد العزيز وقال : اغسلها عني ، فإنه إن علم أنّي استعلمته ولا دابة لي وقعت منه

(١) فت : طلحة بن عمرو بن عبيد الله .

(٢) فت : اثت .

(٣) فت : برعائها .

(٤) فت : ثم أخرج لي رزمة . . .

في سَوْءَةٍ ، قال : بماذا ؟ قال : نُعْطِيَنِي حِمَارَكَ ، قال : هُوَ لَكَ بِسُرْجِهِ وَلِجَامِهِ ،
فقال ابنُ هَرَمَةَ : من حَفَرَ لِأَخِيهِ حَفِيرَةً سَوْءَ وَقَعَ فِيهَا ^(١) .
حَدَّثَ ابْنُ أَبِي زُرَيْقٍ ^(٢) وَكَانَ مُنْقَطِعًا إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَكَانَ مِنْ أُرْوَى
النَّاسِ قَالَ :

كُنْتُ مَعَ السَّرِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِالْيَمَامَةِ ، وَكَانَ يَتَشَوَّقُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَرَمَةَ
وَيُحِبُّ أَنْ يَفِدَّ عَلَيْهِ ، فَأَقُولُ ^(٣) : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَكْتَبَ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ
يُكَلِّفَنِي مِنَ الْمَوْوَنَةِ مَا لَا أُطِيقُ ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ إِلَى ابْنِ هَرَمَةَ بِذَلِكَ ، فَيَكْرَهُ أَنْ
يَفِدَّ إِلَيْهِ ^(٤) إِلَّا بِكُتَابٍ مِنْهُ ، ثُمَّ غَلِبَ فَشَخَّصَ إِلَيْهِ ، فَنَزَلَ عَلَيَّ وَمَعَهُ رَأْوِيَتُهُ ابْنِ
رُبَيْحٍ ^(٥) ، فَقُلْتُ : مَا مَنَعَكَ مِنَ الْقُدُومِ عَلَى الْأَمِيرِ . وَهُوَ مِنَ الْحَرُصِ عَلَى قُدُومِكَ عَلَى
مَا كَتَبْتُ بِهِ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الَّذِي مَنَعَهُ مِنَ الْكِتَابِ إِلَيَّ . فَدَخَلْتُ عَلَى السَّرِيِّ
فَأَخْبَرْتُهُ بِمَقْدَمِهِ فَسُرَّ بِذَلِكَ ، وَجَلَسَ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًا ، ثُمَّ أَذِنَ لِابْنِ هَرَمَةَ
فَدَخَلَ وَمَعَهُ ابْنُ رُبَيْحٍ رَأْوِيَتُهُ . وَكَانَ ابْنُ هَرَمَةَ قَصِيرًا دَمِيًّا ، وَكَانَ ابْنُ رُبَيْحٍ
طَوِيلًا جَسِيًّا ^(٦) بَهِيًّا الثِّيَابِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ السَّرِيُّ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي قَدْ قَلْتُ شِعْرًا
أَثْنَيْتُ فِيهِ عَلَيْكَ ، قَالَ : أَنْشُدْ ، فَقَالَ : هَذَا يُنْشَدُ ، وَجَلَسَ فَانْشَدَهُ ابْنُ رُبَيْحٍ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي هِيَ :

عُوجًا عَلَى رُبْعٍ لَيْلَى أُمَّ مُحَمَّدٍ كَمَا نُسَائِلُهُ مِنْ دُونَ عَبُودٍ

(١) في غ : من حفر حفرة سوء وقع فيها .

(٢) في غ : ابن زريق .

(٣) في ت : لايه .

(٤) في غ : يقدم عليه .

(٥) في ت : زبيح « تحريف » .

(٦) في غ : نقي .

عن أم محمود إذ شطَّ الزَّارُ بِهَا
 فمرَّ جَا بعدَ تَطْوِيلٍ (١) وقد وقتت
 من يتمدك ابن عبد الله مُجْتَدِيَا
 يا ابن الأَسَاةِ الشُّفَاةِ السُّتَغَاثِ بِهِمِ وَالْمَطْعَمِينَ ذُرَى الكُومِ المَقَاحِدِ (٢)
 والسَّابِقِينَ إِلَى الخَيْرَاتِ قَوْمَهُمْ
 سَبَقَ الجِيَادِ إِلَى غَايَاتِ القُودِ
 أنت ابن مسلَّطِ البَطْحَاءِ مَنِيَّتِكُمْ
 بِطْحَاءِ مَكَّةَ لَارُوسُ القِرَادِيدِ (٣)
 لَكُمْ سِقَاتِيهَا قَدَمًا وَنَدْوَتُهَا
 قَدْ حَازَهَا وَالِدٌ مِنْكُمْ لِمُولُودِ
 وأنشد أيضا:

أَفِي طَلَلٍ قَفَرٍ تَحَمَّلَ آهْلُهُ
 وَقَفَتَ وَمَاءَ العَيْنِ يَنْهَلُ (٥) هَامِلُهُ
 تَسَائِلُ عَنْ سَلَمَى (٦) سَفَاهَا وَقَدْ نَأَتْ (٧)

بِسَلَمَى نَوَى شَحْطُ فَكَيْفَ (٨) تَسَائِلُهُ

فَقُلْ لِلسَّرِيِّ الوَاصِلِ البَرِّذِيِّ النَّدِيِّ (٩)

مَدِيحًا إِذَا مَا بُتَّ صُدُقَ قَائِلُهُ

جَوَادُ عَلَى العِلَاتِ يَهْتَرُ لِلنَّدِيِّ كَمَا اهْتَرَّ عَضْبٌ أَخْلَصْتَهُ صِيَاقِلُهُ

(١) في غ : تفوير .

(٢) في ت : بالسبت « تحريف » .

(٣) ذروة كل شيء : أعلاه ، والكوم جمع كواء ، وهي الناقة الضخمة السنام ، وكذلك

المفجاء .

(٤) المسلطح : المتسع . والقراديد جمع قردود ؛ وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ .

(٥) في ت : ينسل .

(٦) في ت : أسائل عن ليلي .

(٧) في ت : فأت .

(٨) في ت : وكيف .

(٩) في ت : بالندی .

نَفَى الظُّلْمَ عَنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ عَدْلُهُ
فَمَاشَاوَزَّاحَ (١) الظُّلْمَ عَنْهُمْ وَبَاطِلُهُ
وَنَامُوا بِأَمْنٍ بَعْدَ خَوْفٍ وَشِدَّةٍ
بَسِيرَةٍ عَدْلٍ مَا تُخَافُ غَوَائِلُهُ
وَقَدْ عَلِمَ الْمَرْوِيُّ أَنَّكَ خِدْنُهُ
وَيَعْلَمُ هَذَا الْجَوْرُ (٢) أَنَّكَ قَاتِلُهُ
وَأَنْتَ تُرْجَى لِلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَتَنْفَعُ ذَا الْقُرْبَى لَدَيْكَ (٣) وَسَائِلُهُ

وأنشده أشياء أخر . فلما فرغ ابن رُبَيْح قال السَّرِيُّ لابن هَرَمَةَ : مرحباً بك يا أبا إسحاق ، ما حاجتُك ؟ قال : جئتُك عبداً مملوكاً ، قال : لا ! بل خُراً كريماً وابن عم ، فما ذاك ؟ قال : ما تركتُ لي مالاً إلاَّ أرهنتُهُ ، ولا صديقاً إلاَّ كلفته ، فقال له السري : وما دينُك ؟ قال : سبعمائة دينار ، قال : قد قضاها الله عنك . قال : فأقام أياماً . ثم قال له : قد اشتقتُ ، فقال له : قل شعراً تشوقُ فيه . فقال قصيدته التي يقول فيها :

إِنَّ الْحَمَامَةَ (٤) فِي نَخْلِ ابْنِ هَدَاجِ
هَاجَتْ صَبَابَةً عَانِي الْقَلْبِ مُهْتَاجِ
أَمَّا السَّرِيُّ فَإِنِّي سَوْفَ أَمْدَحُهُ
مَا الْمَادِحُ الذَّاكِرُ الْإِحْسَانَ كَالْهَاجِ
ذَلِكَ الَّذِي هُوَ بَعْدَ اللَّهِ أَنْقَذَنِي
فَلَسْتُ أَنْسَاهُ إِنْقَازِي وَإِخْرَاجِي
لَأَحْبُبُونَكَ (٥) مِمَّا أَصْطَفِي مِدْحًا
مُصَاحِبَاتٍ لِعُمَارٍ وَحُجَّاجِ
أَسْدَى الصَّنِيعَةَ مِنْ رِيٍّ وَمِنْ لَطْفِ
إِلَى قَرُوعِ بَابِ الْمَلِكِ وَالْأَجِ
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ فِي الْأَقْوَامِ قَدْ سَلَفَتْ
عِنْدَ أَمْرِي ذِي غِنَى أَوْ عِنْدَ مُحْتَاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار ، ومائة دينار يتجهزُ بها ، ومائة دينار يُعرضُ بها أهله ،

(١) زاح الظلم واتزاح : ذهب .

(٢) في غ : الجوع .

(٣) في ت : إليك .

(٤) في غ : الحمامة .

(٥) في ت : لأن حبوتك .

ومائة دينار ينفقها إذا قدم على أهله . قوله : يعرض بها أهله أى يهدي لهم هدية ،
والمرأسة الهدية .

ولما قال ابن هرمة :

ومهما ألام على حبيهم فإني أحب بني فاطمة
بني بنت من جاء بالمحكما ت والدين^(١) والسنة القائمة

لقيه رجل بمد ذلك فسأله من قائل :

* ومهما ألام على حبيهم *

فقال : من عَصَّ بَطْرَ أمه ؟ فقال له ابنه : يا أبت ، ألسنت قائلها ؟ قال : بلى ؛
قال : فلم شتمت نفسك ؟ قال : أليس عَصَّ المرءُ بَطْرَ أمه خيرٌ له من أن يأخذه ابنُ
قَحْطَبَةِ^(٢) .

جاء ابن هرمة إلى رجل يسوق النبط معه زوجته وابنتان له كأنهما ظبيتان بمال
فدفعه إليه وكان يشتري لهم طعاماً وشرباً ، فأقام ابن هرمة مع ابنتيه حتى خفَّ
ذلك المال ؛ وجاء قوم آخرون معهم مال ؛ فأخبروا بمكان ابن هرمة ؛ فاستنقلوه وكرهوا
أن يعلم بهم ؛ فأمر الرجل ابنتيه فقالتا : يا أبا إسحاق : أما دريت ما الناس فيه ! قال
وما هم فيه ؟ قالتا : زلزل بالروضة [فتماقلهما ، ثم جاء أبوهما متمازعا فقال : أى أبا إسحاق ،
الاتفرع لما الناس فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قال : زلزل بالروضة] قال : قد جاءكم إنسان
ومعه مال ، وقد فرغ^(٤) ما جئتمكم به وثقلت عليكم^(٥) ، فأردت إدخاله وإخراجي ؛

(١) في ت : وبالدين .

(٢) هو أحمد بن قحطبة والى مصر من قبل الخليفة أبى جعفر المنصور سنة ١٤٣ هـ ، ولما

خاف ابن هرمة من نسبة الشعر إليه ، لأن المنصور كان شديد الطلب لمن يعيل إلى العلويين .

(٣) ما بين الفوسين ساقط من ت ، والتسكامة من غ .

(٤) في غ : ففضت .

(٥) في غ : عليه .

أَبْرَزْلَزْلَ بِرَوْضَةِ مَنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَيُتْرَكَ مَنْزِلُكَ وَأَنْتَ تَجْمَعُ فِيهِ الرِّجَالَ عَلَى زَوْجَتِكَ
وَابْتَيْتِكَ ! وَاللَّهِ لَا عُدْتُ إِلَيْكَ ^(١) ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَأَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنِ ، فَقَالَ :
إِنِّي مَدَحْتُكَ فَاسْمِعْ مِنِّي ؛ فَقَالَ : لِأَحَاجَةٍ لِي بِذَلِكَ ، أَنَا أَعْطَيْتُكَ مَا تَرِيدُ وَلَا أَسْمَعُ ؛ فَقَالَ :
إِذَا اسْتَقَطَ وَيَكْسُدُ شِعْرِي ؛ فَاسْمَعْ وَأَمْرٌ لِي بِمَائِثِي دِينَارٍ ، فَأَخَذَهَا وَعَادَ إِلَى الرَّجُلِ ،
وَقَالَ : قَدْ جِئْتُكَ بِمَا تَنْفَقُهُ كَيْفَ شِئْتَ ؛ وَأَقَامَ حَتَّى نَفَدَتْ .

كَانَ ابْنُ هَرْمَةَ يَمْدَحُ أَبَا الْحَكَمِ بْنِ الْمَطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَ يَكْرَهُهُ ، ثُمَّ إِنَّ
أَبَا هَرْمَةَ أَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَطَّلِبِ كِتَابًا يَشْكُو إِلَيْهِ بَعْضَ حَالِهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ
بِخَمْسَةِ عَشْرَ دِينَارًا ، فَكُتِبَ شَهْرًا ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئًا آخَرَ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ :
أَنَا وَاللَّهِ لَا أَقْوَى ^(٢) عَلَى مَا كَانَ يَقْوَى عَلَيْهِ أَبُو الْحَكَمِ .

فَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ فِيهِ :

أَبَا الْبَخِيلِ تَطْلُبُ مَا قَدَّمْتَ عَرَانِينَ جَادَتْ بِأَمْوَالِهَا
فَهَيْهَاتَ ! خَالَفْتَ فِعْلَ الْكِرَامِ خِلَافَ الْجَهَالِ بِأَبْوَالِهَا

تَزَوَّجَ ابْنُ هَرْمَةَ امْرَأَةً فَقَالَتْ لَهُ : أَعْطِنِي شَيْئًا فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا مَعِيَ سِوَى نَعْلِي ،
فَدَفَعَهَا إِلَيْهَا وَمَضَى مَعَهَا فِتْوَرًا كَمَا مَرَّارًا ؛ فَقَالَتْ لَهُ : أَحْفَيْتَنِي ، فَقَالَ : الَّذِي أَحْفَى
صَاحِبَهُ مِنَّا يَعْصُ يُظْرَأُ .

قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ ^(٣) : كُنْتُ قَدْ قُلْتُ بَيْتًا ثُمَّ انْقَطَعَ بِي الرَّوْيُ فِيهِ ، وَتَعَدَّرَ عَلَيَّ مَا
أَشْتَهِيهِ فَأَبْغَضْتُهُ وَتَرَكْتُهُ .

وهو :

فَأَنْكَرْتُ وَأَطْرَاحَكَ وَصَلَ سَعْدِي لِأُخْرَى فِي مَوَدَّتِهَا نُكُوبِ

(١) فِي غ : إِلَيْهِ .

(٢) فِي غ : إِنَّمَا .. لَا قْوَى .

(٣) جَاءَ هَذَا الْخَبْرُ فِي تَرْجُمَةِ إِبْرَاهِيمِ الْمُوصِلِيِّ بِالْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنَ الْأَغَانِي ، طَبِعَ دَارُ الْكُتُبِ

ثم مررت بي جارية صفراء مليحة كنت أستحسن وجهها وأكلمها إذا مرت بي فرأيتها وقد ورم وجهها وتغيرت خلقتها بعد عما كنت أعرفها ، فسألتها عن خبرها فقالت : كان في بني فلان عرس أردت حضوره فاستمار لي أهلي حلياً وتقبوا أذني لألبسه فورم وجهي وأذناي كما ترى ، فردوه ولم أشهد العرس . قال ابن هرمة : فاطرد لي الشعر فقلت :

كثاقبة لحنى مُستعارٍ بأذنيها فشانهما الثقوب
فأذت^(١) حلى جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها ثقوب^(٢)

كان^(٣) العباس بن الوليد بخيلاً لا يحب أن يعطى أحداً شيئاً فقال : ما بال الشعراء يمدحون أهل بيتي جميعاً ولا يمدحونني^(٤) ! فبلغ ذلك ابن هرمة وقد كان مدحه فلم يثبه ، فقال يعرض به ويمدح عبد الواحد بن سليمان من قصيدة :

ومُعجِبٍ بِمَدِيحِ الشَّعْرِ يَمْنَعُهُ مِنَ المَدِيحِ ثَوَابُ المَدْحِ وَالشَّفَقِ

فأعطاه عبد الواحد ثلاثمائة دينار وخلعة موشية من ثيابه ، وحملة على فرس وأعطاه ثلاثين لقة^(٥) ومائة شاة ، وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفي عياله من البرِّ والتَّمَرِ فأخبره ؛ فأمر له بذلك أجمع ، وقال له : لك على مثل هذا في كل سنة ما دُمتُ ودمتُ ، واقتطعه لنفسه^(٦) وأنس به وقال له : لست بمجوحك إلى غيري أبداً ، وأخذ عليه ألا يمدح أحداً غيره ، وكان وإيها على المدينة ، وكان لا يدع

(١) في غ : فردت .

(٢) في غ : ندوب .

(٣) جاء هذا الخبر ضمن أخبار عبادل في الجزء السادس من الأغانى طبع دار الكتب ص ١٠٢

وما يليها .

(٤) في غ : تمدحني .

(٥) اللقعة : الناقة الحلوب ، وفي ت : نجة .

(٦) في ت : إلى نفسه .

بِرَّهِ وَصِلَتَهُ وَالْقِيَامَ بِمَوْتِهِ : فَعَزَلَ^(١) وَوَلَّى مَكَانَهُ غَيْرُهُ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ : فَدَعَتْنِي نَفْسِي إِلَى مَدْحِهِ طَمَعًا أَنْ يَهَبَ لِي مِثْلَ مَا كَانَ عَبْدُ الْوَاحِدِ يَهَبُ لِي ، فَدَحْتُهُ فَلَمْ يَصْنَعْ بِي مَا ظَنَنْتُ^(٢) ، ثُمَّ قَدِمَ عَبْدُ الْوَاحِدِ فَأَخْبِرَ أُنِّي مَدَحْتُ الَّذِي عَزَلَ بِهِ ، فَحَجَبَنِي وَرُمْتُ الدُّخُولَ إِلَيْهِ فَمُنِعْتُ ، فَلَمْ أَدْعُ بِالْمَدِينَةِ وَجْهًا وَلَا رَجُلًا لَهُ وَجَاهَةٌ^(٣) مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا سَأَلْتُهُ أَنْ يَشْفَعَ لِي فَيَأْتِي ذَلِكَ وَلَا يَفْعَلُهُ . فَلَمَّا أَعْوَزْتُ بَنِي الْحَيْلِ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ^(٤) ، فَحَسَنَ بِنَ عَالِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَقُلْتُ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدَأُ كَرَمَنِي وَأَخَذَ عَلَيَّ إِلَّا أَمْدَحَ أَحَدًا سِوَاهُ فَأَعْطَيْتُهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ دَعَانِي الشَّرُّ إِلَى أَنْ مَدَحْتُ الْوَالِيَّ بَعْدَهُ . وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَشْفَعَ لِي ، فَكَرِبَ مَعِي . فَأَخْبَرَنِي الْوَاقِفُ عَلَى رَأْسِ عَبْدِ الْوَاحِدِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَامَ عَبْدُ الْوَاحِدِ فَمَانَقَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ وَقَالَ : أَحَاجَةٌ غَدَتْ بِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : كُلَّ حَاجَةٍ لَكَ مَقْضِيَّةٌ إِلَّا ابْنَ هَرْمَةَ ، قَالَ : إِنْ رَأَيْتَ إِلَّا تَسْتَشِينِي فِي حَاجَتِي فَافْعَلْ ؛ قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ قَالَ : فَحَاجَتِي ابْنُ هَرْمَةَ ، قَالَ : قَدْ رَضِيتُ عَنْهُ وَأَعَدْتُهُ إِلَى مَنْزِلَتِهِ ، قَالَ : فَتَأْذَنُ لَهُ أَنْ يُشَدَّكَ ، قَالَ : تُعْفِينِي مِنْ هَذِهِ ، قَالَ : أَسْأَلُكَ^(٥) أَنْ تَفْعَلَ ، قَالَ ائْتُوا بِهِ^(٦) ؛ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَأَنْشَدْتُهُ قَوْلِي :

وَجَدْنَا غَالِيًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةَ الْجَنَاحِ

(١) فِي غ : فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ عَزَلَ .

(٢) فِي ت : طَلَبْتُ .

(٣) فِي غ : نَبَاهَةٌ .

(٤) فِي ت : حَسَنَ .

(٥) فِي ت : لَكَ .

(٦) فِي ت : فَاتُوا .

فَمَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ حَتَّى انْقَطَعَ رِزَّهُ (١) ثُمَّ وَثَبَ مُغْضِبًا ، وَأَوْجَزْتُ (٢)
فِي الْإِنْشَادِ ، ثُمَّ لَحِقْتَهُ فَقُلْتُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : لَكِنْ
لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا مَاصَّ كَذَا مِنْ أُمَّةٍ ، تَقُولُ لِابْنِ مِرْوَانَ بِحَضْرَتِي :
* وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةَ الْجَنَاحِ *

وَأَنَا ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ !
فَقُلْتُ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، إِنِّي قُلْتُ قَوْلًا أَخَذَهُ بِهِ طَلَبًا لِذُنْيَاهُ (٣) ، وَوَاللَّهِ
مَا قَسَيْتُ بِكُمْ أَحَدًا قَطُّ . أَوْ لَمْ تَسْمَعْ قَدْ قُلْتُ فِيهَا :

* وَبَعْضُ الْقَوْلِ يَذْهَبُ فِي الرِّيَّاحِ *

قَالَ : فَضَحِكَ عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، مَا أَظْرَفَاكَ . وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ الْحَائِيَّةُ
الَّتِي مَدَحَ بِهَا عَبْدَ الْوَاحِدِ مِنْ فَاخِرِ الشُّعْرِ وَجَيْدِهِ ، فَمِنْهَا :

أَعَصُ حِذَارَ سُخْطِكَ بِالْقِرَاحِ	أَعْبَدَ الْوَاحِدَ الْمَحْمُودِ إِنِّي
فَمَنْ غَيْرَ التَّطَوُّعِ وَالسَّمَاحِ	فَإِنْ أَكُ قَدْ هَفَوْتُ إِلَى أَمِيرٍ
وَبَعْضُ الْقَوْلِ يَذْهَبُ فِي الرِّيَّاحِ	وَلَكِنْ سَقَطَةٌ كُتِبَتْ (٤) عَلَيْنَا
وَمَنْ يَهْوَى (٦) رَشَادِي أَوْ صِلَاحِي	لِعَمْرُكَ إِنَّنِي وَبَنِي عَدِي (٥)
لَفِي (٧) حَيْنٍ أَعْلَجَهُ مُتَاحِ	إِذَا لَمْ تَرْضَ عَنِّي أَوْ تَصِلْنِي
بِعَرَبِيِّ الشَّرَاةِ (٨) لِدَوَارِ تِيَّاحِ	وَإِنِّي إِذْ حَطَطْتُ إِلَيْكَ رَحْلِي

(١) فت : ذرة « تحريف » . والرز : الصوت .

(٢) فت : تجوزت .

(٣) فت : أجد غرته طلب الدنيا .

(٤) فت : عيب .

(٥) بنوعدي : قوم ابن هرمة .

(٦) فت : ليهوى بي .

(٧) فت : أفي .

(٨) فت : السراة .

هَشَشْتَ لِحَاجَةٍ وَوَعَدْتَ أُخْرَى وَلَمْ تَبْخُلْ بِبَاجِزَةِ السَّمَاحِ (١)
وَجَدْنَا غَالِبًا كَانَتْ (٢) جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةَ الْجَنَاحِ
قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجَمْحِيِّ : قُلْتُ لِابْنِ هَرْمَةَ : أَمَدَحُ عَبْدَ الْوَاحِدِ
ابْنَ سَلْيَانَ بِشِعْرٍ مَا مَدَحْتَ بِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ [فَتَقُولُ فِيهِ هَذَا الْبَيْتُ :
وَجَدْنَا غَالِبًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةَ الْجَنَاحِ] (٣)
سَمِ تَقُولُ فِيهِ :

أَعْبُدَ الْوَاحِدَ الْحَمُودَ (٤) إِنِّي أَغْصُ حِدَارَ سُخْطِكَ بِالْقِرَاحِ
فِي أَيِّ شَيْءٍ اسْتَوْجَبَ هَذَا مِنْكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْكَ بِالْقِصَّةِ لَتَعُدُّرُنِي : أَصَابَتْنِي
أَزْمَةٌ بِالْمَدِينَةِ فَاسْتَهْضَمْتُ ابْنَةَ عَمِّي لِلْخُرُوجِ ؛ فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي مَا يُقِلُّ
جَنَاحِي ؛ فَقَالَتْ : أَنَا أَنْهَضُكَ بِمَا أَمَكْنِي (٥) . وَكَانَتْ عِنْدِي نَابٌ لِي ، فَهَمَضْتُ عَلَيْهَا
حَتَّى دَفَعْتُ إِلَى دِمَشْقٍ ، فَأَوَيْتُ إِلَى مَسْجِدِ عَبْدِ الْوَاحِدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَجَلَسْتُ فِيهِ
أَنْتَظِرُهُ إِلَى أَنْ نَظَرْتُ إِلَى بُرُوعِ (٦) الْفَجْرِ ، فَإِذَا الْبَابُ يَنْفَلِقُ عَنْ رَجُلٍ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ ،
فَدَنَا فَأَذَّنَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، فَتَأَمَّنْتُهُ فَإِذَا هُوَ عَبْدُ الْوَاحِدِ . فَقُمْتُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَسَلَّمْتُ
عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : أَبُو إِسْحَاقَ (٧) ! أَهْلًا وَمَرْحَبًا ؛ فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي !
وَحَيَّاكَ اللَّهُ بِالسَّلَامِ وَقَرَّبَكَ مِنْ رِضْوَانِهِ ؛ فَقَالَ : أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا ، فَقَدْ طَالَ
الْمَهْدُ وَاشْتَدَّ الشُّوقُ ، مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقُلْتُ : لَا تَسْأَلْنِي فَإِنَّ الدَّهْرَ قَدْ أَخْنَى عَلَيَّ ،

(١) في غ : السراح .

(٢) في غ : خلقت .

(٣) ساقط من ت والتسكئة من غ .

(٤) في غ : اليمون .

(٥) في ت : أنا أنهض بما أقتني .

(٦) في ت : فرع .

(٧) في ت : أبا إسحاق .

فما وجدتُ مُسْتَعْنَاءًا سِوَاكَ^(١) ؛ فقال : لا تُرْعَ فقد وردتَ على ما تُحِبُّ إن شاءَ اللهُ تعالى . فواللهِ إني لأخطبه إذا بثلاثه فتيمة قد خرجوا فسَلَّمُوا ، فاستدنى الأَكْبَرَ منهم فهمسَ إليهِ بشيءٍ دُونِ ودونِ أَخَوَيْهِ ؛ فمضى إلى البَيْتِ ثم رَجَعَ ، فجلسَ إليه فكلَّمَهُ بشيءٍ ثم وَلَّى ، فلم يلبثْ أنْ خَرَجَ ومعه عبد ضابط^(٢) يَحْمِلُ عِبْنًا من الثِيَابِ^(٣) حتى صار بين يَدَيَّ ؛ ثم همسَ إليهِ ثَانِيَةً فَمَادَ ، وإذا به قد رجع ومعه مثل ذلك ، فضرب به بَيْنَ يَدَيَّ . فقال لى عَبْدُ الواحدِ : أَدْنُ أَبَا إسْحَاقَ فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تَصِرْ إِلَيَّ حتى تفاقمَ صَدُوعَكَ ، فخذْ هذا وارْجِعْ إلى عِيَالِكَ ، فواللهِ ما سَلَلْنَا لك هذا إِلَّا من أَشْدَاقِ عِيَالِنَا ؛ ودَفَعَ إِلَيَّ أَلْفَ دِينَارٍ ، وقال : قُمْ فَارْحَلْ وَأَعِثْ مَنْ وَرَاءَكَ ! فَمُتُّ إلى البَابِ ، فلما نظرتُ إلى نَاقَتِي صَفَّتْ إِلَيَّ^(٤) فقال : ما أظنُّ هذه مُبْلِغَتِكَ ، يا غُلامَ ؛ قدَّمْ له جَمَلِي فلانا . فواللهِ لَكُنْتُ بِالْجَمَلِ أَشَدَّ سُرُورًا مِنِّي بِكُلِّ ما نِلْتُهُ فلا تَلومني أنْ أَعْصَّ حِدَارَ سَخَطِ هذا بالقرَّاحِ ! واللهِ ما أُنشِدُهُ بيتًا واحِدًا .

دخل^(٥) ابنُ هَرَمَةَ على المنصور فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إني قد مدحتك مدحة لم يمدح أحدٌ أحدًا بِمِثْلِها ؛ قال : وما عسى أن تقولَ فيَّ بعد قولِ كعبِ الأشقرى^(٦) في المهلكِّ :

بَرَكَ اللهُ حِينَ بَرَكَ بِحَرًّا وَفَجَّرَ مِنْكَ أَنْهَارًا غَيْرَ آرَا

(١) في غ : غيرك .

(٢) ضابط : قوى شديد .

(٣) في ت : « يحمل على عبا يحمل من الثياب » . والعبارة مضطربة ، والتصحيح من « غ » .

(٤) في غ : ضقت .

(٥) جاء هذا الخبر في ترجمة عبادل في الجزء السادس من الأغاني طبع دارالكتبس : ١١٠ .

(٦) هو كعب بن ممدان من الأزد ، وأمه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود في

الشجعان ، من أصحاب المهلب .

فقال: قد قلتُ فيكَ أحسنَ من هذا؛ فقال: هاتِ، فأنشده من قصيدة:
له لَحَظَاتٌ عَن حِصَافِي سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ
فَأُمُّ الذِي آمَنَتْ آمِنَةُ الرَّدِيِّ وَأُمُّ الذِي خَوَّفَتْ بِالشُّكْلِ نَائِلٌ
فأمر له بعشرة آلاف (١) درهم. فقال له المهدي: يا أمير المؤمنين قد تكلف
إليك في سيره نحوها؛ فقال له المنصور: يا بني، قد وهبتُ له ما هو أعظم منها،
وهبتُ له نفسه، أليس القائل (٢):

إذا قيلَ مَنْ خَيْرُ مَنْ يُرْتَجَى لم ترَ فهِرٍ ومحتاجِها
ومَنْ يُعْجَلُ الخليلَ يومَ الوَعَى بإلجامِها قبلَ إسراجِها
أشارت نساءُ بني غلب إليك به قبلَ أزواجِها

ثم قال له: لو رأيتَ هذا حيثَ رأيته وهو يُنشدُ عبدَ الواحد:

وجَدْنَا غَلِبًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةَ الجَنَاحِ

لاستكثرتَ له ما استتقلت، ولرأيتَ أنَّ حياتَه بعدَ ذلكَ القولِ رُبْحٌ كثيرٌ.
ووالله ما هممتُ له مُدُّ يومئذٍ بخيرٍ فذكرتُ قوله إلَّا زالَ ما عرضَ بقلبي إلى ضِدِّه
حتى أهُمُّ بقتله ثم أعفو عنه.

وجَّه المنصور رَسُولًا قاصِدًا إلى ابنِ هرمة ودفعَ إليه ألفَ دينارٍ وخِلمةً،
ووصفه له: إنَّكَ تراه جالِسًا في موضعِ كذا في المسجدِ، فانتسبَ له إلى بني أُمَيَّة
أو موالِيهم، وسلَّه أن يُنشدَكَ قصيدته الخائِمية التي مدحَ فيها عبدَ الواحد:

وجَدْنَا غَلِبًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةَ الجَنَاحِ

فإن أنشدَها فأخرجه من المسجدِ وأضربَ عنقه وجثني برأسه، وإن أنشدَكَ

(١) في غ: بأربعة آلاف درهم.

(٢) مدح بهذا الشعر عبد الواحد بن سليمان.

قَصِيدَتَهُ اللَّامِيَّةَ الَّتِي مَدَحَنِي بِهَا فَأَذْفَعُ إِلَيْهِ الْأَلْفَ دِينَارًا وَالْخَلْمَةَ ، وَمَا أَرَاهُ
يُنشِدُكَ غَيْرَهَا وَلَا يَعْتَرِفُ ^(١) بِالْحَائِثِيَّةِ . فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَوَجَدَهُ كَمَا قَالَ الْمَنْصُورُ ، فَجَلَسَ
إِلَيْهِ وَأَنْتَسَبَ لَهُ وَاسْتَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الْحَائِثِيَّةَ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ ؛ فَقَالَ : مَا قَلْتُ هَذِهِ
الْقَصِيدَةَ قَطُّ وَلَا أَعْرِفُهَا وَإِنَّمَا نَحَلَهَا إِيَّايَ ^(٢) مِنْ يُعَادِنِي ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْشُدْتُكَ ،
أَحْسَنَ مِنْهَا ؛ فَقَالَ : قَدْ شِئْتُ فَهَاتِ ؛ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ اللَّامِيَّةَ :

فَأَمَّ الَّذِي آمَنَتْ آمِنَةُ الرَّدَى وَأَمَّ الَّذِي خَوَّفَتْ بِالشُّكْلِ تَاكِيلَ
إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ قَالَ : هَاتِ مَا أَمْرُ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : أَيُّ شَيْءٍ هُوَ
يَاهَذَا ؟ فَقَالَ : دَعْ عَنْكَ ذَا ، فَوَاللَّهِ مَا بَعَثَ بِكَ إِلَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَعَكَ بَرٌّ
وَكُسُوةٌ ، وَأَمْرُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي عَنِ الْقَصِيدَةِ ، فَإِنْ أَنْشُدْتُكَ إِيَّاهَا ضَرَبْتَ عُنُقِي
وَحَمَلْتَ رَأْسِي إِلَيْهِ ، وَإِنْ أَنْشُدْتُكَ هَذِهِ دَفَعْتَهُ إِلَيَّ مَا حَمَلْتُكَ إِيَّاهُ ^(٣) ، فَضَحِكَ
الرَّسُولُ وَقَالَ : صَدَقْتَ لَعْمَرِي ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأَلْفَ الدِّينَارَ وَالْخَلْمَةَ .

وَلابِنْ هَرَمَةَ ^(٤) :

وَإِنَّكَ إِذْ ^(٥) أَطْمَعْتَنِي مِنْكَ بِالرِّضَا وَأَيَّاسْتَنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالغَضَبِ
كَمُكِنَةٍ مِنْ دَرِّهَا ^(٦) كَفَّ حَالِي وَدَافَقَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَا حَلَبَ

(١) في ت : تعريف « تحريف » .

(٢) في ت : يحكها إلى . « تحريف » .

(٣) في ت : لإياها .

(٤) جاء هذا الخبر في ترجمة عبيد الله بن طاهر بالجزء التاسع من الأغاني طبع دار الكتب

ص : ٤٣ .

(٥) في ت : إن .

(٦) في غ : ضرعها .

قال أبو نواس : شَاعِرَانِ شَبَّهَا فِي بَيْتَيْنِ وَوَضَعَا التَّشْبِيهَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، فَلَوْ
أَخَذَ بَيْتَ هَذَا وَوَضَعَ مَعَ بَيْتِ هَذَا ، وَبَيْتُ هَذَا وَوَضَعَ مَعَ بَيْتِ هَذَا لَصَارَ مُشْتَبِهًا
بِهِ (١) وَهَذَا قَوْلُ جَرِيرٍ لِلْفَرَزْدَقِ :

وَإِنَّكَ إِنْ تَهْجُو تَعِيمًا وَتَرْتَشِي تَبَايِينَ قَيْسٍ أَوْ سُحُوقِ الْعَمَامِ (٢)
كَمْ هُرَيْقِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ وَغَرَّهْ سَرَابٌ بَدَأَ فِي أَعْبَرِ اللُّونِ قَاتِمِ (٣)
وَقَوْلُ ابْنِ هَرَمَةَ :

وَإِنِّي وَتَرَكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ وَقَدْ حَى بِكَفَى زَنْدًا شَحَا حَا
كَتَارِكَةٍ بَيَضَهَا بِالْمَرْءِ وَمُلْبَسَةٍ بِيضٍ أُخْرَى جَنَاحَا
وَلَوْ قَالَ ابْنُ هَرَمَةَ :

وَإِنِّي وَتَرَكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ وَقَدْ حَى بِكَفَى زَنْدًا شَحَا حَا
كَمْ هُرَيْقِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ وَغَرَّهْ سَرَابٌ بَدَأَ فِي أَعْبَرِ اللُّونِ قَاتِمِ
فَكَانَ أَشْبَهَ لَهُمَا . وَلَكِنْ ابْنُ هَرَمَةَ قَدْ تَلَا فِي ذَلِكَ بَعْدَ فَقَالَ :

وَإِنَّكَ إِذَا طَمَعْتَنِي مِنْكَ بِالرِّضَا وَأَيَّاسْتَنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالغَضَبِ
كَمْ مَكْنَةَ مِنْ دَرِّهَا كَفَّ حَالِبٌ وَدَافِقَةٌ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَا حَلَبُ

جَلَسَ (٤) ابْنُ هَرَمَةَ مَعَ قَوْمٍ يَشْرَبُونَ فَذَكَرَ الْحَكَمُ بْنُ الْمُطَّلَبِ فَأُطْنَبَ فِي مَدْحِهِ ،
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ لَتُكْثِرُ ذِكْرَ رَجُلٍ لَوْ طَرَفْتَهُ السَّاعَةَ فِي شَأْنٍ عِنْدَهُ يُقَالُ لَهَا غَبْرَاءُ (٥)

(١) في غ : لصار متفقاً معنى وتشبيها .

(٢) في ت : بما بين قيس أو سحيق العمائم والتبايين : السراويل الصغيرة مقدار شبر ،

تستر العورة المغالطة فقط يلبسها الملاحون .

(٣) في غ : أذاعته رياح السمام بدل : بدا في أعبر اللون قاتم .

(٤) في ت : حبس .

(٥) في غ : غراء .

تَسْأَلُهُ إِيَّاهَا لِرَدِّكَ عَنْهَا ! فقال : أهُوَ يَفْعَلُ هَذَا ؟ فقالوا : إِي وَاللَّهِ ، وَكَانُوا قَدْ عَرَفُوا أَنَّ الْحَكْمَ بِهَا مُجَبَّبٌ ، وَكَانَ فِي دَارِهِ سَبْمُونُ شَاةٍ تُحَلَّبُ ، فَخَرَجَ فِي رَأْسِهِ مَا فِيهِ ، فَدَقَّ الْبَابَ فَخَرَجَ غَلامُهُ إِلَيْهِ : فقال : أَعْلِمُ أَبَا مَرْوَانَ بِمَكَانِي - وَكَانَ لَا يُحْجَبُ ابْنُ هَرْمَةَ عَنْهُ - فَأَعْلَمَهُ بِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مُتَشِحًّا ، فقال أُنْفِي هَذِهِ السَّاعَةَ ! قال : نَعَمْ جَعَلْتُ فِدَاكَ ، وَوُلِدَ لِأَخِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ مَوْلُودٌ ، فَلَمْ تَدِرْ عَلَيْهِ أُمَّهُ ، فقالوا : شَاةٌ حُلُوبٌ فَلَمْ يَجِدُوهَا فَذُكِرَتْ لِي شَاةٌ عِنْدَكَ يُقَالُ لَهَا غَبْرَاءُ ، فَسَأَلَنِي أَنْ أَسْأَلَكَهَا ؛ فقال : أَتِجِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، ثُمَّ تَنْصَرِفُ بِشَاةٍ وَاحِدَةٍ ! وَاللَّهِ لَا يَبْقَى فِي الدَّارِ شَاةٌ إِلَّا أَنْصَرَفَتْ بِهَا ، وَأَمَرَ بِسَوْفِهِنَّ مَعَهُ فَخَرَجَ بِهِنَّ إِلَى الْقَوْمِ ، فقالوا : وَيَحْكُ ! أَيُّ شَيْءٍ صَنَعْتَ ^(١) ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ ، وَقَالَ فِيهِنَّ : وَاللَّهِ مَا ثَمَنَهُ عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ وَأَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةٍ .

كان ابن الأعرابي يقول : خُتِمَ الشُّعْرَاءُ بِابْنِ هَرْمَةَ . وَكَانَ ابْنُ هَرْمَةَ مُغْرَمًا بِالنَّبِيدِ ، فَرَرَّ عَلَى جِيرَانِهِ وَهُوَ مُنْبَتٌ ^(٢) سُكْرًا وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ؛ فَلَمَّا كَانَ اللَّحْدُ دَخَلَ إِلَيْهِ جِيرَانُهُ فَعَاتَبُوهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي رَأَوْهُ عَلَيْهَا ؛ فقال لهم : أَنَا فِي طَلَبِ مِثْلِهَا مُنْذُ دَهْرٍ ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلِي :

أَسْأَلُ اللَّهَ سَكْرَةً قَبْلَ مَوْتِي وَصِيَاحَ الصُّبَّيَّانِ : يَا سَكْرَانُ

فَذَفُضُوا ثِيَابَهُمْ وَخَرَجُوا ، وَقَالُوا : لَيْسَ يُفْلِحُ هَذَا أَبَدًا .

قال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ^(٣) : أَنشَدَنِي عَمِّي لِابْنِ هَرْمَةَ :

مَا أَظُنُّ الزَّمَانَ يَا أُمَّ عَمْرٍو تَارِكًا إِنْ هَلَكْتُ مِنْ بَيْتِكِنِي

(١) فت : ثم قال : ويليك : أي شيء صنعتم .

(٢) فت : مثبت « تحريف » .

(٣) فت : الزهري بكار « تحريف » .

قال : فكانَ واللهِ كذلك . لقد ماتَ فأخبرني مَنْ رأى جِنَازَتَهُ يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةً
نفر حتى دُفِنَ بِالْبَقِيعِ .

قالَ البَلَّاذُريُّ : وُلِدَ ابنُ هَرْمَةَ سنةَ تسعين ، وأنشدَ أبا جعفرَ المنصورَ في سنة
أَرْبَعِينَ وَمِائَةَ قَصِيدَتَهُ التي يقولُ فيها :
إِنِ الْغَوَايِ قَدْ أَعْرَضْنَ مَقْلِبِيَّةً لَمَّا رَمَى هَدَفَ الْخَمْسِينَ مِيلَادِي
وَعُمُرٌ بَعْدَ هَذَا مُدَّةً طَوِيلَةً .

قالَ (١) يَحْيَى بنُ عُرْوَةَ بنِ أَذْيَنَةَ : خرجتُ في حاجةٍ لي ، حتى أتيتُ السَّيَّالَةَ (٢)
فتموقفتُ (٣) على منزلِ إبراهيمِ بنِ هَرْمَةَ فصَحَّتْ : يا أبا إسحاق ، فأجابتني ابنتُهُ
وقالت : خرجَ آتِنًا فقلتُ : هل منِ قرى ؟ فأني مُقَوِّمٍ من الزَّادِ ، فقالت : لا واللهِ
فقلتُ : أينَ قولُ أبيك .

لا أُمْتِغِ العُودَ بالفِصالِ (٤) ... وَلَا أَبْتِاعَ إِلَّا قَرِيبَةَ الأَجَلِ
قَالَتُ : فَذَلِكَ (٥) وَاللهِ أَفْأَهَا . وكانَ ابنُ هَرْمَةَ بَخِيلًا .

اجتمع قومٌ من قريش فأتوا ابنَ هَرْمَةَ وَعَبَثُوا بِهِ ، وتزوَّدوا زادًا كثيرًا ، ثم
أتوه فخرَجَ إليهِم وقال : حاجتكم (٦) ؟ فقالوا سمعنا بشِعْرِكَ ، فدَعَاَنَا إِلَيْكَ مَا سَمِعْنَا
منه وهو :

(١) جاء هذا الخبر في ترجمة إبراهيم الموصلي في الجزء الخامس من كتاب الأغاني طبع دار
الكتب / ٢٦٠ .

(٢) السَّيَّالَةُ : أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة .

(٣) في غ : فلما كنت بالسياسة وقفت .

(٤) في ت : لا أبتع العود الفصال « تحريف » .

(٥) في غ : بذلك .

(٦) في غ : ما جاء بكم .

كَمْ نَاقَةٌ قَدِ وَجَّاتُ مِنْحَرَهَا بِمُسْتَهَلِّ الشُّؤْبُوبِ أَوْ جَمَلٍ
لَا أُمْتَعُ الْعُودَ بِالفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

فَنظَرَ إِلَيْهِمْ طَوِيلًا وَقَالَ: مَا عَلَى الْأَرْضِ عِصَابَةٌ أضعفُ عَقُولًا مِنْكُمْ وَلَا
أَسْخَفَ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَتُسَمِّمُنَا هَذَا الْكَلَامَ ؟ فَقَالَ :
أَمَّا سَمِعْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الشُّعْرَاءِ : « وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » (١)
أَيُخْبِرُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى أَنِّي أَقُولُ مَا لَا أَفْعَلُ وَتُرِيدُونَ مِنِّي أَنْ أَفْعَلَ مَا أَقُولُ !
فَضَحِكُوا مِنْهُ وَأَخْرَجُوا لَهُ مَا مَعَهُمْ وَأَقَامُوا مُتَنَزِّهِينَ وَانصَرَفُوا .

إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارِ النَّسَائِيِّ

(هو مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ بنِ مَرَّةَ : تَيْمٍ قَرِيشٍ ، وَكَانَ مُنْقَطِعًا إِلَى آلِ الزُّبَيْرِ ، فَلَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، ابْنِ مَرْوَانَ وَفَدَّ إِلَيْهِ مَعَ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمَدَحَهُ وَمَدَحَ الْخُلَفَاءِ مِنْ وَلَدِهِ بَعْدَهُ ، وَعَمَّرَ طَوِيلًا إِلَى آخِرِ سُلْطَانِ بَنِي أُمَيَّةَ وَلَمْ يُدْرِكِ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ . وَكَانَ طَيِّبًا مَلِيحًا مُنْدِرًا^(١) مَلِيحِ الشُّعْرِ . وَكَانَ كَالْمُنْقَطِعِ إِلَى عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ .) وَإِنَّمَا سُمِّيَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارِ النَّسَائِيِّ ، لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ يَصْنَعُ طَعَامَ الْعُرْسِ وَيَدِيمُهُ) وَيَشْتَرِي مِنْهُ مَنْ أَرَادَ التَّعْرِيسَ مِنَ الْمُتَجَمِّلِينَ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْ حَالَهُ اصْطِنَاعَ ذَلِكَ وَقِيلَ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَبِيعُ النَّجْدَ وَالْفُرُشَ الَّتِي تَتَّخِذُ لِلْعَرَائِسِ فَسُمِّيَ يَسَارَ النَّسَائِيِّ .

وَلَمَّا وَفَدَ مَعَ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ إِلَى الشَّامِ يُرِيدُ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ رَكِبَ مَعَهُ فِي الْمَحْمَلِ فَعَادَلَهُ^(٢) ، فَقَالَ عُرْوَةُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي لِبَعْضِ غِلْمَانِهِ : انظُرْ كَيْفَ تَرَى الْمَحْمَلُ ؟ قَالَ : أَرَاهُ مُعْتَدِلًا ، فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، مَا اعْتَدَلَ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ قَبْلَ اللَّيْلَةِ قَطَّ فَصَحَّكَ عُرْوَةُ . وَكَانَ يَسْتَحِفُّ إِسْمَاعِيلَ وَيَسْتَطِيبُهُ .

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارٍ يَنْزِلُ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ : حُدَيْلَةَ^(٣) وَكَانَ لَهُ جُلَسَاءٌ يَتَحَدَّثُونَ عِنْدَهُ ، فَفَقَدَهُمْ أَيَّامًا ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ فَقِيلَ : هُمْ عِنْدَ رَجُلٍ حُلُو ظَرِيفٍ طَيِّبِ الْحَدِيثِ يَتَحَدَّثُونَ إِلَيْهِ قَدِمَ عَلَيْهِمْ أَسْمُهُ مُحَمَّدٌ وَكُنْيَتُهُ أَبُو قَيْسٍ ، فَجَاءَ إِسْمَاعِيلَ

(١) مندر : يأتي بالنوادر من قول أو فعل .

(٢) في ت : يعادله .

(٣) حديلة : محلة بالمدينة بها دار عبد الملك بن مروان وفيت : حديلة . وجديلة : مكان في

طريق خارج البصرة .

حتى وَقَفَ عليهم فسمع الرجلُ القومَ يَقُولونَ : جاءَ صَدِيقُنَا إِسْمَاعِيلُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ
فَقَالَ : أَنْتَ إِسْمَاعِيلُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : رَحِمَ اللهُ أَبُوبِكَ فَإِنَّهُمَا سَمِيَاكَ بِاسْمِ
صَادِقِ الوَعْدِ وَأَنْتَ كَاذِبٌ . فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالَ
أَبُو مَنْ ؟ قَالَ : أَبُو قَيْسٍ . فَقَالَ : لَا يَرَحِمُ اللهُ أَبُوبِكَ فَإِنَّهُمَا سَمِيَاكَ بِاسْمِ نَبِيِّ
وَكُفْيَاكَ بِكُنْيَةِ قِرْدٍ ، فَأَغْمَرَ الرَّجُلُ وَضَحَكَ القومُ ، وَلَمْ يَمُدُّ لِمُجَالَسَتِهِمْ وَعَادُوا
إِلَى مُجَالَسَةِ إِسْمَاعِيلِ .

ولِإِسْمَاعِيلِ قَصِيدَةٌ الَّتِي يَفْخَرُ بِهَا بِالْعَجَمِ عَلَى الْعَرَبِ ، أَوَّلُهَا :

مَا عَلَى رَسْمِ مَنْزِلِ بِالْجَنَابِ لَوْ أَبَانَ الْغَدَاةَ رَجَعَ الْجَوَابِ
رُبَّ خَالٍ مُتَوَجِّحٍ لِي وَعَمٍّ مَا جِدَّ مُجْتَنِدِي ^(١) كَرِيمِ النَّصَابِ
إِنَّمَا سُمِّيَ الْفَوَارِسُ بِالْفُرِّ سَ مِضَاهَاةَ رِفْعَةِ الْأَنْسَابِ
فَاتْرُكِي الْفَخْرَ يَا أُمَامَ عَلَيْنَا وَاتْرُكِي الْجَوْرَ وَانْطِقِي بِالصَّوَابِ
وَاسْأَلِي إِنْ جَهَلْتِ عَنَّا وَعَنْكُمْ كَيْفَ كُنَّا فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ
إِذْ نُرُبِّي بِنَاتِنَا وَتَدُسُّو نَ سَفَاهَا بِنَاتِكُمْ فِي التُّرَابِ

وَكَانَتْ كُنْيَةُ إِسْمَاعِيلِ أَبَا فَائِدٍ ^(٢) ، وَكَانَ أَخُوهُ مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ شَاعِرِينَ أَيْضًا ،
وَهُمَا مِنْ سَبِي فَارِسٍ (وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ شُعُوبِيًّا ^(٣)) شَدِيدَ التَّعَصُّبِ لِلْعَجَمِ ، لَهُ شِعْرٌ
كَثِيرٌ يَفْخَرُ فِيهِ بِالْأَعْجَمِ عَلَى الْعَرَبِ .

(وَأَنْشَدَ يَوْمًا فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَشْعَبُ هَذَا الْبَيْتِ :

إِذْ نُرُبِّي بِنَاتِنَا وَتَدُسُّو نَ سَفَاهَا بِنَاتِكُمْ فِي التُّرَابِ

(١) في ت : ائحتدى .

(٢) في ت : وافد « تحريف » .

(٣) الشعوبية : قوم يصغرون شأن العرب ، ولا يفضلونهم على العجم .

فقال له أشعب : صدقت يا أبا فائد ، أراد القوم بناتهم لغير ما أَرَدُ تَمَوْهِنُ له ؛
فقال له : وما ذلك ؟ قال : دَفَنَ القوم بناتهم خوفاً من العارِ عليهم (١) ورَبَيْتُمُوهُنَّ
لَتَكْحُوهُنَّ ؛ فضحك القوم حتى استَعَبَرُوا (٢) ، وَخَجِلَ إِسْمَاعِيلُ حَتَّى لَوْ قَدَرَ
أَنْ يَسِيخَ فِي الْأَرْضِ لَفَعَلَ

قال إبراهيمُ بن أبي عَبْدِ اللهِ : رَكِبَ فُلَانٌ مِنْ وَلَدِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ
اللهُ عَنْهُ فَأَمَرَ بِإِسْمَاعِيلِ بْنِ يَسَارِ النَّسَائِيِّ حَتَّى آتَى بِهِ قُبَاءً ، فَاسْتَخْرَجَ الْأُحْوَصَ
فَقَالَ لَهُ : أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ :

مَا ضَرَّ حَيْرَانَنَا إِذِ انْتَجَعُوا لَوْ أَنَّهُمْ قَبِلَ بَيْنَهُمْ رَبَعُوا
فَأَنْشَدَهُ الْقَصِيدَةَ فَأَعْجِبَ بِهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَ ؛ فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ : أَمَا جِئْتَ إِلَّا
لِمَا أَرَى ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَاسْمَعْ ، وَأَنْشُدْهُ قَصِيدَةَ الَّتِي هِيَ :

يَا هِنْدُ رُدِّي الْوَصْلَ أَنْ يَتَصَرَّ مَا وَصَلِيْ امْرَأً كَلِفًا بِحُبِّكَ مُغْرَمًا
لَوْ تَبَدَّلَيْنِ لَهُ (٣) دَلَالِكَ مَرَّةً لَمْ يَبْسُغْ مِنْكَ سِوَى دَلَالِكَ مَحْرَمًا
مَنْعَ الزِّيَارَةِ أَنْ أَهْلَكَ كَلَّمَهُمْ أَبَدُوا لِرِزْوَرِكِ غِلْظَةً وَتَجَهَّمًا
مَا ضَرَّ أَهْلَكَ لَوْ تَطَوَّفَ عَاشِقٌ بِفِنَاءِ بَيْتِكَ أَوْ أَلَمٍ فَسَلَمًا
فَقَالَ : لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ أَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ قَاتَمَهَا لَمَا أَتَيْتُكَ .

سَمِعَ زَبَّانُ السَّوَّاقِ رِجَالًا يُنْشِدُ قَوْلَ إِسْمَاعِيلِ .

مَا ضَرَّ أَهْلَكَ لَوْ تَطَوَّفَ عَاشِقٌ بِفِنَاءِ بَيْتِكَ أَوْ أَلَمٍ فَسَلَمًا
فَقَالَ : لَا تَنْتَبِهُ وَاللَّهِ إِلَّا الضَّجْرَ وَسُوءَ الْخَلْقِ وَضِيقَ الصَّدْرِ ، وَجَعَلَ يَبْكِي
وَيَسْحَعُ عَيْنَيْهِ .

(١) فت : بناتهن . . عليهن . « تحريف » .

(٢) استعبروا : جرت عبرتهم من كثرة الضحك . وفي غ : استعبروا أي بالغوا في الضحك .

(٣) في غ : لنا .

قال جَعْفَرُ بنِ الحُسَيْنِ (١) اللّهُبِي : أنشدتُ زَبَانَ السَّوَّاقِ قولَ إِسْمَاعِيلِ بنِ يَسَّارِ النَّسَائِي (٢) :

إِنَّ جُمْلًا وَإِنْ تَبَيَّنَتْ مِنْهَا نَكَبًا عَنْ مَوَدَّتِي وَأُزُورَارَا
شَرَقَتْ بِادْكَارِهَا اليَوْمَ عَيْنِي (٣) وَأُطِيرُ العِزَاءَ مِنِّي (٤) فَطَارَا
مَا عَلَي أَهْلِهَا وَلَمْ تَأْتِ سُوءًا أَنْ تُحَيَّا تَحِيَّةً أَوْ تُزَارَا
يَوْمَ أَدَبُوا لِي التَّجَهُّمَ فِيهَا وَحَمَّوْهَا لِحَاجَةً وَضِرَارَا

فقال زَبَانُ : لا شيءَ وأبيهم إِلا اللّحْزُ (٥) وَقَلَّةُ المَعْرِفَةِ وَضِيقُ المَطْنِ ؛ فصاح عليه أَبُو المَعَاقِي (٦) وقال : فَعَلَى مَنْ ذاكَ وَيَلِكُ ! (٧) أعليكِ أَوْ عَلَي أَيِّكِ أَوْ أمكِ ؟ فقال له زَبَانُ : يا أبا المَعَاقِي إِنَّمَا أُتَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ ، ولو كُنْتَ تَفْعَلُ هذا ما اِخْتَلَفْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ فَوُتِبَ عليه (٨) أَبُو المَعَاقِي يَرْمِيهِ بالثَّرابِ وَيَقُولُ له : يا سَفِيهَ وَيَحْكُ ! (٩) تُحَسِّنُ الدِّيَّانَةَ ؛ وَزَبَانُ يَهْرَبُ مِنْهُ .

عَنِّي الوَلِيدُ بنُ يَزِيدٍ في شِعْرِ إِسْمَاعِيلِ بنِ يَسَّارِ النَّسَائِي :

حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ بَدَأَ ضَوْؤُهُ وَغَابَتْ (١٠) الجُوزَاءُ والمِرْزَمُ
خَرَجْتَ وَالوَطْءُ (١١) خَفِيُّ كَمَا يَنسَابُ مِنْ مَكَمِّنِهِ الأَرْقَمُ

(١) في ت : الحسن .

(٢) في ت : إِسْمَاعِيلُ بنُ بشارِ النِّسَاءِ « تحريف » .

(٣) شرقت العين : احمرت . وفي غ : شردت بادكارها النوم عنى .

(٤) في ت : عنى .

(٥) في ت : الخير « تحريف » .

(٦) في ت : المعاقا « خطأ إملائي » .

(٧) في ت : ويدر « تحريف » .

(٨) في غ : لايه .

(٩) في ت : وذلك « تحريف » .

(١٠) في غ : غارت .

(١١) في ت : الوطىء « خطأ » .

فقال : مَنْ يَقُولُ هذا ؟ قالوا : رجلٌ من أَهْلِ الحِجَازِ يُقالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ بنُ يَسَارِ النَّسَائِي ؛ فَكُتِبَ فِي إِشْخَاصِهِ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ اسْتَنْشَدَهُ القَصِيدَةَ فَأَنشَدَهُ :

كَلَّمْتُ أَنْتِ الْهَمُّ يَا كَلَّمْتُ	وَأَنْتُمْ الدَّاءُ (١) الَّذِي أَكْتَمْتُ
أَكَلْتُمُ النَّاسَ هَوَى شَقِيئِي	وَبَعْضُ كَيْتَمَانَ الْهَوَى أَحْزَمُ
لَا تَتْرُكِيْنِي هَكَذَا مَيْتًا	لَا أُمْنَحُ الْوُدَّ وَلَا أُصْرَمُ
أَوْفِي بِمَا قُلْتِ وَلَا تَنْدِي	إِنَّ الْوَقِيَّ الْقَوْلُ (٢) لَا يَنْدُمُ
آيَةٌ (٣) مَا جِئْتُ عَلَى رِقْبَةٍ	بَعْدَ الْكِرَى وَالْحَيُّ قَدْ نَوَّمُوا (٤)
أَخَافِتُ الْمَشِيَّ حِذَارَ الْعَدَى	وَاللَّيْلُ دَاجٍ حَالِكٌ مُظْلِمٌ
وَدُونَ مَنْ جاوزَتْ (٥) إِذْ زُرْتَكُمْ	أَخْوَكِ وَالْخَالُ مَعَا وَالْحَمُّ
وَلَيْسَ إِلَّا اللَّهُ لِي صَاحِبٌ	إِلَيْكُمْ وَالصَّارِمُ اللَّهُذَمُّ
حَتَّى دَخَلْتُ الْبَيْتَ فَاسْتَدْرَفْتُ	مَنْ شَفَقَ عَيْنَانِ (٦) لِي تَسْجُمُ
ثُمَّ أَنْجَلِي الْحُزْنَ وَرَوْعَاتِهِ	وَعُيْبَ الْكَاشِحُ وَالْمُبْرَمُ
فَبِتُّ فِيمَا شِئْتُ مِنْ نَعْمَةٍ	يَمْتَحِنُنِيهَا نَحْرُهَا وَالْقَمُّ
حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ بَدَأَ ضَوْؤُهُ	وَعَابَتْ (٧) الْجَوْزَاءُ وَالْمِرْزَمُ
خَرَجْتُ وَالْوَطْءُ خَفِيٌّ كَمَا	يَنْسَابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الْأَرْقَمُ

فَطَرِبَ الْوَلِيدُ حَتَّى نَزَلَ عَنْ فَرْشِهِ وَسَرِيرِهِ ، وَأَمْرُ الْمُعْنَى فَعْنَى فِيهِ وَشَرِبَ أَقْدَاجًا وَأَمْرًا لِإِسْمَاعِيلَ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ وَسَرَّحَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(١) في غ : دأى .

(٢) في ت : وفي القول .

(٣) في ت : أأبه .

(٤) في ت : والناس قد هرموا . « تحريف » .

(٥) في غ : ما حاولت .

(٦) في غ : عيناك .

(٧) في غ : وغارت .

اضطحَبَ شيخٌ وشُبَّانٌ في سَفِينَةٍ ؛ فقال بعضُ الشُّبَّانِ لِلشَّيْخِ : إن مَعَنَا قَيْنَةً
ونحنُ نَجِلُّكَ أن تَسْمَعَ غِنَاءَها ؛ فقال : اللهُ السَّمْعَانُ فشانُكُم ؛ فغَنَّت :

حَتَّى إذا الصَّبِيحُ بَدَأَ ضَوْؤُهُ وغابَتِ الجُوزَاءُ والمِرْزَمُ
خَرَجَتْ (١) والوَطءُ خَفِيٌّ كَمَا يَنْسَابُ من مَكْمِنِهِ الأَرْقَمُ

فَأَلْقَى الشَّيْخُ نَفْسَهُ (٢) في الفُرَاتِ ، وجعل يقول : أنا الأَرْقَمُ ! فأدْرَكُوهُ
وقد كَادَ يَغْرَقُ (٣) ؛ فقالوا : ما صَنَعْتَ بِنَفْسِكَ ؟ ! فقال : إني وَاللَّهِ أَعْلَمُ من مَعَانِي
الشُّعْر ما لا تَعْلَمُونَ .

دَخَلَ إِسْمَاعِيلُ بنُ يَسَّارِ النَّسَائِي عَلَى هِشَامِ بنِ عَبْدِالمَلِكِ في خِلَافَتِهِ وهو بَارٌّ صَافَةٌ
جَالِسٌ عَلَى بِرْكَةٍ لَهُ في قِصْرِهِ ، فَاسْتَشَدَّهُ وهو يَرِي أَنَّهُ يُنْشِدُهُ مَدِيحًا لَهُ فِيهِ .
فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ يَفْخَرُ بِالعَجَمِ عَلَى العَرَبِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ مِنْهَا :

إِنِّي وَجَدْتُكَ ما عُوْدِي بِنَدَى حَوْرٍ عِنْدَ الحِفاظِ وَلا حَوْضِي بِمَهْدُومٍ

أَصْلِي كَرِيمٌ وَمَجْدِي لا يُقَاسُ بِهِ وَلى لِسَانٍ كَحَدِّ السَّيْفِ مَسْمُومٍ

أَحْمِي بِهِ أَصْلُ (٤) أَقْوَامِ ذَوِي حَسَبٍ مِنْ كُلِّ قَرَمٍ بَتَاجِ المَلِكِ مَعْمُومٍ

جَجَّاجِ سَادَةِ بُلْجِ مَرَازِبَةٍ جُرْدِ عِتَاقِ مَسامِجِ مَطاعِمِ

— مِنْ مِثْلِ كَسْرِي وَسابُورِ الجُنُودِ مَعًا وَالهُرْمُرَانَ لِفَخْرٍ أَوْ لِتَعْظِيمِ

— أُسْدُ الكِتابِ يَوْمَ الرُّوعِ إن زَحَفُوا وَهمُ أَذْأوا مَلوكَ التُّرْكِ وَالرُّومِ

يَمشُونَ في حَلْقِ المَآذِي سَابِغَةً مَشَى الضَّراعِمَةِ الأَسَدِ اللِّهَامِمِ

هناكَ إن نَسَأَلي تُذَيِّبِي بِأَنَّ لَنَا جُرْثُومَةً قَهْرَتِ غُرَّ (٥) الجِرائِمِ

(١) في غ : أقبلت .
(٢) في غ : بنفسه .
(٣) في ت : أن يغرق .
(٤) في غ : مجد .
(٥) في غ : عز .

سأى
هضم
لما
مرسه
لغزة
على
لر

(١) فغضب هشام وقال له: يا عاضَّ بَطْرُ أمه ، أَعَلَى تَفَخَّرَ وَإِبَائِي تُنْشِدُ قَصِيدَةَ
تمدح بها [نفسك] (١) وأعلاج قومك! غَطَّوْهُ فِي الْمَاءِ (٢) ، ففَطُّ فِي الْبِرْكَةِ حَتَّى
كَادَتْ نَفْسُهُ تَخْرُجُ ، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ وَهُوَ بِشَرِّ فَنفَاهُ مِنْ وَقْتِهِ وَأَخْرَجَ عَنِ الرَّصَافَةِ
مَنْفِيًّا إِلَى الْحِجَازِ . وَكَانَ مُبْتَلَى بِالْعَصَبِيَّةِ لِلْعَجْمِ وَالْفَخْرِ بِهِمْ . فَكَانَ لَا يَزَالُ
مَحْرُومًا مَطْرُودًا مَضْرُوبًا .

ولما مات محمد بن يسار أخو إسماعيل دخل أخوه إسماعيل على هشام بن عروة
فجلس عنده وحدثه بمصيبته ووفاة أخيه ثم أنشده يرثيه (٣) :

عِيلَ الْعَزَاءِ وَخَانِنِي صَبْرِي	لَمَّا نَعَى النَّاعِي أَبَا بَكْرِي
وَرَأَيْتُ رَبِّبَ الدَّهْرِ أَفْرَدَنِي	مِنْهُ وَأَسْلَمَ لِلْعِدَى ظَهْرِي
مِنْ طَيْبِ الْأَنْوَابِ مُقْتَبِلِ	حُلُوِّ الشَّمَائِلِ مَا جَدَّ غَمْرِي (٤)
فَمَضَى لِيُوجِهَتِهِ وَأَدْرَكَهُ	قَدَرٌ أُتِيحَ لَهُ مِنْ الْقَدَرِ
وَأَقَمْتُ (٥) مَا لِي مِنْ تَدَاكُرِهِ	إِلَّا الْأَسَى وَحَرَارَةُ الصَّدْرِ
وَجَوَى يُعَاوِدُنِي وَقَلَّ لَهُ	مِنِّي الْجَوَى وَمَحَاسِنُ الدَّكْرِ
لَمَّا هَوَتْ أَيْدِي الرَّجَالِ بِهِ	فِي قَمَرِ ذَاتِ جَوَانِبِ غَيْرِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي لَنْ (٦) الْأَافِيهِ	فِي النَّاسِ حَتَّى مُلْتَقَى الْحَشْرِ
كَادَتْ لِفَرْقَتِهِ وَمَا ظَلَمْتُ	نَفْسِي تَمُوتُ عَلَى شَفَا الْقَبْرِ

(١) ساقطة من ت .

(٢) في ت : بالماء .

(٣) في ت : مرثية .

(٤) الغمر : السكريم الواسع الخلق .

(٥) في غ : وغبرت .

(٦) في غ : لا .

وَلَعَمْرُؤُ مِنْ حُبْسِ الْهَدْيِ لَهُ بِالْأَخْشَبَيْنِ صَبِيحَةَ النَّحْرِ
لَوْ كَانَ نَيْلُ الْخُلْدِ يَدْرِكُهُ بَشْرُهُ يَطِيبُ الْخَلِيمَ وَالْخَبْرَ (١)
لَعَبَّرَتْ لَا تَخْشَى الْمُنُونَ وَلَا أَوْدَى بِنَفْسِكَ حَادِثُ الدَّهْرِ
وَلِنِعْمِ مَأْوَى الْمُرْمِلِينَ إِذَا قَحَطُوا وَأَخْلَفَ صَيْبُ (٢) الْقَطْرِ

وكان بحضرة هشام رجل من آل الزبير ، فقال له ؛ أحسنت وأشرفت في القول ، ولو قلت هذا في رجل من سادات قريش لكان كثيرا ، فجزه هشام وقال : بس لعمر الله ما واجهت به جليساك ، فشكره (٣) إسماعيل ذلك ، فلما انصرف تناول هشام ذلك الرجل الزبيرى وقال : ما أردت إلى رجل شاعر ملك قوله ، فصرف أحسنه إلى أخيه ! فما زدت على أن أغريته بعرضك وأعرضنا لولا أنى تلافيته .

دَخَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لَمَّا أَفْضَى إِلَيْهِ الْأَمْرُ بَعْدَ مَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَسَلَّمَ ثُمَّ وَقَفَ مَوْقِفَ الْمُنْشِدِ ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : الْآنَ يَا ابْنَ يَسَارَ ! إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلُ زُبَيْرِ ، فَبِأَيِّ لِسَانٍ تُنْشِدُ ؟ ! فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : أَنَا أَصْغَرُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ صَفَحْتَ عَنْ أَعْظَمِ جُرْمًا وَأَكْثَرِ غِنَاءً لِأَعْدَائِكَ مِنِّي ، وَإِنَّمَا أَنَا شَاعِرٌ مُضْحِكٌ ؛ فَتَبَسَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ أَنْ يُنْشِدَ ، فَأَنْشَدَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا :

* أَلَا يَا قَوْمِي لِلرُّقَادِ الْمُسَهَّدِ *

(١) في غ : والنجر .

(٢) في غ : صائب .

(٣) في غ : فشكره .

ومنها :

ملكْتَ فزِدْتَ النَّاسَ مَا لَمْ يَزِدْهُمْ
وَقُلْتَ^(٢) فَلَمْ تَنْقُصْ قِضَاءَ خَلِيفَةِ
وَلَمَّا وَرِثَ الْمَلِكُ ضَارِبَتَ دُونَهُ
جَعَلْتَ هِشَامًا وَالْوَالِدَ ذَخِيرَةً
إِمَامًا مِنَ الْمَعْرُوفِ غَيْرِ الْمُرَدِّ^(١)
وَلَكِنْ بِمَا قَاسُوا مِنَ الْعَدْلِ^(٣) تَقْتَدِي
وَأَسْنَدَتَهُ لَا تَأْتِي خَيْرَ مُسْنَدٍ
وَلِيَيْنَ لِلْعَهْدِ الْوَثِيقَ الْمُوَكَّدَ

فَنظَرَ إِلَيْهِمَا عَبْدُ الْمَلِكِ مُبْتَسِمًا ، وَالتفت إلى سليمان فقال : أَخْرَجَكَ إِسْمَاعِيلُ
مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ؛ وَنظَرَ إِلَى إِسْمَاعِيلِ نَظْرَةً مُعْضَبٌ فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِنَّمَا وَزَنَ الشَّعْرَ^(٤) أَخْرَجَهُ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، وَقَدْ قَلتْ بَعْدَهُ :

وَأَمْضَيْتَ عَزْمًا فِي سُلَيْمَانَ رَاشِدًا وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ مِثْلَكَ يَرْشُدُ
فَأَمَرَ لَهُ بِالْقَى دِرْهَمَ صَلَاةٍ وَزَادَهُ فِي عَطَائِهِ ، وَقَالَ لَوَالِدِهِ : أَعْطُوهُ فَأَعْطَوْهُ ثَلَاثَةَ
أَلْفِ دِرْهَمٍ .

(١) في ت : مصدر بدون أل .

(٢) في غ : وقت .

(٣) في غ : ساروا من الفعل .

(٤) في ت : البيت .

إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ

(هو إبراهيمُ بن ميمُون) [أو] (١) بنِ مَاهَانَ بنِ بَهْمَن بنِ نَسِك (٢) . وكان سَبَبُ نسبته (٣) إلى ميمون أنه كتب إلى صديق له فعنون كتابه : من إبراهيم بن ماهان ؛ فقال له بعضُ فتيان الكوفة : أما تستحي من هذا الاسم ! فقال : هو اسمُ أبي ؛ قال : فميرّه ؛ فقال : كيف أغيرّه ! فأخذ الكتابَ فمَحَا مَاهَانَ وكتب ميمُون ، فَبَقِيَ إِبْرَاهِيمَ بنِ مِيمُون .

(وقال إبراهيم : أصلنا من فارس ، وكُنَّا بَيْتًا شَرِيفًا في العجم ، وكان جدُّنا ميمون هرب من جور بعض عمال بني أمية ، فنزل في الكوفة في بني عبد الله بنِ دَارِم). وكان بين إبراهيم وبين ولدِ نَضْلَةَ بنِ نَعِيمِ رَضَاع (وأمُّ إبراهيم امرأةٌ من بنات الدهاقين) (٤) الذين هربوا من فارس لما هرب أبو إبراهيم ، فنزلوا جميعًا في الكوفة ، فترَوَّجها ماهانُ في الكوفة ، فولدت له إبراهيم ومات في الطاعونِ الجارف ، وخلف إبراهيم طفلًا ، فكفَّله آل (٥) خَزِيمَةَ بنِ خَازِم . وكانت سنُّه لما مات أبوه سنتين أو ثلاثًا ، وخلف معه أخوين من غير أمه أكبر منه ، فأقام إبراهيم مع أمه وأخواله حتى ترعرع (وكان مع ولد خزيمة في الكتاب ، فلهدأ (٦) السبب صار ولاؤه إلى تميم .)

(١) ساقطة من ت .

(٢) في ت : كسك « تحريف » .

(٣) في غ : نسبة .

(٤) الدهاقين جمع دهقان وهو زعيم فلاحى العجم أو رئيس الإقليم « مغرب » .

(٥) في ت : لى .

(٦) في غ : فبهذا .

(وسأله الرشيدي فقال : ما السبب بينك وبين بني تميم ؟ فقص^(١) عليه قصته فقال : ربونا يا أمير المؤمنين فأحسنوا تربيتنا ونشأت بينهم^(٢) ، وبيننا رضاع ، فتوكلونا بهذا السبب ؛ فقال له الرشيدي : ويحك ! فما أراك إذا إلا مولاي ؛ قال : فهذه قصتي والله يا أمير المؤمنين .

(وكان مولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة ، ووفاته في سنة ثمان وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة . وسبب قولهم الموصلي أنه لما اشتد وأدرك ، صحب الفتيان واشتهى الغناء وطلبه ، واشتد أخواله عليه في ذلك وبلغوا منه ، فهرب إلى الموصل ، فأقام بها سنة ، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان : مرحباً بالفتي الموصلي فغلبت عليه)

وقيل : كان سبب طلبه الغناء أنه لما خرج إلى الموصل صحب جماعة من الصعاليك كانوا يصيبون في الطريق ويصيب معهم ويجمعون ما يفيدونه فيقصفون^(٣) ويشربون ويغنون ، فتعلم منهم شيئاً من الغناء وكان أطيبيهم صوتاً وأحذقهم ، فلما أحس بذلك من نفسه اشتهى الغناء وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه وإلى الرتي ، وتزوج هناك امرأته دوشار وتفسيرها أسدان^(٤) ، وتزوج بها شاهك أم ابنه إسحاق وسائر ولده . وكان قد أسلم إلى الكتاب فكان لا يتعلم شيئاً ، ولا يزال يضرب ويحبس فلا ينجح ذلك فيه ، فهرب إلى الموصل .

(قال إبراهيم : أول شيء كسبته بالغناء أنني كنت بالرّي أنادم أهلها بالسويّة لا أرزؤهم شيئاً ، ثم بنا خادم أتقده المنصور إلى بعض عماله برسالة فسمعني عند

(١) في غ : فاقص .

(٢) في غ : فيهم .

(٣) يقصفون : يرقصون ويلعبون .

(٤) الأسد بالفارسية : شير . ولعل شار لغة أو لهجة في هذه اللفظة . ودو بمعنى اثنين .

رجل من الرتيّ فشغف بي وخلع عليّ دُوَاجَ سَمُورٍ^(١) له قيمة ، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكُسُوةٍ كَثِيرَةٍ ؛ فجاءني إلى منزلي وأعطاني نصف الكسوة وألفي درهم) فقلت : لا أتفق هذه الدراهم إلا على الصنعة التي أفادتها ؛ ووُصِف لي رجل بالأبلة^(٢) اسمه جُونُوبَةُ فلما جئته لم أصادفه في منزله ، فانتظرتُه حتى جاء فلما رأني احتشمي^(٣) وكان مجوسياً فأخبرته بصناعتي والحالة التي قصدتُه لها ، فرحب بي وأفرد لي جناحاً في بيته ، ووكل بي جارية فقدمت لي ما أحتاج إليه ، فلما كان العشاء عاد إلى منزله ومعه جماعة من الفرس ممن تغنى ، فنزلتُ إليه فجلسنا في مجلسٍ قد هُمِّي^(٤) لنا فيه نبيذ ورياحين وفاكهة ، وأخذوا في شأنهم وضربوا ، فلم أجد في غناء أحدٍ منهم فائدة ، وبلغت النوبةُ إلىّ فضربتُ وغنيتُ ، فقاموا جميعاً إلىّ وقبلوا رأسي ، وقالوا ؛ سخرت بنا ، نحن إلى تلميمك أحوج منك إلينا ؛ فأمتُ على تلك الحال أياماً (حتى بلغ محمد بن سليمان بن عليّ ما جرى ، فوجه إلىّ فأحضرني وأمرني بملازمته ، فقلت : أيها الأمير ، إني لست أتكسب بهذه الصناعة وإنما ألتذُّ بالغناء ، ولذلك تعلمته وأريد العودَ إلى الكوفة ، ولم أتفعم بذلك عنده وأخذني بملازمته ، وسألني : من أين أنا ؟ فأخبرته أنني من الموصل فلزمتمني وعرفتُ بها ، ولم أزل عنده أثيراً مُكْرَماً حتى قدم عليه خادم من خدام المهديّ ، فلما رأني عنده قال له : أميرُ المؤمنين أحوجُ إليّ هذا منك ، فدافعه عني ، فلما قدم الرسولُ على المهديّ سأله عما رأى في طريقه ، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكري فوصفني له ؛ فأمره المهديّ بالرجوع وإشخاصي إليه فجاء وأشخصني إليه وحظيتُ عنده وقدمني .

(١) دواج سمور: ضرب من الثياب ، يتخذ من جلد حيوان يشبه السنور، وهي خفيفة ثمينة .

(٢) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة وهي أقدم من البصرة .

(٣) احتشمي : استحي مني . وفي ت : أحشني « تحريف » .

(٤) في غ : صني .

وقيل: إنه صحب عيسى بن سليمان وأن المهدي أخذَه منه وقال: ما سمع المهدي قبلي إلا فليح بن أبي العوراء^(١) وسيط، أحضرها الفضل بن الربيع^(٢) له .
(قال إبراهيم : وكان المهدي لا يشرب النبيذ فأراد مني ملازمته وترك الشرب فأبيت عليه ، وكنت أعيب عنه الأيام ، فإذا جئته جئت منتشياً^(٣) فقاظه ذلك مني وضر بني وحبسني ، ثم دعاني يوماً وعاتبني على شربي في منازل الناس والتبذل معهم . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنما تعلمت هذه الصناعة للدني وعشرة إخواني ، ولو أمكنني تركها لتركها جميع ما أنا فيه لله ، فغضب غضباً شديداً . وقال : لا تدخل على موسى وهارون ، والله إن دخلت عليهما لأفعلن وأصنعن ؛ فقلت : نعم ، ثم بلغه عنى أنني دخلت إليهما^(٤) وشربت معهما وكانا مشتهرين بالشرب^(٥) ؛ فضر بني ثلاثمائة سوط وقيدني وحبسني . قال : وذلك أنني كنت معهما في نزهة لهما ومعهما^(٦) أبان الخادم ، فسمي بهما إلى المهدي وبني وحدته بما كنا فيه ، فدعاني فسألني فأنكرت ، فأمر بي فجردت^(٧) وضر بني ثلاثمائة سوط وستين سوطاً ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين : إن جرمي ليس من الأجرام التي يحل لك بها سفك دمي ، والله لو كان مر ابنيك تحت قدمي ما رفعتهما عنه ولو قطعنا ، ولو فعلت ذلك كنت في حال أبان العبد الساعي ، فلما قلت له ذلك ضر بني بالسيف فشجني وسقطت مغشياً على ساعة ؛ ثم فيحت عيني فوقعت على عين المهدي فرأيتها عين نادم ؛ وقال لعبد الله بن مالك : خذني إليك . فأخرجني عبد الله إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني

(١) في ت : فليح بن العوراء .

(٢) في ت : أحضرها الربيع له .

(٣) في ت : منشياً .

(٤) في غ : عليهما .

(٥) في غ : مشتهرين بالنبيذ .

(٦) في غ : ومعهم .

(٧) في ت : فجردت .

صفراء وحمراء وخضراء من حرِّ السَّمِيطِ، وأمره أن يتخذ لي شبيهاً بالقبر فيضعني^(١) فيه ، فدعا عبدُ الله بكبش فدُبِحَ وسُلِّخَ والبَسِي جلدُه لِيَسْكُنَ الضربُ ، ودفعني إلى خادم له يقال له : أبو عُثْمَانَ سعيد التركي ، فوضعتني في ذلك القبر ووكَّل بي جارية يقال لها ؛ جَسَّة ؛ فتأذيت بنتن^(٢) كان في ذلك القبر والبق ، فقات لجسَّة : أصلحي لي أجرَةً عليها فحَمَ وكُنْدُر^(٣) تذهب عني هذا البق ، فأتتني بذلك ، فلما دَخْتُ أَظْلَمَ القبرُ وكادت نفسي تَخْرُجُ ، فلما استرحتُ إذا حَيَّتَانِ مُقْبِلَتَانِ نحوى من شقِّ القبرِ تَدْوِرَانِ حَوْلِي بِحَفِيفٍ شَدِيدٍ ، فهَمَمْتُ أَنْ آخُذَ واحدةً بيدي اليُمَنِ والأُخْرَى بِالْيُسْرِ فإِذَا عَلَيَّ وَإِذَا لِي ، ثم كُنَيْتُهُمَا ، فدخلتا الشقَّ الذي خَرَجْنَا منه ، فمكثتُ في ذلك القبرِ ما شاء الله ، ثم أُخْرِجْتُ ووجَّهْتُ إلى أبي عُثْمَانَ فسألته أن يبيعي جَسَّةَ لِأَنَّهَا عَمَّا أَوْلَيْتَنِي ففعل ، فزوجتها من حاجب^(٤) لي فمكثت عندنا حتى ماتت . وَبَقِيَتْ بِنْتُ لَهَا يُقَالُ لَهَا : جُمعة ، فزوجتها من مؤلِّي لنا في سنة أربع وثلاثين [وما تئين] ^(٥) .

(ثم حلقني المهدي بالطلاق والعِتَاقِ وكلِّ عَيْنٍ لَا فَسْحَةَ لِي فِيهَا أَنِي لَا أُدْخِلُ عَلَى ابْنِيهِ مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أُغْنِيهِمَا وَحَلِّي سَيْمِلِي) .
فلما ولي موسى الهادي الخلافة استترت ولم أظهر بسبب الأيمان ، وكانت منازلنا تُكَبَسُ كل ليلة وأهلنا يُرَوَّعُونَ بِالطَّلَبِ حَتَّى أَصَابُونِي فَمَضِيَتْ إِلَيْهِ فَلَمَّا عَايَنَتْهُ قَلَّتْ : يَا سَيِّدِي ، أُمُّ وَلَدِي أَعَزُّ الْخَلْقِ عَلَيَّ ، ثُمَّ غَنِيَتْهُ :

— يَا بَنَ خَيْرِ الْمَلُوكِ لَا تَشْرَكَنِي غَرَضًا لِلدَّوِّ يَرْمِي حِيَالِي

(١) في غ : فيصيرني .

(٢) في غ : بنت .

(٣) الكندر : اللبان الذكر .

(٤) في ت : صاحب .

(٥) ساقطة من ت .

فلقد في هواك فارقتُ أهلي ثم عرضتُ مهجتي للزوال
ولقد عفتُ في هواك حياتي وتغربتُ بين أهلي ومالي
قال إسحاقُ ابنُه فوَّله الهادي وخوَّله (١) . وحسبكُ أنَّه أخذ منه مائة ألفٍ
وخمسين ألفَ درهم (٢) في يومٍ واحدٍ ، ولو عاشَ لبئينا حيطاننا بالذهبِ والفضةِ .
ولم يُرأ كمثلُ مُروءةٍ ولا أكرمٍ من إبراهيم .

وكان له طعامٌ مُعدٌّ أبدأً في كل وقت ، كان له في كلِّ يومٍ ثلاثُ شياه : واحدةٌ
مُقطَّعة في القدور ، وأخرى مسلوخة ومُعلَّقة ، وأخرى حية ، فإذا أتاه قومٌ طعموا
المطبُوخ ، وقُطعتِ الشاةُ المُعلَّقة في القدور ، وذُبِحَتِ الحيةُ وعُلِّقت ، وأُتِيَ بأخرى
فأُقبِيت حيةً عوضَ المذبوحة . وكانت وظيفتهُ لطعامه وطيبه وما يُتخذُ له في كلِّ
شهرٍ ثلاثين ألفَ درهمٍ سوى كُسوته .

(ولقد اجتمع عنده مرَّةً من الجوارى الودائع لإخوانه ثمانون جارية ،
ما فيهن واحدة إلا ويُجرى عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يُجرى
لأخص جواريه ، فإذا رُدَّت الواحدة إلى مولاها وصلها وكساها ، ومات وما في
ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار (٣) ، وعليه من الدين [سبعُ مائة دينارٍ قُضيت
منها] (٤) .

(١) موله وخوَّله : أعطاه مالا وخولا ؛ والحول . النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية
للواحد والجمع والذكر والأنثى .
(٢) في غ : دينار .
(٣) في ت : درهم .
(٤) يابض في ت .

كان الرشيد اشترى من إبراهيم جاريةً بستة وثلاثين ألف دينار، ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع: إننا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم، ونحن نحسب أنها من غرضنا وليست كما ظننا، وما قرَبْتُها وقد ثقل على الثمن وبينك وبينه ما بينكما، فاذْهَبْ إليه فسأله أن يحطَّنَّا من ثمنها ستة آلاف دينار! فصار الفضلُ إليه. فخرج فتلقاه؛ فقال له: دَعْنِي من هذه الكرامة التي لامؤونة فيها، لست ممن يُخدَع، وقد جئتُك في أمرٍ أصدُقُك عنه وأخبره الخبر، فقال له إبراهيم: إنما أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَ قَدْرَكَ عِنْدِي، قال: هو ذاك. قال فمالي في المساكين صدقة إن لم أضمه، قد حططتُك اثني عشر ألف دينار؛ فرجع الفضلُ إليه بالخبر، فقال: ويحك! احمِلِ إلى هذا ماله، فما رأيتُ سَوْفَةً أنبلَ منه نفساً، وغُوبٌ في ذلك وقيل: ما كان لِحطِيطَةِ هذا المالِ مَعْنَى ولا هو قَلِيلٌ تَتَغافلُ عنه، فقال لِلآئِمَّةِ: يا أحمق، أنا أعرفُ الناسَ به، والله لو أخذتُ المالَ كاملاً ما أخذته إلا وهو كاره، وحقَّ ذلك عليّ وكنتُ أكونُ عنده صَغيرَ القَدْرِ، ولقد مَنَنْتُ عليه وعلى الفضل، وعظُمَ قَدْرِي، وإنما اشتريتُ الجاريةَ بأربعمِئَةِ ألفِ درهمٍ، وقد أخذتُ أربعةَ وعشرين ألفَ دينارٍ، فلما حَمَلَ المالُ إليه كاملاً بلا حطِيطَةِ، رَجَعَ على لآئِمَّةِ وقال: كيف رأيتَ مِنَ البَصِيرِ أَنَا أَوْ أَنْتَ؟ فقال: أنتَ جُمِلتُ فِدَاكَ.

قال إبراهيم بن المهدي: انصرفت ليلة من الشَّماسِيَّةِ فررتُ بدارِ إبراهيم الموصليِّ، وإذا هو في رَوْشِنٍ^(١) له وقد صنَعَ لِحْنًا في هذا الشَّعرِ:

أَلَا رَبُّ نِدْمَانٍ عَلِيٍّ دُمُوعُهُ تَفِيضُ عَلَى الْخَدَّيْنِ سَحًّا سَجُومُهَا
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْكَأْسُ دَارَتْ وَهَرَّهَا رَجُلٌ لَدَيْهَا قَسِدٌ تَخِفُ حُلُومُهَا

(١) الروشن: ما يخرج من حائط الدار إلى الطريق من خشب أو حديد وهو الشرفة.

ويلعب فيه^(١) بنعمة ويكررها ليستوي عليه ، وجواربه يضربن عليه ،
فوقفت تحت الروشن حتى أخذته وانصرفت إلى منزلي ، فزارت أعيده حتى بلغت
فيه الغاية القصوى ، وأصبحت فعدت إلى الشماسية واجتمعنا عند الرشيد ،
فاندفع إبراهيم ففناه أول كل شيء ، فلما سمعه الرشيد طرب واستحسنه وشرب ،
وقال : لمن هذا يا إبراهيم ؟ قال : لي ياسيدي ، صنعته البارحة ؛ فقلت : كذب
يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت قديم وأنا أغنيه ؛ فقال لي : غنه فغنيته كما غناه
إبراهيم ؛ فبهت إبراهيم وغضب الرشيد ، وقال : يا ابن الفأجرة ! أتكذبني
وتدعي ما ليس لك ! فظل إبراهيم بأسوأ حال ؛ فلما صليت العصر قلت للرشيد :
وحياتك يا أمير المؤمنين الصوت له وما كذب ، ولكنني مررت بالبارحة وهو
يردده على جارية له فوقفت حتى دار لها ودار لي واستوي فأخذته ؛ فدعا به فأمر له
بخمسة آلاف دينار .

قال إسحاق : لقي الفضل بن يحيى أبي وهو خارج من عند الفضل بن
الربيع ، وكانا متجاورين في الشماسية^(٢) ، فقال له : من أين يا أبا إسحاق ؟
فقال : من عند الفضل بن الربيع ، غير ممتدري من ذلك ؛ فقال . خروج
من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى ! هذان والله أمران لا يجتمعان
لك ! فقال : والله لئن لم يسكن في ما يتسع لكما حتى يكون الوفاء لكما جميعاً
واحدًا ما في خير ، والله لا أترك واحداً منك لصاحبه ، فمن قبلني على هذا
قبلني ، ومن لم يقبلني فهو أعلم ؛ فقال له الفضل بن يحيى : أنت عندي غير متهم
والأمر كما قلت ، وقد قبلتك على ذلك .

(١) في غ : به .

(٢) في ت : بالشماسية .

قال إبراهيم : خرجتُ مع الرّشيد إلى الحيرة ، فساعة نزل بها تعدّى ثم نام ، فاعتنمتُ قائلته وركبتُ أدورُ في الحيرة ، فنظرتُ إلى بُسْتَانٍ فقصدته فإذا على بابه شابٌ حسن الوجه ، فاستأذنته في الدخول فأذن لي ، فدخلتُ فإذا جَنَّةٌ من الحِنَانِ في أحسنِ تربةٍ وأغزرها ماء ، فقلتُ : لمن هذا البُستانُ ؟ فقال : لِبَعْضِ الْأَشَاعِنَةِ (١) فقلتُ : أبيعُ ؟ فقال : نعم وهو في سَوْمٍ (٢) ، فقلتُ : كم بلغ ؟ فقال : أربعة عشر ألف دينار ، قلتُ : وما يُسمّى ؟ قال : سُمَارَى فقلتُ فيه :

جَنَانٌ سُمَارَى لَيْسَ مِثْلَكَ مَنظَرٌ لَدَى رَمَدٍ أَعْيَا عَلَيْهِ طَبِيبٌ
تُرَابُكَ كَانُورٌ وَتَوْرُكُ زَهْرَةٌ لَهَا أَرْجٌ بَعْدَ الْهُدُوِّ يَطِيبُ

وحضرتُ فيه صنعةٌ حسنة ، فلما جلس الرّشيد غنّيته أول ما غنّيته ، فقال : وَيْلَكَ ! وَأَيْنَ سُمَارَى ؟ فأخبرته القصة ، فأمر لي بأربعة عشر ألف دينار ، فغمزني جعفر بن يحيى وقال : خذ توقيمةً بها إليّ ، وتشاغل الرّشيد ، عني فأعدتُ الصوت ، فقال : ويلكم أعطوا هذا دنائيره ، فوثبتُ فقلتُ : يا سيدي ، وقع (٣) بها إلى جعفر ابن يحيى ، فقال : أفعل ، فوقع بها ، فلما حصل التوقيع عند جعفر أطلق لي المال وخمسة آلاف دينارٍ من عنده ، فلما حصل المالُ عندي كان أحبَّ إليّ وأحسن في عيني من سُمَارَى (٤) .

قال إسحاق بن إبراهيم : قال ابنُ جامع يوماً لأبي : رأيتُ في منامِي كأنك وأنا راكبين في محمِلٍ فنقلتُ (٥) حتّى كدتُ تلتصقُ بالأرض ، وعلا الشوق الذي

(١) الأشاعنة : قوم ينسبون إلى الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي .

(٢) في غ : على سوم .

(٣) في ت : توقع .

(٤) في ت : شمازى « تحريف » .

(٥) في غ : فسقلت .

أنا فيه ، فلا علونك في الغناء . فقال إبراهيم : الرؤيا حق ، والتأويل باطل ، وإني وإياك كُنا في ميزان ، فرجحتُ بك^(١) وشالتُ كفتك ، وعلوت و لصقتُ بالأرض فلا بقينَ بعدك ولتموتنَّ قبلي : قال إسحاق : فكان كما قال أبي ، علا عليه ، ومات ابنُ جامع قبله ، وعاشَ أبي بعده .

قال مُحَارِقُ : أذن لنا أمير المؤمنين أن نُقيم في منازلنا^(٢) ثلاثة أيام ، وأعلمنا أنه مشغول فيها مع الحرم .

وقيل : اشتغل الرشيدُ يوماً واصطَبَحَ مع الحرم وأصبحتِ السماءُ مُغيمةً تَطشُّ طشاً خفيفاً ، فقلت : لأذهبنَّ إلى أستاذي إبراهيم فأعرفَ خبره ثم أعود ، وأمرتُ مَنْ عندي أن يُسووا لنا مجلساً إلى وقت رُجوعي ، فجئتُ إلى إبراهيم الموصلي وإذا الباب مفتوح والدّهليز قد كُنِسَ والبواب قاعد ؛ فقلت : ما خبر أستاذي ؛ فقال : ادخل ، فدخاتُ وإذا هو جالسٌ في رواقٍ له ، وبين يديه قُدُورٌ^(٣) وأباريق تزهر ، والستارةُ منصوبة والجواري خلفها وقدَّامه طستٌ فيه رطليةٌ وكوزٌ وكأس ، فأخذتُ أرتم بيمض الأصوات ، وقات له : ما بال الستارة لست أسمع من ورائها صوتاً ؛ فقال : اقعدي ويحك ! إنني أصبحتُ على الذي ظننت ، فجاءني خبرٌ ضيعةٌ تجاورني ، طلبتها وتمنيتها زماناً فلم أملكها ، وقد أعطى بها مائة ألفِ درهم ، فقلت : فما يمتك ؟ فلقد أعطاك الله تعالى أضاعافَ هذا المالِ بكثير ؛ فقال : صدقت ، ولكن لست أطيب نفساً بأن أُخرجَ هذا المال ، فقلت : فمن يُعطيك الساعةَ مائةَ ألفِ درهم ، فقال : والله ما أطمعُ في ذلك من الرشيد ، فكيف بمن دونه ! ثم قال :

(١) في ت : فرجحت : بي .

(٢) في ت : منارات « تحريف » .

(٣) في غ : قدور تفرغر .

اجلس ، فخذ هذا الصوت ، ثم نقر بقضيب على دواة وألقى على هذا الصوت في شعر
لأبي النضير^(١) :

— نام الخليون من هم ومن حزن^(٢) وب من كثرة الأحزان لم أنم
— يا طالب الجود والمعروف مجتهدا إعمد ليحيي حليف الجود والكرم

فأخذت الصوت وأحكمته ؛ فقال لي : امض الساعة للوزير يحيى بن خالد ،
فإنك تأتيه قبل أن يفتح الباب ولم يجلس بعد ، فاستأذن عليه قبل أن يصل إليه أحد ،
فإنه سينكر بجيئك ويقول : من أين أقبلت في هذا الوقت ؟ فحدته بقصدك إياي
وما لقيت إليك من خبر الضيعة ، وأعلمه أني قد صنعت هذا الصوت وأعجبني ، ولم
أر أحدا يستحقه إلا جاريتته فلانة ، وأنى ألقته عليك لتلقيه عليها ، فيأمر بالسفارة
ويدعوها ، ويوضع لك كرسي ويقول لك اطرحه عليها بحضرتي ، فأفعل وأنتني
بما يكون قال : فجيئت إلى باب يحيى بن خالد ، فجرى الأمر على كل ما قاله
إبراهيم ، ثم قال : أتقيم عندنا يا أبا المهنأ أو تنصرف ، فقلت أنصرف فقال : يا غلام
أحمل مع أبي المهنأ عشرة آلاف درهم ، واحمل إلى أبي إسحاق مائة ألف درهم تمن
الضيعة فأنت إلى منزلي ، ومضى الرسول بالمال إلى إبراهيم ، ودخلت بيتي ونهرت
على من عندي ذراهم من تلك البذرة ، وأكلت وشربت وطربت وتوسدتها ونمت ؛
فلما أصبحت قلت : لا تين أستاذي فلا عرفن خبره ، فأنت فوجدت الباب كهيئته
بالأمس ، ودخلت فوجدته كما كان بالأمس ، فترنمت^(٣) وطربت فلم يلق ذلك يقبول ،
فقلت : ما الخبر ؟ ألم يأتك المال بالأمس ؟ فقال : بلى ! فما خبرك أنت ؟ فمرفته بالمال

(١) اسمه عمر بن عبد الملك ، شاعر من شعراء البصرة . وفي ت : أبي نضير البصير « تحريف » .

(٢) في غ : سقم .

(٣) في ت : فترهت « تحريف » .

الذي أخذته وقلت : ما ينتظر من خلف الستارة ، فقال : ارفع السجف فرمته فإذا عشر بدر ؛ فقلت : أي شيء بقي عليك في أمر الصيعة ، فقال : ويحك ! ما هو إلا أن دخل المال منزلي حتى شجحت به وصار مثل ما حوت قديماً ؛ فقلت : سبحان الله ! فتصنع ماذا ؟ قال : أقيم حتى ألقى عليك صوتاً آخر يفوق ذلك ، فجلست بين يديه ، فألقى علي صوتاً آخر في شعر لأبي النضير أيضاً :

— ويفرح بالمولود من آل برمك بغاة الندى والسيف والرمح ذو النصل (١)
— وتنبسط الآمال فيه لفضله ولاسيما إن كان من ولد الفضل

قال مخارق : سمعت مالم أسمع مثله قط ، وصغر في عيني الأول فأحكمته ، فقال إبراهيم : أمض الساعة إلى الفضل بن يحيى ، فإنك تجده لم يأذن لأحد بعد وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم ، فاستأذن عليه ، وحدثه بحدثنا أمس (٢) وما كان من أبيه إلينا وإليك ، وأعلمه أني صنعت هذا الصوت وهو عندي أرفع منزلة من الصوت الأول ، وأني وجهت به قاصداً لجاريته فلانة ، قال : فسرت إلى باب الفضل ، فجزى الأمر على ما قاله ، فسألني عن الخبر فأعلمته بما وصل إلي وإليه من المال ، فقال : أخزى الله إبراهيم ، ما أبخله على نفسه ! ثم ضرب الستارة ، وقال : ألقه ، فلما ألقىته وغنته جاريته لم تتمه حتى أقبل يجر مطرفه ، ثم قعد على وسادة ، وقال : أحسن والله أستاذك وأحسن أنت ، فأخذته الجارية وسرر سرورا شديدا ، وقال : أقيم عندي اليوم ، فاعتذرت إليه ، فقال : يا غلام أحمل مع أبي المهنا عشرين ألف درهم وإلي أني إسحاق مائتي ألف درهم ؛ فانصرفت إلى منزلي بالمال وفتحت بكرة ونشرت على جوارى ، وسرت وسررت ، فلما أصبحت بكرت إلى إبراهيم ، فوجدته على

(١) في ت : بغاة الندى والسيف والرمح والنصل .

(٢) في ت : بحدثنا أول أمس وأمس .

الحال التي كان عليها، فدخلت أُتْرَنَمَ وَأَصْفَقَ ، فقال : أَدُنْ ، فقلت : ما بقي ؟ فقال : اجلس وارفع سَجْفَ هذا الباب فرفقته فإذا عَشْرُونَ بَدْرَةَ مع تلك العشر ، فقلت : ما تنتظر ؟ فقال : وَيَحْكُ ! ما هو إلا أَنْ حَصَلَتْ عندي حَتَّى جَرَى على مجرى ما تَقَدَّمَ ، فقلت : ما أظن أحداً نال من هذه الدولة ما نِلْتُ ! فلمَ تبخل على نفسك بشيء تَمَيَّنْتَهُ دَهْرًا وقد مَلَكَكَ اللهُ سبحانه أضعافه ! فقال : اجلس نخذ هذا الصوت ، وألقى على صوتنا أنساني به الأولين في شعرِ مَرَوَانَ بنِ أَبِي حَفْصَةَ :

إلى جَعْفَرٍ سارت بنا كُلُّ جَسْرَةٍ طواها سُرَّاهَا نحوَه والتَهَجَّرُ
إلى وَاسِعٍ للمُجْتَدِينَ فِناؤُهُ تروخُ عَطَايَاهُ عليهم وَتَبْكُرُ

قال مُخَارِقُ : فما سمعتُ بمثله قطَّ ، فأخذتهُ ثم قال : أَمْضِ إلى جَعْفَرٍ فَأَفْعَلْ بِهِ كما فعلتَ بأبيهِ وأخيه ، ففعلتُ ذلكُ وأخبرتهُ بما كان مِنْهُمَا وعرضتُ عليه الصوتَ ، فسُرَّ به وضرَبَ السُّتَارَةَ وأحضرَ جَارِيَةَ وأقعدتُ (١) على كرسيٍّ ثم قال : هات يا مُخَارِقُ ، فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذتهُ ؛ فقال : أحسنتُ يا مُخَارِقُ وأحسنَ أُسْتَاذُكَ ، فهل لك في المقامِ عندنا اليومَ ؟ فاعتذرتُ ، فقال : يا غلامُ احمِلْ مع أبي المَهْنَأِ ثلاثين ألفَ درهمٍ وإلى الموصليِّ ثلاثمائة ألفَ درهمٍ ؛ فصرتُ إلى منزلي بالمالِ ، وأقتُ ومن في منزلي مسرورين نشربُ ونلهُو ؛ ثم بَكَرْتُ إلى إبراهيم فتلقاني قائماً ، ثم قال : أحسنتُ يا مُخَارِقُ ؛ فقلت : ما الخبرُ ؟ فقال : اجلس فجلستُ ، وقال لمن خلف السُّتَارَةَ : خذُوا فيما أتمم فيه ، ثم رَفَعَ السَّجْفَ فإذا المالُ ؛ فقلت : ما خبر الضَّيْمَةَ ؟ فأدخلَ يده تحتَ مِسْوَرَةٍ هو مُتَكِيٌّ عَلَيْهَا فقال : هذه كُتُبُ (٢) الضَّيْمَةَ سئل عن صاحبها فوجدَ ببغدادَ فاشترأها منه بِحَمِي

(١) في غ : وقد .

(٢) في غ : هذا صك .

ابنُ خَالِدٍ ، وكتبَ إِلَى : قد علمتُ أَنَّكَ لا تَسْخُو نَفْسًا بِشِرَاءِ^(١) هذه الضميمة من مالٍ يحصلُ لك ولو حيزتَ لك الدنيا كلها وقد ابتعتها لك من مالي ، ووجه إلى بكتبتها^(٢) ، وهذا المال كما ترى ؛ ثم بكى وقال : يا مُحَارِقُ ، إذا عاشرتَ فعائير مثل هؤلاء ، وإذا خنكرت^(٣) فخنكِر لمثل هؤلاء ؛ ستمائة ألف درهم وضميمة بمائة ألف درهم وستون ألف درهم لك ، حصلتُ ذلك وأنا جالسٌ في مجلسي لم أبرح منه فتي تدرِك مثل هؤلاء .

أدر كنا والله من يكذبُ هذه الأفعال كلها ويقول : هذا من مخاريق الناس ووضِع الوراقين وأن هذا لم يكن قطَّ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

كان موسى الهادي شكس الأخلاق صعب المرآم^(٤) ، من توفاه وعرف أخلاقه أعطاه ما أمله ، ومن فتح فاه واتفق أن يفتحه بغير ما يهواه أقصاه وأبعده ، وكان لا يحتجِب عن ندمائه ولا عن المغننين ويكثر جوارزهم وصلاتهم ويوارثها ، فعنى إبراهيم يوماً بين يديه ، فقال له : عنَّ يا إبراهيم جنسا من الغناء الذَّ وأطرب عليه ولك حُكمك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لم يقابلني زُحل يبرده رجوتُ أن أُصيب . وكان يُصنِى إلى السَّيب والسَّيب [منه]^(٥) ففنيته لأبي صخر الهذلي :

وَإِنِّي لَيَمْرُونِي لَذِكْرِكَ هِزَّةٌ كَمَا أُتْفَضُ الْعَصْفُورُ بِلَهِّ الْقَطْرِ

فضرب بيده إلى جيب دُرَاعَتِهِ حُطَّةً^(٦) ذِراعاً ، وقال : أحسنتَ والله ، زدني ،

فمَنيتُ :

(١) فت : لا تسخو نفسك تشتري .

(٢) في غ : ووجهت لك بصكها .

(٣) خنكرت : غيبت .

(٤) في غ : المزاج .

(٥) زائدة في غ .

(٦) في غ : فحطها .

فِيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْآيَاتِمَ مَوْعِدِكَ الْحَشْرَ
فَضْرَبَ يَدَيْهِ إِلَى جَيْبِ دِرَاعَتِهِ فَحَطَّهَ ذِرَاعًا آخَرَ، وَقَالَ: زِدْنِي وَبَيْتِكَ! وَاللَّهِ
أَحْسَنَتْ وَوَجِبَ حُكْمُكَ فَفَنَيْتَهُ:

هَجْرَتُكَ حَتَّى قِيلَ: مَا يَمِرفُ اللَّقَا^(١) وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ: لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ
فَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ: أَحْسَنَتْ وَاللَّهِ، هَاتِ مَا تُرِيدُ، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي عَيْنِ^(٢)
مِرْوَانَ بِالْمَدِينَةِ، فَدَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهُمَا الْجَمْرَانِ، وَقَالَ: يَا ابْنَ
اللَّخْنَاءِ أُرِدْتُ أَنْ تَشَهَّرَنِي بِهَذَا الْمَجْلِسِ فَيَقُولَ النَّاسُ: أَطْرَبَهُ فَحَكَّمَهُ فَحَكَمَ
عَلَيْهِ، فَجَعَلَنِي سَمْرًا وَحَدِيثًا! يَا إِبْرَاهِيمَ الْحَرَّانِي: خُذْ بِيَدِ هَذَا الْجَاهِلِ وَأَدْخِلْهُ
بَيْتَ الْمَالِ الْخَاصِّ فَإِنْ أَخَذَ كُلُّ مَا فِيهِ نَحْلَهُ وَإِيَّاهُ، فَدَخَلْتُ فَأَخَذْتُ خَمْسِينَ
أَلْفَ دِينَارٍ.

قَالَ إِسْحَاقُ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ آلِ نَهْيِكٍ قَدْ تَعَاطَى عِلْمَ الْفَنَاءِ، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُ أَحْكَمُهُ
شَاوَرَنِي فِيهِ وَأَبِي حَاضِرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ قَبِلْتَ مِنِّي فَلَا تُفَنَّ فِيهِ كَمَا أَرْضَى،
فَصَاحَ أُنِّي عَلَى صَبِيحَةٍ شَدِيدَةٍ ثُمَّ قَالَ لِي: وَمَا يُدْرِيكَ يَا صَبِي! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ
وَقَالَ لَهُ: يَا حَبِيبِي أَنْتَ بَصِيدٌ مَا قَالُ، وَإِنْ أَنْتَ لَزِمْتَ الصَّنَاعَةَ بَرَعْتَ، فَلَمَّا
خَلَا بِي قَالَ لِي: يَا أَحْمَقُ! مَا عَلَيْكَ أَنْ يُخْزِيَ اللَّهُ مِثْلَ هَذَا! هُوَ لَاءُ
أَغْنِيَاءَ مُلُوكٍ وَهُمْ يُمِيرُونَا بِالْفَنَاءِ، فَدَعَّاهُمْ يَتَهَمَتُكُوا بِهِ وَيُعِيرُوا وَيَفْتَضِحُوا
وَيَحْتَاجُوا إِلَيْنَا فَنَنْتَفِعَ بِهِمْ، وَيَبِينُ فَضْلُنَا عَلَيْهِمْ، فَلَزِمَهُ النَّهْيِكِيَّ فَأَخَذَ عَنْهُ، فَكَانَ
إِذَا غَنِيَ فَأَحْسَنَ قَالَ لَهُ: بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَإِذَا أَسَاءَ قَالَ لَهُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ

(١) في غ: الهوى .

(٢) في ت: غنى « تحريف » .

وكثر ذلك حتى عرف النهيكي معناه ، فغنى يوما وأبى ساء عنه فسكت ولم يقل له شيئاً ؛ فقال : جِئْتُ فِدَاكَ ، يا أَسْتَاذ ؛ هذا الصوتُ من أصوات « فيك » أو « عليك » ؟ فضحك أبى ولم يكن عليمٌ أنه فطن لذلك ، ثم قال : والله لأُقْبِلَنَّ عليك حتى تصيرَ كما تشتهي ، فإنك ظريفٌ أديب ؛ وعُنيَ به حتى حَسَنَ غِنَاؤُهُ وتقدَّم .

قال إسحاق : غنى أبى يوما بحضرة الرشيد :

سَلِي هَلْ قَلَانِي مِنْ عَشِيرِ صَحْبَتِهِ وَهَلْ دَمَّ رَحْلِي فِي الرَّفَاقِ رَفِيقِ

فطرب واستمعه وأمر له بألف دينار^(١) ، فلما كان بعد سنين ، خطر لي أن أغنيه وذكرت قصته ، فغنيته إياه ، فطرب وشرب ، ثم قال : يا إسحاق ، كأني في نفسك وقد ذكرت حديث أبيك وأني أعطيته ألف دينار على هذا الصوت فطمعت في الجائزة ! فقلت : والله يا سيدي ما أخطأت ما في نفسي ! فقال : قد أخذ أبوك ثمنه مرة فلا تطمع ؛ فمجبت من قوله ، ثم قلت : يا سيدي ، أخذ أبي منك أكثر من مائتي ألف دينار ما رأيتك ذكرت منها غير هذا الضعف حظي ؛ فقال : ويحك أكثر من مائتي ألف دينار ؟ ! فقلت : إي والله ! فوجم ساعة ثم قال : استغفر الله من ذلك ، ويحك ! فما خلف منها ؟ فقلت : خلف علي خمسة آلاف دينار ديناً فضيتها عنه ؛ فقال : ما أدري أيننا أشدُّ تفریطاً وتضييعاً والله المستعان .

قال أبو عثمان يحيى المكي^(٢) : تشوق إبراهيم إلى سرداب له ، كانت فيه بركة ماء يدخل من موضع إليه ويخرج إلى بستان ، فاشتهد أن يشرب يومه فيه وببيت فيه ، فبينما هو نائم نصف الليل في السرداب وإذا سنوران قد نزأتا^(٣)

(١) في غ : بعشرين ألف درهم .

(٢) في ت : المالكي .

(٣) في ت : سنوران قد نزلا .

من دَرَجَةِ السُّرْدَابِ ، بيضاء. وسوداء ، فقالت إحداهما : أَتُرَاهُ (١) نَاعِمًا ؟ فقالت
البيضاء (٢) : نعم هو ناعم ؛ فاندفعت السُّوداءُ فَعَنَّتْ بأحسن صوت :

عَفَا مُزَج (٣) إِلَى لَصَق (٤) إِلَى الْهَضْبَاتِ مِنْ هَكْرٍ (٥)
إِلَى قَاعِ النَّقِيرِ (٦) إِلَى قَرَارِ حِلَالٍ (٧) ذِي حَدَرٍ

فَاتِ إِبْرَاهِيمَ فَرَعًا (٨) وَقَالَ : يَا لَيْتَهُمَا أَعَادَتَاهُ (٩) ! فَأَعَادَتَاهُ مَرَارًا حَتَّى أَخَذَهُ ،
ثُمَّ تَحَرَّكَ فَنَابَتِ السُّنُورَتَانِ (١٠) ، وَسَمِعَ إِحْدَاهُمَا تَقُولَ لِلْآخَرَى : وَاللَّهِ لَا طَرَحَهُ
عَلَى أَحَدٍ إِلَّا جُنَّ ، فَطَرَحَهُ عَلَى جَارِيَةٍ لَهُ مِنْ غَدٍ فَجُنَّتْ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ : أَتَيْتُ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى يَوْمًا ، فَقُلْتُ لَهُ : جُمِلْتُ فِدَاكَ !
هَبْ لِي دَرَاهِمَ فَإِنَّ الْخَلِيفَةَ حَبَسَ بِرَّهَ (١١) عَنِّي ، فَقَالَ : وَيَحْكُ يَا أَبَا إِسْحَاقَ !
مَا عِنْدِي مَا أَرْضَاهُ لَكَ ، ثُمَّ قَالَ : هَاهُنَا خَصْلَةٌ (١٢) ! أَنَا نَا رَسُولُ صَاحِبِ الْيَمَنِ فَقَضَيْنَا
حَوَائِجَهُ ، فَوَجَّهَ بِمِخْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ نَشْتَرِي بِهَا مَا نُنِجِبُ ، فَمَا فَمَلَّتْ ضِيَاءَ جَارِيَتِكَ ؟
قُلْتُ : عِنْدِي ، قَالَ : فَهُوَ ذَا أَقُولُ لَهُمْ يَشْتَرُونَهَا مِنْكَ فَلَا تَنْقُصْهَا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ

(١) فت : تراه .

(٢) في غ : السوداء .

(٣) مزج : ماء بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخًا أو نحوها . وفي ت : مرح « تصحيف » .

(٤) لصق لعله مصحف عن لصف بالفاء ، بركة غربي طريق مكة بين المنيشة والمقبة .

(٥) هكر : موضع على نحو أربعين ميلًا من المدينة .

(٦) النقير : موضع بين هجر والبصرة .

(٧) حلال : من نواحي اليمن .

(٨) في غ : فرحا .

(٩) في غ : أعاداه .

(١٠) فت : فتاب السنوران .

(١١) في غ : يده .

(١٢) كذاقت ، وغ ، والحصلة : إصابة الغرض ، ولعل القصد أن هناك مخرجًا لتحقيق غرضك .

دِينَار ، فَقَبِلْتُ رَأْسَهُ ثُمَّ انصرفتُ ، فَبَكَرَ عَلَيَّ رَسُولُ صَاحِبِ الْيَمِينِ وَمَعَهُ صَدِيقٌ لِي وَوَلَهُ ، فَقَالَ : جَارِيَتُكَ فُلَانَةٌ ؟ قُلْتُ : عِنْدِي ، قَالَ : أَعْرِضْهَا عَلَيَّ ، فَأَخْرَجْتُمَا ، فَقَالَ : بَيْكُم ؟ قُلْتُ : بِمُخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهَا دِينَارًا وَاحِدًا ، وَقَدْ أَعْطَانِي الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى أَمْسَ هَذِهِ الْمَطِيَّةَ ، فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مُسَلَّمَةٍ ؟ وَكَانَ شِرَاؤُهَا عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَلَمَّا وَقَعَ فِي أَذُنِي ذِكْرُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ دَهَشْتُ ، وَأَشَارَ عَلَيَّ صَدِيقِي الَّذِي مَعَهُ بِالْبَيْعِ ، وَخِفْتُ وَاللَّهِ أَنْ يَحْدُثَ بِالْجَارِيَةِ حَدَثٌ أَوْ بِي أَوْ بِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى ، فَسَلَّمْتُهَا وَأَخَذْتُ الْمَالَ ؛ ثُمَّ بَكَرْتُ عَلَى الْفَضْلِ ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ ؛ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ ضَحَكَ ، وَقَالَ لِي : يَا ضَيْقُ الْعَطَنِ وَالْحَوْصَلَةَ ! حَرَمْتُ نَفْسَكَ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، دَعْ ذَا عَنكَ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ دَاخَلَنِي ^(١) شَيْءٌ أَعْجِزُ عَنْ وَصْفِهِ وَخِفْتُ أَنْ يَحْدُثَ بِي حَدَثٌ أَوْ بِالْجَارِيَةِ أَوْ بِالْمُشْتَرِي أَوْ بِكَ ، أَمَا ذَكَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ ، فَبَادَرْتُ بِقَبُولِ الثَّلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ فَقَالَ : لَا ضَيْرَ ، يَا غَلَامَ جِئْتَنِي بِجَارِيَتِهِ خِجَىءَ بِهَا بَعِينِيهَا ؛ فَقَالَ : خُذْ بَيْدَهَا وَأَنْصَرِفْ مَبَارَكًا لَكَ فِيهَا ، فَمَا أَرَدْنَا إِلَّا مَنْفَعَتَكَ وَلَمْ نُزِدِ الْجَارِيَةَ ؛ فَهَضَمْتُ بِهَا ، فَقَالَ لِي : مَكَانَكَ ، إِنْ صَاحِبَ إِرْمِينِيَّةَ قَدْ جَاءَنَا فَقَضِينَا حَوَائِجَهُ وَنَفَقْنَا كُتْبَهُ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ جَاءَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ نَشْتَرِي بِهَا مَا نَحِبُّ فَأَعْرِضْ عَلَيْهِ جَارِيَتِكَ هَذِهِ وَلَا تَنْقُصْهَا عَنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ فَانصرفتُ بِالْجَارِيَةِ وَبَكَرَ عَلَيَّ رَسُولُ إِرْمِينِيَّةَ وَمَعَهُ صَدِيقٌ لِي آخَرَ ، فَقَاوَلَنِي بِالْجَارِيَةِ ، فَقُلْتُ لَهُ : لَسْتُ أَنْقُصُهَا عَنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ فَقَالَ لِي : مَعِيَ عِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ مُسَلَّمَةٍ ، خُذْهَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَدَاخَلَنِي ^(١) مِثْلُ الَّذِي دَاخَلَنِي أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَخِفْتُ مِثْلَ حَوْفِي الْأَوَّلِ فَسَلَّمْتُهَا ^(٢) وَأَخَذْتُ الْمَالَ ؛

(١) فِي غ : دَخَلَنِي .

(٢) فِي ت : فَسَلَّمَهَا .

وبكرت على الفضل بن يحيى ، فلما رأى ضحكك وضرب برجله ثم قال : وَيَحْكُ ا
 حَرَمْتَ نَفْسَكَ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ أُخْرَى ، فقلت : خِفتُ وَاللَّهِ كَمَا خِفتُ أَوْلَا ،
 فقال لى : لا ضير ، يا غلامُ جاريتته ، خِجىء بها وقال : خذها ما أردناها ولا أردنا
 إلا منفعتك ، فلما ولت الجارية صحَّتُ بها : أُرْجى فرجعتُ ، فقلت : أَشْهَدُكَ
 أَنهَا حُرَّةٌ لَوْجَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وقد تزوجتُها على عشرة آلاف دينار^(١) ، فإنها أكسبتنى
 فى يومين خمسين ألفَ دينار ، فاجزأها إلا هذا ، فقال : وَوَقَّتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
 كان الرشيدُ قد وجد على منصور زلزال لشيء بلغه عنه ، حبسه عشرَ سنين
 أو نحوها ، فقام الرشيدُ يوماً لحاجة فجعل إبراهيمُ يُغنى صوتاً صنعه فى حبس زلزال
 وهو :

هل دهرنا بك راجعٌ يا زلزال	أيامَ يَبغِينا العَدُوَّ المُبِطِل
أيامَ أنتَ من الكارهِ آمِنٌ	والخيرُ مُتَّسِعٌ عَلَيْنَا مُقْبِل
يا بؤسَ مَنْ فَقَدَ الإِمامَ وَقُرْبَهُ	ما فَاتَهُ مِنْ لَذَّةٍ ^(٢) لَوْ يَمْقِل
ما زلتُ بمسكٍ فى الهمومِ مُردِّداً	أبكى بأربعةِ كَأَنِّى مُشْكِل

فدخل الرشيد وهو فى ذلك مجلس وقال : يا إبراهيم ، أىَّ شيء كنت تقول ؟
 فقال : خيراً يا سيدي ؛ فقال : هاتِه فتلكأ ، ففضب الرشيدُ وقال : هاتِه
 فلا مكرؤه عليك ، فرد الغناء ؛ فقال له : أتُحِبُّ أن تراه ؟ فقال : وهل يُشْرُ
 أهلُ القُبورِ ؟ فقال : هاتوا زلزلاً ، فجاءوا به وقد أبيضَ رأسُه ولحيته فسُرَّ إبراهيمُ ؛
 وأمره الرشيدُ فجلس ، وأمر إبراهيمُ فغنى وضرب عليه زلزالٌ فزلزلا الدنيا ،
 وشرب الرشيدُ على ذلك رطلاً ، وأمر بإطلاق زلزالٍ وأسنى جائزتهما وصرقه
 إلى منزله .

(١) فى غ : درهم .

(٢) فى غ : ماذا به من ذلة .

وزلزل أول من أحدث هذه العيدان الشبايط^(١)، وكانت قد دعا على عمل عيدان
الفرس، فجاءت عجبا من العجب، وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم وولدت منه .
قال إبراهيم : خرجت مع الرشيد إلى الشام لَمَّا غَزَا ، فدعاني يوما فدخلتُ إليه
إلى مجلس لم أرَ أحسنَ منه مفروشا بأنواع الرُحَام ، فأكل وأمرني فأكلتُ معه ،
وتوليتُ خدمته إلى العصر ، ثم دعا بالنبيذ فشرب وسقاني معه ، ثم خلع عليَّ
خِلْمَةً وشئ من ثيابه وأمر لي بالف دينار ، ثم قال : أنظر يا إبراهيم ، كم من يدٍ
أوليتك إياها اليوم ! نادمتني مُنفردًا ، وآكلتني^(٢) ، وخلصتُ عليك ثيابي
من بدني^(٣) ، ووصلتكَ ، وأجلستكَ في إيوان مسلمة بن عبد الملك تشرب معي ؛
فقلت : ماذا عني هذا من منتك ، وإنَّ نعمك^(٤) عندي أكرم من أن تُحصي ،
ثم قبَّلتُ رجلينه والأرضَ بين يديه .

جلس الرشيدُ يوماً فقال لجعفر : قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاط
الأمر فيها فهلمَّ أفاصمك إياها وأخايرك ، فاقسما الغننين ، على أن جملاً يزاء كل
رجل نظيره ، فكان ابنُ جامع في حيز الرشيد وإبراهيم في حيز جعفر بن يحيى .
وحضر الندما لحنة الغننين . وأمر الرشيدُ ابنَ جامع فغنى لقيس بن ذريح :
بكيْتُ نَعَمَ بكيْتُ وكلُّ ألفٍ إذا غابت^(٥) قرينته بكأها
وما فارقتُ لُبني عن تقالٍ ولكن شقوةً بلغت مداها

(١) الشبايط: جمع شبوط؛ ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الرأس
كانه بربيط «عود» .
(٢) ق ت : واكلتني .
(٣) ق ت : يدي .
(٤) ق ت : نعمتك .
(٥) ق فغ : بانث .

فأحسن فيه كَلَّ الإحسان وطربَ الرشيدُ غايةَ الطربِ^(١) ، فلما قطعه قال
الرشيدُ لإبراهيم : هَاتِ يا إبراهيم هذا الصوت فغَنَّهُ ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين
ما أعرفه وظهر^(٢) الانكسار فيه ؛ فقال الرشيدُ لجعفر : هذا واحد ، ثم قال
لإسماعيل بن جامع : غَنِّنا ، فغَنَّى للعبَّاس بن الأحنف :

نَزَفَ البكاءُ دموعَ عَيْنِكَ فاستعمرَ عَيْنًا لِنَعِيرِكَ دمعها مِدْرَارُ
مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلبكاءِ تُعَارُ
فَفَضَّلَ الصَّوْتَيْنِ^(٣) الأوَّلَيْنِ وَقَدَّمَهُمَا ، فلما أُنِيَ على آخِرِهِ قال الرشيدُ : يا إبراهيم
هَاتِهِ ، فقال : ولا أُعْرِفُ هذا فقال له جعفرُ : أَخْزَيْتَنَا أَخْزَاكَ اللهُ . وأتمَّ ابنُ جامعٍ
يومه والرشيدُ مسرورٌ به ، فأجازَهُ جَوَائِزَ كَثِيرَةً وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْمًا فَاخِرَةً ، ولم
يزل إبراهيمُ مُنْخَذِلًا مُنْكَسِرًا حَتَّى انصَرَفَ . فَمَضَى إلى منزله ، فلم يَسْتَقِرَّ حَتَّى
بَعَثَ إلى مُحَمَّدَ الرَّفِّ^(٤) ، وكان من المُحْسِنِينَ وأسرَعَ مَنْ [عُرِفَ فِي] ^(٥) أَخْذِ
الصوتِ فِي آتَامِهِ ، وكان الرشيدُ وَجَدَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ مَا يَجِدُهُ الملوِكُ على أمثاله
فَأَلَزَمَهُ بَيْتَهُ وَتَنَاسَاهُ ؛ فقال إبراهيمُ للرَّفِّ : إني اخترتك لأمرٍ لا يصلحُ له غيرك ،
فانظر كيف تكون ! قال : أبلغُ في ذلك محبتك^(٦) ؛ فأدَّى إليه الخبر وقال : أريد أن
تَمْضِيَ السَّاعَةَ إلى ابنِ جامعٍ ، فُتَعَلِّمُهُ أَنَّكَ صِرْتَ إليه مُهَنَّبًا بما تَهَيَّأَ له على وَتَنْقُصُنِي
وَتَشْلُبُنِي ، وَتَحْتَالُ فِي أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ الأَصْوَاتَ وَتَأْخُذُهَا ، ولك على ما تُحِبُّهُ مِنِّي

(١) في ت : وأطرب الرشيد غاية الإطراب .

(٢) في ت : وأظهرت .

(٣) في غ : ما يدل على أن ابن جامع غنى ثلاث مرات ، ذكر ابن منظور منها الأول والثالث

ولم يشر إلى الثاني إلا في قوله هنا الصوتين .

(٤) في غ : الرف بالزاي المعجمة .

(٥) ساقط من ت .

(٦) في ت : أبلغ لك محبتك .

من عَرَضَ مع رِضَاءِ اَلْخَلِيفَةِ عَنْكَ . فَمَضَى وَاسْتَأْذَنَ عَلٰى ابْنِ جَامِعٍ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
وَقَالَ : جِئْتُكَ مُهِنًا بِمَا بَلَغَنِي مِنْ خَيْرِكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَنِي ابْنَ
الْجَرْمُقَانِيَّةِ^(١) : عَلٰى يَدِكَ ، وَكَشَفَ الْفَضْلَ فِي مَحَلِّكَ مِنْ صِنَاعَتِكَ ، فَقَالَ : وَهَلْ
بَلَغَكَ خَبْرُنَا ؟ فَقُلْتُ : هُوَ أَشْهُرُ مِنْ أَنْ يَخْفَى عَلٰى مِثْلِي ؛ ثُمَّ قَالَ : سَرَرَنِي أَنْ أَسْمَعَهُ
مِنْ فَيْكَ حَتَّى أَرَوِيهِ عَنْكَ ، قَالَ : أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَفْعَلَ ؛ فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ،
فَدَعَا ابْنَ جَامِعٍ بِالطَّعَامِ فَأَكَلَا [وَدَعَا]^(٢) بِالشَّرَابِ ، وَابْتَدَأَ يُحَدِّثُهُ بِالْخَبْرِ حَتَّى
انْتَهَى إِلَى الْأَصْوَاتِ فَغَنَّاها وَمَحَمَّدٌ يُصَفِّقُ وَيَنْعَرُ وَيَشْرَبُ وَابْنُ جَامِعٍ مُجْتَهِدٌ فِي
شَأْنِهِ حَتَّى أَخَذَهُمْ عَنْهُ وَأَحْكَمَهُمْ ثُمَّ قَالَ : يَا اسْتِاذَ ، قَدْ بَلَغْتُ مَا أَحِبُّ فَأُذِنُ لِي
فِي الْأَنْصِرَافِ ، فَقَالَ : إِذَا شِئْتَ ؛ فَانْصِرَفَ مُحَمَّدٌ مِنْ وَجْهِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ؛ فَقَالَ لَهُ :
مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقَالَ : كُلِّ مَا تُحِبُّ فَادْعُ لِي بِعُودٍ ، فَدَعَا بِهِ فَضْرَبَ فَغَنَّاها الْأَصْوَاتَ ،
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : هِيَ هِيَ بِأَعْيَانِهَا ، ثُمَّ رَدَّهَا حَتَّى صَحَّتْ لَهُ ، وَانْصِرَفَ الرَّفَّ إِلَى
مَنْزَلِهِ ، وَبَكَرَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا دَعَا الْمُغَنِّينَ دَخَلَ فِيهِمْ ، فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ الرَّشِيدُ
قَالَ لَهُ : أَوْقَدْ دَخَلْتَ ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فِي بَيْتِكَ شَهْرًا بِسَبَبِ
مَا لَقِيتَ مِنْ ابْنِ جَامِعٍ ! قَالَ : وَلِمَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ؟ !
وَإِنْ أَذِنْتَ لِي أَبُ أَقُولَ قُلْتُ ؛ قَالَ : وَمَا عَسَى أَنْ تَقُولَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ لِي
وَلَا لغيرِي أَنْ نَرَاكَ نَشِيطًا فِي شَيْءٍ فَنُعَارِضَكَ فِيهِ ، وَلَا أَنْ تَكُونَ مُتَعَصِّبًا لِأَحَدٍ
فَنُغَا لِيكَ فِيهِ ، وَإِلَّا فَمَا فِي الْأَرْضِ صَوْتٌ إِلَّا أَعْرِفَهُ ، فَقَالَ لَهُ : دَعُ ذَا قَدْ اعْتَرَفْتَ
أَمْسَ بِالْجِهَالَةِ بِمَا سَمِعْتَ مِنْ صَاحِبِنَا ، فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَمْسَكَتَ عَنْهُ بِالْأَمْسِ عَلَى مَعْرِفَةِ

(١) الجرْمُقَانِي واحد الجرْمُقَانِيَّة : وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام .

(٢) ساقط من ت .

فَهَاتِهِ الْيَوْمَ ، فَلَيْسَ هَا هُنَا عَصَبِيَّةٌ ، فاندفع ومَرَّ عَلَى الْأَصْوَاتِ كُلِّهَا وَابْنُ جَامِعٍ
يَسْمَعُ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا ؛ فاندفع ابْنُ جَامِعٍ يَحْتَلِفُ بِالْإِيمَانِ الْمُحَرِّجَةِ أَنَّهُ
مَا سَمِعَهَا قَطَّ وَلَا هِيَ إِلَّا مِنْ صَنَعْتِهِ ، وَلَمْ تَخْرُجْ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ : وَيَلَاكَ
مَا أَحَدْتَتْ بَعْدِي ؟ فَقَالَ : مَا أَحَدْتُ حَدَثًا ؛ فَقَالَ : يَا إِبْرَاهِيمَ بِحَيَاتِي أُصَدِّقُنِي !
[فَقَالَ ^(١)] : وَحَيَاتِكَ لِأَصْدُقَدَّكَ . رَمَيْتَهُ بِحَجَرِهِ ، بَعَثَتْهُ إِلَيْهِ بِمُحَمَّدِ الزَّرْفِ
وَضَمِنَتْ لَهُ ضَمَانَاتٍ ، مِنْهَا رِضَاكَ عَنْهُ ، فَمَضَى وَاحْتَالَ عَلَيْهِ حَتَّى أَخَذَهَا مِنْهُ
وَنَقَلَهَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ سَقَطَ الْآنَ عَنِ اللَّوْمِ بِإِقْرَارِهِ أَنَّهَا لَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَعْرِفَ
مَا صَنَعَهُ هُوَ ، وَهَذَا بَابٌ مِنَ الْغَيْبِ ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُنِي أَنْ يَعْرِفَ شَيْئًا مِنْ غِنَاءِ الْأَوَائِلِ
وَأَجْهَلَهُ أَنَا ، وَإِلَّا فَلَوْ لَزِمُنِي أَنْ أُرْوِي صَنَعْتَهُ لِلزَّمَةِ أَنْ يَرَوِيَ صَنَعْتِي ، وَلَزِمَ كُلَّ
وَاحِدٍ مَنَا لَسَاءُ طَبَقَتِهِ وَنُظَرَائِهِ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَمَنْ قَصَرَ عَنْهُ كَانَ نَاقِصًا ؛ فَقَالَ لَهُ
الرَّشِيدُ : صَدَقْتَ يَا إِبْرَاهِيمَ ، وَقَمْتَ بِمُحِبَّتِكَ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ فَقَالَ :
أُتَيْتَ ! دُهِيتَ ! أَبْطَلَ عَلَيْكَ الْمَوْصِلِيَّ مَا فَعَلْتَهُ بِالْأَمْسِ وَانْتَصَفَ مِنْكَ ، ثُمَّ دَعَا
بِالرَّزْفِ فَرَضِيَ عَنْهُ .

قال الرَّشِيدُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ وَابْنَ جَامِعٍ وَابْنَ
أَبِي الْكِنَانَاتِ : بَاكِرُونِي غَدًا ، وَلَيْكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ
يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَهُ ، وَغَنَى فِيهِ لَحْنًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا غَنَى فِي شِعْرِ غَيْرِهِ .
قال إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ : فَقَمْتُ فِي السَّحَرِ وَجَهَدْتُ عَلَى أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ أَصْنَعُهُ
فَلَمْ يَتَّفِقْ ، فَلَمَّا خَفَتْ طُلُوعُ الْفَجْرِ دَعَوْتُ بَعِلْمَانِي وَقُلْتُ لَهُمْ : أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى
مَوْضِعٍ وَلَا يَشْعُرُ بِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ ، فَقَمْتُ فَرَكَبْتُ وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمِ
الْمَوْصِلِيَّ ، وَقَدْ كَانَ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْهَمْ حَتَّى يُدَبِّرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ،

(١) ساقطة من ت .

فَلَمَّا قَامَ لِحَاجَتِهِ فِي السَّحَرِ اعْتَمَدَ عَلَى خَشَبَةٍ لَهُ فِي الْمُسْتَرَاخِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى فَرَّغَ مِنَ الصَّوْتِ وَتَرَ سَخَّ فِي قَلْبِهِ ، فَجَثَّتْ حَتَّى وَقَفَتْ تَحْتَ مُسْتَرَاخِهِ ، فَإِذَا هُوَ يُرَدِّدُ هَذَا الصَّوْتَ :

إِذَا سَكَبْتَ فِي الْكَأْسِ قَبْلَ مِرَاجِهَا تَرَى ^(١) لَوْنَهَا فِي جِلْدَةِ الْكَأْسِ مُذْهَبًا وَإِنْ مُزِجْتَ رَاعَتَ بِلَوْنِ تَخَالِهِ إِذَا ضَمُنْتَهُ الْكَأْسُ فِي الْكَأْسِ كَوَكْبًا

فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا أَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْهُ حَتَّى أَخَذْتُهُ ؛ ثُمَّ غَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ ، فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلشَّرْبِ خَرَجَ إِلَى الْخَادِمِ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا ابْنَ أُمَّ غَنَنِي ؛ فَغَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ فِي الْمَوْتِ حَتَّى فَرَعْتُ مِنْهُ ، فَشَرِبْتُ وَأَمَرْتُ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَوَثِبَ الْمُوصِلِيُّ وَحَلَفَ بِالطَّلَاقِ وَبِحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنَّ الشَّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةُ وَغَنَى فِيهِ ، مَا سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ ؛ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي فَمِنْ أَيْنَ هُوَ لِي لَوْلَا كَذِبُهُ وَبُهْتُهُ ! وَإِبْرَاهِيمُ يَضْطَرِبُ وَيَصِيحُ ^(٢) ؛ فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرْبِيَّ مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ لِلرَّشِيدِ : الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَعْمَلَ وَيَتَّبَعَ ، وَصَدَقْتُهُ ؛ فَقَالَ الرَّشِيدُ لِلْمَوْصِلِيِّ : إِنْ أَخِي قَدْ أَخَذَ الْمَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَوَضًا عَمَّا جَرَى عَلَيْكَ ، فَلَوْ بَدَأَتْ بِالصَّوْتِ لَكَانَ هَذَا حَطَّكَ ، فَأَمْرٌ بِهَا فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ .

هَبَّ الرَّشِيدُ لَيْلَةً مِنْ نَوْمِهِ ، فَدَعَا بِحِمَارٍ كَانَ يَرُكِبُهُ فِي الْقَصْرِ أَسْوَدَ قَصِيرٍ قَرِيبٍ مِنَ الْأَرْضِ فَرَكِبَهُ ، وَخَرَجَ فِي دُرَاعَةٍ وَشَيْءٍ مُلْتَمِّمًا بِعِمَامَةٍ وَشَيْءٍ مَلْتَمِحِفًا بِإِزَارٍ وَشَيْءٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَرْبَعُ مِائَةِ خَادِمٍ مَا بَيْنَ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ سِوَى الْفَرَّاشِينَ ، وَكَانَ مَسْرُورٌ الْفَرَّغَانِيَّ جَرِيئًا ^(٣) عَلَيْهِ لِمَكَانِهِ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَابِ الْقَصْرِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : أُرِيدُ دَارَ إِبْرَاهِيمِ الْمُوصِلِيِّ . قَالَ مَسْرُورٌ : ثُمَّ مَضَى

(١) فِي ت : سَرَى .

(٢) فِي غ : وَيَضِجُ .

(٣) فِي ت : جَرِيًا « تَحْرِيفٌ » .

وَنَحْنُ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى أَتَمَّهِى إِلَى دَارِ إِبْرَاهِيمَ ، فَخَرَجَ وَتَلَقَّاهُ وَقَبَّلَ حَافِرَ حِمَارِهِ وَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ تَظْهَرُ ! قَالَ : نَعَمْ ، شَوْقُ حَارَقَنِي بِكَ ^(١) ، ثُمَّ نَزَلَ
فَجَلَسَ فِي طَرَفِ الْإِيوَانِ وَجَلَسَ إِبْرَاهِيمُ ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا سَيِّدِي آتِيكَ بِشَيْءٍ تَأْكُلُهُ ؟ قَالَ :
نَعَمْ شَيْءٌ مِنْ ظَبْيٍ ، فَأَتَى بِهِ فَكَأَنَّمَا كَانَ أَعَدَّهُ ، فَأَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا ، ثُمَّ دَعَا بِشَرَابِ حُمَلٍ
مَعَهُ ، فَقَالَ الْمَوْصِلِيُّ : أَوْ غَنَمِيكَ أَمْ تُغَنِّيكَ إِمَاؤُكَ ؟ قَالَ : بَلِ الْجَوَارِي ، فَخَرَجَتْ
الْجَوَارِي مِنْ صَدْرِ الْإِيوَانِ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَيضْرِبْنِ كُلَّهُنَّ أَمْ وَاحِدَةً وَوَاحِدَةً ؟ فَقَالَ :
بَلِ يَضْرِبْنِ اثْنَتَانِ اثْنَتَانِ وَتَغَنِّي وَوَاحِدَةٌ فَوَاحِدَةٌ ، ففَعَلْنَ ذَلِكَ حَتَّى مَرَّ صَدْرُ الْإِيوَانِ
وَأَحَدُهُ جَاءَ نَبِيَّهُ وَالرَّشِيدُ يَسْمَعُ وَلَا يَنْدَبُ لَشَيْءٍ مِنْ غِنَاءِئِهِنَّ حَتَّى غَنَّتْ صَبِيَّةٌ مِنْ
حَاشِيَةِ الصَّفَّةِ :

يَا مُورِي الزَّئِدِ قَدْ أَعْيَتْ قَوَادِحُهُ ^(٢) إِقْبِسْ إِذَا سَنَّتْ مِنْ قَلْبِي بِمِقْبَاسِ
مَا أَقْبَحَ النَّاسَ فِي عَيْنِي وَأَسْمَجَّهُمْ إِذَا نَظَرْتُ فَلَمْ أَبْصِرْكَ فِي النَّاسِ

قَالَ : فَطَرَبَ لِنِعْمَائِهَا وَاسْتَمَادَ الصَّوْتِ مِرَارًا وَشَرِبَ أَرْطَالًا ، ثُمَّ سَأَلَ الْجَارِيَةَ
عَنْ صَانِعِهِ فَأَمْسَكَتْ ، فَأُسْتَدْنَاهَا فَتَقَاعَسَتْ ، فَأَمَرَهَا فَأَقِيمَتْ حَتَّى وُفِّتَ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
فَأَخْبَرْتَهُ بِشَيْءٍ أَسْرَتَهُ إِلَيْهِ ، فَدَعَا بِحِمَارِهِ فَرَكِبَهُ ، ثُمَّ التَّفَّتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ :
مَا ضَرُّكَ إِلَّا تَكُونَ خَلِيفَةً ؛ فَكَادَتْ نَفْسُ إِبْرَاهِيمَ تَخْرُجُ ، حَتَّى دَعَا بِهِ وَأَدْنَاهُ
بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَكَانَ الَّذِي أَخْبَرْتَهُ بِهِ أَنَّ الصَّنْعَةَ فِي الصَّوْتِ لِأَخْتِهِ عُلَيَّةَ وَكَانَتْ لَهَا ،
وَجَهَّتْ بِهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ يُطَارِحُهَا .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ : بَيْنَا أَنَا بِمَكَّةَ أَجُولُ فِي سِكِّهَا إِذَا أَنَا بِسُودَاءَ قَائِمَةٌ
سَاهِيَةٌ بِأَكِيَّةَ ، فَأَنْكَرْتُ حَالَهَا وَأَدَمْتُ ^(٣) النَّظَرَ إِلَيْهَا فَازْدَادَتْ بُكَاءً وَقَالَتْ :

(١) فِي غ : طَرَقَ لَكَ بِي .

(٢) فِت : قَوَادِمُهُ « تَحْرِيفٌ » .

(٣) فِي غ : أَدَمَنْتُ .

أَعْمَرُوا عَالَمًا تَجَنَّبْتَنِي أَخَذْتَ فُوَادِي فَعَدَّ بَتْنِي
فلو كنت يا عمرو خَبَّرْتَنِي (١) أَخَذْتُ حِذَارِي فَمَا نِلْتَنِي

فقلت لهما : يا هذه ، مَنْ عَمَرُو؟ فقلت : زوجي ، فقلت : وما كَانَ مِنْ حَالِهِ؟ فقلت :
طَلَبْنِي وما زال يَطْلُبُنِي حتى تَزَوَّجَنِي ، فمَكَثَ معي قَلِيلًا ثم مَضَى فلم أَرَهُ ؛ فقلت :
صِفْهِ لِي ؛ قالت : أَحْسَنُ من رأيتُهُ سُمْرَةَ وأحْلَاهُم حَلَاوَةً وَقَدًّا ، فَرَكِبْتُ رَوَاحِلِي
مع غِلْمَانِي وَسِرْتِ (٢) إِلَى جُدَّةَ ، فوَقَفْتُ في مَوْضِعِ المَرْفَأِ فَأَتَبَصَّرَ مِنْ يَحْمَلِ مِنَ السُّفُنِ ،
وأمرتُ مِنْ يُصَوِّتُ : يا عَمْرُو يا عَمْرُو ، فإذا أنا به خارجًا من سفينة على عنقه صن (٣)
فمرفتهُ بِصِفَتِهَا ونعتِهَا إِيَّاهُ فقلت :

أَعْمَرُوا عَالَمًا تَجَنَّبْتَنِي أَخَذْتَ فُوَادِي فَعَدَّ بَتْنِي

فقال : هَيْه ! أَرَأَيْتَها وَسَمِعْتَ مِنْها؟ فقلت : نعم ، فَأُطْرَقَ بَيْكِي ، ثم اندفع
يَعْنِي به ، وإذا أَصْلَحَ غِنَاءُ سَمِعْتُهُ ، وَرَدَّدَهُ ، وإذا هو أَحْسَنُ النَّاسِ غِنَاءً ؛ فقلت
له : أَلَا تَرْجِعُ إِلَيْها؟ فقال : طَلَبُ المَعاشِ يَمْنَعُنِي ؛ فقلت له : كم يَكْفِيكَ في كُلِّ
سَنَةٍ؟ فقال : ثلاثمائةِ دِرْهَمٍ ؛ فأعطيتهُ ثلاثةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، وقلت له : هَذَا لِعَشْرِ
سِنِينَ على أن تُقِيمَ مَعِها ، فلا تَطْلُبِ المَعاشَ إِلَّا بِحَيْثُ هِيَ مَقِيمَةٌ مَعَكَ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ
فَضْلًا ، وَرَدَّدْنُهُ مَعِي إِلَيْها .

كان إبراهيم يَأْلَفُ حَمَارَةَ بِالرَّقَّةِ يُقالُ لها بِشْرَةٌ (٤) تنزل الهنئيء والمرئيء (٥) ،
وكان لها بِنْتُ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهاً . فَمِمَّا قالَ فِيها :

(١) في ت : جربتني .

(٢) في غ : وصرت .

(٣) الصن : شبه السلة المطبقة ؛ يجعل فيها الطعام والحبز ، وفي ت : صنم « تحريف » .

(٤) بشرة : اسم جارية عون بن عبد الله . وفي ت : بسرة .

(٥) الهنئيء والمرئيء : نهران حفرهما هشام بن عبد الملك يسقيان عدة بساتين يستمدان من

الفرات ويصبان فيه .

وزعمت أنني ظالم فهجرتني ورميت في قلبي بسهم نأفد
ونعم ظلمتك فاغفري وتجاوزي هذا مقام المستجير العائد

قال إبراهيم : بينا أنا عشيّة في منزلي إذ أتاني خادم من خدام الرشيد فاستحثني على ركوبتي إليه فجنّته ركضاً ، فمدك بي عن مدخل الدار إلى طريق لا أعرفها ، فانتهي بي إلى دارٍ حديثة البناء ، فدخلت صحننا واسعاً ، وكان الرشيد يشتهي الصحون الواسعة ، فإذا هو جالس على كرسي في وسط ذلك الصحن ، ليس عنده أحد إلا خادمٌ واحد يسقيه ، وهو في لبسة الصيْف عليه غلالة رقيقة متوشح عليها يزار سندي^(١) عريض العلم مضرّج أحمر ؛ فلما رأني هسّ إلى وسرّ ، وقال : يا موصلي ، إني أشتهيت أن أجلس في هذا الصحن فلم يتفق لي إلا اليوم ، وأحببت ألا يكون معي ومعك أحد ، ثم صاح : يا غلام فجاءه مائة وصيف من الأروقة مستترين بحيث لا يراهم ، فقال : مقطعة لإبراهيم ، وكان أول من قطع المصلّيات ، فأني بمقعد فألقى تجاهه ، ودعا بعود وقال : بحيان أطربني ما قدرت ؛ قال : ففعلت جهدي ورجوت الجائزة السنّية ؛ فبينما أنا كذلك وإذا بمسرور الكبير قد جاء ، فقام مقاماً كان إذا قامه علم أنه يريد أن يساره بشيء ، فأوما إليه بالدُّنو ، فدنا منه فألقى في أذنه كلمة خفيفة ونحّي ، فاستشاط الرشيد غضباً وأحمرت عيناه وأنتفخت أوداجه ، وقال : حتّام أصير على آل أبي طالب ! والله لأقتلنهم ولأقتلن شيعتهم ولأفعلن ! فقلت : إنا لله ! ليس عنده أحد يُخرج غيظه عليه ، غير أنني أحسبه سيوقع بي ، فاندفعت ففنيته :

نعم عوناً على الهموم ثلاث مُرعات من بمدن ثلاث
بعدها أربع تَمّة عشر لا بطاء لكنهن حثاث

(١) في غ : رشدي .

فَإِذَا نَاوَلْتَكُنَّ جَوَارٍ عَطِرَاتٍ بِيضِ الْوُجُوهِ خِنَاثُ
تَمَّ فِيهَا لَكَ السَّرُورُ وَمَا طَبَّ بِعَيْنِشَا إِلَّا الْخِنَاثُ الْإِنَاثُ

فقال : وَيَحْك ! اسْقِنِي ثَلَاثًا لَا أَمْتٌ ^(١) هَمًّا ، فَشَرِبَ ثَلَاثًا مُتتَابِعَةً ، ثُمَّ قَالَ :
أَعِدِّ فَعْنَيْتُ ، فَلَمَّا قَلْتُ : « ثَلَاثُ مِنْ بَعْدِ هِنِّ ثَلَاثُ » قَالَ : هَاتِ وَيْلَكَ ثَلَاثًا !
فَشَرِبَ ثَلَاثًا أُخْرَى ، ثُمَّ قَالَ : غَنِّ فَعْنَيْتَهُ ، فَقَالَ : حُتَّ عَلَى أَرْبَعًا تَعَمَّةَ الْعَشْرِ ،
فَفَعَلْتُ . فَوَاللَّهِ مَا اسْتَوْفَاهَا حَتَّى سَكِرَ ، وَنَهَضَ لِيَدْخُلَ ، فَقَالَ : قُمْ يَا مَوْصِلِي
فَانصَرِفْ ، وَأَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا مَسْرُورَ بِحَيَاتِي وَبِحَقِّي إِلَّا ^(٢) سَبَقْتَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ بِمِائَةِ
أَلْفِ دِرْهَمٍ ، لَا أُسْتَمَرُّ فِيهَا ؛ فَفَرَجْتُ وَقَدْ آمَنَ حَوْفِي وَأَدْرَكَتُ مَا رَجَوْتُ ،
وَوَافَيْتُ مَنْزِلِي وَقَدْ سَبَقَنِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

سبلع الدنيا

قال إبراهيم : قال لي الرشيدُ يوماً : يا إبراهيم ، بَكَرَ عَلَيَّ غَدًا حَتَّى نَصْطَبِحَ ؛
فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا وَالصُّبْحُ كَفَرَسَى رِهَانٌ ؛ فَبَكَرْتَ وَإِذَا بِهِ خَالِيًا ،
وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةٌ حُلْوَةٌ الْمَنْظَرُ ، دَمِثَّةُ الشَّمَائِلِ كَأَنَّهَا حُوطُ بَانَ ، وَفِي يَدَيْهَا عُودٌ ؛
فَقَالَ لَهَا : غَنِّي ، فَغَنَّتْ لِأَبِي نُؤَاسَ :

تَوْهَمَهُ قَلْبِي فَأَصْبَحَ خَدُّهُ وَفِيهِ مَكَانَ الْوَهْمِ مِنْ نَظْرِي أُثْرُ
وَمَرَّ بِقَلْبِي ^(٣) خَاطِرًا فُجْرِحْتُهُ وَلَمْ أَرِ جِسْمًا قَطَّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ
وَصَافِحَهُ كَفَى ^(٤) فَأَلَمْ كَفَّهُ فَمِنْ غَمَزِ كَفَى ^(٤) فِي أَنْأَمْلِهِ عَقْرُ

قال إبراهيم : فَذَهَبَتْ وَاللَّهِ بَعْقَلِي حَتَّى كِدْتُ أَفْتَضِحَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذِهِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا [الشَّاعِرُ] ^(٥) :

(١) في ت : لا أموت .

(٢) في ت : لا .

(٣) في غ : بفكري .

(٤) في غ : قلبي .

(٥) ساقطة من ت .

لها قَلْبِي الغداةَ وقلبُها لى فنحن كذاكَ فى جَسَدَيْنِ رُوحُ
 ثم قال لها : غَنَى ، فغَنَّتْ فى شِمْرِ أبى الشَّيْصِ :
 تقولُ غداةُ البَيْنِ إِحدى نِساءِهم لى الكَيْدِ الحَرَّى فِسرٌ ولكِ الصَّبْرُ
 وقد خَنَقَتُها عَبرَةٌ فدمُوعُها على خَدَّها بِيضٌ وفى نَحْرِها صُفْرُ
 فَشَرِبَ ثم سَقَّها ، وقال : غَنِّ يا إِبراهيمِ فغَنَّيتُ حَسَبَ ما فى قَلْبى غيرِ مُحْتَفِظِ
 مِنْ شىءٍ :

شَرِبَ قَلْبى حُبَّها ومَشى بِهِ تَمَشَّى مُحميًّا الكَأْسِ فى جِسمِ (١) شارِبِ
 ودَبَّ هواها فى عِظامى فَشَفَّها كما دَبَّ فى المَلْسُوعِ سَمُّ العَقَّارِبِ
 قال : ففَطِنَ لِعَمْرِ بى ، وكانت جَهالةً مِنى ؛ فأمرَنى بالانصِرافِ ، ولم يدعُنى
 شَهْرًا ، ولا حَضَرَتُ مَجْلِسَه ؛ فلما كان بَعْدَ شَهْرٍ دَسَّ إلى خادِمًا مَعَه رُقمَةٌ
 مَكْتُوبٌ فيها :

قد تَخَوَّفْتُ أَنْ أَمُوتَ مِنَ الوَجْهِ د ولم يَدِرْ مَنْ هَوَيْتُ بِما بى
 يا كِتابى فاقرِّ السَّلَامَ على مَنْ لا يُسَمَّى (٢) وَقُلْ لَهُ يا كِتابى
 إِنَّ كَفاً إِلَيْكَ قد كَتَبْتَنى فى شِقاءِ مُواصِلِ بِعَذابِ (٣)

فأتانى الخادِمُ بالرُّقمَةِ ؛ فقلتُ له : ما هَذا ؟ فقال : رُقمَةٌ فَلَانَةَ الجارِيةِ التى
 غَنَّتْكَ بَيْنَ بىدى أَميرِ المُؤمِنينِ فَأَحسَسْتُ القِصَّةَ (٤) فَشَتَمْتُ الخادِمَ ووثبتُ إليه
 فَضَرَبْتُهُ ضَرْبًا شَقِيئًا بِهِ نَفْسى وَغَيْظى ، وَرَكِبْتُ إلى الرَّشيدِ من فَوْرى فَأخبرتهُ
 وأعطيتُهُ الرُّقمَةَ ؛ فَضَحِكَ حتى كادَ يَسْتَلْقى ، وقال : على عَمْدٍ فَعَلْتَ ذلكَ بِكَ

(١) فى ت : يد .

(٢) فى غ : أسمى .

(٣) فى غ : وعذاب .

(٤) فى ت : فأحسست بالقصة .

لَأَمْتَحِنَكَ فَأَعْرَفَ مَذْهَبَكَ وَطَرِيقَتَكَ ، ثُمَّ دَعَا بِالْحَادِمِ ؛ فَخَرَجَ ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ :
قَطَعَ اللَّهُ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ ، وَيَلَاكَ ! قَتَلْتَنِي ؛ فَقَالَتْ : الْقَتْلُ كَانَ بَعْضَ حَقِّكَ
لِمَا وَرَدَتْ بِهِ عَلَيَّ ، وَلَكِنْ رَحِمْتِكَ فَأَبْقَيْتُ عَلَيْكَ ، وَأَخْبَرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَأْتِيَ
فِي عُقُوبَتِكَ بِمَا تَسْتَحِقُّهُ . فَأَمَرَ لِي الرَّشِيدُ بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ ؛ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مَا فَعَلْتُهُ
عَفَاً وَلَكِنْ خَوْفاً .

قال إبراهيم : حبسني الرشيد بالرقّة وغضب عليّ وجلس للشرب يوماً في مجلس
قد زينّه وحسنه ، فقال لميسى بن جعفر : هل يجلسنا عيب ؟ قال : نعم ، غيبة
إبراهيم الموصليّ عنه ، فأمر بإحضاري فأحضرت في قيودي ، ففككت عني بين
يديه ، وأمرهم فناولوني عوداً ثم قال : غنّ فغنيت في شعر النُميريّ :

نَضُوْعَ مَسْكَابِطِنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْبٌ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتٍ (١)
مَرْدِنَ بَفِخٍ (٢) رَأْحَاتٍ عَشِيَّةً يُلْبِئِينَ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتٍ
وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ وَكَنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَدِرَاتٍ

فاستعماده وطرب وشرب ، وقال : هَنَأْنِي وَسَأَهْنِئُكَ الصَّلَاةَ ، قَدْ وَهَبْتُ لَكَ
الْهِنَى وَالرِّيَّاءَ ؛ فَانصرفتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ عُوضْتُ عَنْهُمَا مَائِي أَلْفَ دِرْهَمٍ .

سأل الرشيد إبراهيم : كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الألحان ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين ، أخرج الهمم من فكري وأمثل الطرب بين عيني فتسرع إليّ
مسالك الألحان التي أريد فأسلُكها بدليل الإيقاع ، فأرجع مُصِيباً ظافراً بما أريد ؛
فقال : يَحِقُّ لَكَ أَنْ تُصِيبَ وَتُظْفَرَ ، وَإِنَّ حُسْنَ وَصْفِكَ كَمَشَاكِلِ لِحُسْنِ صَنَعَتِكَ
وَعِنَاكَ .

(١) في غ : خفرات .

(٢) فبخ : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال . وفي ت : بسفح .

حكى إبراهيمُ قال : كنتُ استأذنتُ الرشيدَ أن يَهَبَ لى يوماً من الجمعة لا يَبْعَثُ إلىّ فيه بوجه ولا سببٍ لأخلُو فيه بجوارى وإخوانى ، فأذن لى فى يوم السبت وقال لى : هو يوم أستنقلُهُ فألهُ فيه بما شئتُ ، فلمّا كان يوم السبت قدمتُ فى منزلى وتقدّمتُ بإصلاح طعامى وشرابى وأمرتُ بإغلاق أبوابى ، وأمرتُ بوابى ألا يأذن لأحدٍ علىّ البتّة ؛ فبينما أنا فى مجلسى والخدم^(١) قد حقّوا بى ، وجوّارى يتردّدن^(٢) بين يدىّ إذا أنا بشيخ ذى هيئة وجمال ، وعليه خُفّان قصيران وقميصان ناعمان ، وعلى رأسه قلنسوة لاطئة^(٣) ، ويديه عُكّازة مُقمّعة بفضّة ، وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأتُ البيتَ والدّار ، فداخلى لدخوله مع ما تقدّمت به من إغلاق الباب غيظٌ ما داخلى قطّ مثله ، وهممتُ بطرد بوابى ومن يحجّبني ؛ فسلمّ علىّ أحسنَ سلامٍ فرددتُ عليه ، وأمرتهُ بالجلوس ثم مرّ فى^(٤) أحاديث الناس وأيام العرب وأشعارهم حتى سلّى ما كان بى من الغضب ، وظننتُ أنّ غلمانى تحرّوا ومسرتنى بإدخال مثله علىّ لأدبه وظرّفه ، فقلتُ له : هل لك فى الطعّام ؟ فقال : لا حاجة لى فيه ؛ فقلتُ له : هل لك فى الشراب ؟ قال : ذاك إليك فشرّبتُ رطلاً وسقيتهُ مثله ؛ فقال : يا أبا إسحاق ، هل لك أن تُعنى لنا شيئاً فنسمع من صنعتك ما قد نفقتُ به عند الملوك والخاصّ والعامّ ، فناظنى قوله ، ثم سهلتُ الأمرَ على نفسى فأخذتُ العودَ وجسستهُ ثم ضربتُ وغنّيتُ ، فقال : أحسنتُ يا إبراهيم فازداد غيظى وقلت ما رضى بما فعله من دخوله علىّ بغير إذنى واقترّاحه أنّ أغنيّه حتى

(١) فى ت : والحرم .

(٢) فى ت : يترددون « خطأ » .

(٣) لاطئة : صغيرة تلتق بالرأس .

(٤) فى غ : أخذ بى .

سَمَانِيٍّ وَلَمْ يَكُنِّيٍّ وَلَمْ يُجْمَلِ مَخَاطَبَتِي ! ثُمَّ قَالَ هَلْ [لَكَ] ^(١) أَنْ تَزِيدَنِي ؟ فَتَدَمَّمْتُ ^(٢)
 وَأَخَذْتُ الْعُودَ فَقَالَ : أَجَدْتَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ فَأَتَمِّمْ هِزَارَكَ ^(٣) حَتَّى نَكَافُتَكَ
 وَنُعْنِيكَ فَتَحْفَظْتُ وَقُمْتُ بِمَا غَنَيْتُهُ إِيَّاهُ قِيَامًا تَامًا مَا تَحْفَظْتَ مِثْلَهُ وَمَا قَتُّ بِغِنَاءِ
 كَمَا قَتُّ بِهِ بَيْنَ يَدَيِ خَلِيفَةِ قَطٍّ وَلَا غَيْرِهِ ، لِقَوْلِهِ : سَأُكَافُفُكَ ، فَطَرِبَ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ
 يَا سَيِّدِي وَيَا أَوْثِقَ عَدَدِي ، ثُمَّ قَالَ : أَتَأْذِنُ لِي فِي الْغِنَاءِ ؟ فَقُلْتُ : شَأْنُكَ ، وَاسْتَضَعَفْتُ
 عَقْلَهُ فِي أَنْ يُغْنِيَ بِمُحَضَّرَتِي بَعْدَ مَا سَمِعَ مِنِّي ، فَأَخَذَ الْعُودَ فَجَسَّهُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ
 خَلْتُ أَنَّهُ يَنْطِقُ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ لِحُسْنِ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ صَوْتِ جَسِّهِ ثُمَّ غَنَى :

وَلِي كَبِيدٌ مَقْرُوحَةٌ مِنْ يَبِيعُنِي بِهَا كَبِيدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرْحِ
 أَبَاهَا عَلَى النَّاسِ لَا ^(٤) يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَاعِلَةً بِصَحِيحِ
 أَثْنٍ مِنَ الشُّوقِ الَّذِي فِي جَوَانِحِي ^(٥) أَنْيْنَ غَصِيصٍ بِالشَّرَابِ جَرِيحِ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : نُفْخِلُ لِي أَنْ الْحَيْطَانَ وَالْأَبْوَابَ وَكُلَّ مَا فِي الْبَيْتِ يُجِيبُهُ
 وَيُغْنِي مَعَهُ مِنْ حُسْنِ غِنَائِهِ ، حَتَّى خَلْتُ أَنَّ أَعْضَائِي وَثِيَابِي تُجَاوِبُهُ ، وَبَقِيَتْ
 مَبْهُوتًا لَا اسْتِطَاعَ الْكَلَامَ وَلَا الْجَوَابَ وَلَا الْحَرَكَةَ مِمَّا خَالَطَ قَلْبِي ثُمَّ غَنَى :

أَلَا يَا حَمَامَاتِ اللَّوِيِّ عُذْنَ عَوْدَةً فَأِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينٌ ^(٦)
 فَعُدْنَ فَلَمَّا عُذْنَ كِدْنَ يُمْتَنِّنُنِي وَكَدْتُ بِأَسْرَارِ لَهْنٍ أُبِينُ
 دَعْوَنَ بَرْدَادِ الْهَدْبِلِ ^(٧) كَأَنَّمَا شَرِبْنَ سَلَفًا ^(٨) أَوْ بَهْنَ جُنُونُ

(١) ساقطة من (ت) .

(٢) تدمم : استنكف .

(٣) الهزار : كلمة فارسية ، من معانيها : الأنشودة والمقطوعة .

(٤) في ت : أن .

(٥) في غ : جوانبي .

(٦) في ت : حين .

(٧) في غ : الهدير .

(٨) في غ : سقين حميا .

فلم ترَّ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَمَائِمًا بَكِينَ وَلَمْ تَدْمَعْ لَهُنَّ عُيُونُ
فَكَادَ عَقْلِي أَنْ يَذْهَبَ طَرَبًا وَارْتِيَا حَا لِمَا سَمِعْتُهُ ؛ ثُمَّ غَمِّي لِزَيْدِ بْنِ
الطَّرِبَةِ^(١) .

أَلَا يَا صَبَا نَجَدَ مَتَى هَجَّتِ مِنْ نَجْدِ
أَيُّهَا هَتَفَتْ وَرَقَاءً فِي رَوْنَقِ الضُّحَى
بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي الْحَزِينُ^(٢) صَبَابَةً
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا
بِكُلِّ تَدَاوَيْنًا فَلَمْ يُشْفَ مَا بَنَى
[عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعِ
إِذَا كَانَ مِنْ تَهْوَاهِ لَيْسَ بِدِيْ وَدٍ]^(٤)

ثم قال يا إبراهيم : هذا الغناء المأخوذي فخذُ وانحُ نحوَه في غنائك وعلمه
جواريك ؛ فقلت : أعدّه عليّ ، فقال : لست^(٥) محتاج ، قد أخذته وفرغته منه ،
ثم غاب من بين عيني^(٦) ، فأرتعت وقلت للجواري : أي شيء سمعتم عندي ؟
فقلن : سمعنا غناءً أطيب غناء سمع قطّ ؛ فجردتُ السيفَ وقُمتُ وعدوتُ إلى
أبواب الحرم فوجدتها مُعلّقة ، فخرجتُ إلى باب الدار فوجدته مُعلّقًا ، فسألتُ
البواب عن الشيخ ؛ فقال : أيّ شيخ ؟ والله ما دخل اليوم عليك أحد ؛ فرجعتُ
لأنّ تأملَ أمرِي ؛ فإذا هو قد هتَفَ بي من جانب البيت : لا بأس عليك يا إبراهيم ،

(١) في ت : الطرمة « تحريف » .

(٢) في ت : غصن :

(٣) في ت : الوليد .

(٤) لم يرد البيت في « غ » .

(٥) في ت : ليس .

(٦) في غ : يدي .

أَنَا إِبْلِيسُ وَإِنَّمَا كُنْتُ نَدِيمَكَ الْيَوْمَ ، فَرَكِبْتُ إِلَى الرَّشِيدِ وَقُلْتُ : لَا أُطْرِفُهُ ^(١) أَبَدًا بِطَرْفَةٍ مِثْلَ هَذِهِ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَحَدَّثْتُهُ الْحَدِيثَ ؛ فَقَالَ : وَيَحَاكَ تَأْمَلُ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ ، هَلْ أَخَذْتَهَا ؟ فَأَخَذْتُ الْعُودَ فَامْتَحَنْتُهَا فَإِذَا هِيَ رَاسِخَةٌ فِي قَلْبِي كَأَنَّهَا لَمْ تَزَلْ ، فَطَرَبَ الرَّشِيدُ عَلَيْهَا وَجَلَسَ يَشْرَبُ وَلَمْ يَكُنْ عَزَمَ عَلَى الشُّرْبِ ، وَأَمَرَ لِي بِصِلَةٍ . وَقَالَ : الشَّيْخُ كَانَ أَعْلَمَ بِمَا قَالَ لَكَ مِنْ أَنَّكَ أَخَذْتَهَا وَفَرَعْتَ مِنْهَا ، فَلَيْتَهُ أَمْتَعَنَا بِنَفْسِهِ يَوْمًا وَاحِدًا كَمَا أَمْتَعَكَ .

قال إبراهيم : قال لي جعفر بن يحيى : وقد علم أن الرشيد أذن لي وللمؤمنين في الانصراف يومئذ صر إلى حتى أهب لك شيئًا حسنًا ، فصرت إليه فقال لي : أيما أحب إليك : أهب لك الشيء الحسن الذي وعدتك به أم أُرشدك إلى شيء تسكيب فيه ألف ألف درهم ؟ قلت : بل يُرشدني الوزير إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائي هذا المال ؛ قال : إن أمير المؤمنين يحفظ شعر ذى الرمة حفظ الصبا ويعجبه ويؤثره ، وإذا سمع فيه غناء ، أطربه أكثر مما يُطربه غيره ممن ^(٢) لا يحفظ شعره ؛ فإذا غنيتَه وأطربته وأمر لك بجائزة ، فقم على رجلك وقبّل الأرض بين يديه وقل : إن لي حاجة غير الجائزة أريد أن أسألها أمير المؤمنين ، وهي حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة ولا تضره ولا ترزؤه ؛ فإنه سيقول لك : أى شيء حاجتك ؛ فقل له : إقطع تقطعنى إياه سهل عليك لا قيمة له ولا منفعة لأحد فيه ؛ فإذا أجابك إليه ، فقل له : تقطعنى شعر ذى الرمة أغنى فيه ما أختاره وتحظر على المنعنين جميعا أن يداخلونى فيه ، فإني أحب شعره وأستحسنه ولا أحب أن يُنغصه على أحد منهم ، وتوثق منه في ذلك ؛ فقبلت القول منه ، وما أنصرفت مع ذلك إلا بالجائزة ؛ وتوخيت وقتاً

(١) في ت : لا طرفته « تحريف » .

(٢) في غ : بما .

للكلام في هذا المعنى حتى وجدته ، فقامتُ وسألتُ كما قال لي : فرأيت السرورَ في وجهه وقال : ما سألتَ شَطَطًا قد أقطعتُك ؛ فقلت يا أمير المؤمنين : أتأذن لي في التوثُق ؟ فقال : توثُق (١) كيف شئتُ ؛ فقلت : بالله و برسوله و بتربة (٢) أمير المؤمنين الهدى إلا جعلتني على ثقة من ذلك بأن تحلف لي بذلك لا تعطى أحداً من المغنين جائزة على شيء يُغنيه من شعر ذى الرمة فإن ذلك توثقتي (٣) ؛ فحلف مجتهدا بالقسم إن غنى أحد منهم من شعر ذى الرمة لا أناة ولا برة (٤) ولا سمع غناء (٥) ؛ فشكرت (٦) فعله وقبّلت الأرض بين يديه وانصرفت فغنيت مائة صوت وزيادة عليها في شعر ذى الرمة ؛ فكان إذا سمع صوتاً منها طرب وزاد طربُه ووصلني وأجزل ولم ينقفع أحد منهم غيري ؛ فأخذتُ بها منه ألف ألف درهم وألف ألف درهم .

قال إبراهيم : كان الرشيد يهوى ماردةً و يجدُ بها وجدًا شديدًا ؛ فغضبت عليه وغضب عليها ، وتمادى الهجرُ بينهما ؛ فأمر جعفر بن يحيى العباس بن الأحنف فقال :

رَاجِعْ أَحِبَّتَكَ الَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ إِنْ الْمُتَيْمِّمَ قَلَّ مَا يُتَجَنَّبُ
إِنَّ التَّجَنَّبَ إِنْ تَطَاوَلَ مِنْكَ دَبَّ السُّلُوعَ وَعَزَّ مِنْكَ الْمَطْلَبُ (٧)
وأمر إبراهيم الموصلي فغنى به الرشيد ؛ فلما سمعه بأدر إلى ماردة فترضاها ؛

(١) في ت : موثق .

(٢) في ت : وتربة .

(٣) في غ : وثقتي .

(٤) في ت : كبره .

(٥) في ت : غناه .

(٦) في ت : فشكوت « تحريف » .

(٧) في غ : دب السلولة فعز المطلب .

فسألت عن السَّبِّ فعرَفْتَه فَأَمَرْتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْعَبَّاسِ وَإِبْرَاهِيمَ بِعَشْرَةِ
 آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَسَأَلْتُ الرَّشِيدَ أَنْ يُكَا فَنَهَمَا ، فَأَمَرُ لَهَا بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .
 اجْتَمَعَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ وَزَلْزَلُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَرَبَ زَلْزَلٌ وَغَنَى
 إِبْرَاهِيمَ .

صَحَّاقَلْبِي (١) وَرَاعِ إِلَى عَقْلِي (٢)
 وَأَقْصِرْ بَاطِلِي وَنَسِيتُ جَهْلِي
 رَأَيْتُ الْغَايَاتِ وَكُنْ خُزْرًا (٣)
 إِلَى صَرْمَنْيَ وَقَطْعَنَ حَبْلِي

فَطَرَبَ الرَّشِيدُ طَرَبًا شَدِيدًا حَتَّى قَامَ قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْهِ وَصَاحَ : يَا آدَمَ ، لَوْ رَأَيْتَ
 مَنْ يَحْضُرُنِي الْيَوْمَ مِنْ وَلَدِكَ لَسَرَّكَ ذَلِكَ ! ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

لِعَبِّ إِبْرَاهِيمَ يَوْمًا مَعَ الرَّشِيدِ بِالرُّدِّ فِي الْخَلْعَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الرَّشِيدِ وَالْخَلْعَةَ
 الَّتِي عَلَيْهِ هُوَ فَتَمَرَهُ الرَّشِيدُ ، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ فَنَزَعَ ثِيَابَهُ وَجَلَسَ ، ثُمَّ لَعِبَا فَمَرَّ
 إِبْرَاهِيمُ الرَّشِيدَ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : حُكْمُ الرُّدِّ وَالْوَفَاءَ ، وَقَدْ قَمَرْتُ وَوَفَّيْتُ ،
 فَأَلْبَسْ مَا كَانَ عَلَىَّ ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : وَيْلَكَ ؛ أَنَا أَلْبَسُ ثِيَابَكَ ؛ فَقَالَ : إِي وَاللَّهِ
 إِنْ أَنْصَفْتَ وَإِنْ لَمْ تُنْصِفْ قَدَرْتُ ؛ قَالَ : وَيْلَكَ ؛ أَوْ أَتَدْرِي مِنْكَ ؟ قَالَ :
 وَمَا الْفِدَاءُ ؟ قَالَ : قُلْ . قَالَ : قُلْ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْقَوْلِ ، قَالَ :
 أُعْطِيكَ كُلَّ مَا عَلَىَّ ، قَالَ : مُرِّبِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا أَسْتَخِيرُ اللَّهَ بَعْدَ ذَلِكَ ،
 فَدَعَا بِغَيْرِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فَلَبِسَهُ وَنَزَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ فَدَفَعَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ : قَالَ الرَّشِيدُ يَوْمًا : إِنَّنِي قَدْ جَعَلْتُ غَدًا لِلْحَرِيمِ (٤) وَوَلِيَّةَ
 غَدٍ لِلرِّجَالِ وَأَنَا مُقْتَصِرٌ مِنَ الْمُغْنَيْنِ عَلَيْكَ فَلَا تَسْتَعِلْ غَدًا بِشَيْءٍ وَلَا تَشْرَبْ نَبِيذًا ،

(١) في ت : عقلي .

(٢) في ت : لإليك .

(٣) في غ : صوراً .

(٤) في ت : للحرم .

وَكُنْ بِمَحْضَرَتِي فِي وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ؛ فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛
 فَقَالَ : وَحَقُّ أَبِي إِنْ تَأَخَّرْتَ أَوْ اعْتَلَّتْ بَشْيءٌ وَلَمْ تَأْتِ لِأَضْرِبَنَّ عَنْقَكَ ، أَفَهِمْتِ ؟
 قُلْتُ : نَعَمْ ، فَخَرَجْتُ فَمَا جَاءَنِي أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِي إِلَّا احْتَجَبْتُ عَنْهُ وَلَا قَاتُ رُقْعَةً
 لِأَحَدٍ ، حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الْمَغْرَبَ رَكِبْتُ قَاصِدًا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْ دَارِهِ
 مَرَرْتُ بِفِنَاءِ قَصْرِ ، وَإِذَا زَنْبِيلٌ كَبِيرٌ مُعَلَّقٌ مُسْتَوْتِقٌ مِنْهُ بِحِمَالٍ وَأَرْبَعُ عُرَى
 قَدْ دُلِّيَ مِنْ ذَلِكَ الْقَصْرِ ، وَجَارِيَةٌ قَائِمَةٌ تَنْتَظِرُ إِنْسَانًا قَدْ وُعِدَ لِيَجْلِسَ فِيهِ ،
 فَنَازَعَتْنِي نَفْسِي إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : هَذَا خَطَأٌ ، لَعَلَّهُ يَجْرِي سَبَبٌ يَعُوقُنِي عَنِ الْخَلِيفَةِ
 فَيَكُونُ الْهَلَاكُ ، فَلَمْ أَزَلْ أَنْزِعْ نَفْسِي وَتَنَازَعُنِي حَتَّى غَلَبَتْنِي ، فَزَلْتُ فَجَلَسْتُ
 فِيهِ ، وَمُدَّ الزُّنْبِيلُ حَتَّى صَارَ فِي أَعْلَى الْقَصْرِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَزَلْتُ ، فَإِذَا جَوَارِيٌّ كَأَنَّهِنَّ
 الْمَهَا جُلُوسٌ ، فَضَحِكُنَّ وَقُلْنَ : فَدَجَاءَ وَاللَّهِ ، فَلَمَّا رَأَى يَدِي مِنْ قَرِيبٍ تَبَادَرْنَ إِلَى الْحِجَابِ
 وَقُلْنَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، مَا الَّذِي أَدْخَلَكَ عَلَيْنَا ؟ فَقُلْتُ : يَا عَدُوَّاتِ اللَّهِ مِنَ الَّذِي
 أَرَدْتُنَّ إِدْخَالَهَ؟ وَلَمْ صَارَ أَوْلَى مِنِّي بِهَذَا ؟ وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَابُّنَا وَهَنَّ يَضْحَكُنَّ وَأَضْحَكَ
 مَعَهُنَّ ، فَقَالَتِ إِحْدَاهُنَّ : أَمَّا مَنْ أَرَدْنَا هَ فَقَدْ فَاتَ ، وَمَا هَذَا إِلَّا الظَّرِيفُ ، فَهَلُمَّ ^(١) نَعَاشِرُهُ
 عِشْرَةَ جَمِيلَةٍ ؛ فَأَخْرَجَنِي إِلَى ^(٢) طَعَامٍ فَدُعِيتُ إِلَى أَكْلِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ فِي فَضْلِ إِلَّا أَنِّي كَرِهْتُ
 أَنْ أُنْسَبَ إِلَى سُوءِ الْعِشْرَةِ ، فَأَصَبْتُ مِنْهُ إِصَابَةً مُعَدَّرٌ ، ثُمَّ جِئْتُ بِالنَّبِيدِ فَشَرِبْنَا
 وَأَخْرَجْنَا ثَلَاثَ جَوَارِيٍّ لِهِنَّ فَعَنَّيْنَ غِنَاءَ مَلِيحًا ، فَغَنَّتْ إِحْدَاهُنَّ صَوْتًا لَمَعْبَدٌ ، فَقَالَتِ
 إِحْدَاهُنَّ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ ^(٣) : أَحْسَنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَهَذَا لَهُ ، فَقُلْتُ : كَذَبَتْ لَيْسَ
 هَذَا لَهُ ، هَذَا لَمِعْبَدٍ ، فَقَالَتِ : يَا فَاسِقُ ، وَمَا يُدْرِيكَ الْغِنَاءُ مَا هُوَ ^(٤) : ثُمَّ غَنَّتِ
 الْأُخْرَى صَوْتًا لِلغَرِيضِ ، فَقَالَتِ تِلْكَ : أَحْسَنُ إِبْرَاهِيمَ ، هَذَا أَيْضًا لَهُ ، فَقُلْتُ :

(١) فِي ت : فَهَلُّوْا .

(٢) فِي ت : لِي .

(٣) فِي ت : السِّتْرَةُ .

(٤) فِي ت : وَمَا هُوَ .

كذَّبت، هذا للغريص، فقالت: اللهم أخزه، ويلك! وما يُدريك ما الغناء! ثم غنَّت
الجارية صوتاً لي، فقالت تلك: أحسن ابن سُرَّيح، هذا له؛ فقلت: كذَّبت، هذا
والله لإبراهيم، وأنت تسمين غناء الناس إليه وغناءه إلى غيره؛ فقالت: ويلك! وما
يدريك! فقلت: أنا إبراهيم، فتبأثرن جميعاً بذلك وظهرن كلهن وقلن: كتمت نفسك عنا
وقد سررتنا؛ فقلت: أنا الآن أستودعكن الله تعالى؛ فقلن: وما السبب؟ فأخبرتهن
بِقِصَّتِي مع الرشيد: فضحكن وقلن: الآن طاب حبسك وعلينا إن خرجت أسبوعاً؛
فقلت: هو والله القتل؛ فقلن: إلى لعنة الله، فأقمتُ عندهن أسبوعاً لا أزل،
خما كان بعد أسبوع ودعَّني وقلن: إن سلمك الله فأنت بعد ثالثة^(١) عندنا، فأجسنتني
في الزَّنبيل وسرَّحت فضيتُ من وجهي إلى دار الرشيد، فإذا النداء قد أسمع في
طلبِّي بيغداد وأنَّ مَنْ أَحضرني فقد سوَّغ ملكي وقد أقطع مالي؛ فاستأذنتُ فتبادر
الخدم حتى أدخلوني على الرشيد؛ فلما رأني شتمني وقال: السيف والنطع! إبه
يا إبراهيم، تهاوت بأمرى وتشاغت بالعوامِّ عما أمرتك به وجلست مع أشباهك
من السفهاء^(٢) حتى أفسدت على لذتي! فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك
وما أمرت به غيرُ فائت، ولي حديث عجيب، ما سُمع بمثله قط وهو الذي قطعتني
عنك ضرورة لا اختياراً، فأسمعه، فإن كان عُذراً فأقبله، وإلا فأنت أعلم، قال:
هاته فليس بُمُنْجِيك، فحدثته، فأطرق ساعةً ثم قال: إنَّ هذا لعجب أفتحضرني
معك هذا الموضع؟ فقلت: نعم، وأجلسك ممهنَّ وإن شئتَ فعلى موعده؛ قال:
بل على موعده؛ فقلت: أفعل؛ قال: انظر، قلت: ذلك حاصِل لك متى شئتَ؛

(١) في غ: ثلاث.

(٢) في ت: النساء.

فعدل عن رأيه فيّ وأجلسني وشرب وطرب ، فلما أصبحنا أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهن ؛ فمضيتُ إليهن في وقت الموعد^(١) ، فلما وافيت الموضع إذا الزنبيل معلق ، فجلستُ فيه ومدّه الجوارى وصعدت ، فلما رأيتني تباشرن وحمدن الله تعالى على سلامتي وأقمت ليلتي . فلما أردت الانصراف قلتُ لهن : إن لي أخا هو عدل نفسي ، وقد أحبّ معاشرتكين ووعدهن بذلك ، فقلن : إن كنتَ ترضاه فرحباً به . فوعدتهن لليلة غد فأتيت الرشيد فأخبرته فلما كان الوقت خرج معي متخفياً حتى أتينا الموضع ، فصعدت وصعد بعدى ونزلنا جميعاً ، وقد كان الله وقرني أن قلتُ لهن : إذا جاء صديق فاستترن عني وعنه لا يسمع لكن نطقه ، وليكن ما تختبرنه من الغناء أو تغلنه من قولٍ مُرسلة ؛ فلا تتعمدين ذلك وأقمن على أتم سترٍ وحفر ، وشربنا شرباً كثيراً ، وقد كان أمرني ألا أخاطبه بأمر المؤمنين ، فلما أخذ مني الشكر^(٢) قلتُ سهواً : يا أمير المؤمنين ، فتواثبن من وراء الستارة حتى غابت حركاتهن عني ؛ فقال : يا إبراهيم لقد أفلتت من أمر عظيم ، لو برزت لك واحدة منهن لضررتُ عنقك ، قم بنا فقمنا وإذا هن جوار له ، كان قد غضب عليهن فخبسهن في ذلك القصر ؛ ثم وجه من الغد بخدم لهن فردهن إلى قصره ، ووهب لي مائة ألف درهم ، وكانت الهدايا والألطف تأتيني بعد ذلك منهن .

قال إبراهيم : كنتُ قد أخذتُ بالمدينة من مجنون هذا الصوت :
ها فتاتان^(٣) لَمَّا تعرفا^(٤) خلقي وبالشبابِ على شَيْبِي تَدِلَانِ

(١) في غ : الوعد .

(٢) في غ : التبيذ .

(٣) في ت : مامان « تحريف » .

(٤) في ت : يعرفا .

كُلُّ الْفَعَالِ الَّذِي يَفْعَلُهُ (١) حَسَنٌ يُصِيبِي فُوَادِي وَيُبْدِي سِرَّ أَشْجَانِي
فَفَنَيْتُهُ الرَّشِيدَ فَطَرِبَ وَأَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَكَانَ ابْنُ جَامِعٍ
حَاضِرًا فَقَالَ : اسْمِعْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غِنَاءَ الْعُقَلَاءِ وَدَعْ عَنْكَ غِنَاءَ الْمَجَانِينِ ، وَكَانَ
أَشَدَّ النَّاسِ حَسَدًا ، ثُمَّ غَنَى (٢) :

وَلَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا كَالهَا يَلْعَبْنَ فِي حُجْرَتِهَا
حُدْنَ عَنِّْي الظِّلَّ لَا يَتَّبِعُنِي وَغَدَتْ (٣) سَعِيًّا إِلَى قُبَّتِهَا
فَطَرِبَ وَشَرِبَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأَلْفٍ وَخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ . ثُمَّ تَبِعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَمْرَةَ وَجَهُ
الْقَرَعَةَ فَغَنَى :

يَمْشُونَ فِيهَا بِكُلِّ سَابِغَةٍ أَحْكِمَ فِيهَا الْقَتِيرُ (٤) وَالْحَلَقُ
يُعرفُ إِنْصَافُهُمْ إِذَا شَهِدُوا وَصَبْرُهُمْ حِينَ تَشَخَّصَ الْحَدَقُ
فَاسْتَحْسَنَهُ وَشَرِبَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ ثُمَّ غَنَى عَلَوِيَّةُ :

يَجْحَدُنْ دِينِي بِالنَّهَارِ وَأَقْتَضَى دِينِي إِذَا وَقَدَ (٥) النَّعَاسُ الرُّقْدَا
وَأَرَى الْعَوَانِي لَا يُوَاصِلُنَّ أَمْرًا فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلُنَّ الْأَمْرَدَا
فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : يَا عَاضُ كَذَا وَكَذَا ! أَنْغَنِي فِي ذَمِّ الشَّيْبِ وَمَدْحِ الْمُرْدِ
وَسِتَارَتِي مَنْصُوبَةً وَقَدْ شَبْتُ فَكَأَنَّكَ إِنَّمَا تُعَرِّضُ بِي ! ثُمَّ دَعَا بِمَسْرُورٍ وَأَمَرَ أَنْ
يَضْرِبَهُ ثَلَاثِينَ دِرَّةً وَيُخْرِجَهُ عَنْ مَجْلِسِهِ ، فَفَعَلَ ؛ وَمَا أَنْتَفَعْنَا بِهِ بِقِيَّةٍ يَوْمَنَا
وَلَا أَنْتَفَعَ بِنَفْسِهِ ، وَجَفَا عَلَوِيَّةَ شَهْرًا ثُمَّ سَأَلْنَاهُ فِيهِ فَأَذِنَ لَهُ .

(١) في ت : التي تفعله .

(٢) في غ : فغناه .

(٣) في غ : ومضت .

(٤) القتير : رعوس المسامير في الدروع . وفي ت : القتين « تحريف » .

(٥) وقد : غلب .

ولما اشتدَّ بإبراهيم القَوْلُ نَجَّ ولزِمه رَكِبَ إِلَيْهِ الرَشِيدُ وعَادَه فدخلَ إِلَيْه وهو
 في الإيوان^(١) جَالِسٍ فقال : كيفَ أنتَ يا إبراهيمَ ؟ فقال : أنا والله يا سيدي كما
 قَالَ الشاعر :

سَقِيمٌ مَلَّ مِنْهُ أَقْرَبُوه وَأَسْلَمَه المَدَاوِي وَالْحَمِيمِ

فَقَالَ الرَشِيدُ : إِنَّا لِلَّهِ ! وخرجَ فما بَعُدَ حَتَّى سَمِعَ نَعْيَه وماتَ معه في اليوم
 الَّذِي مَاتَ فِيهِ الكِسَائِيُّ النَحْوِيُّ والعَبَّاسُ بنُ الأَخْنَفِ الشاعرَ وهَشِيمَةَ الخَمَّارَةَ ،
 فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى الرَشِيدِ ، فَأَمَرَ المَأْمُونَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ ؛ فخرجَ فَصَفَّوا بينَ يَدَيْه ؛
 فقال : مَنْ هَذَا الأَوَّلُ ؟ فقالوا : إبراهيمَ المَوْصِلِي ؛ قال : أَخْرُوه وَقَدِّمُوا العَبَّاسَ
 ابنَ الأَخْنَفِ فَقَدِّمَ فَصَلَّى عَلَيْهِمْ . فلما فَرَغَ دنا مِنْه هَاشِمُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مالِكِ
 الخَزَاعِي وقالَ له : يا سيدي ، كيفَ آثرتَ العَبَّاسَ بالْتَقَدُّمَةِ على مَنْ حضرَ ؟ قال :

لقوله :

وسعى بها ناسٌ وقالوا إنها
 لهي التي تشقى بها وتكابدُ
 فجدتهم ليكون غيرك ظنهم
 إني ليعجبني الحبُّ الجاحِدُ

ثم قال : أتَحَفَظُها ؟ قلت : نعم ؛ قال : أنشدني بأقيها ؛ فأنشدته :

لما رأيتُ الليلَ سَدَّ طَريقَه
 والنَّجمُ في كَبِدِ السَّماءِ كأنَّه
 ناديتُ مَنْ طَرَدَ الرُّفَادَ بِصَدَه^(٢)
 يا ذا الَّذي صَدَعَ الفُؤادَ بِصَدَه^(٣)
 عني وَعَدَّ بنِي الظلامَ الرَّاكِدَ
 أعمى تَحَيَّرَ ما لَدَيْه قَائِدَ
 عَمَّا أعالجُ وهو خَلْوٌ هَاجِدَ
 أنتَ البلاءُ طَريقَه والتَّالِدَ

(١) في غ : الأبرن .

(٢) في ت : بنومه .

(٣) في غ : بهجره .

أَلْقَيْتَ بَيْنَ جَفُونِ عَيْنِي حُرْقَةً فَأَلِي مَتَى أَنَا سَاهِرٌ يَا رَاقِدُ
فَقَالَ الْمَأْمُونُ : أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قَالَ كَذَا حَقِيقٌ بِالتَّقْدِيمَةِ ؟ قُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ
يَا سَيِّدِي .

قال القاسم الموصلي : دخلتُ على إبراهيم بن المهدي عقب موت إبراهيم الموصلي
وهو يشرب وجواربه تغني فذكرنا إبراهيم الموصلي وحذقه وتقدمه ، وأطنبنا
في ذلك وإبراهيم مطرق ، فلما طال كلامنا اندفع إبراهيم يُغني في شعر ابن سيابة
يرثي إبراهيم :

تَوَلَّى الْمَوْصِلِيَّ فَقَدْ تَوَلَّتْ بِشَاشَاتُ الْمَزَاهِرِ وَالْقِيَانِ
وَأَيَّ بِشَاشَةٍ بَقِيَتْ فَتَبَقَى حَيَاةُ الْمَوْصِلِيَّ عَلَى الزَّمَانِ
سَتَبَكِيهِ الْمَزَاهِرُ وَالْمَلَاهِي وَتُسَعِدُهُنَّ عَاتِقَةُ الدَّنَانِ
وَتَبَكِيهِ الْغَوْرِيَّةُ إِذْ تَوَلَّى وَلَا تَبَكِيهِ تَالِيَةُ الْقُرَانِ

قال : فأبكي من حضر ؛ وقلت في نفسي : أتراه هو إذا مات من يبكيه :
المحراب أم المصحف ؟

(وَكَانَ كَالشَّامِتِ بِمَوْتِهِ .)

قال إسحاق : دخلتُ على الرشيد عقب وفاة أبي بشميرين ، فلما جلستُ
ورأيت مجلسه الذي كان يجلس فيه دمعت عيناى فكففتهما وقصرت فلمحني
الرشيد فاستعبر وكان رفيقا ؛ فوثبت قائما ثم قلت :

فِي بَقَاءِ الْخَلِيفَةِ الْمِيمُونِ خَلَفُ مِنْ مُصِيبَةِ الْمَحْزُونِ
لَا يَضِيرُ الْمَصَابَ رُزْءٌ إِذَا مَا كَانَ ذَا مَفْرَعٍ إِلَى هَارُونَ

(فقال: كذاك والله هو، ولن تفقد من أريك إلا شخصه، وأمر بإفاضة^(١) رزقه
إلى رزقي؛ فقلت: بل يأمر به أمير المؤمنين لولده، ففي خدمتي إياه ما يكفيني^(٢)،
فقال: اجعلوا رزق إبراهيم لولده وأضعفوا رزق إسحاق.)

(١) في غ: بإضافة.

(٢) في غ: يعني.

إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ

(كُنِيَّتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ وَنَسَبُهُ قَدْ تَقَدَّمَ فِي تَرْجُمَةِ أَبِيهِ . وَكَانَ الرَّشِيدُ مُوَلِّعًا بِهِ فَيَكْنِيهِ أَبُو صَفْوَانَ ، وَهِيَ كُنْيَةٌ أَوْقَعَهَا عَلَيْهِ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَصْعَبٍ ^(١) مَرْحًا . وَمَنْزَلَتُهُ مِنَ الْأَدَبِ وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَتَقَدَّمَهُ فِي الشُّعْرِ أَشْهُرُ مَنْ أَنْ يُدَلَّ عَلَيْهَا بِوَصْفِ) (وَأَمَّا الْفَنَاءُ فَأَصْفَرُ عُلُومِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي أَدْوَاتِهِ كَفَاءٌ وَلَا نَظِيرٌ ، لَحِقَ مِنْ مَضَى وَسَبَقَ مَنْ بَقِيَ .

وَكَانَ أَكْرَهَ النَّاسِ لِلْفَنَاءِ وَأَشَدَّهُمْ بُغْضًا لَهُ لِثَلَاثِ سَبْعِينَ بَعْدَهُ . قَالَ الْمَأْمُونُ : لَوْلَا مَا سَبَقَ لِإِسْحَاقَ عَلَيَّ [السنة] النَّاسِ وَشُهْرَتُهُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْفَنَاءِ لَوَلِّيتُهُ الْقَضَاءَ بِمَحْضَرَّتِي ، فَإِنَّهُ أَوْلَى بِهِ وَأَعْفَى وَأَصْدَقُ وَأَكْثَرُ دِينًا وَأَمَانَةً مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَضَاةِ . هَذَا مَعَ تَحْصِيلِ الْمَأْمُونِ وَعَقْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ)

وَرَوَى الْحَدِيثَ وَلَقِيَ أَهْلَهُ مِثْلَ مَالِكٍ ^(٢) بْنِ أَنَسٍ وَسَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ شِيُوخِ الْعِرَاقِ .

وَأُمُّهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ يُقَالُ لَهَا شَاهِكٌ ، وَقِيلَ دُوشَارُ الَّتِي كَانَتْ تُغْنِي بِالْدَفِّ ، فَهَوِيَ بِهَا إِبْرَاهِيمٌ فَتَزَوَّجَهَا . وَهَذَا خَطَأٌ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ لَمْ تَلِدْ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا بِنْتًا ، وَإِسْحَاقَ وَسَائِرَ وُلْدِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ شَاهِكٍ .

قَالَ إِسْحَاقُ : أَقْتُ دَهْرًا أُغْلَسَ ^(٣) كُلَّ يَوْمٍ إِلَى هُشَيْمٍ فَأَسْمَعُ مِنْهُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَى الْكِسَائِيِّ أَوْ الْفَرَّاءِ فَأَقْرَأُ عَلَيْهِ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ آتَى مَنْصُورٌ زَلْزَلًا فَيُضَارِبُنِي

(١) في ت : أبو إسحاق إبراهيم بن مصعب .

(٢) في ت : خالد « تحريف » .

(٣) أغلس : أذهب إليه في الغلس : ظلمة آخر الليل .

طَرَقَيْنِ^(١) أو ثلاثة ، ثم آتى عائكة بنت شهدة فآخذ منها صوتا أو صوتين ، ثم آتى الأصمعيّ وأبا عبيدة فأناشدهما وأحاديثهما وأستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبي فأعلمه بما صنعت وأخذت ، وأتندى معه وأروح معه عشاءً إلى أمير المؤمنين .

وقف أبو عبد الله بن الأعرابي على المدائني ، فقال له : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : أمضى إلى رجل هو كما قال الشاعر أبو تمام .

نَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا^(٢) إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدْبِهِ

قال : ومن ذلك ؟ قال : إسحاق بن إبراهيم .

وكان إسحاق بن إبراهيم يُجْرِي على ابن الأعرابي في كِلِّ سنة ثلاثمائة دينار ، وأهدى له ابن الأعرابي شيئاً من كُتُبِ النُّوَادِرِ .

قال إسحاق الموصلي : جئت يوماً إلى أبي معاوية الضرير ومعى مائة حديث ، فوجدتُ حاجبه يومئذ رجلاً ضريراً ؛ فقال لي : إنَّ أبا معاوية قد ولاني حِجْبَتَهُ لينفَعَنِي ، فقلت له : معى مائة حديث وقد جعلتُ لك مائة درهمٍ إذا قرأتها ؛ فدخل فاستأذن لي فدخلت على أبي معاوية ؛ فلما عرفني دعاه فقال له : أخطأت إنما جعلتُ لك ذلك على الضُّعْفَاءِ من أصحاب الحديث ، فأما أبو محمد وأمثاله فلا ؛ ثم أقبل على يَرَعْبِنِي في الأجر إليه ويزكر ضعفه وعنايته به ؛ فقلت له : أحتكم في أمره ، فقال : مائة دينار ؛ فأمرت الغلامَ بإحضارها وقرأت عليه ما أردت وانصرفت .

قال إسحاق بن إبراهيم : رأيت في منامي جريراً جالساً يُنشد وأنا أسمع ، فلما فرغ أخذ كُتْبَهُ من شعر فألقاها في فمي فأبتلعها ؛ فأول ذلك بعض من ذكرته له أنه

(١) في ت : طريقتين « تحريف » . والطرق : صوت أو نغمة بالعود ونحوه .

(٢) في غ : نحمل أشباحنا .

وَرَمَنِي الشَّعْر. قال يزيد^(١) بن محمد المَهَلْبِي : وكذلك كان ، فقد مات إسحاق وهو أشعرُ أهل زمانه .

قال إسحاق : دخلتُ على المأمونِ يوماً وعَقِيدٌ يُغْنِيهِ من تجلجلا وغيره يَضْرِبُ عليه ، فقال : يا إسحاق ، كيف تسمع مُغْنِيئَنَا هذا ؟ فقلت : هل سأل أمير المؤمنين غيري عن هذا ؟ فقال : نعم ، سألت عمِّي إبراهيمَ ففَرَّطَهُ واستَحْسَنَهُ . فقلت : يا أمير المؤمنين - أدام الله سرورك ، وأطاب عيشك - إنَّ الناس قد أكثروا في أمرِي حتى نَسَبْتَنِي فرقة إلى التَّزَيُّدِ في عِلْمِي ، قال : فلا يَمْنَعُكَ ذلك من قول الحقِّ إذا لَزِمَكَ ، فقلت لعقيد : اردد الصوت الذي غنيتَه ، فردّه وتحفَّظ فيه وضرب عليه ضاربُ به . فقلت : لإبراهيم بن المهدي . كيف رأيتَه ؟ فقال : ما رأيتُ شيئاً أنكره مما سمعتهُ ، فأقبلت على عقيد فقلت له لِمَا استوفاه : في أي طَريقَةٍ غَنَيْتُ ؟ فقال : في الرَّمَلِ . فقلت للضَّارب : في أي طَريقَةٍ ضَرَبْتَ ؟ فقال في الهزجِ الثَّقِيلِ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما عَسَى أن أقول في صوت يُغْنِيهِ مُغْنِيٌّ رَمَلًا ، ويضرب ضاربه هزجاً ثَقِيلاً ، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي ضرب عليه ! قال : وتفهمه إبراهيم بن المهدي . فقال : صدقَ يا أمير المؤمنين ، والأمر فيه بين . فعجِب المأمونُ من ذلك ، كيف حَفِيَ على كل من حضر .

تناظر المغنون يوماً عند الواثق ، فذكروا الضَّرَابَ وحَدِّقَهُم ، فقدم إسحاق زَنُوباً^(٢) على مَلاحِظ ، ولمَلاحِظ إذ ذاك الرِّياسَةَ على جَمِيعِهِم ، فقال الواثق : هذا حيفٌ وتعدُّ ، فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، أجمع بينهما وأمتحنهما ، ويكون الأمر واضحاً . فأمر بهما فأحضرَا ؛ فقال له إسحاق : إن للضَّرَابِ أصواتاً معروفة ،

(١) في ت : زيد .

(٢) في غ : زلزلا .

أفأمتحنهما بشيء منها؟ قال : أجل ؛ فسمي له ثلاثة أصوات يُقرّر منها صوتاً ،
فضربا عليه فتقدم زنوب^(١) وقصّر ملاحظ ؛ فتمعّب الواثق من كشفه عما ادّعاه
في مجلس واحد . فقال ملاحظ : فما باله يا أمير المؤمنين يُحيلك^(٢) على الناس ولا
يضرب هو ! فقال : يا أمير المؤمنين إنّه لم يكن أحدٌ في زمانى أضرب منى إلا أنكم
أعفيتموني منه ؛ وعلى أن معى بقيه لا يتملق بها أحدٌ من هذه الطبقة ؛ ثم قال :
يا ملاحظ ، شوّش عودك وهاتيه ، فعمل ذلك . فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين
هو ذا يُخلط الأوتارَ تخليط^(٣) مُتَمَنَّت ، ثم أخذ العود نجسه ساعة حتى عرف
مواقفه ، ثم قال : يا مُخَارِق^(٤) ، غنّ أوى صوت شدت ، فغنّي مُخَارِق ، وضرب
عليه إسحاق في ذلك العود الفاسد المشوّش ، فلم يخرج عن لحنه في موضع واحد
حتى استوفاه عن نقرّة واحدة ، ويده تصعد وتنحدر على اللّسّاتين ؛ فقال الواثق :
لا والله ما رأيت ولا سمعت مثلك ! اطرح هذا على الجوّارى ؛ فقال : هيهات
يا أمير المؤمنين ، هذا شىء لا تفتى^(٥) به الجوّارى ولا يصلح لهن ، إنّه بلغنى أنّ
الغليذ^(٦) ضرب يوماً بين يدي كسرى أبرويز فأحسن ، فحسده رجل من حدّاق
أهل صناعته فرقبه^(٧) حتى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه إلى عوده فشوّش بمض أوتاره
فرجع فضرب وهو لا يدري ، والملوك لا تصلح في مجالسهم آلة ، فلم يزل يضرب
بذلك العود حتى فرغ ، ثم قام على رجله وأخبر الملك بالقصة ، فامتحن العود فعرف

(١) في غ : زلول .

(٢) في ت : بحيل .

(٣) في ت : خاط .

(٤) في غ : ملاحظ .

(٥) في غ : تعرفه .

(٦) في ت : الغليذ .

(٧) في غ : فترقبه .

ما فيه ، فقال له : « زَهْ زَهْ وَزَهَانُ زَهْ » (١) ووصله بالصَّلَّة التي كان يصل بها من يُخاطبه بهذه المخاطبة ، فلما سمعتُ هذه الرواية حدثتُ نفسي به ورُضتُها عليه وقلت : لا ينبغي أن يكون الغليلد أقوى على هذا مِنِّي ، فما زلتُ أستنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يَبْقَ في الأوتار (٢) موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف موضعها ونعمتها كيف هي ، والمواضع التي يخرج النعم كلها منه من أعاليها إلى أسافلها (٣) ، وكلُّ شيء منه يجانسُ منها غيره ، كما أعرف ذلك في الدساتين ؛ وهذا شيء لا نَفَى به الجوارى . فقال له الواثق : صدقت ، ولئن مُتَّ لتموتنَّ هذه الصنّاعة معك ؛ وأمره بثلاثين ألف درهم .

قال إسحاق : دَعَانِي المأمونُ يوماً . وعندَه إبراهيمُ بنُ المهديّ ، وفي مجلسه عشرون جارية ، قد أَجْلَسَ عَشْرًا عن يمينه وَعَشْرًا عن يساره ؛ فلما دخلت سمعتُ من الناحية اليسرى خطأً فأنكرته ؛ فقال المأمون : أَسَمِعْتَ خطأً ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ فقال لإبراهيم بن المهدي : هل تَسْمَعُ خطأً ؟ قال : لا ؛ فأعاد عليّ السؤال ، فقلت : بلى يا أمير المؤمنين ، وإنه في الجانب الأيسر ؛ فأعاد إبراهيم سمعه إلى الناحية اليسرى ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما في هذه الناحية خطأ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين : مُرِ الجوارى اللاتي على اليمين فأمرهن فأمسكن ثم قلت لإبراهيم : هل تسمع خطأً فتسمع ثم قال : ما ههنا خطأً فقلت : يا أمير المؤمنين يُمَسِّكُن ، وتَضْرِبُ الثَّامِنَةَ . فأمسكن وضربت الثامنة ، فعرف إبراهيم الخطأ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، ههنا خطأ ؛ فقال المأمون عند ذلك لإبراهيم بن المهدي :

(١) كلمة فارسية معناها أحسنت .

(٢) في غ : الأرض .

(٣) في ت : أسفلها .

لا تُمارِ إسحاقَ بعدها ؛ فإنَّ رجلاً عرف الخطأ بينَ تَمَانِينَ وَتَرَا وَعَشْرِينَ حَلَقًا
لَجَدِيرٍ أَلَا تُمَارِيهِ ؛ قال : صدقتَ يا أمير المؤمنين - وكان في الأوتارِ كُلِّها مَشْنَى
فاسدُ التسوية . فطرب المأمون وقال : لله دَرَكٌ يا أبا محمد فكُنَّانِي يَوْمَئِذٍ .

(كان الواثقُ يقول : ما غَنَّانِي إِسْحاقُ قطَّ إِلَّا ظننتُ أَنَّهُ قد زيَد لي في مُلكي ؛
وإنَّ إِسْحاقَ لنعمةٌ من نعم الملك^(١) التي لم يحظَ أحدٌ بِمثلها ؛ ولو أنَّ العمرَ
والشباب والنشاط مما يُشترى لاشریتهن له بشطر مُلكي .)

(سألَ إِسْحاقُ الموصلي المأمونَ أن يكونَ دُخولُه مع أهل العلم والأدب والرِّوَاةِ
لا مع المُغَنِّينَ ، فإذا أراد الغناء غَنَّاه ، فأجابه إلى ذلك ؛ ثم سأله بعد مدة طويلة
أن يأذن له في الدُّخول مع الفقهاء ؛ فأذن له . فدخل يوماً مع يحيى بن أكرم
مُتَماسِكين وعلَّويه ومُحَارِق في حجرة لهما ينتظران جلوسَ المأمون ، فرأياهما وقد دخلا
حتى جلسا بين يدي المأمون ، فكاد علَّويه أن يُجَنَّ ، وقال : يا قوم ، أستمع بأعجب
من هَذَا ! يدخل قاضي القضاة ويده في يد مُغَنٍّ حتى يجلسا بين يدي الخليفة !
ثم مضت مدة ، فسأل إِسْحاقُ المأمون في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه
في المَقْصُورة ؛ فضحك المأمون وقال : ولا كُلِّ هذا يا إِسْحاق ! وقد اشتریتُ منك
هذه المسألة بمائة ألف درهم وأمر له بها .)

وكان المُغَنُّون يحضرون مجلس الواثق وعيدياتهم معهم إِلَّا إِسْحاق ، فإنه كان
يحضر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإذا أمره الخليفة أن يغتنى أحضر له عودا وإذا
فرغ سُلِّ^(٢) من بين يديه إلى أن يطلبه .

(١) في ت : الملوك .

(٢) في ت : شيل .

وكان الواثق يَكْنِيهِ رَفْعًا له من أن يدعوهُ بِاسْمِهِ ؛ وكان إِذَا غَنَى وافرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناء ولم يُعِدْ منه حرفًا إِلَّا أن يَكُون في بعض بيت فيتممه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

قال إسحاق : كنت عند الرشيد يومًا ، وعنده ندماءؤه وخاصته وفيهم إبراهيم ابن المهدي فقال الرشيدُ : غنَّ :

أَعَاذِلُ قَدْ نَهَيْتُ فَمَا انْتَهَيْتُ وقد طال العتابُ فما أروعيتُ
أَعَاذِلُ مَا كَبَّرْتُ وَفِيَّ مَلَهَى ولو أدركتُ غايَتِكَ انْتَهَيْتُ^(١)
شَرِبْتُ مُدَامَةً وَسُقِيتُ أُخْرَى وراح المنشون^(٢) وما انْتَهَيْتُ

فَغَنَيْتَهُ ؛ فأقبل عليَّ إبراهيمُ بن المهدي فقال لي : ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت ؛ فقلت له : ليس هذا مما تعرفه ولا تحسِنه ، وإن شئتَ فغنِّه فإن لم أجِدك أنك تُخطيء فيه منذُ أبتدائك إلى انتهائك فدعني حلال . ثم أقبلتُ على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتى وصناعة أبى وهى التى قرَّبَ بَنَانًا مِنَّا وَأَوْطَأَنَا بِسَاطِكِ ، فإذا نازعنا أحدٌ بلا علمٍ لم نجد بُدًّا من الإيضاح والدبِّ فقال : لا لومَ عليك ؛ وقام الرشيد ليُبُول ؛ فأقبل إبراهيمُ بن المهدي عليَّ وقال لي : وبيك يا إسحاق أنتَجَرْتِىء على وتقول ما قلت يا ابن الزانية^(٣) ! فداخلى ما لم أملك نفسى معه ؛ فقلت له : أنت تشتمنى ولا أقدر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة ، ولولا ذلك لقلتُ لك : يا ابن الزانية كما قلت ؛ أو ترانى لا أحسن أن أقول لك : يا ابن الزانية ؛ ولكن قولى لك ذلك ينصرف إلى خالك ، ولولا ذلك لذكرتُ صناعته ومذهبه قال : وكان يبيطارًا . ثم سكت وعلمتُ أن إبراهيم سيَشْكُونِى إلى الرشيد وسوف يسأل

(١) فى غ : انتهيت .

(٢) فى ت : المنشون . « تحريف » .

(٣) فى غ : الفاعلة .

مَنْ حَضَرَ عَمَا جَرَى فَيُخْبِرُونَهُ ، فَتَلَا فَيَمُتُ ذَلِكَ بِأَنْ قُلْتُ : أَنْتَ تَظُنُّ أَنَّ الْخِلَافَةَ لَكَ ، فَلَا تَزَالُ تَهْدِدُنِي بِذَلِكَ وَتُعَادِنِي كَمَا تُعَادِي سَائِرَ الْأَوْلِيَاءِ وَغُلَّانَ أَخِيكَ حَسَدًا لَهُ وَلَوْلَاهُ عَلَى الْأَمْرِ ! وَأَنْتَ تَضَعُفُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ وَتَسْتَخِفُّ بِأَوْلِيَاءِهِمْ تَشْفِيًّا ؛ وَأَرْجُو أَلَّا يُخْرِجَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الرَّشِيدِ وَلَا عَنِ وَلَدِهِ ، وَأَنْ يَقْتُلَكَ دُونَهَا ، فَإِنْ صَارَتْ إِلَيْكَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَحَرَامٌ عَلَيَّ الْعَيْشُ حِينَئِذٍ ، وَالْمَوْتُ أَطْيَبُ مِنَ الْحَيَاةِ مَعَكَ ، فَاصْنَعْ حِينَئِذٍ مَا بَدَأَ لَكَ . فَلَمَّا خَرَجَ الرَّشِيدُ وَتَبَّ إِبْرَاهِيمُ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : شَتَمَنِي وَذَكَرَ أُمَّيَّ وَاسْتَخَفَّ بِي ؛ فَغَضِبَ الرَّشِيدُ وَقَالَ لِي : وَيْلَكَ مَا تَقُولُ ؟ قُلْتُ : لَا أَعْلَمُ فَسَلْ مَنْ حَضَرَ فَأَقْبِلْ عَلَيَّ مَسْرُورٍ وَحُسَيْنٍ ^(١) : فَسَأَلَهُمَا عَنِ الْقِصَّةِ فَجَعَلَا يُخْبِرَانِهِ وَوَجْهَهُ يَتَرَبَّدُ ^(٢) إِلَى أَنْ انْتَهَيَا إِلَى ذِكْرِ الْخِلَافَةِ ، فَسُرِّي عَنْهُ وَرَجِعَ لَوْنُهُ وَقَالَ ^(٣) : لَا ذَنْبَ لَه ، شَتَمْتَهُ فَعَرَّفَكَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيَّ جَوَابِكَ ، أَرْجِعْ إِلَى مَوْضِعِكَ وَأَمْسِكْ عَن هَذَا . فَلَمَّا انْقَضَى الْمَجْلِسُ وَانصَرَفَ النَّاسُ ، أَمَرَ بِالْأَبْرَاحِ ، وَخَرَجَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ غَيْرِي ؛ فَسَاءَ ظَنِّي وَأَوْهَمْتَنِي نَفْسِي ؛ فَأَقْبِلْ عَلَيَّ وَقَالَ : يَا إِسْحَاقُ أَتُرَانِي مَا أَفْهَمُ قَوْلَكَ وَمِرَادَكَ ! وَقَدْ زَنَيْتَهُ ^(٤) ثَلَاثَ مَرَاتٍ أَتُرَانِي لَا أَعْرِفُ وَقَعَاتِكَ ^(٥) وَأَقْدَامَكَ وَأَيْنَ ذَهَبْتَ ! وَيْلَكَ ! لَا تَعُدْ ؛ حَدَّثَنِي عَنْكَ ، لَوْ ضَرَبَكَ إِبْرَاهِيمُ ، أَوْ كُنْتُ أَضْرِبُهُ وَهُوَ أَخِي يَا جَاهِلُ ! أَتُرَاهُ لَوْ أَمَرَ غُلَّانَهُ فَتَقْتُلُوكَ أَوْ كُنْتُ أَقْتُلُهُ بِكَ ؟ ! فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلْتَنِي بِهَذَا الْكَلَامِ ، وَإِنْ بَلَغَهُ لَيَقْتُلَنِي ، وَمَا أَشْكُ فِي أَنَّهُ بَلَغَهُ الْآنَ فَصَاحَ بِمَسْرُورٍ وَقَالَ :

(١) مسرور وحسين : خادمان كانا للرشيد . وفي (ت) حسن بدل حسين .

(٢) في ت : يتردد .

(٣) في غ : وقال لإبراهيم .

(٤) زناه : فذقة ونسبه إلى الزنا .

(٥) في غ : وقائمك .

على إبراهيم فأخضر ، فقال لى : قم فأنصرف ، فقلت لجماعة من الخدم وكُلهم كان لى مُحباً وإلى ما ئلاً ولِى مُطيمًا : أَخْبِرُونى بما يَجْرِى ، فأخبرونى من غد أنه لما دخل عليه وَبَحَّه وَجَهَّه وقال له : أَسْتَخِف بِخَادِمِى وَصَنِيعَتِى وَابْنِ خَادِمِى وَصَنِيعَتِى وَصَنِيعَةَ أبى فى مَجْلِسِى ، وَتُقَدِّمُ عَلَىّ وَتَسْتَخِفُّ بِمَجْلِسِى وَحَضْرَتِى ؟ هَاهُ هَاهُ (١) ! وَتُقَدِّمُ عَلَىّ هَذَا وَأَمثَالَهُ ! وَأَنْتَ مَالِكٌ وَلِلْغِنَاءِ ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا هُوَ ؟ وَمَنْ أَخَذَكَ بِهِ وَطَارَحَكَ إِيَّاهَ حَتَّى تَتَوَهَّمِ أَنَّكَ تَبْلُغُ فِيهِ مَبْلَغَ إِسْحَاقَ الَّذِى غَدَى بِهِ وَعُلَّمَهُ وَهُوَ مِنْ صِنَاعَتِهِ ؟ ثُمَّ تَنْظُنُّ أَنَّكَ تُخَطِّئُهُ فِيمَا لَا تُدْرِيهِ ، وَيَدْعُوكَ إِلَى إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ (٢) فَلَا تُثَبِّتُ لِنَدِكَ وَتَعْتَصِمُ بِشَتْمِهِ ! هَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى السَّقُوطِ وَضَعْفِ الْعَقْلِ وَسُوءِ الْأَدَبِ مِنْ دُخُولِكَ فِيهَا لَا يُشْبِهُكَ وَغَلَبَةَ لِنَدِكَ عَلَى مُرُوءَتِكَ وَشَرَفِكَ ثُمَّ إِظْهَارِكَ إِيَّاهُ وَلَمْ تَحْكَمْهُ وَادْعَائِكَ مَا لَا تَعْلَمُهُ (٣) حَتَّى يَنْسِبُكَ إِلَى إِفْرَاطِ الْجَهْلِ ! أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا سُوءُ أَدَبٍ وَقَلَّةُ مَعْرِفَةٍ وَعَدَمُ مُبَالَاتَةٍ بِالْخَطِّاءِ وَالرَّدِّ الْقَمِيمِ وَالتَّكْذِيبِ ! ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ الْعَظِيمِ وَحَقِّ رِسُولِهِ ، وَإِلَّا فَأَنَا بَرِيءٌ (٤) مِنَ الْمَهْدِيِّ إِنْ أَصَابَهُ أَحَدٌ بِمَكْرُوهِ ، أَوْ سَقَطَ عَلَيْهِ حَجَرٌ مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ وَقَعَ مِنْ دَابَّتِهِ أَوْ سَقَطَتْ عَلَيْهِ سَقِيمَةٌ أَوْ مَاتَ (٥) فَجَاءَ ، لِأَقْتَلَنِكَ بِهِ ؛ وَاللَّهِ ! وَاللَّهِ ! وَاللَّهِ ! وَأَنْتَ أَعْلَمُ قَمِ الْآنَ فَأُخْرِجُ وَلَا تَعْرِضُ لَهُ ؛ فَخَرَجَ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَمُوتَ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ (٦) وَإِبْرَاهِيمَ عِنْدَهُ ؛ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيَّ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً وَيَضْحَكُ ثُمَّ قَالَ : إِنِّى لِأَعْلَمُ مُحِبَّتَكَ لِإِسْحَاقَ وَمِيلَكَ إِلَيْهِ وَإِلَى الْأَخْذِ عَنْهُ وَإِنَّ هَذَا لَا يَجِيئُكَ مِنْ جِهَتِهِ كَمَا تُرِيدُ إِلَّا بَعْدَ

(١) هاه هاه : تكون حكاية لضحك الضاحك ، وتكون للوعيد .

(٢) فى غ : عليك .

(٣) فى ت : تقديم وتأخير فى السلام واضطراب فى العبارة استعنا على إصلاحه بما جاء فى الأغانى

(٤) فى غ : نفى .

(٥) فى ت : باب .

(٦) فى غ : إليه .

أَنْ يَرْضَى ، وَالرِّضَا لَا يَكُونُ بِمَكْرُوهِ ، وَلَكِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ وَأَعْرِفَ حَقَّهُ وَصِلَهُ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ وَخَالَفَ مَا تَهَوَّاهُ عَاقِبَتَهُ بِيَدِ مُسْتَطِيلَةٍ^(١) وَلِسَانٍ مُنْتَطِقٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي : قُمْ الْآنَ إِلَى مَوْلَاكَ وَابْنِ مَوْلَاكَ فَتَقَبَّلْ رَأْسَهُ ؛ فَقَمْتُ إِلَيْهِ ، وَقَامَ إِلَيَّ وَاصْطَلَحْنَا .

قال إسحاق : لَمَّا أَرَادَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى الْخُرُوجَ إِلَى خِرَاسَانَ وَدَعَّعْتُهُ وَأَنْشَدْتُهُ :

فِرَاقُكَ مِثْلُ فِرَاقِ الْحَيَاةِ وَفَقْدُكَ مِثْلُ افْتِقَادِ الدِّيمِ
عَلَيْكَ السَّلَامُ فَمَنْ مِنْ وَفَاءٍ أَفَارِقُ مِنْكَ^(٢) وَكَمْ مِنْ كَرَمٍ

فَضَمَّنِي إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَقَالَ لِي : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، لَوْ حَلَيْتَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بِصِنْعَةٍ وَأَدَعَيْتَهُمَا مِنْ يَصْلُحَ لِلغِنَاءِ مَعْنَى لِأَهْدِيَتْ لِي بِذَلِكَ أُنْسًا وَأَذْكَرْتَنِي بِنَفْسِكَ ؛ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ وَطَرَحْتُهُ عَلَى بَعْضِ الْمَغْنِينِ ؛ فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ أُخْرَى ، وَكَانَ كِتَابُهُ لَا يَزَالُ يَرِدُ عَلَيَّ وَمَعَهُ أَلْفُ دِينَارٍ وَأَلْفًا دِينَارًا يَصِلُنِي بِذَلِكَ كُلَّمَا غُنِّيَ بِهَذَا الصَّوْتِ .

حَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَسْكِيُّ قَالَ : دَعَانِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ وَدَعَا عَلْوِيَّةَ وَمَخَارِقًا فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ كَتَبَ إِلَيَّ إِسْحَاقُ يَسْأَلُهُ أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهِ وَيُعَلِّمَهُ الْحَالَ فِي اجْتِمَاعِنَا عِنْدَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : لَا تَنْتَظِرُونِي بِالْأَكْلِ فَقَدْ أَكَلْتُ ، وَأَنَا أَصِيرُ إِلَيْكُمْ بَعْدَ سَاعَةٍ ؛ فَأَكَلْنَا وَجَاسْنَا نَشْرَبُ حَتَّى قَرِبَ الظُّهْرُ^(٣) ، ثُمَّ وَافَى إِسْحَاقُ وَجَاءَ غَلَامَهُ بِقَطْرَمِيزٍ^(٤) نَبِيذٍ فَوَضَعَهُ نَاحِيَّةً ، وَأَمَرَ صَاحِبَ الشَّرَابِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْهُ ، وَكَانَ عَلْوِيَّةُ يَفْنِي الْفَضْلَ ابْنَ الرَّبِيعِ فِي الْخَنِّ لِسَيَاطِ اقْتِرَاحِهِ عَلَيْهِ بِعَجْبِهِ وَهُوَ :

(١) فِي غ : مُنْبَسِطَةٌ .

(٢) فِي غ : فَيْكَ .

(٣) فِي غ : الْعَصْرُ .

(٤) الْقَطْرَمِيزُ : قَلَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الزَّرْجَاجِ .

فإن تعجبي أو تبصري الدهر طمّني بأحداثة طمّ القصص بالجلّم^(١)
فقد أترك الأضياف تندى رحالهم وأكرمهم بالحصّ والتأمك السنّم^(٢)
فقال له إسحاق: أخطأت في هذا الأداء وأنا أصلح لك هذا الصوت؛ فيجنّ
علويه وأغتاض وقامت قيامته، فأقبل إسحاق عليه وقال: يا حبيبي، ما أردت الوضع
منك بما قلت لك، وإنما أردت تهذيبك وتقديمك^(٣) لأنك منسوب الخطأ والصواب
إلى وإلى أبي، فإن كرهت ذلك تركتُك وقلت لك: أجملت وأحسنّت؛ فقال له:
علوية: والله ما أردت هذا وما أردت إلا ما لا تتركه أبدا من سوء عشرتك!
أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك الأمير وعرفك أنه نشيط للاصطباح:
ما حملك على الترفع عليه في مبأ كرته وخدمته ثم تبيّته ومعك قطر ميز نبيذ ترفعا
عن شرابه كما ترفعت عن طعامه ومجالسته الندماء [إلا كما]^(٤) تشتمى وحين تنشط
كما تفعل الأكفاء، ثم تريد على فعل الأكفاء، ثم تعمد إلى صوت قد أشتهاه وأقترحه
وسمعه كل من حضر فما عابه أحد منهم فتعيبه ليمت تنغيصك إياه لذته! أما والله لو
كان الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر - لا والله بل بعض أتباعهم - دعاك إلى ما دعاك
إليه الأمير لما ردّدت ولا تأخرت ولا اعتذرت؛ قال: وأمسك الفضل عن الجواب
إعجاباً بما خاطب به علويه إسحاق، فقال له إسحاق: أما ما ذكرت من تأخري
عنه إلى الوقت الذي حضرته فيه، فهو يعلم أنني لا أتأخر عنه إلا لعائق^(٥) قاطع،

(١) في ت: بالحكم « تحريف » .

(٢) في ت: النشم « تحريف » .

(٣) في غ: تقويمك .

(٤) ما بين القوسين ساقط من « ت » .

(٥) في غ: بعائق .

فإن وثق بذلك منى وإلا ذكرته له سرًّا من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه
مدخل. وأما ترَفُّمي عنه فكيف أرفع عنه وأنا أنتسب إلى صنائه واستمنحه وأعيش^(١)
في فضله مذكُنتُ أنا وأبي وهذا التصرف^(٢) لا أبالي به منك وأما حمل النبيذ معي،
فإن لي في النبيذ شَرطًا من طعمه وريحه إن لم أجده لم أقدر على الشرب ويُنعص عليّ
يومي، وإنما حملته معي لِيَتِمَّ نشاطي فينتفع بي. وأما طعني على ما أختاره، فإنني لم أظن
على اختياره، وإن الذي أختاره لمن يختار الأصوات وأطيب الغناء، وإنما أردتُ
تقويك ولست والله تراني مُتَّبِعًا لك بعد هذا اليوم تقويما ولا مُتَّبِعًا شيئًا من
خَطئِكَ؛ وأنا أُنغِي له - أعزه الله تعالى - هذا الصوت فيعلم وتعلم ويعلم الحاضرون أنك
قد أخطأت وقصرت. وأما البرامكة فأمرهم أشهر من أن أجده. وإني لحقيق
فيه بالعمدرة، وأحرى أن أشكرهم على صنيعهم، وذلك أقل ما يستحقونه.
ثم أقبل على الفضل وقد غاظه مدحهم لهم فقال: اسمع مني شيئًا أخبرك به مما فعلوه معي
وليس بكبير^(٣) من صنائعهم عندي وعند أبي قبلي، فإن وجدت لي في ذلك عُذرًا
وإلا فلم: كنت في ابتداء أمرى نازلا مع أبي في داره وكان لا يزال يجري بين
غلماني وغلمانه وجواري وجواربه الخصومة - كما تجرى بين هذه الطبقات -
فيسْتَكُون غلمانَه إليه فأْتَبِن^(٤) الضجر والتنكر في وجهه؛ فاستأجرتُ دارًا بقرُبه
وانتقلت إليها أنا وغلماني وجواري، وكانت دارًا واسعة فلم أرض ما معي من الآلة لها
ولا لمن يدخل عليّ^(٥) من إخواني أن يروا مثله عندي؛ ففكرت كيف أصنع في ذلك

(١) في غ: من.

(٢) في غ: تضريب.

(٣) في ت: بكبير.

(٤) في ت: فأبين « تحريف ».

(٥) في غ: إلى.

وزاد فِكْرِي حَتَّى خَطَرَ بَقْلِي قُبْحُ الْأَحْدُوثةِ مِنْ نَزولِ مِثْلِي فِي دارِ بَأْجَرَةٍ ، وَإِنِّي لَا آمَنُ فِي وَقْتِ أَنْ يَسْتَأْذِنَ عَلَيَّ صَاحِبُ دَارِي وَعِنْدِي مَنْ أَحْتَشِمُهُ وَلَا يَعْلَمُ حَالِي ، فيقول لي غلامِي : صَاحِبُ دَارِكَ عَلَى البَابِ ، أَوْ يُوَجِّهْ فِي وَقْتِ فيطَلِبُ الأَجْرَ وَعِنْدِي مَنْ أَحْتَشِمُهُ ؛ فِضاقِ بِذَلِكَ صَدْرِي ضَيْقًا شَدِيدًا حَتَّى جَاوَزَ الحَدَّ ؛ فَأَمَرْتُ غلامِي أَنْ يُسْرِجَ لِي حِمَارِي لِأَمْضِي إِلَى الصَّحراءِ أَنْفَرَجَ فِيهَا مِمَّا دَاخَلَنِي فَأَمْرَجَهُ فَرَكَبْتُ بَرْدَاءَ وَنَعْلَ ، وَسَرْتُ وَأَنَا مُفَكِّرٌ فَأَفْضَى بِي السَّيْرَ إِلَى بابِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ ، فَوَتَبَ غِلْمَانُهُ ، وَقَالُوا : أَيْنَ هَذَا الطَّرِيقُ ؟ فقلت : إِلَى الوَازِرِ ؛ فدخلوا واسْتَأْذَنُوا لِي ؛ وَخَرَجَ الحَاجِبُ فَدَخَلْتُ وَبَقِيْتُ خَجِلاً ، وَقَدْ وَقَعْتُ فِي أَمْرَيْنِ قَبِيحَيْنِ (١) : إِنْ دَخَلْتُ بِرِداءِ وَنَعْلِ وَأَعْلَمْتَهُ أَنَّ قِصْدَتَهُ فِي تِلْكَ الحَالِ كانَ سَوءَ أدَبٍ ، وَإِنْ قُلْتُ لَهُ : إِنِّي كُنْتُ مُجْتَازًا وَلَمْ أَقْصِدْكَ وَجَعَلْتُكَ طَرِيقًا كانَ قَبِيحًا ؛ ثُمَّ عَزَمْتُ عَلَى صِدْقِهِ فَدَخَلْتُ ؛ فَلَمَّا رَأَى تَبَسَّمَ وَقَالَ : ما هَذَا الزَّيِّ يا أبا مُحَمَّدٍ ! احْتَبَسْنَا (٢) لَكَ بِالْبَرِّ وَالقِصْدِ وَالتَّفَقُّدِ ، ثُمَّ عَلِمْنَا أَنَّكَ جَعَلْتَنَا طَرِيقًا ؛ فقلت : لا وَاللَّهِ أَيُّها الوَازِرُ وَلَكِنِّي أَصْدُقُكَ ؛ قَالَ : هَاتِ ؛ فَأَخْبَرْتَهُ بِالقِصَّةِ مِنْ أَوْلِها إِلَى آخِرِها ؛ فَقَالَ : أَهَذَا شَغَلَ قَلْبِكَ ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ ! قَالَ : لا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِهَذَا ، يا غِلامِ رُدُّوا حِمَارَهُ وَهَاتُوا لَهُ خِلمَةً ؛ كَجَاءَنِي بِخِلمَةٍ تامَّةٍ مِنْ ثِيابِهِ فَلَبَسْتُها ، وَدَعَا بِالطَّعامِ فَأَكَلْتُ وَوَضِعَ النَّبِيذَ فَشَرِبْتُ وَغَنَمْتُهُ ، وَدَعَا فِي وَسْطِ ذَلِكَ بِدَوَاةٍ فَكُتِبَ أَرْبَعُ رِقَاعٍ ظَنَنْتُ بَعْضُها تَوْقِيعًا بِجائِزَةٍ لِي ، وَإِذا هُوَ قَدْ دَعَا بَعْضَ (٣) وَكَلَامُهُ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الرِّقَاعَ وَسارَهُ بِشَيْءٍ ، فزاد طَمَعِي فِي الجائِزَةِ ؛ وَمَضَى الرَّجُلُ وَجَلَسْنَا نَشْرِبُ وَأَنَا أَنْتَظِرُ فَلَمَّا أَرَى شَيْئًا إِلَى العِتمَةِ ؛ ثُمَّ اتَّكأَ يَحْيَى

(١) فِي غ : فاضحين .

(٢) فِي ت : احتسبنا .

(٣) فِي ت : دعا ببعض .

فَنَامَ ، وَوَقْتُ مَنْ عِنْدَهُ وَأَنَا مَفْكَرٌ خَائِبٌ ، فَخَرَجْتُ وَقَدَّمْتُ لِي غِلَامِي حِمَارِي ؛ فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ الدَّارَ قَالَ لِي غِلَامِي : إِلَى أَيْنَ تَمْضِي ؟ قُلْتُ : إِلَى الْبَيْتِ ؛ قَالَ : قَدْ وَاللَّهِ بَيْعَتُ دَارِكَ وَأَشْهَدُ عَلَى صَاحِبِهَا ، وَأَبْتِيعُ الدَّرْبُ كُلَّهُ وَوُزْنَ ثَمَنِهِ ، وَالْمَشْتَرَى جَالِسٌ عَلَى بَابِكَ يَنْتَظِرُكَ لِيَعْرِفَكَ ، وَأُظَنُّهُ ابْتِاعَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلسُّلْطَانِ لِأَنِّي رَأَيْتُ الْأَمْرَ فِي عَجَلَتِهِ وَاسْتِحْثَانِهِ أَمْرًا سُلْطَانِيًّا ؛ فَوَقَعْتُ فِي ذَلِكَ فِيمَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِي ، وَجِئْتُ وَأَنَا لَا أَدْرِي مَا أَعْمَلُ ؛ فَلَمَّا نَزَلْتُ عَلَى بَابِ دَارِي إِذَا أَنَا بِالْوَكِيلِ الَّذِي سَارَهُ الْوَزِيرُ يَحْبِي قَدْ قَامَ إِلَيَّ فَقَالَ : ادْخُلْ - أَيْدِكَ اللَّهُ تَعَالَى - حَتَّى ادْخُلَ إِلَيْكَ فِي أَمْرٍ أَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى مُخَاطَبَتِكَ . فَطَابَتْ نَفْسِي بِذَلِكَ ، فَدَخَلْتُ فَأَقْرَأَنِي كِتَابًا وَتَوَفَّقِيَعِي يَحْيَى : « يُطَلَّقُ لِأَبِي مُحَمَّدٍ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ يَبْتِاعُ لَهَا بِهَا دَارَهُ وَجَمِيعَ مَا يُجَاوِرُهَا وَبِلَا صِفْهَا » وَالتَّوَفَّقِيَعِيُّ الثَّانِي لِابْنِهِ الْفَضْلِ « قَدْ أَمَرْتُ لِأَبِي مُحَمَّدٍ إِسْحَاقَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ يَبْتِاعُ بِهَا دَارَهُ ، فَاطْلُقْ لَهَا مِثْلَهَا لِيُنْفِقَهَا عَلَى إِصْلَاحِ الدَّارِ كَمَا يَرِيدُ وَبِنَائِهَا كَمَا يَشْتَهُي » . وَالتَّوَفَّقِيَعِيُّ الثَّلَاثُ إِلَى جَعْفَرٍ : « قَدْ أَمَرْتُ لِأَبِي مُحَمَّدٍ إِسْحَاقَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ يَبْتِاعُ لَهَا بِهَا مَنْزِلًا يَسْكُنُهُ ، وَأَمْرُهُ أَخُوكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ يُنْفِقُهَا عَلَى مَرْمَتِهَا وَبِنَائِهَا عَلَى مَا يُرِيدُهُ ، فَاطْلُقْ لَهَا أَنْتَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ يَبْتِاعُ بِهَا فَرَشًا لِمَنْزِلِهِ » . وَالتَّوَفَّقِيَعِيُّ الرَّابِعُ إِلَى مُحَمَّدٍ : « قَدْ أَمَرْتُ أَنَا وَأَخَوَاكَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ إِسْحَاقَ بِثَلَاثِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِمَنْزِلٍ يَبْتِاعُ لَهَا وَنَفَقَةً يُنْفِقُهَا لِإِصْلَاحِهَا وَتَمْنِ فَرَشٍ يُفْرَشُ فِيهَا فَأَمُرُ أَنْتَ لَهَا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ يَصْرِفُهَا فِي سَائِرِ نَفَقَاتِهَا » وَقَالَ لِي الْوَكِيلُ : قَدْ حَمَلْتُ الْمَالَ وَابْتَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ جَاوِرِكَ بِتِسْعِينَ (١) أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَهَذِهِ كُتُبُ الْأَبْتِيَاعَاتِ بِاسْمِي وَالْإِقْرَارِ لَكَ ، وَهَذَا الْمَالُ بُوْرِكَ لَكَ فِيهِ فَأَقْبِضْهُ فَقَبِضْتُهُ وَأَصْبَحْتُ أَحْسَنَ النَّاسِ حَالًا وَأَحْسَنَ حَالًا

من أبي في منزلي وفرشي وآلتى ؛ ولا والله ما هذا بأكبر شيء^(١) فَعَلَوْهُ مَعِيَ
أَفْأَلَام^(٢) على شكرهم ؟ ! فبكى الفضلُ وكلَّ من حضر وقالوا : لا والله لا تُتَلَامُ
على شكر هؤلاء . ثم قال له الفضلُ : بِحَيَاتِي غَنَّ الصَّوْتِ وَلَا تَبْخَلْ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ
عَلَّوِيهِ بَأَنْ تَقُومَهُ لَهُ ؛ قال : أَفْعَلْ ؛ فغَنَّاهُ وَتَبَيَّنَ عَلَّوِيهِ أَنَّهُ كَمَا قَالَ ، فقام وقَبَّلَ
رأسه وقال : أَنْتَ أَسْتَاذُنَا وَابْنُ أَسْتَاذِنَا وَأَوْلَى بِنَقْوِينَا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، فَرَدَّهُ^(٣)

إسحاق عدة مرار حتى استوى لعلوية :

يَرْتَاحُ لِلدَّجْنِ قَلْبِي وَهُوَ مُقْتَدِمٌ
إِنِّي جَعَلْتُ لِيَوْمِ^(٤) الدَّجْنِ نِحْلَتَهُ
من^(٤) المموم أرتياح الأرض للعطر
أَلَّا يَزُولَ وَلِي فِي اللَّهْوِ مِنْ وَطَرٍ

— وَلَا إِسْحَاقَ :

— قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا
— قَد بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدَ
وَنَائِي عَنْكَ جَانِبَا
ت وَإِنْ كُنْتَ لَاعِبَا

وله :

هَلْ إِلَى نَظَرَةٍ إِلَيْكَ سَبِيلُ
إِنَّمَا مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْتُرُ عِنْدِي
يُرُومِنَا الصَّدَى وَيُسْفَى الْغَلِيلُ
وَكَثِيرٌ مِمَّنْ^(٦) تُحِبُّ الْقَلِيلُ
قال الأصمعي : دخلت يوماً أنا وإسحاق بن إبراهيم على الرشيد فرأيتُه لقس^(٧)

النفس فأنشده إسحاق :

(١) فت : من أكبر .

(٢) فت : أفلام . « تحريف » .

(٣) رده : أعاده .

(٤) فت : بين .

(٥) فت : لهذا .

(٦) فت : مما !

(٧) لقست نفسه : غئت وخبئت .

وأمره بالبخل قلت لها : أقصري
أرى الناس خلان الكرام ولا أرى
وإني رأيت البخل يزرى بأهله
فعالي فعال الكثيرين تجملاً
وكيف أخاف الفقراً أو أحرّم الغنى
فذلك شئ ما إليه سبيل
بخيلاً له حتى مات خليل
فأكرمت نفسي أن يقال بخيل
ومالي كما قد تعلمين قليل
ورأى أمير المؤمنين جميل

فقال الرشيد : لا تخف إن شاء الله تعالى ؛ ثم قال : لله درّ أبيات تأتينا بها ؛
ما أشدّ أصولها ، وأحسن فصولها ، وأقلّ فضولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم ؛
فقال له إسحاق : وصفك يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه ، فعلام آخذ الجائزة ؟
فضحك الرشيد وقال : اجعلوها لهذا مائة ألف درهم . قال الأصمعي : فعلت يومئذ
أن إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني .

قال إسحاق : كنت عند الفضل بن الربيع يوماً ، فدخل عليه ^(١) ابن ابنه
عبدُ الله بن العباس بن الفضل وهو طفل ، وكان يرقّ عليه لأنّ أباه مات في حياته ،
فأجلسه في حجره وضمه إليه ودمعت عيناه ؛ فأنشأت أقول :

مدّ لك الله الحياة مدّاً حتى ترى ابنك ^(٢) هذا جدّاً
مؤزراً بمجده ^(٣) مُردّي ثم يُفدّي مثل ما تُفدّي
أشبه منك سنةً وخدّاً ^(٤) وشيمه ^(٥) مرضيةً ومجدّاً
كأنه أنت إذا تبتدي شمائلًا محمودةً وقدّاً

(١) في غ : إليه .

(٢) في ت : ابن ابنك .

(٣) في ت : لمجده .

(٤) في ت : وجدّاً .

(٥) في غ : وشيها .

فتبسم الفضل وقال : أمتعنى الله بك يا أبا محمد ، فقد عوضتُ من الحزن سرورا وتسليت^(١) بقولك ، وكذلك يكون إن شاء الله تعالى ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم .

حكى عن جَعْفَةَ أو عن الزُّبَيْرِ بنِ دَحَّانٍ قال : مررت يوما على إسحاق بن إبراهيم مسلماً فبسنى وحبس نفسه ، وكان الفضل بن الربيع قد أمر بالمصير إليه ، فقال إسحاق :

أقم يا أبا العباس نخل ونطرب^(٢) ونله مع اللاهين يوما ونضرب^(٣) إذا ما رأيت اليوم قد بان^(٤) خيرُه مُخْذَه بشكر وأترك الفضل يعضب

فأقمنا يومنا وسررنا ؛ ثم صار إلى الفضل بن الربيع ؛ فسأله عن سبب تأخره عنه ؛ فحدثه الحديث مع إسحاق وأشده الشعر فعضب على إسحاق ، وحول وجهه عنه وأمر عونا حاجبه ألا يستأذن عليه ولا يدخله إليه ولا يوصل له رقعة ، فعمل إسحاق :

حرام على الراخ^(٥) ما دمت غضباناً وما لم يعد عني رضاك كما كانا فأحسن فإني قد أسأت ولم تزل تعودني عند الإساءة إحسانا

وأشدهما إياه فرضى عنه وعاد إلى ما كان عليه له ، وعمل إسحاق في عون الحاجب :

عون يا عون ليس مثلك عون أنت لى عُدَّة إذا كان كون لك عندى والله إن رضى الفضل بل غلام يرضيك أو برذون

(١) فت : وسميت !

(٢) في غ : أقم يا أبا العوام ويحك نشرب .

(٣) في غ : ونطرب .

(٤) في غ : جاء .

(٥) في غ : السكاس .

قال: فَأَتَى عُونَ إِلَى الْفَضْلِ بِالشُّعْرَيْنِ جَمِيمَا ؛ فقرأَهُمَا وَضَحِكَ وَقَالَ : وَيْلَكَ (١) إِنَّمَا عَرَضَ بِكَ بِقَوْلِهِ : « غَلَامٌ يُرْضِيكَ » بالسَّوءِ ، فقال عُونَ : قد وعدتني بما سَمِعْتُ فَإِنْ شِئْتَ أَلَا تَحْرِمَنِيهِ فَأَفْعَلُ (٢) ، فأمره بِإِحْضَارِهِ فَحَضَرَ وَرَضِيَ عَنْهُ وَوَفَّى لِعَوْنِ .

وَكَانَ فِي خُلُقِ إِسْحَاقَ نَبْوَةً عَنِ الْوَثْرِ .

قال [حماد بن] إِسْحَاقَ : كان أبي يوما عند إِسْحَاقَ بنِ إِبراهيمِ بنِ مُصْعَبِ ، فلما جلس للشرب جعل الغلمان يسقون من حضر ، وجاء غلامٌ قبيح الوجه إلى أبي بقدحٍ فلم يأخذه منه ، وراه إِسْحَاقُ بنِ إِبراهيمِ بنِ مُصْعَبِ فقال له : لِمَ لَا تَشْرَبُ ؟ فكتب إليه في زجاجة :

أصبَحَ نَدِيمَكَ أَقْداحًا يُسَلِّسِلُهَا	من الشَّمُولِ وَأَتْبِعِهَا بِأَقْداحِـ
من كَفِّ رِيْمِـ مَلِيحِ الدَّلِّ رِبْقَتُهُ	بِعدِ الهُجُوعِ كِمَسِّكَ أَوْ كَتَفَّاحِـ
لَا أَشْرَبُ الرِّاحِ إِلَّا مِنْ يَدِي رَشًا	تَقْبِيلُ رَاحَتِهِ أَشْهَى مِنَ الرِّاحِـ

فضحك ثم قال : صدقت والله ، ثم استدعى بوصيفة كأنها صورةٌ ، تامَّةُ الحسنِ لطيفةُ الخصرِ في زيِّ غلامٍ عليها أَقْبِيَّةٌ (٣) وَمِنْطَقَةٌ (٤) ، فقال لها : تولى سَقَى أبي محمد ! فما زالت تَسْقِيهِ حتى سكر ؛ ثم أمر بتوجيهها إليه وجميع مالها ، فُحِمَتْ إِلَيْهِ .

وكان لإسحاق غلام اسمه زياد مولد من مؤلدى الكوفة فصيحًا ظريفًا وكان قد جعله ساقيا وكان أصغرَ رقيقَ اللونِ خلوَ الوجهِ ، لا يُرَاجِعُهُ أَحَدٌ وَلَا يَسْتَطِيعُ

(١) في غ : ويحك .

(٢) في غ : فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم .

(٣) الأقبية : جمع قباء بالفتح ؛ وهو ثوب يلبس فوق القميص ويتمنطق به .

(٤) في ت : منمنطقة .

أن يقول له : زِدْنِي وَلَا تَقْصِنِي ^(١) . وكان لطيفَ السقي لبيقاً .

وكان فيه يقول إسحاق :

خَلِيلِي هَيَّا نَصْطَبِحِ بِسَوَادٍ وَزَرَوْ قُلُوبًا هَامَهِنَ صَوَادٍ
وَقَوْلًا لِسَائِقِينَا زِيَادٍ يُرْقَاهَا فَقَدَّ هَدَّ ^(٢) بَعْضَ الْقَوْمِ سَقَى زِيَادٍ

قال ^(٣) أحمد بن الهيثم : كنت يوماً جالسا بسرّاً من رأى عند إخوان لي ، وكان طريق إسحاق في مضيه إلى دار الخليفة ورجوعه علينا ، فجاءني الغلام يوماً وعندى أصدقائي ، فقال : إسحاق بن إبراهيم الموصلي بالباب فقلت : يَدْخُلُ أَوْ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ يُسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ لِإِسْحَاقِ ؟ فذهب الغلام يأذن له ، وبادرت إلى تلقّيه ، فدخل وجلس منبسطة آنسا ، فعرضنا عليه ما عندنا ، فأجاب إلى الشراب ، فأحضرناه نَبِيدًا مُشْمِسًا ^(٤) ، فشرب منه . ثم قال : أَحْبَبُونَ أَنْ أُغْنِيَكُمْ ؟ قلنا : إِي وَاللَّهِ ، أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ ، إِنَّا لَنَحِبُ ذَلِكَ ، قال : فَلِمَ لَا تَسْأَلُونِي ؟ قلنا : هَبْنَاكَ ، قال : فَلَا تَفْعَلُوا ، ثُمَّ دَعَا بَعُودَ فَأَحْضَرْنَا ، فَانْدَفَعَ فَعَنَى فَشْرَبْنَا وَطَرَبْنَا ، فَلَمَّا فَرِغَ قَالَ : أَحْسَنْتَ أَمْ لَا ؟ فقلنا : بَلَى وَاللَّهِ ، جَمَلْنَا فِدَاكَ ، لَقَدْ أَحْسَنْتَ ، قال : فَمَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَقُولُوا لِي أَحْسَنْتَ ؟ قلنا : الْهَيْبَةُ وَالْإِجْلَالُ لَكَ ، قال : فَلَا تَفْعَلُوا هَذَا فِيمَا تَسْتَأْنِفُونَ ، فَإِنَّ الْمَعْنَى يُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَحْسَنْتَ ! ثُمَّ غَنَى :

خَلِيلِي هَيَّا نَصْطَبِحِ بِسَوَادٍ وَزَرَوْ قُلُوبًا هَامَهِنَ صَوَادٍ
الْبَيْتَيْنِ ، فقلنا له : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، فَمَنْ هُوَ زِيَادٌ ؟ قال : غلامِي الْوَاقِفُ عَلَى الْبَابِ ،

(١) في غ : أَّقْصِنِي .

(٢) في ت : هُنَّ « تحريف » .

(٣) جاء هذا الكلام ضمن خبر إسحاق مع غلامه زياد في الجزء العشرين من الأغاني ص ٢٨٥

طبعة بيروت .

(٤) مشمساً ، أي يشمس بصاحبه : يجمع به .

أدعوه يا غلام ، فدخل فإذا هو غلام خِلاسى^(١) قِيمَتُهُ عَشْرُونَ دِينَارًا أَوْ نَحْوَهَا ،
فَأَمْسَكْنَا ، فَقَالَ : أَتَسْأَلُونِي عَنْهُ فَأَعْرِفْكُمْ إِيَّاهُ ، وَأَدْخَلَهُ إِلَيْكُمْ وَيَخْرُجُ كَمَا دَخَلَ ،
وَقَدْ سَمِعْتُمْ شِعْرِي فِيهِ وَغَنَائِي ؟ أَشْهَدُكُمْ أَنَّهُ حُرٌّ لَوْجَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَدْ زَوَّجْتَهُ أُمَّتِي^(٢)
فَلَانَةَ : فَأَعْيَنُوهُ عَلَى أَمْرِهِ . قَالَ : فَلَمْ يَخْرُجْ حَتَّى أَوْصَلْنَا إِلَيْهِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ
مِنْ أَمْوَالِنَا .

اصْطَبَحَ^(٣) مُحَمَّدُ الْأَمِينُ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَمَرَ بِالتَّوْجِيهِ إِلَى إِسْحَاقَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عِدَّةَ
رِسَالٍ كُلِّهْمُ لَا يَصَادِفُهُ ، حَتَّى جَاءَ أَحَدُهُمْ بِهِ ، فَجَاءَ مِنْتَشِيَا ، وَمُحَمَّدٌ مَغْضَبٌ ، فَقَالَ لَهُ :
أَيْنَ كُنْتَ وَبَيْتُكَ ! قَالَ : أَصْبَحْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَشِيمًا فَبَكَرْتُ إِلَى بَعْضِ
الْمُنْتَرَهَاتِ ، فَاسْتَطَبْتُ الْمَوْضِعَ فَأَقَمْتُ فِيهِ ، وَسَقَانِي زِيَادٌ ، فَذَكَرْتُ أَيْبَاتًا لِلْأَخْطَلِ
وَهُوَ يَسْقِينِي ، فَدَارَ لِي^(٤) فِيهَا لِحْنٌ حَسَنٌ ، فَصَنَعْتَهُ ، وَقَدْ جِئْتُكَ بِهِ ، فَتَبَسَّمَ
وَقَالَ : هَاتِهِ ، فَمَا تَزَالَ تَأْتِي بِمَا يُرْضَى عَنْكَ عِنْدَ السَّخَطِ ، فَنَفَّاهُ :

إِذَا مَا زِيَادٌ عَلَّنِي ثُمَّ عَلَّنِي ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهْنٌ هَدِيرٌ
خَرَجْتُ أَجْرَ الذَّبِيلِ حَتَّى كَانَنِي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرٌ
فَقَالَ : بَلْ عَلَى أَيْبِكَ قَبَّحَ اللَّهُ فِعْلَكَ ، فَمَا زَالَ إِحْسَانُكَ فِي غِنَائِكَ يَمْجُو إِسَاءَتَكَ
فِي فِعْلِكَ ، وَأَمْرُ لَهْ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ . وَأَصْلُ قَوْلِ الْأَخْطَلِ : إِذَا مَا نَدَيْمِي عَلَّنِي ...

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : بَعَثَ إِلَيَّ طَلْحَةَ بْنُ طَاهِرٍ وَقَدْ انْصَرَفَ مِنْ وَقْعَةِ
الشَّرَاةِ^(٥) وَقَدْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ فِي وَجْهِهِ ؛ فَضَيِّتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ قَدْ عَصَبَ ضَرْبَتَهُ

(١) الخِلاسى : من يولد بين أبوين أبيض وأسود .

(٢) في ت : أختي .

(٣) جاء هذا الخبر ضمن أخبار إسحاق مع غلامه زياد في الجزء العشرين من الأغاني ص ٢٨٧

طبع بيروت .

(٤) في ت : فدارك « تحريف » .

(٥) الشراة : الحوارج .

وَتَقَلَّسَ بَقَلَنَسُوءَ مَكِيَّةَ ؟ فقلت له : سبحان الله أيها الأمير ! ما حملك على لبس هذا ؟
قال : التبرُّمُ بغيره . ثم قال : غَنَّنِي لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ :

إِنِّي لَأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَن أَجْبِلِهَا وبأسم أودية عن اسم واديهما
عَمْدًا لِيَحْسَبَهَا الْوَأَشُونَ غَانِيَةً^(١) أخرى وتَحَسَّبُ أَنِّي لَا أَبَالِيهَا
وَلَا يُفَسِّرُ وُدِّي أَنَّ أَهَاجِرَهَا ولا فراق نوى في الدار أنويها
وَاللَّقُلُوصِ وَلِي مِنْهَا إِذَا بَعُدْتُ لواعج^(٢) الشوق تُنْضِينِي وَأَنْضِيهَا

فغَنَّنِيتهُ إِيَّاهُ ، فقال : أحسنت والله ! أعد ! فأعدتُ عليه وهو يشرب حتى
وَصَلَ^(٣) الْعَتَمَةَ وَأَنَا أَعْنِيهِ ؟ فأقبل على خادم له فقال له : كم عندك ؟ فقال : مقدارُ
سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فقال : تُحْمَلُ مَعَهُ . فلما خرجتُ من عنده تَبَعَنِي الْعُلَمَاءُ يُسْأَلُونَنِي ،
فوزعتُ المالَ بينهم ؟ فرُفِعَ الْخَبْرُ إِلَيْهِ فَأَغْضَبَهُ وَلَمْ يُوجِّهْ إِلَيَّ ثَلَاثًا ، فقلتُ :

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّمَّاحَ فَمَا أَبَقِيْتُ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكَ
لَمْ أَبْقِ شَيْئًا إِلَّا سَمَحْتُ بِهِ كَأَنَّ لِي قُدْرَةً كَمَقْدَرَتِكَ
تُتَأَفُّ فِي الْيَوْمِ بِالْهَبَاتِ وَفِي السَّ أَعْمَا مَا تَجَتَّنِيهِ فِي سَنَتِكَ
فَلَسْتُ أُدْرِي مِنْ أَيْنَ تَنْفِقُ لَوْ لَا أَنَّ رَبِّي يَجْزِي عَلَى هَبَتِكَ^(٤)

فلما كان في اليوم الرابع بَعَثَ إِلَيَّ ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ؟ فرفع بصره إليَّ
وقال : اسقوه رطلًا فشربت فقال : وآخر فشربت ثلاثة أرطال . ثم قال : غَنَّنِي :
إِنِّي لَأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَن أَجْبِلِهَا وبأسم أودية عن أسم واديهما
فغَنَّنِيتهُ فقال : ادنْ ، فدنوت ، فأمرني بإعادة الصوت الذي صنعته فيه وهو :

(١) في ت : غائبة « تحريف » .

(٢) في غ : بوارح .

(٣) في غ : صلي .

(٤) في غ : صلتك .

عَلَّمَنِي جُودَكَ السَّمَاحَ فَمَا أُبْقِيتُ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صَلَاتِكَ
 فَلَمَّا فَهِمَهُ قَالَ لَخَادِمٍ لَهُ : أَحْضِرْ لِي فُلَانًا فَأَحْضِرْهُ ، فَقَالَ : كَيْفَ قَبْلَكَ
 مِنْ مَالِ الضِّيَاعِ ؟ فَقَالَ : ثَمَانِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ! قَالَ : أَحْضِرْهَا السَّاعَةَ ؛ فَجِئْتُ
 بِشَمَائِنِ بَدْرَةَ ؛ فَقَالَ لِلخَادِمِ : جِئْتَنِي بِشَمَائِنِ غُلَامًا مَمْلُوكًا ، فَأَحْضِرُوا ؛ فَقَالَ :
 احْمِلُوا المَالَ ؛ ثُمَّ قَالَ لِي : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ خُذِ المَالَ وَالمَالِيكَ حَتَّى لَا تَحْتَاجَ إِلَى أَحَدٍ
 تُعْطِيهِ شَيْئًا .

(قال محمد بن عمر^(١) الجرجاني . وقد ذُكِرَ عنده إسحاق : ما تذكرون من
 إسحاق شيئاً تقاربون به وصفه . كان والله إسحاق غُرَّةً في زمانه، وواحدًا في عصره^(٢) .
 عَلِمًا وَفَهْمًا وَأَدَبًا وَوَقَارًا وَجُودَةً رَأَى وَصِحَّةَ مَوَدَّةٍ . وَكَانَ يُخْرِسُ النَّاظِقَ إِذَا نَطَقَ
 وَيَحْيِرُ السَّمَاعَ إِذَا تَحَدَّثَ ، لَا يَمَلُّ جَلِيسُهُ مَجْلِسَهُ ، وَلَا تَمُجُّ الأَذَانُ حَدِيثَهُ ، وَلَا
 تَنبُو النَفْسُ عَنْ مُطَاوَلَتِهِ . إِنْ حَدَّثَكَ الهَاكُ ، وَإِنْ نَاطَرَكَ أَفَاذَكَ ، وَإِنْ غَمَّكَ أَطْرَبَكَ .
 وَمَا كُنْتَ تَرَى حَصْلَةَ مِنَ الأَدَبِ وَلَا جِنْسًا مِنَ العِلْمِ فَيُقَدِّمُ أَحَدٌ فِيهِ عَلَى مُسَاجَلَتِهِ
 وَلَا مِبَارَاتِهِ .)

قال إسحاق : لاعبتُ الفضلَ بنَ الربيعِ ، فوقعَ بيننا خِلافٌ ، كخلفٍ وحلفتُ ،
 وَغَضِبَ عَلَيَّ وَهَجَرَنِي فَأَتَيْتُ عَوْنًا وَكَانَ يَحْجُبُهُ ، فَخَاطَبْتُهُ فِي ذَلِكَ ، فَكَلَّمَنِي بِمَا
 كَرِهْتُ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : أَيْدِخِلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الأَمِيرِ أَحَدٌ فَرَضِيتهُ وَاصْطَلَحْنَا ، وَقَالَ الفضلُ
 لِي : أَصْلِحْ قَلْبَ عَوْنٍ . وَكَانَ عَوْنٌ يُرَى بِالأَبْنَةِ ، فَقُلْتُ فِيهِ :

وَرَاكِبٌ^(٣) أَمْرٌ ضَاقَ ذَرْعًا بِذِكْرِهِ وَقَاسٍ لِدَائِهِ^(٤) مِنْهُ مُتَّسِعٌ الخَرْقِ

(١) في ت : عمران .

(٢) في غ : دهره .

(٣) في غ : وذاكر .

(٤) في ت : وقاس كذا « تحريف » .

ثم علمت ألا يتيم لي أمرٌ إلا بعد أن يرَضِي فكُتبت إليه :
 عَوْنُ يَاعَوْنُ لَيْسَ مِثْلَكَ ^(١) عَوْنُ أَنْتَ لِي عُدَّةٌ إِذَا كَانَ كَوْنُ
 لَكَ عِنْدِي وَاللَّهُ إِنْ رَضِيَ الْفَضْلُ لَ غَلَامٌ يُرَضِيكَ أَوْ بَرْدُونُ
 فدخل الفضلُ فترَضاهُ لي فرضي ثم قال له : وبلك ! إنه والله إنما هجأك
 يا عَوْنُ وأنت ترى أنه مدحك ! ألا ترى إلى قوله غلام يُرَضِيكَ هذا تعريض بك ،
 فقال : فكيف أصنع به مع محله عند الأمير ؟ .

قال إسحاق استدنانى الأمين ^(٢) يوما وهو مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشٍ حَتَّى صَارَتْ
 رَكْبَتِي عَلَى الْفِرَاشِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا إِسْحَاقُ ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَصْحَابِي ، فَعَلْتُ بِنَلَانِ كَذَا
 فَعَمَلْتُ كَذَا ، وَفَعَلْتُ بِنَلَانِ كَذَا فَعَمَلْتُ كَذَا ، حَتَّى عَدَدَ جَمَاعَةٍ مِنْ خَوَاصِهِ ؛ فَقُلْتُ
 لَهُ : أَنْتَ يَا سَيِّدِي تَتَفَضَّلُ عَلَيَّ وَتُحْسِنُ رَأْيِكَ فِي ، ظَنَنْتُ أَنَّي مِمَّنْ يُشَاوِرُ فِي مِثْلِ
 هَذَا الْحَدِيثِ ، تَجَاوَزْتَ فِي حَدِّي وَمَقْدَارِي ، وَهَذَا رَأْيٌ يَجِلُّ وَلَا يَبْلُغُهُ قَدْرِي ؛
 فَقَالَ : وَلَمْ ؟ أَنْتَ عِنْدِي عَالِمٌ عَاقِلٌ فَاصْحِحْ ! فَقُلْتُ : هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ سَيِّدِي ، عَلَّمْتَنِي
 أَلَّا أَقُولَ إِلَّا مَا أَعْرِيفُ وَلَا أَطْلُبُ إِلَّا مَا أَنَالُ ؛ فَضَحِكَ وَقَالَ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ عَمَلْتَ
 فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ لَحْنًا فِي شِعْرِ الرَّاعِي فَلَمْ أَسْمَعْ مِنْكَ ؛ فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي ، مَا سَمِعَهُ أَحَدٌ
 إِلَّا جَوَارِيٍّ وَلَا حَضْرَتٌ عِنْدَكَ مِنْذُ صَنَعْتُهُ ؛ فَقَالَ : غَنَّهُ ، فَقُلْتُ : الْهَيْبَةُ وَالصَّخْوُ
 يَمْنَعَانِي أَنْ أُؤَدِّيَهُ كَمَا أُرِيدُ ^(٣) ، فَلَوْ أَنَسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَهُ بِشَيْءٍ يُطْرَبُهُ وَيُقَوِّى
 طَبَعَهُ كَانَ أَجُودَ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْغَدَاءِ فَتَغَدَّيْنَا ، وَأَمَرَ بِالسُّتَارِ فَمَدَّتْ
 وَعَسَّنِي مِنْ وَرَائِهَا وَشَرِبْنَا أَقْدَاحًا فَقَالَ : يَا إِسْحَاقُ : أَمَا جَاءَ أَوَانُ الصَّوْتِ ؟ فَقُلْتُ :
 بَلَى يَا سَيِّدِي ؛ وَغَنَّيْتُ فِي شِعْرِ الرَّاعِي :

(١) في ت : لثلك « تحريف » .

(٢) في غ : المأمون .

(٣) في غ : تريد .

ألم تسألِ بِعَارِمَةَ^(١) الدِّيَارَا من الحَيِّ المَفَارِقِ ابنِ سَارَا^(٢)
بَلَى سَاءَ لَيْهَهَا فَأَبَتْ جَوَابًا وكيف تُسَائِلُ الدَّمَّ مِنَ القِفَارَا

فاسْتَحْسَنَهُ وَطَرِبَ عَلَيْهِ وقال : يا إِسْحَاقُ لا طَلَبَ بَعْدَ البُغْيَةِ ووجود النية ،
وما أَشْرَبُ بِقِيَّةِ يَوْمِي إِلَّا على هذا الصوت ، ووصلني وخلع علي من ثيابه .
كان الوائِقُ إِذَا صنعَ غَنَاءً في شعر قال لِإِسْحَاقِ : هذا وقعُ إِلَيْنَا البَارِحَةَ فاسمعه ،
فكان ربّما أصلح فيه الشيء بعد الشيء . فكادَهُ مُخَارِقٌ عنده وقال : إِنَّمَا يَسْتَجِيدُ
صَنَعَتِكَ إِذَا حضرَ لِيُقَارِبَكَ ويستخرج ما عنْدَكَ ، إِذَا فارقَ حَضْرَتَكَ قال في
صَنَعَتِكَ غيرَ ما تسمع ؛ قال الوائِقُ : فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقِفَ على ذلك ؛ فقال مُخَارِقٌ
فَأَنَا أَغْنِيهِ :

أَيَا مُنْشِرِ المَوْتِي أَقْدَنِي مِنَ النَّبِيِّ بِهَا نَهَيْتَ نَفْسِي سَقَامًا وَعَلَّتْ
لَقَدْ بَخِلْتُ حَتَّى لو أَنِي سَأَلْتُهَا قَدَى العَيْنِ من سَافِي الترابِ لَضَنَّتْ

فَإِنَّ إِسْحَاقَ لا يَعْلَمُ أَنَّ ذلكَ لك ولا سمعه من أحد ؛ قال : افعل . فلما دَخَلَ
إِسْحَاقُ غَنَاءَهُ مُخَارِقٌ وتعمدَ لأن يفسده بِجَهْدِهِ ، وفعل ذلك في مَوَاضِعَ خَفِيَّةٍ
لم يَعْرِفْهَا الوائِقُ في^(٣) قِسْمَتِهِ ؛ فلما غَنَّاهُ قال الوائِقُ لِإِسْحَاقِ : كيف تَرَى هذا
الصوت ؟ قال : فاسدٌ غيرُ مَرُضِي ؛ فأمر به فُسِحِبَ في^(٣) المجلس حتى أُخْرِجَ عنه ،
وأمر بنفسيه إلى بغداد . ثم جرى ذكره يوما . فقالت له فَرِيدَةُ : يا أمير المؤمنين ،
إِنَّمَا كادَهُ مُخَارِقٌ فأفسدَ الصوتَ من حيث أوهَمَكَ أَنه زادَ فيه بِجَذْفِهِ نَعْمًا وجَوْدَةً ،
وَإِسْحَاقُ يأخذُ نفسه بقول الحق في كل شيء سَاءَهُ أو سرَّهُ ، ويفهم من غَامِضِ الصَّنَعَةِ

(١) عارمة : موضع في ديار بني عامر بنجد ، وقيل : ماء لبني تميم بالرمل .

(٢) في غ : صارا .

(٣) في غ : من .

ما لا يفهمه غيره ؛ فليُخْضِرْهُ أمير المؤمنين ويُحَلِّفْهُ بِمُعَلِّظٍ (١) الأيمان أن يَصْدُقَهُ عما يسمع ، وأُغْنِيَهُ أَنَا حتى يَقِفَ على حقيقة الصوت ؛ فإن كان فاسداً فصدق عنه لم يكن عليه عَتَبٌ ، ووافقناه عليه حتى يستوى ، وليس يجوز أن نَتْرُكَهُ فاسداً إن كان فيه فساد ، وإن كان صحيحاً قال ما فيه ؛ فأمر بحَمَلِهِ حُمِلَ ، وأظهر له الرِّضَا عنه ولزِمَهُ أياما ؛ ثم حَلَّفَهُ أن يصدقَه عما يمرّ في مجلسه فحَلَفَ له . ثم غَنَى الوائقُ أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخْبِرُهُ فيها بما عنده ؛ ثم غَنَتْهُ فَرِيدَةٌ هذا الصوت وسأله الوائق عنه ، فرَضِيَهُ وأستجاده وقال : ليس على هذا سمتهُ المرة الأولى ، وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مُخَارِقِ لَهَا ؛ فسكن غَضَبُهُ ، ووصل إسحاق ، وتنكَّرَ لِمُخَارِقٍ مُدَّةً .

قيل : كان إسحاق بعد المأمون لا يُغْنَى إِلَّا خَلِيفَةً أَوْ وَلِيَّ عَهْدٍ أَوْ رَجُلٍ مِنَ الطَّاهِرِيَّةِ مثل إسحاق بن إبراهيم وطبقته ؛ فاجتمعوا عند الوائق وهو ولي عَهْدِ الْمُعْتَصِمِ ، فاشتغى الوائق أن يُضْرَبَ (٢) بين مُخَارِقٍ وَعَلَوِيَّةٍ وإسحاق ، ففعل حتى تَهَاتَرَ ثم قال لإسحاق : كيف هما عندك ؟ فقال : أما مُخَارِقٌ فَمُنَادٍ طَيِّبِ الصوت وأما عَلَوِيَّةٌ فهو خَيْرٌ حِمَارِي الْعِبَادِي (٣) ، وهو على كل حال شَيْءٌ ، يريد تفسير شيء ؛ فوثب عَلَوِيَّةٌ مُغْضَبًا ، ثم قال للوائق : جواريه حَرَّاءٌ وَنِسَاؤُهُ طَوَّالِقٌ إن لم تحلفه بِحَيَاتِكَ وَحَقِّ أَيْبِكَ أن يصدقَ عما أَسْأَلُهُ عنه ، لأنَّ توبن عن الغناء ما عِشْتُ ؛ فقال له الوائق : لا تعربد يا علي (٤) ، نحن نفعل ما سألت ؛ ثم حَلَفَ إسحاق أن يصدقَ

(١) في غ : بغليظ .

(٢) يضرب : يفرى .

(٣) يشير إلى المثل ؛ وهو ما يقال من أنه كان لعبادي حاران ، فقيل له : أي حماريك شر ؟

قال : هذا ثم هذا ، أي لأفضل لأحدهما على الآخر . وفي ت : خير جلاوي الغناء « تحريف » .

(٤) في ت : لا توجد على يا علي « تحريف » .

فحلف ؛ فقال له : من أحسن الناس اليوم صنعةً بعدك ؟ فقال : أنت . قال : فن
أضرب الناس بعد تقيف ؟ فقال : أنت . قال : فن أطيب الناس صوتا بعد مُحَارِق ؟
قال : أنت . قال علويّه لإسحاق : أهذا قولك فيّ وأنت تعلم أنّي مُصَلِّي^(١) كلّ
سابق فاضل ، وأني ثالثُ ثلاثة أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلهم ولا يكون ! فنا
أنت وغناؤك الذي لا يُسمع إلا انخفاضا^(٢) ! فعَضِبَ إسحاق ، وانتهر الوائِقُ
علويّه . ثم أخذ إسحاق عوداً فتَنَقَّلَ مَثْنَاهُ إلى البهم^(٣) ، وزيّره إلى موضع المثلث ،
والمثلث مكان المثنى ، وضرب وقال : أتعرِفَ شيئا ؟ فغَسَنِي مُحَارِقُ عليه .

تَقَطَّعَ مِنْ ظَلَامَةِ الْوَصْلِ أَجْمَعِ أَخيراً على أن لم يكن يتَقَطَّعُ
وضرب عليه إسحاق فلم يكن في الأوتار^(٤) خلاف ولا فُقْدَ مِنْ الإيقاعِ
شيء^(٥) . ولا بان فيه اختلال ؛ فعظّم عجبُ الوائِقِ من فعله ؛ وقام إسحاق ورَقَصَ طرباً
وكان يَرَقُصُ أحسنَ من رَقَصَ كَبَيْشُ وعبد السلام - وكانا من أَرَقَصَ الناس -
فقال الوائِقُ : لا يكمل أحد في صناعته مثلَ كمالِ إسحاق .

قال عُبَيْدُ اللَّهِ بن عبد الله بن طاهر : حَدَّثَنِي شَهَوَاتُ الصَّنَاجَةِ التي كان إسحاق
أهداها إلى الوائِقِ أن محمدا الأمين لما غنّاه إسحاق لحنه في شعره :

يا أَيُّهَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ فَدَتِ نَفْسِكَ نَفْسِي بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ
بَسَطْتَ لِلنَّاسِ إِذْ وَرَلَيْتَهُمْ يَدًا مِنَ الْجُودِ فَوْقَ كُلِّ يَدِ
أمر له بألفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَرَأَيْتُهَا قد دخلت دارنا يَحْمِلُهَا^(٦) مائه فَرَأَشَ .

(١) المصلى : التالي للسابق من خيل السباق .

(٢) في ت : أعقاصا « تحريف » .

(٣) البهم : الوتر الغليظ من أوتار المزهر .

(٤) في ت : ليقوما بر « تحريف » .

(٥) في ت : من له الانتفاع بشيء « تحريف » .

(٦) في ت : محملة .

حدّث إسحاق قال : عَشِقْتُ جَارِيَةَ قَلْتُ فِيهَا :

هل إلى أن تنام عيني سبيل إن عهدي بالنوم عهدٌ طويل
غاب عني من لا أسمي فعييني كلَّ يوم وجدًا عليه (١) تسيل

قال : ثم ملكتها ، فكنت مشغوفًا بها ، حتى كبرتُ واعتلت عيني ، فذكرتُ
هذا الصوتُ وأيامه المتقدّمة ، فما زلت أبكي وأذكر دهرى الذى كنت فيه .

وكان السبب في علة عينيه وضعف بصره أن إبراهيم ابن أحمى سلمة الوصيف
نازع إسحاق في شيء من الغناء ، فردّ عليه إسحاق ، فشتّمه إبراهيم ، فرد عليه
وأسرف في الرد ، فقال إبراهيم : أرُدّ عليّ وأنا مؤلّى أمير المؤمنين ! فقال له إسحاق :
أُسكُت فإنك من موالى العيدين ، فقال له الرشيد : يا إسحاق وإيش تكون (٢)
موالى العيدين ؟ قال : يا أمير المؤمنين تشترى الخلفاء في العيد للعتق غلمانا يكون
فيهم الخائك والحجّام والسائس ، فهو أحد هؤلاء الذين ذكرت . فخرج إبراهيمُ
فوقف له على طريقه ، فلمّا جاز عليه منصرفًا ضرب رأسه بمقرعة فيها معول ؛ فكان
ذلك سبب ضعف بصره ؛ وبلغ الرشيد الخبر فأمّر أن يُحجّب عنه إبراهيم وحاف
ألا يدخل عليه ؛ فدسّ إلى الرشيد من غناه بشعر أبي العتاهية :

مَنْ لِعَبْدٍ أَذَلَّهُ مَوْلَاهُ مَا لَهُ شَافِعٌ إِلَيْهِ سِوَاهُ
يَشْتَكِي مَا بِهِ إِلَيْهِ وَيَحْشَاهُ . وَيَرْجُو مِثْلَ مَا يَحْشَاهُ

فلما غنى الرشيدُ بهذه الأبيات سأل عن صانع لحنها فعرّفه ، كلف الآ
يرضى عنه حتى يرضى عنه إسحاق ؛ فقام وقال : يا سيدي قد رضيت رضاء

(١) في غ : عليه حزنا .

(٢) في غ : وأى شيء تكون .

صحيحاً ، وقبّل الأرضَ بين يديه شكراً لما كان من قوله ؛ فرضى عنه وأخضره .
وأمره أن يترضى إسحاق ففعل .

وكان إسحاق إذا غنى هذا الصوت أخذ بلحيته وبكى :
إذا المرء قامى الدهرَ وأبيض رأسه وتلمّ تشليم الإناء جوائبه
فللموت خير من حياة كريهة^(١) تباعده طوراً وطوراً تقاربه
قال إسحاق : دخل أعرابي من بني سليم سرّ من رأى - وكان يُكنى
أباً القنأفد - فغضر باب المعتصم مع الشعراء فأذن له فلما مثل بين يديه أنشده من
آيات :

طوالُ التّونِ قصارُ الخطأ	مراضُ العيُوفِ خِصاصُ البُتون
لطاقُ الخِصورِ خِدالُ الشوى ^(٢)	عِناقُ النّحورِ ^(٣) رِقاقُ النّغور
تَلوثُ ^(٤) الإزارِ بدِغص ^(٥) النّقا	عَطائيلُ ^(٦) من كلِّ رِقراقَة ^(٧)
أبى البُخلِ منهنّ ذاكُ المنى	إذا هُنَّ متّنيننا نائلا ^(٨)
وأهلُ السّماحِ طلبنا النّدى	إلى النّقرِ البيضِ أهلِ ^(٩) البطاح ^(١٠)

(١) في غ : خسية .

(٢) عناق النحور : جملاتها .

(٣) الخدال جمع خدلة وهى من النساء : الغليظة الساق المستديرتها .

(٤) الشوى : الأطراف . وفي ت : الشعر « تحريف » .

(٥) العطائيل جمع عطبولة وعطبول ، وهى الجارية الفتية الجميلة الطويلة العنق .

(٦) رِقراقَة : كأن الماء يجرى في وجهها . وفي ت : ذفرانة .

(٧) في ت : يكون .

(٨) الدعص : كذيب الرمل المجتمع .

(٩) يياض بالأصل والتكلمة من غ .

(١٠) في ت : ذاك « تحريف » .

لهم سطواتٌ إذا هيجبوا وحلمٌ (۱) إذا الجهل حلَّ الجبا
 بينُ لك الخيرُ في أوجه لهم كالصايح تجلُّو الدجى (۲)
 سعى الناس كي يُدرِّكوا فضلهم فقصرَ عن سعيهم من سعى
 سعى للخلافة فأقتادها وبرز بالسبق لما جرى
 قال : فاستحسنها المعتصم وأمرني ففئنت بها (۳) ، وأمر الأعرابي بعشرين
 الف درهم .

قال إسحاق : قدمت على الواثق في بعض قدماتي ، فقال لي : أما اشتقت إلينا؟
 قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأنشدته :

أشكو إلى الله بُعدي عن خليفته وما أعالج من سقمٍ ومن كبر
 لا أستطيع رحيلًا إن همتُ به إليه يوما ولا أقوى على السفر
 أنوى إليه رحيلًا ثم يمنعني ما أحدث الدهرُ والأيامُ في بصرى

قال إسحاق : أقام المأمون بعد قدومه بغداد عشرين شهرًا لم يسمع حرفًا
 من الأغاني ، ثم كان أوَّلَ مَنْ تَعَنَّى بِمَحْضَرَتِهِ أَبُو عَيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ ، ثُمَّ وَاظَبَ عَلَى
 السَّمْعِ مُسْتَتِرًا مُتَشَبِّهًا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ بِالرَّشِيدِ ، فَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ حِجَجٍ ، ثُمَّ ظَهَرَ
 لِلنَّدَمَاءِ وَالْمَغْنِيِّينَ . وَكَانَ حِينَ أَحَبَّ السَّمْعَ سَأَلَ عَنِّي ، فَجُرِحْتُ بِمَحْضَرَتِهِ ، وَقَالَ
 الطَّاعِنُ عَلِيُّ : مَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي رَجُلٍ يَتَّبِعُهُ عَلَى الْخِلاَفَةِ ! وَمَا أَبْقَى مِنَ التَّبِيهِ (۴)
 شَيْئًا حَتَّى أُسْتَعْمَلَ . فَأَمْسَكَ الْمَأْمُونُ عَنْ ذِكْرِي ، وَجَفَانِي مَنْ كَانَ يَصْلُنِي لِسُوءِ
 رَأْيِهِ فِيَّ ؛ فَأَضْرَّ ذَلِكَ بِي ؛ حَتَّى جَاءَنِي عَلْوِيهِ يَوْمًا فَقَالَ لِي : أَتَأْذَنُ لِي فِي ذِكْرِكَ ؟

(۱) في ت : وحكم « تحريف » .

(۲) في ت : هم كالصايح تحت الدجى .

(۳) في غ : فيها .

(۴) في ت : آله « تحريف » .

فإنَّا قد دُعِينَا اليوم ؛ فقلت : لا ! ولكن غَنَّه بهذا الشعر ؛ فإنه سبيعه على أن يسألك :
لمن هذا ؟ فإذا سألك انفتح لك ما تريد ، وكان الجواب أسهل عليك من الابتداء ؛
فقال : هات . فألقيتُ عليه لَحْنِي في شعري :

يا سَرِحَةَ الماء قد سُدَّتْ موارده أما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ
لِحائِمِ حَامٍ حتى لا حراكَ به^(١) مُحَلَّلاً عن طريقِ الماءِ مطرُودِ

ومضى علّويه ، فلما استقرَّ به المجلس غَنَّاه فاعدا المأمون أن سَمِعَ^(٢) الغناء
حتى قال : ويحك يا علّوية ! لمن هذا الشعر ؟ قلت : يا سيدي لعبدك ابن عبدك
إسحاق ، جفوته واطرحته بغير جُرم . فقال : إسحاق تعني ؟ فقلت : نعم . فقال :
يحضر الساعة . فجاءني رسوله ، فحضرت فلما دخلتُ قال : أدنُ فدنوت ، ورفع
يديه مادها إليّ ، فأكببتُ عليه فاحتضنني بيديه ، وأظهر من برِّي^(٣) ما لو
أظهره صديق مؤانس لصديق لسره^(٤) . وكان إسحاق يأخذ عن الأصمعي ويذكر
عنه الروايات ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلبه ، وذكر عند الرشيد أنه
قليل السكر بخيلٍ ساقط النفس ، لا تزكو الصنيفة عنده ، ووصف^(٥) له
أبا عبيدة معمر بن المثنى بالثقة والصدق والسماحة واشتماله على جميع علوم العرب ؛
وفعل مثل ذلك عند الفضل بن الربيع ولم يزل بهما حتى وضع منزلة الأصمعي
عندها . ثم أنفذنا إلى أبي عبيدة مالا جليلا واستقدمناه ، فكان إسحاق سبب ذلك .

(١) في غ : حيام له .

(٢) في غ : يسمع .

(٣) في ت : بشرى .

(٤) في غ : لبره .

(٥) في ت : وشكر .

قال إسحاق : جاء عطاء الملطي ^(١) بجماعة من أهل البصرة قريباً أباً الأصمعي - وكان ندلاً من الرّجال - فوجده ملتقاً ^(٢) في كساء نائماً في الشمس فوكزه ^(٣) برجله وقال : ويحك يا قريب ، قم فقام فقال له : هل لقيت أحداً من أهل العلم قط ، أو من أهل اللغة ، أو من الفقهاء أو من العرب ؟ فقال : لا والله ؛ فقال : ولا سمعت شيئاً ترؤيه لنا أو تُشيدنا إياه أو نكتبه عنك ؟ قال : لا والله ؛ فقال لمن حضر : هذا أبو الأصمعي فأشهدوا عليه وعلى ما سمعتم منه ، لا يقل لكم ولده غداً : حدّثني والدي ، أشدني والدي ، وتركه فضيحة وانصرف .

كان لإسحاق غلامٌ يستقي الماء لأهل داره على بعلين دائماً يقال له فتّح ، فرآه يوماً حرجاً ، فقال له إسحاق : أي شيء خبرك ؟ قال : خبري أنه ليس في الدار أشقى منك وميتي . قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنت تُطعمهم الخبز وأنا أسقيهم الماء . فاستظرف ذلك منه وضحك وقال له : فما تشتهي ؟ قال : تعطيني وتهب لي البعلين أستقي عليهما ؛ قال : قد فعلت .

قال إسحاق : نهاني الرشيدُ أن أغني أحداً غيره ؛ ثم استوهبني جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذن لي في أن أغنيّه ، ففعل ، واتفقنا يوماً عند جعفر - وعنده أخوه الفضل ، والرشيدُ يومئذ عقيب علة قد عوفي منها وليس يشرب - فقال لي الفضل : انصرف إلى الليلة حتى أهب لك مائة ألف درهم ؛ فقلت له : إنه الرشيدُ وإنه نهاني أن أغني إلا له ولأخيك ، وليس يخفي عنه خبري ، وأنا مُتهم بالميل إليكم ، ولست أتعرض له ولا أعرضك ^(٤) . فلما نكبهم الرشيدُ قال : إيه

(١) في غ : عطاء الملك .

(٢) في ت : ملق .

(٣) في غ : فركضه .

(٤) في ت : لعرضك .

يا إسحاق ، تركتني بالرقّة وجلست ببعداد تُعْنِي الفضل بن يحيى ! خلفتُ بحياته
أنى ما جالسته قطّ إلا على الحديث والمدّكرة ، وأنه ما سمعى قط إلا عند أخيه
وحلقته بتربة المهدي أن يسأل عن هذا في داره من نساءهم^(١)؛ فسأل عنه مُحدّث بمثل
ما ذكرته وعرف خبير المائة ألف الدرهم التي بذلها لي وردّها لها. فلما دخلت إليه^(٢)
ضحك إلى ثم قال : سألت عن أمرك فعرفته مثل ما عرفّعتني ، وقد أمرت لك بمائة
ألف درهم عوضاً عمّا بذله لك الفضل .

قال إسحاق : أنشدت الفضل بن يحيى قول نصيب مولى المهدي فيهم :

عند الملوك مضرة ومنافع^(٣) وأرى البرامك لا تضر وتنفع
— إن كان شرّاً كان غيرهم له أو كان خيراً فهو منهم^(٤) أجمع
إن العروق إذا استسرت بها^(٥) الثرى أشر الثبات^(٦) بها وطاب المزراع
— فإذا جهلت من أمرى أعرافه وقديمه فأنظر إلى ما يصنع

فقال : كأننا والله لم نسمع بهذا الشعر قط وقد كنا وصلناه بثلاثين ألف درهم ،
وأنا أجدّد ذلك له ، وأجدّد لك الصلة الساعة لحفظك الأبيات ؛ وأمر لي بثلاثين
ألف درهم .

عتب المأمون على إسحاق في شيء ، فكتب إليه رقعة وأوصلها إليه من يده
فيها :

- (١) في ت : أسبابهم .
- (٢) في غ : عليه .
- (٣) في ت : منافع ومضرة .
- (٤) في غ : فيهم .
- (٥) في ت : استشير .
- (٦) في ت : الثياب .

لا شيء أعظم من جُرمي سوى أملي
وإن يكن ذا وذا في القدرِ قد عظمًا
لحسن عفوكم عن جرمي (١) وعن ذلّي
فأنت أعظم من جُرمي ومن أملي
فضحك ؛ ثم قال : يا إسحاق ، عذرك أعلى قدرًا من جُرمك ، ولا جال
بفكري ولا خطر به بعد انقضائه .

قال إسحاق : دخلت يوما على المعتصم وعنده إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ،
فاستدنا في المجلس فدنوت ، ثم استدنا فتوقفت ، خوفًا من أن أكون موازيًا
لإسحاق بن إبراهيم في المجلس ، ففطن المعتصم لذلك فقال : إن إسحاق كريم ،
وإنك لم تستنزل ما عند الكريم بتل إكرامه (٢) . ثم تحدثنا فأضت بنا المذاكرة
إلى قول أبي خراش الهدلي :

حَدِثَ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا
خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فأنشدها المعتصم إلى آخرها وأنشد فيها :

ولم أدّر من ألقى عليه رداءه
على أنه قد سلّ (٣) عن (٤) ماجد محض .

والرواية : « قد بُرِّ عن ماجد » ففطنت وأسأت الأدب ، وقلت : يا أمير المؤمنين
هذه رواية المكتب وما أخذت عن المعلم ، والصحيح « قد بُرِّ » فقال لي : صدقت ،
وعمّرني بعينه ، يحدّرنى من إسحاق ؛ ففطنت لفلطي فأمسكت ، وعلمت أنه أشفق
على من إسحاق من بادرة تبدر منه ؛ لأنه كان لا يحتمل هذا الخطأ على الخلفاء
من أحد حتى يُعْظِمَ عُقُوبَتَهُ وَيُطِيلَ حَبْسَهُ ، كائنا من كان ، فنبهني - رحمه الله تعالى -
على ذلك حتى أمسكت .

(١) في غ : ذني .

(٢) في ت : الكرامة .

(٣) في غ : حط .

(٤) في ت : من .

قال إسحاق: قال الفضلُ بنُ يَحْيَى لِأَبِي: مَالِي لَا أَرَى إِسْحَاقَ؟ عَرَفَنِي خَبْرَهُ،
قال: خَيْرٌ. وَرَأَى فِي كَلَامِهِ شَيْئًا شَكَّكَهُ، فَقَالَ: أَعْلِيلٌ هُوَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُ
جَاءَ مَرَّاتٍ فَحَجَبَهُ نَافِذُ الخَادِمِ فَلَحِقَتْهُ جَفْوَةٌ؛ فَقَالَ لَهُ: إِنْ حَجَبَهُ بِمَدَاهَا فَلْيَنِيكَهُ.
فَجَاءَنِي أَبِي وَقَالَ لِي: إِلَهَهُ، فَقَدْ سَأَلَنِي عَنْكَ؛ وَأَخْبَرَنِي بِالصُّورَةِ^(١) فَبُئِثْتُ فَحُجِبْتُ
أَيْضًا، فَخَرَجَ الفضلُ لِيَرْكَبَ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ رَقْمَةً فِيهَا:

جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ إِلَى حُسْنِ رَأْيِكَ أَشْكُو أَنَا
يُحْمَلُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ الكَلَامِ فَا إِنْ أُسِّمَ إِلَّا أَسْلَمَ
وَأَتَشَدْتُ رَأْيِكَ فِي نَافِذٍ مَا زَادَكَ إِلَّا شِمَاسًا
فَلَمَّا قَرَأَهَا ضَحَكَ حَتَّى غَلِبَ ثُمَّ قَالَ: أَوْ قَدْ فَعَلْتَهَا يَا فَاسِقُ؟! فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ
يَا سِيدِي، وَإِنَّمَا مَرَحْتُ، فَخَجَلُ نَافِذٍ حَجَلًا شَدِيدًا وَلَمْ يَمِدْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى إِسَاءَتِي.

قال إسحاق: ذَكَرَ المَعْتَصِمُ يَوْمًا بَعْضَ أَصْحَابِهِ وَقَدْ غَابَ عَنْهُ فَقَالَ: تَعَالَوْا نَقُلْ
مَا يَصْنَعُ فِي هَذَا الوَقْتِ، فَقَالَ قَوْمٌ: يَلْمِبُ بِالنَّرْدِ، وَقَالَ قَوْمٌ: يُعْنَى، فَبَلَغَتْ النُّوبَةَ
إِلَيَّ فَقَالَ: قُلْ يَا إِسْحَاقَ. قَاتَ: إِذَا أَقُولُ فَأُصِيبُ، قَالَ: أَتَعْلَمُ الغَيْبَ؟ قُلْتُ: لَا،
وَلَكِنِّي أَعْلَمُ مَا يَصْنَعُ وَأَقْدِرُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تُصِبْ؟ قُلْتُ: فَإِنْ أَصَبْتُ؟
قَالَ: لَكَ حُكْمُكَ، وَإِنْ لَمْ تُصِبْ؟ قُلْتُ: لَكَ دَمِي؛ قَالَ: وَجَبَ، قُلْ. قُلْتُ:
يَتَنَفَّسُ، قَالَ: فَإِنْ كَانَ مَيِّتًا؟ قُلْتُ: تَحْفَظُ السَّاعَةَ الَّتِي تَكَلَّمْتُ فِيهَا، فَإِنْ كَانَ
مَاتَ فِيهَا أَوْ قَبْلَهَا فَقَدْ قَمَرْتَنِي. قَالَ: قَدْ أَنْصَفْتُ. قُلْتُ: فَأَلْحِكُمْ؟ قَالَ: أَحْتَكِمُ
مَا شِئْتُ، قُلْتُ: مَا حُكْمِي إِلَّا رِضَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: فَإِنْ رِضَانِي لَكَ، وَقَدْ
أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، أَتَرَى مَزِيدًا؟ فَقُلْتُ: مَا أَوْلَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ:
فَإِنَّهَا مِائَتَا أَلْفِ دِرْهَمٍ، أَتَرَى مَزِيدًا؟ فَقُلْتُ: مَا أَحْوَجَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ذَلِكَ،

(١) في غ: بما جرى.

قال : فإنها ثلاثمائة ألف درهم ، أتري مزيداً ؟ قلت : ما أولاك يا أمير المؤمنين !
قال : يا صفيق الوجه ، ما تزيد على هذا !

قال إسحاق : عمل محمد الخلوع سفينة فأعجب بها ، وركب فيها يريد الأنبار .
فلما أمعن وأنا مقبل على بعض أبواب السفينة صاحوا : إسحاق إسحاق فوثبت ،
فدنوت منه ، فقال لي : كيف ترى سفينتي ؟ فقلت : حسنة يا أمير المؤمنين ، عمرها الله
ببقائك . فقام يريد الخلاء وقال لي : قل فيها أبياتا ، فقلت ، وخرج فتمتُ بالآيات
إليه ؛ فاستحسنها جدا ، وقال لي : أحسنت يا إسحاق ، وحياتك لأهبن لك عشرة
آلاف دينار ، فقلت : متى يا أمير المؤمنين ؟ إذا وسع الله عليك وفتح لك ؟ فضحك
ودعا بها على الكنان .

قال إسحاق : لم أر قط مثل جعفر بن يحيى ، كانت له فتوة وظرف وأدب
وحسن غناء وضرب بالطبل ، وكان يأخذ بأجرل حظ من كل فن من الأدب
والفتوة . فحضرتُ باب أمير المؤمنين يوماً ، فقيل لي : إنه نائم . فقال لي : قف مكانك
ومضى إلى دار أمير المؤمنين ، فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم ، فرجع وقال :
قد نام أمير المؤمنين فسير بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعا بقمية يومنا وتغني وأغنيك ،
ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا ؛ قلت : نعم ، فسيرنا إلى منزله ، فطرحنا ثيابنا ،
وطعمنا ، وأمر بإخراج الجوارى وقال : أبرزن ؛ فليس عندنا من نحتشمه ؛
فلما وُضع الشرابُ دعا بقميص حرير فلبسه ؛ ثم دعا بخلوق فتخلق به ، ودعا لي
بمثل ذلك ، وجعل يفتني وأغنيه ؛ ثم دعا بالحاجب وتقدم إليه بالأذن لأحد
من الناس كلهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين فليعلمه أنني مشغول ، وتقدم إلى
جميع الحجاب والخدم بمثل ذلك . ثم قال : إن جاء عبدُ الملك فأذنوا له ؛ يعني رجلاً
كان يأنس به ويمارحه ويحضر خلواته ثم أخذنا في شأننا ، فوالله إنا لعلنا حال سارة

عَجِيبَةٌ إِذْ رُفِعَ السُّتْرُ وَإِذَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحِ الْمَاهِشِيِّ قَدْ أَقْبَلَ ، وَقَدْ غَلَطَ الْحَاجِبُ فَلَمْ يَفْرُقْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي عَنَاهُ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى ؛ وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحِ رَجُلًا مِنْ جَلَالَةِ الْقَدْرِ وَالتَّعَفُّفِ ^(١) وَالاِمْتِنَاعِ مِنْ مَنَادِمَةِ الْخُلَفَاءِ عَلَى أَمْرِ عَظِيمٍ ، وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ اجْتَهَدَ بِهِ أَنْ يَشْرَبَ مَعَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ رَفْعًا لِنَفْسِهِ . فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ مُقْبِلًا أَقْبَلَ كُلُّ مَنْ مَنَّا يَنْظُرُ إِلَى صَاحِبِهِ ، وَكَادَ جَعْفَرُ أَنْ يَنْشَقَّ غَيْظًا . وَفَهُمُ الرَّجُلُ حَالِنًا ، فَأَقْبَلَ نَحْوَنَا حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى الرَّوَّاقِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ نَزَعَ قَلَنْسُوتَهُ فَرَمَى بِهَا مَعَ طَيْلَسَانِهِ جَانِبًا ؛ ثُمَّ قَالَ : أَطْعَمُونَا شَيْئًا ؛ فَدَعَا لَهُ جَعْفَرُ بِالطَّعَامِ وَهُوَ مُنْتَفِخٌ غَيْظًا وَغَضَبًا فَطَعِمَ ، ثُمَّ دَعَا بِرِطْلِ فَشْرَبَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمَجْلِسِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ [فَأَخَذَ بَعْضَادَتِي الْبَابَ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْرَكُونَا فِيهَا أَنْتُمْ فِيهِ ؛ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : أَدْخُلْ ؛ ثُمَّ دَعَا بِقَمِيصِ حَرِيرٍ وَخَلُوقٍ ، فَلَبَسَ وَتَخَلَّقَ ، ثُمَّ دَعَا بِرِطْلِ وَرِطْلٍ حَتَّى شَرِبَ عِدَّةَ أَرْطَالٍ ، ثُمَّ انْدَفَعَ لِيُغْنِنِي ، فَكَانَ وَاللَّهِ أَحْسَنَنَا جَمِيعًا غِنَاءً] ^(٢) .

فَلَمَّا طَابَتْ نَفْسُ جَعْفَرٍ وَسُرِّيَ عَنْهُ مَا كَانَ بِهِ التَّفَتُّ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : أَرْفَعُ حَوَائِجَكَ ؛ فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ حَوَائِجٍ ؛ قَالَ : لَتَفْعَلَنَّ ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ لَهُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى وَاجِدٍ ، فَأَحْبَبَ أَنْ تَتَرْضَّاهُ ؛ قَالَ : فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْرَضِي عَنْكَ ، فَهَاتِ حَوَائِجَكَ ؛ قَالَ : هَذِهِ كَانَتْ حَاجَتِي ، قَالَ : أَرْفَعُ حَوَائِجَكَ كَمَا أَقُولُ لَكَ ؛ قَالَ : عَلَى دِينَ قَدْرِهِ أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، قَالَ : هَذِهِ أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَقْبِضَهَا فَأَقْبِضْهَا مِنْ مَنزِلِ السَّاعَةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي إِعْطَاؤُكَ إِيَّاهَا إِلَّا لِأَنَّ قَدْرَكَ يَجِلُّ عَنِّي أَنْ يَصِلَكَ مِثْلِي ، وَلَكِنِّي ضَامِنٌ لَهَا حَتَّى تُحْمَلَ إِلَيْكَ مِنْ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَدًا ؛ فَاسْأَلْ حَوَائِجَكَ أَيْضًا ، قَالَ : ابْنِي تُنَوِّهُ بِذِكْرِهِ وَتُكَلِّمُ

(١) فِي خ : التَّقَشُّفُ . (٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ ، وَالتَّكْمِلَةُ مِنَ الْأَعْيَانِ .

أمير المؤمنين في رفع اسمه وقدره قال : قد ولّاه أمير المؤمنين مصرَ وزوجه ابنته العالِيّة ، ومهرها عنه ألفي ألف درهم .

قال إسحاق : فقلت في نفسي : قد سكر الرجلُ يعني جعفرًا ، فلما أصبحتُ لم يكن لي همّة إلا الحضور في دار الرّشيد فإذا جعفر قد بكر ، ووجدت في الدار جلبة ، وإذا أبو يوسف القاضي ونظراؤه قد دُعوا ودُعِيَ بعبد الملك بن صالح وابنه فأدخلوا على الرّشيد ؛ فقال الرّشيد لعبد الملك : إن أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد أمر لك بأربعة آلاف ألف درهم فأقبضها من جعفر بن يحيى الساعة ، ثم دعا بابنه وقال : اشهدوا على أُنّى زوجته العالِيّة بنت أمير المؤمنين ، وأمهرتها عنه من مالى بألفي ألف درهم ، ووليته مصر . فلما خرج جعفر بن يحيى سألتُه عن الخبر ، فقال : بكرت إلى أمير المؤمنين فحكيتُ^(١) له جميع ما كان منا وما كُنّا فيه حرّفاً حرّفاً ، ووصفت له دخول عبد الملك وما صنع ، فمَجِبَ من ذلك وسُرّ به ؛ ثم قلتُ له : قد ضمنتُ عنك يا أمير المؤمنين ضماناً ؛ فقال : ما هو ؟ فأعلمته ، فقال : نفي لك بضمانك ، وأمر بإحضاره فكان ما رأيت .

قال إسحاق : غدوت يوماً وأنا ضجّر من مُلازمة دار الخليفة والخدمة فيها ؛ فخرجت وركبت بُكرة ، وعزمت على أن أطوف بالصّحراء^(٢) وأنفّرج ؛ وقلت لعلّمانى : إن جاء رسولُ الخليفة أو غيره فمرّفوه أنى بكرت إلى بعض مهمّاتي ، وأنكم لا تعرفون إلى أين توجّهت ؛ ومضيتُ وطفّتُ ما بدا لي ، ثم عدت وقد حمى النهار ؛ فوقفْتُ في شارع المُخرّم في فناء نخين الظلّ وجناح رَحْب على الطّريق لأستريح ؛ فلم ألبث أن جاء خادمٌ يقود هماراً عليه جارية رَاكبة تحتمها مندبل

(١) في ت : فأحكيت .

(٢) في غ : الصحراء .

ذبيقي ، وعليها من الثياب الفاخرة ما لا غاية بعده ، ورأيت لها قواماً حسناً وطرفاً فاتراً وشمائل حسنة ؛ فحسبت أنها مُعْنِيَّة ، فدخلت الدار التي كُفْتُ واقفاً عليها . ثم لم ألبث أن أقبل رجلاً شابان جميلان ، فأستأذنا فأذن لهما فنزلا فدخلا ، فدخلت معهما فظننا أن صاحب البيت دعاني وظنَّ صاحب البيت أني معهما ؛ فجلسنا ، وأتي بالطعام فأكلنا وبالشراب ، وخرجت الجارية وفي يدها عودٌ فغنت وشربنا ، وقت قومة فسأل صاحب المنزل عنى الرجلين فأخبراه بأنهما لا يعرفاني . فقالوا : هذا طفيلي ، ولكنه ظريف فأجملوا عشرته ، وجئت فغنت الجارية في الحن لي في شعر ذى الرمة :

[ذكرك أن مررت بنا أم شادين أمام المطايا تشريب وتسنع
من الولفات الرمل أدماء حرة شعاع الضحى في ممتها يتوضح
فأدته أداء صالحا وشربت ، ثم غنت أصواتا شتى ، وغنت في أضعافها من
صنعتي والشعر لابن ياسين] (١) :

الطلول الدوارس فارقتها الأوانس
أوحشت بمد أهلها فهي قفر بسايس
فكان أمرها فيه أصلح من الأول . ثم غنت أصواتاً (٢) من القديم والحديث ،
وغنت في أضعافها من صنعتي :

قل لمن صد عاتباً ونأى عنك جانباً
قد بلغت الذي أردت وإن كنت لاعباً
فكان أصلح ما غنت ، فاستمدته لأصححه لها ؛ فأقبل على أحد الرجلين فقال :

(١) بياض في الأصل ، والتسكئة من الأغاني .

(٢) في ت : أصولها .

ما رأيت طُفَيْليًّا أصفقَ وجهاً منك ! لم ترضَ بالتَّطْفِيلِ حتى افتَرَحْتَ ، وهذا غاية المثل : « طُفَيْلي وَيَقْرَح » . فأطَرقتُ ولم أُجِبْه ، وجعل صَاحِبُه يكفُّه عني وهو لا ينكفُ . ثم قامُوا إلى الصَّلَاةِ وتأخَّرتُ قليلاً ، فأخذتُ العودَ وشدَّتُ طبقتَه وأصلحتَه إصلاحاً محكماً ، ثم عُدتُ إلى موضعي ، فصلَّيتُ وعادوا وأخذ ذلك الرجل في عَرَبَدته عليّ وأنا صامتٌ ؛ ثم أخذتُ الجاريةَ العودَ فحسَّته فأنكرتُ حاله وقالت : مُسَّ عودِي ! قالوا : ما مسَّه أحد . قالت : بلي والله ، قد مسَّه حاذق مُتقدِّم ، وشدَّ طبقتَه وأصلحه إصلاحاً مُتمكِّناً من صناعته . فقلتُ لها : أنا أصلحتُه . فقالت : بالله عليك خذُه فأضرب به ، فأخذته وضربت به مبدأً عَجيباً ظريفاً صعباً فيه نقراتٌ محرَّكة ، فما بقي منهم أحدٌ إلَّا وثب وجلس بين يدي وقالوا : بالله يا سيدي اتَّعنى ؟ فقلت : نعم . وأعرَّفكم نفسي ، أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، والله إنِّي لأتبه على الخليفة إذا طلبني وأنتم تسمعونني ما أكره منذ اليوم ، والله لا نطقُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى تخرجوا هذا المرءَ بد المقيت^(١) الفث ؛ فقال له صاحبه : من هذا حدَّرتُ عليك ؛ فأخذ يعتذر ؛ فقلت : والله لا نطقُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى يخرج ! قال : فأخذوا بيده وأخرجوه وعادوا ، فبدأتُ فغديتُ الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي . فقال لي الرَّجُلُ : هل لك أن تُقيمَ عندي شهراً ، والجاريةَ والخادِمَ والحمارَ لك مع ما عليهم . قلت : أفعل . فأقمتُ عنده ثلاثين يوماً لا يعرف أحدٌ أين أنا ، والمأمون يطلبني في كل مَوْضِعٍ فلا يعرف لي خَبيراً . فلما كان بعد الشهر سلَّم إلى الجارية والخادِم والحمار ، فجنَّتُ بذلك إلى منزلي ، وركبتُ إلى المأمون من وقتي ؛ فلما رأني قال : يا إسحاق أين كنتُ ؟ فأخبرته خبري ، فقال : عليّ بالرجل الساعة ، فدللتهم عليه ، فأحضره

(١) في ت : المقت « تحريف » .

وسأله عن القصة فأخبره ؛ فقال : أنت رجلٌ ذو مروءة وسيميلك أن تعانَ على
مروءتك ، وأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له : لا تعاشر ذلك الرجل المعرّب
الندل ؛ وأمر لي بمخمسين ألف درهم وقال : أحضرنى الجارية ، فأحضرتة إياها ،
فأعجبته وقال لي : قد جعلتُ للجارية نوبةً في كل يوم ثلاثاء تغنى من وراء الستارة
مع الجوارى وأمرتُ لها بمخمسين ألف درهم فربحتُ بتلك الرّكبة وأرْبِحتُ .
قال إسحاق : أخرج إلى عبد الله بن طاهر بيتي شعر في ورقة^(١) وقال :
هذان البيتان وجدتهما على بساطٍ طبريٍّ أصبهنديٍّ أهدى إلي من طبرستان وأحب
أن تغنى فيهما وها :

لَجَّ بِالْمَيْنِ وَاكِفٌ مِنْ هَوَى لا يُسَاعِفُ
كُلَّمَا كَفَّ غَرْبَهَا هَيَّجَتْهُ الْمَعَارِفُ

فغنيت فيهما وغدوتُ بهما إليه ، فأعجب بالصوت ووصلني بصلة سنية .
وكان يشبهه ويفترحه ، وشاع خبر إعجابه به . فبينما المعتصم جالس يُعرض عليه
فرشُ الربيع ، إذ مر به بساطُ ديباج في نهاية الحسن ، عليه هذان البيتان ومعهما
هذان البيتان أيضاً :

إِنَّمَا الْمَوْتُ أَنْ تَفَا رِقَ مَنْ أَنْتَ آفِ
لَكَ حُبَانٌ فِي الْفُؤَا دِ تَلِيدٌ وَطَارِفُ

فأمر بالبساط فحمل إلى عبد الله بن طاهر ، وقال للرّسول : قل له : إني عرفت
شغفك بالفناء في هذا الشعر ، فلما وقع هذا البساط أحببتُ أن يتم سرورك به .
فشكر عبد الله بن طاهر ما تآدّى إليه من هذه الرسالة ، وأعظم مقداره ، وقال :
شغفي بتمام الشعر أحبُّ إلي من كل شيء .

قال (١) إسحاق : كان بيني وبين الحارث بن بُسْحُرٍ (٢) مودة فتغَيَّرَ لي ، وحال
عما عهدته ، فقُلْتُ :

تَنَكَّرَ (٣) لي فيمن تَنَكَّرَ (٢) حَارِثٌ ورب أخٍ (٤) قد غَيَّرَته الحَوَادِثُ
أَحَارِثُ إن شُورِكْتُ فَيَكُ فَرَبَمَا (٥)

(وتوفي إسحاق في رَمَضان سنة خَمْسٍ وثلاثين ومائتين أول خلافة التَّوَكُّل
في بَعْدَادٍ . وكان يسأل الله عز وجل ألا يَبْتَلِيَهُ بِالْقَوْلِ نَجِّ لِمَا رَأَى مِنْ صُعُوبَتِهِ
على أَيِّهِ فَأَرَى فِي مَنَامِهِ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ قَدْ أَجِيبْتُ (٦) دَعْوَتَكَ ، وَلَسْتَ تَمُوتُ
بِالْقَوْلِ نَجِّ ، وَلَكِنَّكَ تَمُوتُ بِضِدِّهِ فَأَصَابَهُ ذَرْبٌ ، وَكَانَ يَتَصَدَّقُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَمَكُنُهُ
صِيَامُهُ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ ثُمَّ ضَعُفَ عَنِ الصَّوْمِ وَلَمْ يُطِقْهُ وَمَاتَ .)

(وَلَمَّا نَعِيَ إِلَى التَّوَكُّلِ غَمَّهُ وَحَزِنَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : ذَهَبَ صَدْرٌ عَظِيمٌ مِنْ
جَمَالِ الْمَلِكِ وَبِهَائِهِ وَزِينَتِهِ) ، ثُمَّ نَعِيَ إِلَيْهِ بَعْدَهُ أَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ
الْحُسَيْنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ . وَرُئِيَ بَعْدَهُ قِصَائِدٌ طَوَالَ .

(١) جاء هذا الخبر في ترجمة إبراهيم بن العباس في الجزء العاشر ص : ٤٥ طبع دار الكتب

وقيل : البيتان لإبراهيم بن العباس .

(٢) في ت : تسحر « تحريف » .

(٣) في غ : تغير .

(٤) في غ : وك من أخ .

(٥) في غ : فظالما .

(٦) في ت : أجيبت .

أحمد النَّصْبِي (١)

(هو أحمد بن (٢) أسامة الهَمْدَانِي ، من رَهْطِ الأَعْشَى الأَذْنَيْنِ ، يقال : إنه أول مَنْ غَنَّى بالطَّنْبُورِ فِي الإسلام . وكان ينادم عُبَيْدَ اللَّهِ بن زياد سِرًّا وَيُغْنِيهِ . وكان بَخِيلًا على يساره يُقْرِضُ بالرُّبَا . ولم يخدم خَلِيفَةً ولا كان له شعر ولا أدب) ومات في دعوة دُعِيَ إليها فُصِّصَ بِفَالْوَدَجَةِ حَارَّةً جمعت أحشائه فمات . روى جَحْظَةَ : والصحيح أنه خرج مع أَعْشَى هَمْدَانَ فِي عَسْكَرِ ابن الأَشْعَثِ قُتِلَ فِيمَنْ قُتِلَ .

وللأَعْشَى شعر في سَلِيمِ بن صالح بن سَعْدٍ (٣) بن جَابِرِ العَنْبَرِيِّ (٤) وكان منزل سَلِيمِ بِسَابِطِ المَدَائِنِ (٥) وكان الأَعْشَى وأحمد قد خرجا في بعض مَغَازِيهِمَا فنزلا على سَلِيمِ فأحسن قِرَآءَهَا وأمر لدوايَهِمَا بَعْلَفَ وقَضِيمِ (٦) ، وأقسم (٧) عليهما بأن ينتقلا إلى منزله ففعلا ، وعرض عليهما الشراب فأنعمَا به فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان ، فقال أحمد النَّصْبِي للأَعْشَى : قل في هذا الرجل الكريم شعرا تمدحه فيه حتى أغنيه .

- (١) في ت : النصبي « تحريف » .
- (٢) في ت : أبو « تحريف » .
- (٣) في ت : شعيب « تحريف » .
- (٤) في ت : العزى « تحريف » .
- (٥) في ت : المدلين « تحريف » .
- (٦) القضي : شعير الدابة .
- (٧) في ت : وأمر « تحريف » .

فقال له الأعشى :

يا أيُّها القلبُ الطَّيِّعُ الهوى
تذكرُ جُمُلاً فإذا ما نأت
هَلَّا تَنَاهَيْتِ وَكُنْتِ أُمراً
ما لك لا تتركِ جهَلَ الصِّبَا
فصارَ مَنْ يَنهاكُ^(١) عن حُبِّها
يا جُهَلُ ما حُبِّي لَكُم زائلٌ
مُحَلَّتْ وُدًّا لَكُم خالِصاً
إِنِّي تَوَسَّمتِ أُمراً ما جِداً
ذُوابةَ العنبرِ^(٢) فأخترتُه^(٣)
أبلِجَ بُهلولاً وظنني به
سَلِيمٌ^(٤) ما أنتِ بِنَكْسٍ ولا
أعطيتِ وُدِّي وثنائِي معاً
قد عَلِمَ الحَيُّ إذا أَمَحَلُوا
في اللَّيْلَةِ القالِي قِراها التي
والضيفُ معروفٌ له حَقُّه

أني أعتراك الطربُ النَّازِحُ
طارَ شِعْماً قلبُك الطامِحُ
يزجرك الرُّشْدُ والنَّاصِحُ
وقد علاك الشَّمَطُ الواضِحُ
لم ترَ إلاَّ أَنَّهُ كاشِحُ
عني ولا عن كَبِدِي نازِحُ
جِدًّا إذا ما هزلَ المآزِحُ
يصدُقُ في مِدْحته المادِحُ
والرءُ قد يُنْعِشُه الصالحُ
أَنَّ ثنائِي عنده رايِحُ
ذَمُّكَ لي غادٍ ولا رايِحُ
وَخَلَّةٌ ميزانُها راجِحُ
أَنَّكَ رَفَّادٌ^(٥) لهم مانِحُ
لا غابِقُ فيها ولا صابِحُ
له على أبوابكم فاتِحُ

(١) في ت : ينهك « تحريف » .

(٢) في ت : العبر « تحريف » .

(٣) في ت : فأخبر به .

(٤) في ت : سلم .

(٥) في ت : فاد .

والخيلُ قد تعلم يوم الوغى أنك عن جمرتها^(١) ناصح
إني لمن سألت سلمٌ ومن حاربت^(٢) أمسى وله^(٣) ناطح
في الرأسِ منه وعلى أنفه من نَقَمَاتِي ميسمٌ لاصح

فَمَنَّى أحمد النَّصْبِي فِيهَا ، وَجَارِيَةٌ لِسَلِيم فِي السُّطْحِ جَالِسَةٌ ، فَسَمِعَتْ الْغَنَاءَ ، فَزَلَّتْ إِلَى مَوْلَاهَا فَقَالَتْ لَهُ : إِنِّي سَمِعْتُ مِنْ أَضْيَافِكَ شِعْرًا مَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ وَغِنَاءً قَدْ غَنَوْنَا فِيهِ أَحْسَنَ غِنَاءٍ ، فَخَرَجَ مَوْلَاهَا فَأَسْتَمَعَ حَتَّى فَهِمَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ لِأَحْمَدَ : لِمَنْ هَذَا الشُّعْرُ ؟ وَمَنْ أَنْتَا ؟ فَقَالَ : الشُّعْرُ لِهَذَا ، وَهُوَ أَبُو الْمُبَصَّحِ أَعْشَى هَمْدَانَ ، وَالْغِنَاءُ لِي ، وَأَنَا أَحْمَدُ النَّصْبِيُّ الْهَمْدَانِيُّ ؛ فَأَنْكَبَ عَلَى رَأْسِ أَحْمَدِ هَمْدَانَ يُقَبِّلُهُ وَقَالَ : كَتَمْتُمَانِي أَنْفَسَكَا وَكَدْتُمَا أَنْ تَفَارِقَانِي وَلَمْ أَعْرِفْكُمَا وَلَمْ أَعْرِفْ خَبَرَ كَمَا فَاحْتَبَسْتُمَا عِنْدَهُ شَهْرًا ثُمَّ حَمَلْتُمَا عَلَى فَرَسَيْنِ ، وَقَالَ : خَلَقْنَا عِنْدِي مَا كَانَ مِنْ دَوَابِّكَا وَارْجِعَا مِنْ مَغْزَا كَمَا إِلَى^(٤) ، فَمَضَيْنَا إِلَى مَغْزَاهَا ، فَأَقَامَا حِينَمَا ثُمَّ أَنْصَرَفَا ، فَلَمَّا شَارَفَا مَنْزِلَهُ قَالَ أَحْمَدُ لِلْأَعْشَى : إِنِّي أَرَى عَجَبًا ! قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : أَرَى فَوْقَ قَصْرِ سَلِيمِ ثَعْلَبًا ؛ قَالَ : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَمَا بَقِيَ فِي الْقَرْيَةِ أَحَدٌ . قَالَ : فَدَخَلَا الْقَرْيَةَ ، فَوَجَدَا سَلِيمًا وَجَمِيعَ أَهْلِهِ قَدْ أَصَابَهُمُ الطَّاعُونُ ، فَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ وَأَنْتَقَلَ بِأَقْبَهُمْ .

وقيل : إنَّ الْحِجَّاجَ طَالِبَ سَلِيمَا بِمَالٍ عَظِيمٍ ، فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ حَتَّى بَاعَ كُلَّ مَا يَمْلِكُهُ ، وَخَرِبَتْ قَرْيَتُهُ وَتَفَرَّقَ أَهْلُهَا ؛ ثُمَّ بَاعَهُ الْحِجَّاجُ^(٥) فَاشْتَرَاهُ بَعْضُ أَشْرَافِ الْكُوفَةِ ؛ إِمَّا أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ أَوْ بَعْضُ نَظَرَائِهِ فَأَعْتَقَهُ .

(١) الحجره : القبيلة فيها ثلاثمائة فارس ، وقيل : ألف . وفي غ : من جمرتها .

(٢) في غ : عادت .

(٣) في ت : وبه .

(٤) في ت : إلى عندي !

(٥) في غ : ثم باعه الحجاج عبدا .

إسماعيل بن جامع

(هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة^(١) بن ضبيرة بن سميد^(٢) بن سهيم بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى بن غالب .

مات ضبيرة السهمي^(٣) وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا في لحيته شيب .

وأسر أبو وداعة يوم بدر وهو كافر ففداه المطلب^(٤) ، وكان المطلب رجل

صدق . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث .

وكنية إسماعيل بن جامع أبو القاسم .

وأمه امرأة من بني سهيم ، وتزوجت بعد أبيه رجلاً من أهل اليمن .

قال عون صاحب معن بن زائدة : أتت أم ابن جامع معن بن زائدة وابن جامع

معها وهو صغير يتبعها ويطلب ذيلها وكانت من قريش ، ومعن يومئذ على اليمن .

فقات : أصلح الله الأمير ، إن عمي زوجني زوجاً ليس بكفء ، ففرق بيني وبينه .

فقال : ومن هو ؟ قالت : ابن ذى المناجب . قال : عليّ به . فدخل أبعج خلق الله

وأشوههم خلقاً . فقال : من هذه منك ؟ قال : امرأتي . قال : خلّ سبيلها ،

ف فعل . فأطرق معن ساعة ثم رفع رأسه فقال :

لمعري لقد أصبحت غير محبب ولا حسن في عينها ذا مناجب

فالمتها لما تبيئت وجهه وعيناً له حوصاء من تحت حاجب

(١) في ت : ردعة « تحريف » .

(٢) في ت : سعد .

(٣) في ت : السبي « تحريف » .

(٤) في غ : ابنه المطلب .

وَأَنْفًا كَأَنْفِ الْبَكْرِ يَقَطُرُ دَائِبًا عَلَى لِحْيَةِ عَصَلَاءَ^(١) شَابَتْ وَشَارِبَ
أَتَيْتَ بِهَا مِثْلَ الْمَهَامَةِ تَسْوِقُهَا فَيَا حُسْنَ مَجْلُوبٍ وَيَا قُبْحَ جَالِبِ
وَأَمْرُهَا بِمَا تَنَى دِينَارَ .

(وقال يحيى : كان ابنُ جامعٍ أحفظَ خلقَ الله للقرآنِ وأعلمهم بما يحتاج إليه ،
وكان يخرج من منزله الفجر يوم الجمعة فيصلي الصبح ثم يصف قدميه حتى^(٢)
تطلع الشمس ، ولا يصلي الناس الجمعة حتى يحتم القرآن ثم ينصرف إلى منزله).

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : أتيت أبي يوماً مسلماً فقال : يا بني ما أعلم
أنَّ أحداً بلغ من برِّ ولده ما بلغته من برِّك ، وإني لأستقلُّ لك ذلك ، فهل من
حاجة أصيرُ فيها^(٣) إلى محبتك ؟ فقلت : قد كان - جعلتُ فداك - كلُّ ما ذكرت
فأطال الله لي بقاءك ، ولكنني أسألك واحدة : يموت غداً أو بعد غد هذا الشيخ
ولم أسمعه فيقول الناس لي ماذا وأنا أحلُّ منك^(٤) هذا المحل ؟ فقال لي : ومن
هو ؟ قلت : ابن جامع . قال : صدقت يا بني أسرجوا لنا^(٥) . فحجنا إلى ابن جامع ،
فدخلنا عليه فقال : يا أبا القاسم قد جئتُك في حاجة ، فإن شئت فاشتمني غير أنه
لا بُدَّ لك من قضاها ، هذا عبدك وابن أخيك قال لي : كذا وكذا ، فركبتُ
معه أسألك أن تشفِّه^(٦) فيما سأل ، فقال : نعم بشرطة : تقيمان عندي أطعمكما
مشوشة وقليّة^(٧) وأسقيكما من نبيذ التمرى وأغنيكما ، فإن جاءنا رسولُ الخليفة

(١) عصلاء : معوجة

(٢) في ت : حين .

(٣) في ت : أصرفها .

(٤) في ت : قبل .

(٥) أسرجوا لنا : شدوا على الخيل السروج لتركبها .

(٦) في ت : تسعفه .

(٧) القلية : مرقة تتخذ من أكباد الجوز ولحومها .

مُضِينَا إِلَيْهِ وَإِلَّا أَقْمَنَا يَوْمَنَا ، فقال أَبِي : السمع والطاعة ، وأمر بالدواب فُرِدَتْ
 وجاء بما ذكره فأكلنا وشربنا ، ثم أندفع ففغنا ناً ، فنظرت إلى أَبِي يَقِلُّ فِي عَيْنِي
 وَيَعْظُمُ ابْنُ جَامِعٍ حَتَّى صَارَ أَبِي فِي عَيْنِي كَلَا شَيْءٍ ؛ فَلَمَّا طَرَبْنَا غَايَةَ الطَّرَبِ جَاءَ
 رَسُولُ الْخَلِيفَةِ فَرَكِبَا وَرَكِبْتُ مَعَهُمَا ، فلما كنا في بعض الطريق قال لي أَبِي : كيف
 رأيت ابْنَ جَامِعٍ يَا بُنَيَّ ؟ قلت له : أو تُعْفِينِي جُعِلْتُ فِدَاكَ ! قال : إني لست
 أُعْفِيكَ . قال : فقلت له : رأيتك ولا شيء أ كَبُرُ عِنْدِي مِنْكَ قَدْ صَغُرْتُ عِنْدِي
 فِي الْغِنَاءِ مَعَهُ ، ثم مَضِيَا إِلَى الرَّشِيدِ وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ بَعْدُ وَصَلْتُ
 إِلَى الرَّشِيدِ ، فلما أَصْبَحْتُ أُرْسِلَ أَبِي إِلَى فَقَالَ : يَا بُنَيَّ هَذَا الشِّتَاءُ قَدْ هَجَمَ
 عَلَيْكَ وَأَنْتَ تَحْتَاجُ إِلَى مَثُونَةٍ ، وَإِذَا مَالٌ عَظِيمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَصْرِفْ هَذَا الْمَالَ فِي
 حَوَائِجِكَ ، ففممت فقبَلت يده ورأسه وأمرت بحمل المال وأتبعته ، فصوت علي (١) :
 يَا إِسْحَاقُ أَرْجِعْ ، فَرَجَعْتُ . فقال لي : أَتَدْرِي لِمَ وَهَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَالَ ؟ قلت : نعم
 لِيُصِدِّقَ فِيكَ وَفِي ابْنِ جَامِعٍ ، قال : صدقت يَا بُنَيَّ ، امضِ رَاشِدًا .

(١) قَدِمَ ابْنُ جَامِعٍ قَدَمَةً لَهُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الرَّشِيدِ ، وَكَانَ ابْنُ جَامِعٍ حَسَنَ السَّمْتِ
 كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَقَدْ أَخَذَ السُّجُودَ فِي جِبْهَتِهِ ، وَكَانَ يَعْتَمُّ بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءَ عَلَى قَلَنْسُوءَةٍ ،
 وَيَلْبَسُ لِبَاسَ الْفُقَهَاءِ ، وَيُرَكِبُ حِمَارًا فِي زِيِّ أَهْلِ الْحِجَازِ ﴿ فَبِينَا هُوَ وَاقِفٌ عَلَى بَابِ
 يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ يَلْتَمِسُ الْإِذْنَ عَلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي وَأَصْحَابُهُ أَهْلَ الْقَلَانِسِ ؛
 فَلَمَّا هَجَمَ عَلَى الْبَابِ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَقِفُ إِلَى جَانِبِهِ وَيُحَادِثُهُ ، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ
 فَرَأَى سَمْتَهُ وَحِلَاوَةَ هَيْئَتِهِ ، فَجَاءَ فَوْقَ إِلَى جَانِبِهِ فَقَالَ لَهُ : أَمْتَعِ اللَّهُ بِكَ ، تَوَسَّمْتُ فِيكَ
 الْحِجَازِيَّةَ وَالْقُرَشِيَّةَ ؛ قال : أصبت . قال : فَمِنْ أَيِّ قَرِيشٍ ؟ قال : مِنْ بَنِي سَهْمٍ .
 قال : أَيُّ الْحَرَمِينَ مَثْرَلُكَ ؟ قال : مَكَّةَ . قال : فَمِنْ لَقِيَّتِ ؟ قال : سَلَّ عَمَّنْ شِئْتُ .

فَفَاتِحُهُ الْفِقْهَ وَالْحَدِيثَ فَوَجَدَ عِنْدَهُ مَا أَحَبَّ مِنْهُ ، فَأَعْجَبَ بِهِ . وَنَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِمَا فَقَالُوا : هَذَا الْقَاضِي أَقْبَلَ عَلَى الْمُغْنِيِّ ، وَأَبُو يَوْسُفَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ ابْنُ جَامِعٍ . فَقَالَ أَصْحَابُهُ : لَوْ أَخْبَرْنَا عَنْهُ ! ثُمَّ قَالُوا : لَعَلَّهُ لَا يَعُودُ إِلَى مُوَاقَفَتِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَلَمَّا كَانَ الْإِذْنَ الثَّانِي غَدَا أَبُو يَوْسُفَ فَنَظَرَ يَطْلُبُ ابْنَ جَامِعٍ فَرَأَاهُ ، فَذَهَبَ فَوْقَ إِلَى جَانِبِهِ فَخَادَثَهُ كَمَا فَعَلَ فِي الْإِذْنَ الْأَوَّلِ . فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : أَتَعْرِفُ هَذَا الَّذِي تَوَاقَفَهُ وَتَحَادَثَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الْفُقَهَاءِ . فَقَالُوا : هَذَا ابْنُ جَامِعٍ الْمُغْنِيُّ ؛ فَقَالَ : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » قَالُوا : إِنَّ النَّاسَ قَدْ شَهَرُوا بِمُوَاقَفَتِهِ وَأَنْكَرُوا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِكَ . فَلَمَّا كَانَ الْإِذْنَ الثَّلَاثَ جَاءَ أَبُو يَوْسُفَ وَنَظَرَ إِلَيْهِ فَتَنَكَّبَهُ ، وَعَرَفَ ابْنَ جَامِعٍ أَنَّهُ قَدْ أُذِّنَ بِهِ ، فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو يَوْسُفَ بِغَيْرِ ذَلِكَ الْوَجْهِ الَّذِي تَلَقَّاهُ ثُمَّ انْحَرَفَ عَنْهُ . فَدَنَا مِنْهُ ابْنُ جَامِعٍ ، وَعَرَفَ النَّاسُ الْقِصَّةَ ، وَكَانَ ابْنُ جَامِعٍ جَهْرًا فَرَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا يَوْسُفَ ، مَا لَكَ تَنْحَرِفُ عَنِّي ؟ أَيُّ شَيْءٍ أَنْكَرْتَ ؟ قَالُوا لَكَ : ابْنُ جَامِعٍ الْمُغْنِيُّ فَكَرِهْتَ مُوَاقَفَتِي ! أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ ثُمَّ أَصْنَعُ مَا شِئْتَ ؛ وَأَقْبَلَ النَّاسَ نَحْوَهَا . فَقَالَ : يَا أَبَا يَوْسُفَ لَوْ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَلِغًا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَأَنْشَدَكَ بِجَفَاءٍ وَغِلْظَةٍ مِنْ لِسَانِهِ فَقَالَ :

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعُلَمَاءِ فَالْسِّنْدُ أَقْوَتٌ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ

أَكُنْتَ تَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا ؟ قَالَ : لَا ، قَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمِعَ الشَّعْرَ ، قَالَ ابْنُ جَامِعٍ : فَإِنْ قُلْتُ أَنَا هَكَذَا ، وَأَنْدَفِعُ يُغْنِي فِيهِ حَتَّى آتَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا يَوْسُفَ هَلْ رَأَيْتَنِي زِدْتُ فِيهِ أَوْ نَقَصْتُ مِنْهُ ؟ قَالَ : عَافَاكَ اللَّهُ أَعْفِنَا مِنْ هَذَا ، قَالَ : يَا أَبَا يَوْسُفَ ، أَنْتَ صَاحِبُ فُتْيَا ، مَا زِدْنَاهُ عَلَى أَنْ حَسَنَتْهُ بِالْفَاظِي فَحَسُنَ فِي السَّمَاعِ وَوَصَلَ إِلَى الْقَلْبِ ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْهُ ابْنُ جَامِعٍ .

قال ابنُ جَامِعٍ : لولا أَنَّ القِمارَ وَحُبَّ الكلابِ قد شَغَلاني لتركْتُ المَغْنينَ
لا يَأْكُلون الخبزَ .

أَهْدَى رجلٌ إلى ابنِ جَامِعٍ كلباً فقال : ما اسمه ؟ قال : لا أدري ، فدعا بدفتر
فيه أسماءُ الكلابِ فجعل يدعوهُ بكل اسمٍ فيه ^(١) حتى أَجابهُ الكلبُ .

قال سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ لبعضِ أَصحابِهِ وقد مرَّ به ابنُ جَامِعٍ يسحبُ الخبزَ :
بلغني أَنَّ هذا القرشيَّ أَصابَ مالا من الخلفاءِ فبأى شَيْءٍ أَصابَهُ ؟ قالوا : بالغناء .
قال : فن منكم يذكُر بعض ذلك ؟ فأنشد بعض أَصحابِهِ :

وَأَصْحَبُ بِاللَّيْلِ ^(٢) أَهْلَ الطَّوْافِ وَأَرْفَعُ مِنْ مِزْرِي الْمُسْبَلِ
قال : أحسن ، هيه ! فقال :

وَأَسْجُدُ بِاللَّيْلِ ^(٣) حَتَّى الصَّبَاحِ وَأَتَلُو مِنْ الحُكَمِ الْمُنْزَلِ
قال : أحسن ، هيه ! فقال :

عَسَى فَارِجَ الهَمِّ عَنْ يوسُفَ يُسَخِّرُ لِي رَبَّةَ المَحْمِلِ
قال : أمَّا هذا فدعه لا سَخَّرها اللهُ له .

قالت حَوْلَاءُ مولاةُ ابنِ جَامِعٍ : اتبته مولاى من قَائِلَتِهِ يوماً فقال : على بِهشامِ
« يَمَعِنِي ابْنَهُ » ادعوه لى عَجَّأُوا به ، فجاء مُسرعا فقال : يا بنى ، خُذِ العودَ ،
فإن رجلاً من الجِنِّ أتى علىَّ فى قَائِلَتِي صوتاً فأخافُ أن أنساه . فأخذ هِشامَ العودِ
وتَفَعَّنِي ابنُ جَامِعٍ عليه رملا :

(١) فى ت : باسم اسمِ منها .

(٢) فى ت : ياليل .

(٣) فى ت : ياليل .

أَمَسْتُ رُسُومَ الدَّارِ غَيْرَهَا هَوَجُ الرِّيحِ الزَّعَازِعِ العُصْفِ
وَكُلُّ حَنَانَةٍ^(١) لَهَا زَجَلٌ مِثْلُ حَنِينِ الرَّوَّامِ الشُّعْفِ

قال ابنُ جامع : أخذتُ من هارونَ بَيْتَيْنِ غَنَيْتَهُمَا إِيَّاهُ :

لَا بُدَّ للعَاشِقِ مِنْ وَقْفَةٍ تَكُونُ بَيْنَ الوَصْلِ وَالصَّرْمِ
يَعْتَبُ أَحْيَانًا وَفِي عَقْبِهِ إِظْهَارُ مَا يُخْفِي مِنَ الشُّمِّ
حَتَّى إِذَا مَا مَضَهُ هَجْرُهُ رَاجِعٌ مَنْ يَهْوَى عَلَى الرَّغْمِ^(٢)

لما مات المَهْدِيُّ ومَلَكَ موسى الهادي أعطى الفضلُ بنَ الربيعِ [الطراز]^(٣)
من يده دنانير وقال : الحقُّ بِمَكَّةَ وَأَتَى بِأَبْنِ جَامِعٍ وَأَحْمَلَهُ فِي قُبَّةٍ وَلَا تُعْلَمَنَّ بِهِ
أحدًا ، ففعل وحضر فأنزله عنده وأشتري له جارية ، وكان ابن جامع صاحبَ نساء ،
فذكره موسى الهادي ذاتَ ليلة ، وكان هو مِمَّنْ انقطع إلى الهادي أيامَ المَهْدِيِّ
وضربه المَهْدِيُّ وطرده . فقال الهادي لجلَّسائه : أَمَا فيكم أحدٌ أُرْسِلَ إلى ابنِ جامعٍ
وقد عرقتم موقعه مِنِّي ! فقال له الفضل بن الربيع : هو عندي يا أميرَ المؤمنين
وقد فعلت الذي أردت . فبعث إليه فأتى به في الليل وَوَصَلَ الفضلُ في تلكَ الليلة
بمِشْرَةِ آلافِ دِينَارٍ وولاه حِجَابَتَهُ .

وكان سببُ عزل العثماني أن ابنَ جامع سأل الرشيد في أن يأذن له في المَهَارِشَةَ
بَيْنَ الدُّيُوكِ وَالكَلابِ وَالْأُيُحْدَى فِي النَّبِيدِ ، فأذن له وكتب بذلك كِتَابًا
إِلَى العُثماني . فلما وصل إليه الكتابُ قال له : كذبت ! أمير المؤمنين لا يُحِلُّ
مَا حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَى ، وَهَذَا الكِتَابُ مُرَوَّرٌ . والله لئن لقيتكَ على حالٍ من هذه

(١) في ت : خباية « تحريف » .

(٢) في غ : رغم .

(٣) ساقط من ت . والطراز : يريد الفضل .

الأحوال لأوْدَ بَنَك . قال : فحذره ابنُ جامع . ووقع بين العُثماني وحمادِ الزبَدي
[ما يقع بين العمال] فلما حجَّ هارون قال حماد لابن جامع : أعنى عليه حتى يمزله ؛
قال : أفعل . قال : فابدأ أنت فقل لأمير المؤمنين : إنه ظالم فأجر واستشهدني . فقال
ابنُ جامع : هذا لا يقبل في العُثماني شيئاً ، ويفهم أمير المؤمنين كذبنا ، ولكن
أنا أحتال من جهة اللطف من هذه ، فسأله هارون ابتداءً : فقال يا ابن جامع ، كيف
العُثماني أميركم ؟ فقال : خير أمير وأعدله وأفضله وأقومه بالحق لولا ضعف عقله .
قال : وما ذلك ؟ قال : أفنى الكلاب ، قال : وما دعاه إلى قتلها^(١) ؟ قال : زعم أن
كلبا دنأ من عمان بن عفان يوم ألقى على الكناس فهش وجهه فنضب على الكلاب
فهو يقتلها . فقال : هذا ضعيف العقل فأعز لوه ، فمزل .

كان ابنُ جامع أحسن ما يكون إذا حزن ، وأحبَّ الرشيد أن يسممه على تلك
الحال فقال للفضل بن الربيع : ابث إلى خريطة فيها نبي أم ابن جامع ، وكان برأ
بأمه ففعل ، فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهوه ، فقال :
يا ابن جامع في هذه الخريطة نبي أمك ؛ فاندفع ابن جامع يُعنى بتلك الحرقه :

كَمْ بِالذُّرُوبِ وَأَرْضِ الرُّومِ مِنْ قَدَمٍ

وَمِنْ جَمَاجِمِ صَرَعى مَا بَهَا قُبُورُوا

بُقَنْدَهَارِ^(٢) وَمِنْ تُكْتَبِ^(٣) مَنِيَّتِهِ

بُقَنْدَهَارِ يُرْجَمُ دُونَهُ الخَبِيرُ

قال : فأملكنا أنفسنا ورأيتُ الغلمان يضرُّون بوجوههم الحيطان والأساطين .

(١) في غ : لإفنائها .

(٢) قند هار : مدينة كبيرة بالقرب من كابل ، عاصمة أفغانستان الآن .

(٣) في غ : تقدر .

بلغ أم جعفر أن الرشيد جالس وحده وليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين؛ فأرسلت إليه: يا أمير المؤمنين، إني لم أرك منذ ثلاث، وهذا اليوم الرابع. فأرسل إليها: عندي ابن جامع: فأرسلت إليه: أنت تعلم أنني لا أتهنّي بشراب ولا بسماع إلا أن تشرّكني فيه، فما كان عليك أن أشركك في هذا الذي أنت فيه! فأرسل إليها: إني صائر إليك في هذه الساعة. ثم قام وأخذ بيد ابن جامع، وقال لحسين الخادم: امض إليها وأعلمها أنني قد جئت. وأقبل الرشيد، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله، فوجه إليها: إن معي ابن جامع، فعدلت إلى بعض المقاصير. وجاء الرشيد وصير ابن جامع في بعض المواضع التي يُسمع منه ولا يكون حاضرًا معه. وجاءت أم جعفر فدخلت على الرشيد فأكبت عليه، فأجاسها إلى جانبه واعتنقها واعتنقته. ثم أمر ابن جامع أن يتغنّى فغنّى:

ما رعدت رعدةً ولا برقت لكنها أنشئت لنا خلقه
الماء يجري ولا نظام^(١) له لو يجيد الماء محرقاً خرقة
بنناً وباتت على نمارقها حتى بدا الصبح عينها أرقه
أن قيل إن الرحيل بعد غدٍ والدار بعد الجميع مفترقه

فقالت أم جعفر للرشيد: ما أحسن ما أشتهيته! ثم قالت لسلم خادمها: أَدفع لابن جامع لكل بيت مائة ألف درهم. فقال الرشيد: غلبتنا يا ابنة أبي الفضل وسبقتنا إلى برّ ضيفنا. فلما خرج، حمل إليها مكان كل درهم ديناراً.

قال إسماعيل بن جامع: ضمّني الدهر ضمّاً شديداً بمكة، فانتقلت منها بعيمالي إلى المدينة، فأصبحت يوماً وما أملك إلا ثلاثة دراهم، فهي في كمي إذا أنا بجارية على رقبتها جرة تمشي^(٢) بين يدي تترنم بصوت شجي:

(١) في غ: على نظام.

(٢) في غ: تسعي.

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا: ما أقصرَ الليلَ عندنا
وذاك لأنَّ النومَ يغشى جفونهم^(١) سرّاعاً ولا يغشى لنا النومُ أعينا
إذا ما دنا الليلُ المضرُّ بِندي^(٢) الهوى

جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثلَ ما نلّا في كآنا في المضاجعِ مثلنا

قال: فأخذ الغناءَ بقلبي ولم يدُرْ لي منه حرف. فقلت: يا جارية، ما أذرى
أوجهك أحسن أم غناؤك! فلو سئتِ أعدتِ! فقالت: حُبًّا وكرامةً. ثم أسندتِ
ظهرها إلى جدار قريبٍ منها ورفعتِ إحدى رجليها فوضعتها على الأخرى، ووضعت
الجرّةَ على ساقها ثم انبعتتُ تغنيه، فوالله ما دارَ لي منه حرف؛ فقلت: لو أحسنتِ
وأعدتِيه مرّةً أخرى! ففطبت^(٣) وكلحتِ وقالت: ما أعجب أمركم! أحدكم
لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضريبة فيسغلها! فضربتُ يدي إلى الدراهم فدفعتها
إليها، وقلت لها: أقيمى بها وجهك اليومَ إلى أن نلتقى^(٤)، فأخذتها كالكارهة
وقالت: فأنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتاً بثلاثة دراهم، أحسبك ستأخذُ به
ألفَ دينارٍ وألفَ دينارٍ وألفَ دينارٍ. وانبعثتُ تغني ففكرتُ في غنائها حتى
دارَ لي الصوتُ ففهمتهُ، وانصرفتِ مسروراً إلى منزلي أردده حتى خَفَّ على لساني.
ثم خرجتُ إلى بغداد فدخلتها، فنزل بي المكارى على بابِ محوّل^(٥)؛ لا أدرى
أين أتوجه ولا من أقصِد. فشيت مع الناس حتى أتيت الجسرَ، فمبرت معهم

(١) في غ: عيونهم.

(٢) في غ: لدى.

(٣) في غ: ففطنت.

(٤) في ت: نكتني.

(٥) باب محول: محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكرخ. وفي ت: باب المحول.

حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى شَارِعِ عَالٍ^(١) ، فَرَأَيْتُ مَسْجِدًا بِالقَرَبِ مِنْ دَارِ الفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ مُرْتَفِعًا ، فَقُلْتُ : مَسْجِدُ قَوْمِ سَرَاةٍ ، فَدَخَلْتُهُ ، وَحَضَرَتْ صَلَاةَ المَغْرِبِ فَصَلَّيْتُ وَأَقَمْتُ مَكَانِي حَتَّى صَلَّيْتُ العِشَاءَ عَلَى جُوعٍ وَتَعَبٍ ، وَانصَرَفَ أَهْلُ المَسْجِدِ وَبَقِيَ رَجُلٌ يُصَلِّي خَلْفَهُ جَمَاعَةٌ خَدَمٌ وَخَوْوَلَةٌ يَنْتَظِرُونَ فِرَاعَهُ فَصَلَّيْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ انصَرَفْتُ فَقَالَ : أَحْسَبُكَ غَرِيبًا ؟ فَقُلْتُ : أَجَلٌ . قَالَ : فَمَتَى كُنْتَ فِي هَذِهِ المَدِينَةِ ؟ قُلْتُ : دَخَلْتُهَا آتَمًا ، وَلَيْسَ لِي بِهَا مَنْزِلٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ ، وَلَيْسَتْ صِنَاعَتِي مِنَ الصِّنَائِعِ الَّتِي يُمْتَنُّ بِهَا إِلَى أَهْلِ الخَيْرِ . قَالَ : وَمَا صِنَاعَتُكَ ؟ قُلْتُ : الفَنَاءُ ، فَوَثِبَ مُبَادِرًا فَدَخَلَ وَوَكَّلَ بِي بَعْضَ مَنْ مَعَهُ . فَسَأَلْتُ المُوَكَّلَ بِي عَنْهُ فَقَالَ : هَذَا سَلَامُ الأَبْرَشِ^(٢) . قَالَ : فَانْتَهَى بِي إِلَى قَصْرِ مَنْ قَصُورِ الخِلَافَةِ ؛ وَجَاءُوا بِي مِنْ مَقْصُورَةٍ إِلَى مَقْصُورَةٍ ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ مَقْصُورَةً فِي آخِرِ الدِّهَالِيزِ ؛ ثُمَّ دُعِيَ بِطَعَامٍ فَأُتِيَتْ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا مِنْ طَعَامِ المُلُوكِ ، فَأَكَلْتُ حَتَّى امْتَلَأْتُ . فَإِنِّي عَلَى ذَلِكَ إِذْ سَمِعْتُ رَكُضًا فِي الدِّهَالِيزِ وَقَائِلًا يَقُولُ : أَيُّنَ الرَّجُلِ ؟ فَقِيلَ : هُوَ هَذَا . قَالَ : ادْعُوا لَهُ بِعَسُولٍ وَخِلْعَةٍ وَطِيبٍ ، فَفَعِلْتُ بِذَلِكَ . وَحُمِلْتُ عَلَى دَابَّةٍ إِلَى دَارِ الخِلَافَةِ فَعَرَفْتُهَا بِالحَرَسِ وَالتَّكْبِيرِ وَالنَّيْرَانِ . فَجَاوَزْتُ مَقَاصِرَ عِدَّةٍ ، حَتَّى صَرْتُ إِلَى دَارِ قُورَاءٍ فِيهَا أُسْرَةٌ فِي وَسْطِهَا ، قَدْ أُضِيفَ بِمَضْمِنِهَا إِلَى بَعْضِ . فَأَمَرَنِي الرَّجُلُ إِلَى الصُّعُودِ فَصَعِدْتُ ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِهِ ثَلَاثُ جُورٍ فِي حِجُورِ هِنِ العِيدَانِ ، وَفِي حِجْرِ الرَّجُلِ عُودٌ . فَرَحَّبَ بِي وَإِذَا بَيْنَ الأُسْرَةِ شَيْءٌ قَدْ قَامَ عَنْهُ قَوْمٌ ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ خَادِمٌ مِنْ وَرَاءِ السُّتْرِ فَقَالَ لِلرَّجُلِ : غَنِّ ؛ فَانْبَعَثَ يُغَنِّي بِصَوْتِ لِي :

لَمْ تَمْسُ مِيَالًا وَلَمْ تَرْكَبْ عَلَى قَتَبٍ وَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ إِلَّا دُونَهَا السِّكِّالُ

(١) في ت : « عَالٍ » خطأ .

(٢) خَدَمُ المَنْصُورِ ، وَتَوَلَّى المَظَالِمَ لِلْمُهَدِيِّ وَعَاصَرَ الهَادِي وَالرَّشِيدِ .

فَعَسَىٰ بِغَيْرِ إِصَابَةٍ وَأَوْتَارٍ مُّخْتَلِفَةٍ . ثم عاد الخادمُ إلى الجارية التي تلى الرجل
 فقال : تَعَسَىٰ ، فَعَسَتْ أَيضاً بصوت لى كانت فيه أحسنَ حالاً من الرجل :
 يا دار أضحّت خَلَاءَ^(١) لَأَأْنِيسَ بها إلا الطباة وإلا النَّاشِطُ^(٢) الفِرْدُ^(٣)
 أين الذين إذا ما زرتهم جَدَلُوا وطار عن قلبي الأشواق^(٤) والسكمد
 ثم عاد إلى الثانية فأحسبه أغفلها وما تَعَسَّتْ ، ثم عاد إلى الجارية التي تليها
 فانبعثت تَعَسَىٰ بصوت لحكم الوادى :

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى
 إذا جدَّ جدَّ^(٥) البين أم أنا غالبه
 فإن أستطيع^(٦) أغلب وإن يغلب الهوى
 فمثل الذي لاقيت يُغلب صاحبه

ثم عاد الرجل إلى الجارية الثالثة فَعَسَتْ بصوت الحنين :

مَرَرْنَا على قَيْسِيَّةَ عامرية لها بشر صافي الأديم هيجان
 فقالت وألقت جانب السردونها من آية أرض أو من الرّجلان
 فقلت لها أمّا تميم فأسرتي هُدَيْتِ وأما صاحبي فيمان
 رَفِيقان ضم السقرييني وبينه^(٧) وقد يلتقي الشّتي فيأتلّفان

(١) فت : خلوا .

(٢) الناشط : الثور الوحشى أو الحمار الوحشى .

(٣) الفرد : المنفرد .

(٤) في غ : التشواق .

(٥) في غ : وشك .

(٦) فت : أستطيع « خطأ » .

(٧) فت : بينهم « تحريف » .

ثم عاد إلى الرجل فننّى صوتاً لى فشبهه فيه فى شعر عمر بن أبى ربيعة :
أمسى بأسماء هذا القلبُ معمودا إذا أقول صحّا عن غيّه (١) عيدا
كأنّ أحور (٢) من غزلانِ ذى بقر (٣) أعارها شبة العينين والجيدا
ومشرقاً كشعاع الشمس بهجته ومُسبّطراً على لبّاتها سودا

ثم عاد إلى الجارية فننّت صوتاً لحكم الوادى :
تُعيرنا أنّا قليلٌ عديداً فقلت لها إن الكرام قليل
وما ضرّنا أنّا قليل وجارنا عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل

وغنت الثانية :

ولما تواقفنا وسامتُ أسفرت وجوهُ زهاها الحسن أن تتقمّما
تبالهن (٤) بالعرفان لَمّا عرفنى وقُنّ امرؤ باغٍ أكَل (٥) وأوضعا
ولما تنازعتن (٦) الأحاديثَ قلن لى أخفت علينا أن نفرّ ونخدعا

فتوقعت مَجِيء الخادم إلىّ ، فقلت للرجل : بَأبى خُدِ العودُ وشُدّ وتركنا وأرفع
الطبقة ، ففعل ما أمرته . وخرج الخادم وقال تغنّ عافاك الله ؛ فتغنّيت بصوت الرجل
الأول على غير ما غنّاه ، فإذا جماعة من الخدم وقالوا : ويحك ! لمن هذا الغناء ؟
فقلت : لى ؛ فانصرفوا عنى وخرج إلىّ الخادم وقال لى : كذبت ! هذا لأبن جامع .

(١) فى غ : يعتاده .

(٢) فى ت : أعور « تحريف » .

(٣) فى ت : ذى نفر ؛ وكلاهما اسم موضع ، فذو بقر : واد بين أخيلة الحمى حتى الرينة ،
فى ديار بنى أسد . وذو نفر : موضع على ثمانية أميال من السليلة بينها وبين الرينة .

(٤) فى ت : تبالهن (تحريف) .

(٥) أكل : أعيأ .

(٦) فى ت : تبارين .

وَدَارَ الدَّوْرُ؛ فلما انتهى الغناء إلى قَلتُ للجارية التي تَلِي الرَّجُلَ شُدِّي العودَ وَعِمِلتِ ما أريدُ وَعَنَيْتُ بِصَوْتِهَا الذي غَنَّتَهُ فخرجَ إلى جماعة من الخدم فقالوا: ويحك! لمن هذا الغناء؟ قلت: لي، فرجعوا ورجع الخادم فقال لي: كذبتَ هذا لأبنِ جَامِعٍ .
وَدَارَ الدَّوْرُ فلما انتهى الغناء إلى قَلتُ للجارية الأخرى: سَوِّ لي العودَ على ما كَانَ فَعِمِلتِ ما أريدُ وَخَرَجَ الخَادِمُ وقال لي تَغَنَّ فَتَغَنَّيتُ بِصوتِ لا يَعْرِفُ إِلَّا بي وَسَقَوْنِي فزِيدتُ في الصنع.

عُوجِي عَلَى فَسَلَمِي جَبْرُ فِيمَ الصُّدُودِ^(١) وَأَنْتُمْ سَفْرُ
مَا نَلْمَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مَيِّ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ^(٢)

قال: فزُلزِلتِ والله الدار عليهم، فخرج الخادم وقال لي: وَيْحَكَ! لمن هَذَا الغناء؟ فقلت: لي. فرجع ثم خرج فقال لي: كذبتِ! هذا لإسماعيل بن جامع فقلت: أنا إسماعيلُ بن جامع. فما شعرت إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلَا من وراء الستر الذي كان يَخْرُجُ منه الخادم. فقال لي الفضل بن الربيع: هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك. فلما صعد السَّريِرُ وثبت قائماً فقال: ابنُ جَامِعِ؟ فقلت: ابنُ جَامِعِ، جَعَلَنِي اللهُ فداك يا أمير المؤمنين. قال: ويحك! متى كنت في هذه المدينة^(٣)؟ قلت: آتفا، دخلتها في الوقت الذي علم بي أمير المؤمنين. فقال: اجلس، ومَضَى هو وجعفر فجلسنا في تلك المجالس، وقال لي: أَبْشِرْ^(٤) وابسط أَمْلَكَ؛ فدعوتُ له. ثم قال: غَنَّ يا ابن جامع فخطر بقلبي صوتُ الجارية، فأمرتُ الرجل بإصلاح العود على ما أردتُ فوزن العودَ وَزَنَّا وتماهدتُ حتى استقامت الأوتار

(١) في ت: الوقوف.

(٢) في ت: يا ملئقي الأثلاث حتى تفرق بيننا الدهر « تحريف ».

(٣) في غ: البلدة.

(٤) في ت: اشرب.

وأخذت الدسائيرين مَوَاضِعَهَا ، وانبعثتُ أَعْنَى صوت الجارية ، فنظر الرشيد إلى جعفر وقال : أَسَمِعْتَ كَذَا قَطْ ؟ فقال : لا والله ما خرق مسامعي كَذَا قَطْ . فرفع الرشيدُ رأسه إلى خادم بقره فدعا بكيس فيه ألف دينار فجاء به فرمى به إلى ، فوضعتُه تحت فِجْذِي ودعوتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فقال : يا ابن جامع ، رُدَّ عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الصَّوْتِ ، فرددتهُ وتزيت في غنائِي . فقال له جعفر ، يا سَيِّدِي ، أما تراه كيف يَزِيدُ في الغناء ! هذا خلاف ما سمعناه أولاً ، فدعا بكيس آخر فيه ألف دينار فجاءني به فَصَيَّرْتُهُ تحت فِجْذِي الآخِرِ وقال : تَفَنَّ يَا إِسْمَاعِيلُ مَا حَضَرَكَ . فجعلتُ أَقْصِدُ الصَّوْتِ بَعْدَ الصَّوْتِ مِمَّا كَانَ يَبْلُغُنِي أَنَّهُ يَشْتَرِي^(١) عَلَيَّ الْجَوَارِي فَأَعْنِيهِ ، ولم نزل إلى أن عَسَسَ اللَّيْلُ . فقال : أتمبناك يا إسماعيل هذه الليلة بِفِنَائِكَ ، فأعد على أمير المؤمنين ذلك الصَّوْتِ يَعْنِي صوت الجارية ، فتغنيتُه ودعا الخادم بكيس ثالث فيه ألف دينار . قال : فذكرت ما كان من قول الجارية^(٢) فتبسمت ، ولحظني فقال : يا ابن الفاعلة مِمَّ تَبَسَّمْتَ ؟ فحشوتُ على ركبتي وقلت : يا أمير المؤمنين ، الصَّدَقُ مَنَاجَاةٌ فقال لي بانتهار^(٣) : قل . فقصصتُ عليه خبر الجارية . فقال : صدقت ، قد يكون مثل هذا . وقام . ونزلتُ مِنَ السَّرِيرِ وَلَا أَدْرِي لِمَنْ أَقْصِدُ فابتدرني فرَّاشان فصارا بي إلى دار قد أمر لي أمير المؤمنين بها ؛ ففرشتُ وأعدتُ فيها جَمِيعُ ما يكون في مثلها من آلة تصالح لجلساء الملوك ونُدْمَاهُمْ مِنَ الخدم ، ومن كل آلة وخول وجوارٍ ووصفاء فدخلتها فقيرا وأصبحت من جِلَّةِ^(٤) أهلها ومياسيرهم .

(١) في ت : يشرب « تحريف » .

(٢) في ت : الخادم « تحريف » .

(٣) في ت : بأسمار « تحريف » .

(٤) في ت : جملة .

إِسْمَاعِيلُ الْهَرَبِيُّ

(مَوْلَى مَكِّي لَالِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ) وَقِيلَ : بِلِ مَوْلَى لَبْنِي كِنَانَةَ (أَدْرَكَ) (١)
 آخِرَ أَيَّامِ نَبِيِّ أُمَّيَّةٍ وَغَنَى الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ ، وَعُمِّرَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، وَكَانَ قَدْ قَدَّمَ عَلَيْهِ
 مِنْ مَكَّةَ فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَازِنٌ (٢) بِهِ خُمَارٌ شَدِيدٌ فَغَنَّاهُ ابْنُ جَامِعٍ ثُمَّ فُلَيْحٌ ثُمَّ
 إِبْرَاهِيمَ وَابْنَهُ إِسْحَاقَ فَمَا حَرَّكَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا أَطْرَبَهُ ؛ فَانْدَفَعَ إِسْمَاعِيلُ فَغَنَّى فَعَجِبُوا
 مِنْ إِقْدَامِهِ عَلَى الرَّشِيدِ وَمِنْ جُرْأَتِهِ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ :

يَارَا كَبَّ الْعَيْسِ الَّتِي وَخَدَّتْ إِلَى (٣) الْبَلَدِ الْحَرَامِ
 قُلْ لِلْإِمَامِ ابْنِ الْإِمَامِ مِأخَى الْإِمَامِ أَبِي الْإِمَامِ (٤)
 زَيْنِ الْبَرِيَّةِ إِذْ بَدَأَ فِيهِمْ كَمَصْبَاحِ الظَّلَامِ
 جَعَلَ الْإِلَهَ الْهَرَبِيَّ فِدَاكَ مِنْ كُلِّ (٥) الْأَنَامِ

فَاسْتَخَفَّ الرَّشِيدَ الطَّرْبُ وَكَادَ أَنْ يَرْقُصَ حَتَّى ضَرَبَ بِيَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ ، وَأَمَرَ لَهُ
 بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لِهَذَا الصَّوْتِ خَبْرًا تَعْجِيبًا فَإِنْ أَدْنَى
 مَوْلَايَ حَدَّثْتُهُ بِهِ ؛ قَالَ : حَدَّثْ .

قَالَ : كُنْتُ مَمْلُوكًا لِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِ الزُّبَيْرِ ، فَدَفَعَ إِلَيَّ مَوْلَايَ دِرْهَمَيْنِ أَتَّبَعْتُ لَهُ
 بِهِمَا لِحْمًا ، فَخَرَجْتُ فَوَجَدْتُ جَارِيَةً عَلَى رَأْسِهَا جَرَّةً فِيهَا مَاءٌ مِنَ الْعَقِيقِ (٦) وَهِيَ تَغْنِي

(١) فِي ت : لِإِذْ وَلى « تَحْرِيفٌ »

(٢) خَازِنٌ : غَانِيَةٌ نَفْسُهُ مَخْتَلِطَةٌ .

(٣) فِي خ : وَفَدَّتْ مِنْ .

(٤) فِي ت : قُلْ لِلْإِمَامِ ابْنِ الْإِمَامِ مِأخَى الْإِمَامِ أَبِي الْإِمَامِ

(٥) فِي خ : يَبِينُ .

(٦) الْعَقِيقُ : وَادٌ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ فِيهِ عَيُونٌ وَنَحْلٌ .

هذا اللحن في شعر غير هذا الشمر في وزنه ورويته ؛ فسألتها أن تُعَلِّمَنِيهِ ؛ فقالت : لا وحق القبر^(١) إلا بدرهمين ، فدفعتُ إليها الدرهمين وعَلِّمَتَنِيهِ ؛ ورجعت إلى مولاي بغير لحم فضر بني ضرباً مُبْرِحاً شُغِلَتْ منه بنفسى فَأُنْسِيَتِ الصوت . ثم دَفَعِ إِلَى درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بهما لحماً فَلَقِيَتَنِي الْجَارِيَةُ فسألتها أن تُعِيِدَ الصوت ؛ فقالت : لا والله إِلَّا بدرهمين ؛ فدفعتهماُ إِلَيْهَا فعادته^(٢) مِرَارًا حتى أَخَذَتْهُ . فلَمَّا رَجَعْتُ إلى مولاي بلا لَحْمٍ أَيْضًا قال : ما القِصَّةُ في الدَّرْهَمَيْنِ ؟ فصدقته القِصَّةَ وأعدتُ عليه الصوتَ فقبَّلَنِي وَأَعْتَقَنِي ، فرحلتُ بالصوت إليك ، وقد جمعتُ اللحنَ في هذا ، فقال : دَعِ الْأَوَّلَ وَأَقِمِ على هذا ؛ وأما مَوْلَاكَ فَإِنِّي سَأُدْفَعُ إِلَيْهِ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَلْفَ دِينَارٍ وَأُمِرُ بِهَا فَجُمِلَتْ إِلَيْهِ .

(١) تريد قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) في غ : فأعادته .

أبو زَكَارِ الْأَعْمَى

(هذا رجل من أهل بغداد من قدماء الْمُعَنِّين ، وكان مُنْقَطِعًا إلى بني بَرَمَك ، وكانوا يُؤَثِّرُونَهُ وَيَقْدِمُونَهُ وَيُفَضِّلُونَهُ عَلَيْهِ إِفْضَالًا وَاسْمًا .

قال (١) مَسْرُور : لما أَرَادَ الرَّشِيدُ هَارُونَ قَتَلَ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى لَمْ يُعْلِمِ بِذَلِكَ أَحَدًا حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ جَعْفَرٌ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَتَلَهُ فِي لَيْلَتِهِ فَقَالَ لَهُ : اذْهَبِ الْيَوْمَ قَنَسَاغِلَ بَيْنَ تَأْنَسَ بِهِ وَأَصْطَبِحْ فَإِنِّي مُصْطَبِحٌ مَعَ الْحَرَمِ وَالْجَوَارِي فَمَضَى جَعْفَرٌ . وَلَمْ يَزَلْ بَرَّ الرَّشِيدَ وَالطَّافَةَ تَتَابَعُ إِلَى جَعْفَرَ طُولَ ذَلِكَ النَّهَارِ لَثَلَا يَسْتَوْحِشُ . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ دَعَانِي فُجِئْتُ فَقَالَ : اذْهَبِ جِئْتِي السَّاعَةَ بِرَأْسِ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى وَضَمِّهِ إِلَيَّ جَمَاعَةً مِنَ النَّهْلَانِ ، فَضَبْتُ حَتَّى هَجَمْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا وَإِذَا أَبُو زَكَارِ الْأَعْمَى يَفْنِيهِ فِي شَعْرٍ كَثِيرٍ :

— فَلَ تَبَعْدَ فَكُلَّ فَتَى سِيَأْتِي عَلَيْهِ الْمَوْتُ يُطْرُقُ أَوْ يُغَادَى
— وَكُلَّ ذَخِيرَةَ لَا بُدَّ يَوْمًا وَإِنْ بَقِيَتْ تَصِيرُ إِلَى نَفَادٍ
— [يَمِزُّ عَلَى أَنْ نَعْدُو جَمِيعًا وَتُصْبِحُ ثَاوِيَا رَهْنًا بِوَادِي] (٢)
— فَلَوْ فُودِيَتْ مِنْ حَبْسِ الْمَنَايَا (٣) فَدَيْتِكَ بِالطَّرِيفِ وَبِالتَّلَادِ

فَقُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى جِئْتُكَ فَأَجِبْ . فَارْتَاعَ وَوَثِبَ قَائِمًا وَقَالَ : مَا الْخَبْرُ يَا أَبَا هَاشِمٍ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! قَلْبُ : قَدْ أَمِرْتُ بِأَخْذِ رَأْسِكَ . فَأَكَبَّ عَلَى رَجْلِي

(١) جاء الخبر مستوفى في ترجمة كثير وخذق الأسدي في الجزء الثاني عشر من الأغاني ص ١٩١

طبع دار الكتب .

(٢) لم يرد البيت في غ .

(٣) في غ : ولو يفدى من الحدنان شيء .

يَقْبَلُهُمَا وَقَالَ : اللَّهُ اللَّهُ يَا أَبَا هَاشِمٍ رَاجِعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ، فَقُلْتُ : مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلُ
قَالَ : فَأَعْهَدْ ، قُلْتُ : ذَلِكَ إِلَيْكَ . فَذَهَبَ لِيَدْخُلَ إِلَى النِّسَاءِ فَنَفَعْتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ أَمْكَنْهُ
وَقُلْتُ لَهُ : أَعْهَدْ فِي مَكَانِكَ ، فِدَعَا بَدَوَاةَ وَقِرطَاسَ وَكُتِبَ فِيهِ أَحْرَفَا عَلَى دَهَشٍ
ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا هَاشِمٍ بَقِيْتُ لِي وَاحِدَةً . قُلْتُ : هَاتِمَا ، فَقَالَ : يَا أَبَا هَاشِمٍ خُذْنِي مَعَكَ
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أُخَاطِبَهُ بِمَا فِي نَفْسِي وَيَخَاطِبَنِي بِمَا فِي نَفْسِهِ وَتَعْضَى عَلَيَّ بِأَمْرِهِ .
فَقُلْتُ لَهُ : هِيَاتِ مَا إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ سَبِيلُ . قَالَ : وَيْحَكَ ! لَا تَقْتُلْنِي بِأَمْرِهِ
عَلَى النَّبَيْذِ وَهُوَ سَكْرَانٌ . فَقُلْتُ : هِيَاتِ مَا شَرِبَ الْيَوْمَ شَيْئًا . قَالَ : نَفَخْتَنِي وَاحِسِنِي
عِنْدَكَ فِي الدَّارِ وَعَاوِدَهُ فِي أَمْرِي . قُلْتُ : أَفَعَمَلٌ فَأَخَذْتُهُ . فَقَالَ أَبُو زَكَارٍ الْأَعْمَى :
نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ إِنْ قَتَلْتَهُ إِلَّا الْحَقَّتَنِي بِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا لَقَدْ أُخْتَرْتَ غَيْرُ مُخْتَارٍ
قَالَ : وَكَيْفَ أَعِيشُ بَعْدَهُ وَحَيَاتِي كَانَتْ مَعَهُ ، وَأَغْنَانِي عَمَّنْ سِوَاهُ ، فَمَا أَحِبُّ الْحَيَاةَ
بَعْدَهُ ، فَقُلْتُ : أَسْتَأْمُرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ . فَمَضَيْتُ بِجَمْفَرٍ وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ
فَلَمَّا رَأَى قَالَ : أَيْنَ رَأْسُهُ وَيْلَكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ . فَقَالَ : يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ ، أَقْسَمُ بِاللَّهِ
لَنْ لَمْ تَجِئْنِي بِرَأْسِهِ السَّاعَةَ لِأَخْذِنَ رَأْسَكَ ! فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ فَأَثَمْتُهُ فَضْرِبْتُ عَنْقَهُ وَجِئْتُ
بِرَأْسِهِ فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَخْبَرْتَهُ بِالْخَبَرِ وَمَا سَمِعْتُ مِنْ أَبِي زَكَارٍ مُعْنِيهِ وَذَكَرْتُ لَهُ
مَا قَالَ أَبُو زَكَارٍ الْأَعْمَى وَمَا سَأَلَ مِنْ قَتْلِهِ مَعَهُ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ أَمَرَنِي بِإِحْضَارِ
أَبِي زَكَارٍ الْأَعْمَى فَوَصَلَهُ وَبَرَّهَ وَقَالَ لِي : هَذَا فِيهِ مُصْطَنَعٌ فَاضْمُمْهُ إِلَيْكَ وَأَنْظِرْ
مَا كَانَ جَمْفَرٌ يُجْرِيهِ عَلَيْهِ فَأَقِمْهُ لَهُ ، وَأْمُرْ لَهُ بِحِرَاةِ دَارِهِ .

إسماعيل السَّيدِ الحِمَيْرِي

(السَّيِّدُ لَقَّبَ غَلْبَ عَلَيْهِ ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحِمَيْرِي المعروف بابن مُفَرِّغ .)

(كان يهجو بَنِي زِيَاد وَيُنْفِيهِمْ عن آلِ حَرْبٍ ؛ وحبسه عبيدُ الله بن زياد من أجل ذلك وَعَدَّبه ، ثم أطلقه معاوية)

وَمُفَرِّغٌ هو ربيعة لُقِّبَ بذلك ؛ لأنه رَأَى أن يُفَرِّغَ عُسًا من لبنِ فِشْرِ به حتى فَرَّغَهُ ، فَلُقِّبَ مَفَرِّغًا ، ومن قال : يَزِيدُ بنَ رَبيعة^(١) بن مفرغ فقد أخطأ ، وكُنْيَةُ السَّيِّدِ أَبُو هَاشِمٍ ، وأُمُّهُ امرأة من الأزد .

(وكان شاعراً مُكثِراً مطبوعاً . يقال : إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بَشَّارٌ ، وأَبُو العَتَاهِيَةِ والسَّيِّدُ ؛ فإنه لا يُعْلَمُ أن أحداً قد رَ على جمع شعر أحد منهم حتى يستوعبه كله . وإنما أمات ذكره وهجر الناسُ شمه إفراطه في سبِّ بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض أزواجه وإفحاشه في شتمهم وقذفهم والطمعُ عليهم فتحامى الرواةُ شعره وهجروه لهذا خوفاً وتحوُّباً^(٢) . وليس له شيء من الشعر على كثرة تصرفه فيه وقوله له إلا^(٣) وهو موصول^(٤) بمدح بني هاشم وذمِّ غيرهم ممن هو عنده ضدُّ لهم . وكان أبواه إباضيين وكان^(٥) منزلها

(١) كذا في ت : وتجريد الأغاني ، وفي غ : ومن قال : يزيد بن معاوية فقد أخطأ .

(٢) كذا في تجريد الأغاني ، وفي ت : تحريماً . وفي غ : وتراقباً !

(٣) بياض بالأصل ، والتسكلة من تجريد الأغاني .

(٤) كذا في التجريد ، وفي ت : موصوف « تحريف » .

(٥) بياض بالأصل ، والتسكلة من غ . والأباضية : فرقة من الحوارج .

في البصرة في غرفة في بني ضَبَّة وكان السيد يقول: طالما سُبَّ أمير المؤمنين^(١) في هذه الغرفة. وكان إذا سئل عن التَّشْيِيع من أين له؟ قال: غاصت الرَّحْمَةُ على غَوْصاً. ولما علم أبواه بمذهبه هتما بقتله^(٢)، فأتى عقبه بن سلم الهنأى^(٣) فأخبره بذلك فقال: الزَّمِنِي^(٤) ولا تَقْرَبُهُما ووهب له منزلاً فكان فيه حتى ماتا فورَ رَهْمَا.

وكان السيد يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإقامة^(٥) محمد بن الحنفية بعد الحسن والحسين رضوان الله عليهما، ورؤى أنه رجع عن مذهبه هو وأتى جعفر بن محمد وقال بإمامته.

وكان السيد أسمر، تامَّ القامة، أشنب أوفر حسن الوجه حسن الألفاظ جميل الخطاب إذا تحدَّث في مجلس قوم أعطى كل رجل في المجلس^(٦) نصيبه من حديثه وكان مع جماله أنتن الناس إبطين، لا يقدر أحد على الجلوس معه لنتن رأحتهما^(٧) قال الحسين^(٨) بن ثابت: قدم علينا رجل أرؤى الناس لشعر جري، فكان يُنشدني الشيء من شعره، فأنشده في معناه للسيد حتى أكرت. فقال لي: وَيَحَكَّ! لمن هذا؟ هذا والله أشعر من صاحبنا.

وقال الأصمعي لما قرأ شيئاً من شعر السيد: قاتله الله! ما أطبعه وأسلكه لسبيل الشعر^(٩)! والله لولا ما في شعره من سب السلف ما قدمت عليه أحداً من طبقته.

(١) بياض بالأصل والتكملة من غ.

(٢) بياض بالأصل والتكملة من غ.

(٣) في ت: قتيبة بن مسلم الباهلي والتصحيح من غ والتجريد.

(٤) في ت: أكرمتي « تحريف » والتصحيح من تجريد الأغاني.

(٥) بياض بالأصل والتكملة من غ.

(٦) بياض بالأصل والتكملة من غ.

(٧) بياض بالأصل والتكملة من غ.

(٨) في ت: الحسن.

(٩) في غ: الشعراء.

وقال الطوسي : إذا رأيت في شعر السيد « دَعْ ذَا » فدعه ، فإنه لا يأتي بعده إلا سبُّ السلف أو بليَّةٌ من بلاياه .

جاء رجل إلى السيد فقال : بلغني أنك تقول بالرجعة ؛ قال : صدق الذي يقول ذلك ، هذا ديني . قال أفتعطيني دينارا بمائة دينار إلى الرجعة ؟ قال السيد : نعم وألزم ذلك إن وثقت لي ؛ مَنْ يضمن لي أنك ترجع إنسانا ؟ قال : فأى شيء أرجع ؟ قال : أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالي ! فأفحمه

لما استقام الأمر لبني العباس قام السيد إلى أبي العباس السفاح حين نزل من المنبر فأنشده :

دُونَكُمْوَهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ	فَجَدُّوْا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارِ سَا
دُونَكُمْوَهَا لَا عَلَا كَعْبٌ مِنْ	كَانَ عَلَيْكُمْ مُلْكُهَا نَافِسا
دُونَكُمْوَهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا	لَا تَعْدَمُوا مِنْكُمْ لَهَا لَيسَا
قَدْ سَاسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةً	لَمْ يَتْرَكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِسا
لَوْ خَيْرَ الْمَنْبَرِ فُرْسَانَهُ	مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسا
فَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوهَا إِلَى	مَهِيْطِ عَيْسَى فِيكُمْ آيسَا

فسرَّ أبو العباس بذلك ، وقال : أحسنت يا إسماعيل ! سل حاجتك فقال : تولى سليمان بن حبيب الأهواز ، ففعل .

ثم دخل السيد على سليمان بن حبيب بالأهواز فقال : مرَّ حباباً وافدٍ وشفيحٍ وشاعرٍ ، حاجتك ؟ قال : جواد وسائسه وجارية ومن يخدمها ومطية محملة وألف دينار . فأمر له بذلك أجمع .

قال إسماعيل التيمي : كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد وقد استأذن عليه أذنه للسيد فأذن له ، وأقعده حرَّمه خلف سترٍ فدخل وسلم وجلس : فاستنشدته فأنشده :

أمرُّ على جدِّ الحسِّ بن فقل لأعظمه الزَّكِيَّةُ
يا أعظما^(١) لا زلت في وطفاء ساكبة رويَّة
وإذا مررت بقبره فأطل به حبس^(٢) المطيَّة
وأبك المطهر للمطهر ر والمطهرة النقيَّة
كُبكاء مُعْوَلَةٌ أَنْتَ يوما لواحدِها المنيَّة

قال : فرأيت دموع جعفر تتحدَّر على خديهِ وحيته ، وأرتفع البكاء والصراخ من داره حتى أمره بالإمساكِ فأمسك . قال : فحدثُ أبي بذلك فقال : ويلي على الكيساني الفاعل يقول :

وإذا مررت بقبره فأطل به حبس المطية
قلت : يا أبت ، فماذا يصنع ؟ قال : أَفَلَا يَنْحَرُ ! أَوْ لَا يَقْتُلُ نَفْسَهُ ! ثَكَلَتْهُ
أُمُّهُ .

تَلَا حِي رَجُلَانِ مِنْ بَنِي دَارِمٍ فِي الْمَفَاضَلَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
فَرَضِيَا بِحُكْمِ أَوْلٍ مَنْ يَطْلَعُ . فَطَلَعَ السَّيِّدُ ، فَقَامَا إِلَيْهِ وَهَمَا لَا يَعْرِفَانِهِ ، فَقَالَ لَهُ مُفَضَّلٌ
عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي وَهَذَا اخْتَلَفْنَا فِي خَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتَ أَنَا : عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ . فَقَطَعَ السَّيِّدُ كَلَامَهُ وَقَالَ : أَيُّ
شَيْءٍ يَقُولُ هَذَا ابْنُ الزَّانِيَةِ ! فَضَحِكَ مَنْ حَضَرَ وَوَجِمَ الرَّجُلُ وَلَمْ يُجِرْ جَوَابًا

قال فضيل : أنشدتُ جعفر بن محمد رضي الله عنهما قصيدة السيد :
لأَمِّ عمرو باللَّوِيِّ مَرَبُوعٌ دَارِسَةٌ أَعْلَامُهُ بَلَقَعُ
فسمعتُ النحيبَ في داره . فسألني لِمَ هي ؟ فأخبرته أنها للسَّيِّدِ ، فسألني عنه

(١) في غ : آ أعظما لا زلت من .

(٢) في غ : وقف .

فَعَرَفْتُهُ وَفَاتَهُ ؛ فَقَالَ : رَحِمَهُ اللَّهُ . قُلْتُ : إِنِّي رَأَيْتُهُ يَشْرَبُ نَبِيذَ الرُّسْتَاقِ ^(١) قَالَ : أُنَعْنِي
الْحَمْرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَا خَطْرُ ذَنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَهُ لِحَبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ « إِنْ
مُحِبِّ عَلِيٍّ لَا تُزَالُ لَهُ قَدَمٌ إِلَّا نَبَتَتْ أُخْرَى » .

قال زيد ^(٢) بن موسى بن جعفر: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم
وقد أمه رجل جالس عليه ثياب بيض؛ فنظرت إليه فلم أعرفه إذ التفت إليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال:

لَأَمَّ عَمْرُو بِاللَّوِيِّ مَرَّيْعٌ

فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا كُفَّهَا مَا غَادَرَ مِنْهَا بَيْتًا وَاحِدًا وَحَفِظْتُهَا عَنْهُ كُلَّهَا فِي النَّوْمِ .

(جلس المهدي يوما يعطي قريشاً صلوات أمر بها لهم وهو ولي عهد، فبدأ بنبي
هاشم ثم بسائر قريش . فجاء السيد فدفع إلى الربيع رقعة مختومة وقال له : إن فيها
نصيحة إلى الأمير فأوصلها إليه فأوصلها . فإذا فيها :

— قل لأبن عباس سمى محمد	لا تعطين بنى عدي درهما
→ واحرم بنى تيم بن مرة إنهم	شر البرية آخراً ومقدماً
إن تعطيهم لا يشكروا لك نعمة	ويكافؤوك ^(٣) بأن تدم وتشتما
وإن أئمتهم أو استعملتهم	خانوك واتخذوا خراجك مغنماً
— ولئن منعهم لقد بدؤكم	بالمع إذ ملكوا وكانوا أظلماً
— منعوا تراث محمد أعمامه ^(٤)	وأبنيه وابنته عديلة مريم ^(٥)

(١) الرستاق : السواد والقرى .

(٢) بياض بالأصل والتكلمة من غ .

(٣) في ت : ومن سول ؟ « تحريف » .

(٤) في ت : بجماعة « تحريف » .

(٥) في ت : مرجحاً « تحريف » .

وتأمروا من غير أن يُسْتَخْلَفُوا وكفى بما فعلوا هنالك مأثماً
لم يشكروا لحمد إمامه أفيشكرون لنيره إن أنعماً
والله منّ عليهم بحمد وهداهم وكسا الجنوب وأطعماً^(١)
ثم أنبروا لوصيته ووليّسه بالمنكرات فجرّعوه العلقماً

وهي قصيدة طويلة حذف باقيا لقبح ما فيه . قال : فرمى بها إلى أبي عبيد الله
ثم قال : اقطع العطاء فقطعه ؛ وأنصرف الناس ؛ (ودخل السيد إليه ، فلما رآه ضحك
وقال : قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل ، ولم يمطهم شيئاً .)

قدم السيد الحُمَيْرِي إلى القاضي سَوَّار ليشهد عنده ، وقد كان دافع الشهود له
بذلك وقال : اعفني من الشهادة عند سَوَّار وبذل له مالا فلم يعفه . فلما تقدم إلى سَوَّار
وشهد : قال ألسنت المعروف بالسَّيِّد ! قال بلى ؛ قال : أستغفر الله من ذنب تجرأت
به على الشهادة عندي ، قم لا أم لك فقام منفضبا وكتب إلى سَوَّار رقعة فيها .

إن سَوَّار بن عبد الله ه من شرّ القضاة
جَدُّه سَارِقُ عَنَز فَجْرَةٌ من فَجْرَات
لرسول الله والقا ذِفِه بالمنكرات
وابن من كان ينادى من وراء الحجرات
يا هَنَاءُ اخرج إلينا إننا أهل هَنَات

فلما قرأها سَوَّار وثب من مجلّسه وقصد المنصور وهو يومئذ نازل بالجرس فسبقه
السَّيِّد إليه وأنشده :

[قل للإمام الذي يُنَجِّي بطاعته يوم القيامة من مُجْبُوحة النار
لا تستعِينُ جزاك الله صالحاً يا خير من دبّ في حكم بسَوَّار

(١) في ت : وبسا الجلود وأعظما « تحريف » .

لا تستمن بحيث رأى ذى صلف
تضحى الخصوم لديه من تجبره
جمّ العيوب عظيم الكبر جبار
لا يرفعون إليه لحظّ أبصار
من ضبّعه كان عين الجائع العارى
تياً وكبراً ولولا ما رفعت له

ودخل سوار ؛ فلما رآه المنصور تبسّم وقال : أما بلغك خبر إياس بن معاوية
حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد في الشهود ! فما أحوجك للتعريض للسيدّ ولسانه !
ثم أمر السيدّ بمصالحته .

[حدّث الحارث بن عبد المطلب قال : كنت في مجلس أبي جعفر المنصور^(١)
وكان بالجسر الأكبر الذى عقده على دجلة وسوار بين يديه والسيدّ ينشده :
إنّ الإله الذى لا شىء يُشبهه أعطاكم الله ملكاً لا زوال له
أعطاكم الملكَ للدنيا وللدين حتى يُقاد إليكم الصّين
وصاحبُ الهند مأخوذاً^(٢) برُمته وصاحبُ الترك محبوساً^(٣) على هون

والمنصور يضحك مسروراً بما يُنشده ؛ فحانت منه التفاتة فرأى وجه سوار
يترَبّدُ غَضَباً وَيَسْوَدُّ حَنَقاً وَغَيْظاً ويدلّك إحدى يديه بالأخرى ؛ فقال له المنصور :
ما لك أرابك شىء ؟ قال : نعم ، هذا رجلٌ يعطيك من لسانه ما ليس فى قلبه ،
والله يا أمير المؤمنين ما صدّقتك ما فى نفسه ، إن الذين يؤلّهم غيرك . فقال له
المنصور : مهلاً ! هذا شاعرنا^(٤) وولينا ، وما عُرف منه إلا الصدقُ فى المحبّة
والإخلاصُ والطاعة ، فقال له السيدّ : والله يا أمير المؤمنين ما حُلتْ عنكم لأحد

(١) ما بين القوسين ساقط من ت ، والتكلمة من الأغاني .

(٢) فى ت : مأخوذ .

(٣) فى ت : محبوس .

(٤) فى ت : ساعدنا .

وَمَا وَجَدْتُ أَبَوَيَّ عَلَيْهِ فَاقْتَدَيْتُ^(١) بِهِمَا وَمَا زِلْتُ مَشْهُورًا بِمُؤَالَاتِكُمْ فِي أَيَّامِ عَدُوِّكُمْ .
فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ . قَالَ : وَلَكِنْ هَذَا وَأَهْلُوهُ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَأَعْدَاءُ رَسُولِهِ قَدِيمًا ، وَالَّذِينَ
نَادَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وِرَاءِ الْحُجُرَاتِ فَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ أَنْ
« أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » وَجَرَى بَيْنَهُمَا خِطَابٌ طَوِيلٌ .

فَقَالَ السَّيِّدُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

قُمْ بِنَا يَا صَاحِرَ وَأَرْبَعَ بِالْمَعَانِي الْمَوْحِشَاتِ
يَا أَمِينَ اللَّهِ يَا مَنْدُ صُورَ يَا خَيْرَ الْوُلَاةِ
إِنَّ سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَهُ مِنْ شَرِّ الْقَضَاةِ

وَذَكَرَ الْقَصِيدَةَ الْمَتَقَدِّمَةَ إِلَى أَنْ قَالَ :

فَاكْفِنِيهِ لَا كِفَاهُ اللَّهُ شَرَّ الطَّارِقَاتِ

فَشَكَاهُ سَوَّارَ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهِ مُعْتَذِرًا فَصَارَ إِلَيْهِ

فَلَمْ يَعْذِرْهُ فَقَالَ :

أَتَيْتُ دَعِيَّ بَنِي الْعَنْبَرِ أَرُومَ أَعْتَذَارًا فَلَمْ يَعْذِرْ^(٢)
فَقَلْتُ لِنَفْسِي وَعَاتَبْتُهَا عَلَى اللَّوْمِ فِي فِعْلِهَا أَفْصِرِي
أَيَعْتَدِرُ الْحُرُّ فِيمَا^(٣) أَتَى إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ
أَبُوكَ ابْنُ سَارِقِ عَزَّ النَّبِيُّ وَأُمُّكَ بِنْتُ^(٤) أَبِي جِحْدَرِ
وَنَحْنُ عَلَى رِغْمِكَ الرَّافِضُؤُ نَ لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالْمُنْكَرِ

(١) فِي غ : فَاقْتَدَيْتُ .

(٢) فِي غ : أَعْذِرُ .

(٣) فِي غ : مِمَّا .

(٤) فِي ت : تَحْتَ « تَحْرِيفٌ » .

وبلغ السَّيِّدُ أَنَّ سَوَّارًا قَدْ أَعَدَّ جَمَاعَةً يَشْهَدُونَ عَلَيْهِ بِسُرْقَةِ لَيْقُطَعِهِ ؛ فَشَكَاهُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ ؛ فَدَعَا بِسَوَّارٍ وَقَالَ لَهُ : قَدْ عَزَلْتُكَ عَنِ الْحُكْمِ عَلَى السَّيِّدِ وَالنَّظَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ فَمَا تَعَرَّضَ لَهُ بِسُوءٍ حَتَّى مَاتَ .

وَلَمَّا مَاتَ سَوَّارٌ أُخْرِجَ عِشَاءً وَحُفِرَ لَهُ فَوْقَ الْحَفْرِ فِي مَوْضِعٍ كَنِيْفٍ .

وَمَاتَ عَقِبَ يَوْمِ عَبَّادٍ ^(١) بِنِ حَبِيبِ بْنِ الْمُهَلَّبِ .

وَكَانَ بَيْنَ الْأَزْدِ وَبَيْنَ تَمِيمٍ عِدَاوَةٌ فَهَجَا السَّيِّدُ سَوَّارًا فِي قَصِيدَةٍ رَثِيَ بِهَا عَبَّادًا

وَدَفَعَهَا إِلَى نَوَاحِ الْأَزْدِ لَمَّا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ تَمِيمٍ :

يَا مَنْ غَدَا حَامِلًا جُثْمَانَ ^(٢) سَوَّارٍ مِنْ دَارِهِ ظَاغِنًا مِنْهَا إِلَى ^(٣) النَّارِ

لَا قَدَسَ اللَّهُ رُوحًا كَانَ هَيِّكَلَهَا ^(٤) فَقَدْ مَضَى ^(٥) بِعَظِيمِ الْخِزْيِ وَالْعَارِ

حَتَّى هَوَتْ قَعْرُ بُرْهُوتٍ ^(٦) مَعْدَبَةٌ وَجِسْمُهُ فِي كَنِيْفٍ بَيْنَ أَقْدَارِ

وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى هَجْوِهِ فِي حَيَاتِهِ لِئَنَّهُ الْمَنْصُورُ لَهُ عَنْ ذَلِكَ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : كَانَ السَّيِّدُ يَأْتِي الْأَعْمَشَ ^(٧) فَيَكْتُبُ عَنْهُ فِضَائِلَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ

وَيُخْرِجُ مِنْ عِنْدِهِ فَيَقُولُ فِي تِلْكَ الْمَعَانِي شِعْرًا . نَخْرُجُ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ عِنْدِ بَعْضِ أَمْرَاءِ

الْكُوفَةِ وَقَدْ خَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ فَوْقَ الْكُنَّاسَةِ وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْكُوفِيِّينَ ،

مَنْ جَاءَنِي مِنْكُمْ بِفَضِيلَةٍ لِعَلِّيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَمْ أَقُلْ فِيهَا شِعْرًا فَلَهُ فَرَسِي هَذَا . فَجَعَلُوا

(١) فِي غَ : فَمَاتَ عَقِبَ مَوْتِهِ عَبَّادٌ .

(٢) فِي تَ : جِثْمَانٌ .

(٣) فِي تَ : لَكَ .

(٤) فِي تَ : مِنْ كَلْبِهَا .

(٥) فِي غَ : مَضَتْ .

(٦) بُرْهُوتٌ : بئر عميقة بحضرموت لا يستطيع النزول إلى قعرها ، وكانوا يدعون أنها

مأوى أرواح الكفار والمنافقين .

(٧) الْأَعْمَشُ هُوَ سُلَيْمَاتُ بْنُ مَهْرَانَ مَوْلَى بَنِي كَاهِلِ الْكُوفِيِّ الْإِمَامِ ، كَانَ ثِقَّةً عَالِمًا فَاضِلًا .

يحدُّونه ويُنشدُّهم فيها؛ حتى أتاه رجل فقال له: إن أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه عزم على الركوب فليس ثيابه وأراد لبس الخُفِّ فليس أحدٌ خُفَّيه، ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه فأقضَّ عُقابٌ من السماء فخلق به ثم ألقاه فسقط منه أسودٌ^(١) فانساب فدخل جُحرًا فلبس عليُّ الخُفَّ. قال: ولم يكن السيّد قال في ذلك شعرا ففكر هنيهة ثم قال: قد قلت .

ألا يا قوم للمعجبِ العجّاب	خُفَّ أبي الحسين وللجُبّاب ^(٢)
أتى خُفًّا له فانساب فيه	لينهش رجله منه بنسَاب
نخر من السماء له عُقابٌ	من العقبان أو شبه العقاب
فطار به فخلق ثم أهوى	به للأرض من دون السحاب
إلى جُحرٍ له فانساب فيه	بعيد القعر لم يُرْفَع بيباب
كرّبه الوجه أسودٌ ذو بصيص	حديدُ النَّابِ أزرقُ ذو أعاب
ودُوفع عن أبي حسن عليّ	تقيحُ سمامه بعد انسياب
وحرّك فرسه ثم مضى وجعل تشبيها ^(٣)	بعد ذلك :

صبوتُ إلى سُلَيْمَى والرَّبَابِ وما لأخي^(٤) المشيبِ وللتصابي^(٥)

وقد روى أبو الفرج مؤلف هذه المنقبة لعليّ رضی الله عنه بسنده عن مشايخه أنّ عليا رضی الله عنه قام لظُهر الصلاة فترع خفه، فانسابت فيه أفعى ثم عاد ليلبسه فاقضت عُقاب فأخذته فخامت به ثم ألقته فخرجت الأفعى منه .

(١) الأسود: العظيم من الحيات .

(٢) الجباب: الحية .

(٣) فت: ينشدها « تحريف » .

(٤) فت: لاح « تحريف » .

(٥) فت: والشباب « تحريف » .

وقد رُوِيَ مثل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد حاجة تباعد حتى لا يراه أحد فذهب مرة لحاجته فترع خفه فإذا عُقاب قد تدلَّى فرفمه فسقط منه أسودٌ صالح . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم إني أعوذ بك من شرِّ ما يمشی على بطنه ومن شرِّ ما يمشی على رجلين ومن شرِّ ما يمشی على أربع ومن شرِّ الإنسِ والجن » .

خرج السيّد من منزل نصر بن مسعود كاتب عُقبة بن سلم فلما كان بزهران لقيته بنتُ الفُجاءة بن عمرو بن قطريّ بن الفُجاءة ، وكانت امرأةً برزّةً حسناء فصيحة ، فرافقها السيّد وتخطب معها وأنشدها من شعره بتجْميش . فأعجب كلُّ واحد منهما صاحبه . ثم خطبها ، فقالت : كيف هذا ونحن على ظهر الطريق ؟ فقال : يكون كنيكاح أم خارجة ، قيل لها : خطب ، فقالت : نكح . فضحكت وقالت ننظر في هذا وعلى ذلك فمن أنت ؟ فقال :

إنّ تسأليني بقوى تسألني رجلاً	في ذروة العزّ من أحياء ذى يمن
حولى بها ذو كلاع في منازلها	وذو رعين وهمدان وذو يزن
والأزدُ أزد عمان الأكرمون إذا	عدت ماثرهم في ساف الزمن
بانت كرىمتهم عنى فدارهم	دارى وفي الرّحب من أوطانهم وطنى
لى منزلان بلحجج منزل وسط	منها ولى منزل للعزّ فى يمن ^(١)
ثم الولاء الذى أرجو النجاة به	من كبة ^(٢) النار للهادى أبى حسن

فقالت : قد عرفتك ولا شئ أعجب من هذا : يمانى وتيمية ، ورافضى وإباضية ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحسن رأيك وبسُخو نفسك ، لا يدكرن

(١) فى غ : عدن .

(٢) فى ت : كفة .

أحدٌ سَلَفًا ولا مَذْهَبًا . قالت : أليس التَّزْوِجُ إِذَا تَجَلَّى انكشف معه المستور
وظهرت حَفِيَّاتُ الأُمُور ! قال : فأنا أَعْرِضُ عَلَيْكَ أُخْرَى . قالت : ما هي ؟ قال :
الْمُتَعَّةُ التي لا يعلم بها أحد . قالت : تلك أُخْتُ الزُّنَانِ . قال : أعيذك بالله أن تكفُرِي
بالقرآن بعد الإيمان ! قالت : وكيف ذلك ؟ قال : قال الله عز وجل : « فَا سْتَمْتِعْتُمْ
بِهِ مِنْهُنَّ فَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ
الْفَرِيضَةِ » فقالت : أَسْتَخِيرُ اللهَ تَعَالَى وَأُقَلِّدُن إِذْ كُنْتَ صَاحِبَ قِيَاسٍ . ففعلت .
وانصرفت معه وبات مُعْرِسًا بها . وبلغ أمرها أهلها من الخوارج فتوعدوها بالقتل ،
وقالوا : تزوجت بكافر ! فَجَحَدَتْ ولم يملوا بالمتعة ولم تزل تختلِفُ إليه مُدَّةً
على هذا السبيل من المتعة حتى أفتراقا .

قال المُعَيَّرُ : كنتُ مع السَّيِّدِ الحَمِيرِيِّ على باب عُقْبَةَ بنِ سَلَمٍ ومعنا ابنُ سَلِيمَانَ
ابنِ عَلِيٍّ فننظره وقد أُسْرِجَ له لَيْرٌ كَب . فقال ابنُ سَلِيمَانَ بنِ عَلِيٍّ يُعْرِضُ بِالسَّيِّدِ :
أشعر الناس الذي ^(١) يَقُولُ :

محمدٌ خيرٌ من يمشي على قَدَمِ
وصاحبه وعثمانُ بنُ عَفَّانَا

فوثب السَّيِّدُ إليه وقال : أشعر منه الذي يقول :

سائلٌ قريشًا به إن كنت ذا عمه من كان أئمتها في الدين أوتادًا

من كان أعلمها علمًا وأحكمها حكمًا ^(٢) وأصدقها قولًا وميعادًا

إن يصدُّوك فلو يعدوا أبا حسن إن أنت لم تلق للأبرار حُسادًا

ثم أقبل على الهاشمي فقال : يا فتى ، ما نعم الخلف أنت لشريف سلفك ؛
أراك تهديم شرفك ، وتتلب سلفك ، وتسمى بالعداوة وتفصيل من لا يشرف

(١) في ت : التي « تحريف » .

(٢) في غ : أحلمها حلما .

على مَنْ شَرَفَكَ مِنْهُ وَفَضَّلَكَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَسَأْخِبَ عَنْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذَا حَتَّى يَضَعَكَ مَوْضِعَكَ الَّذِي تَسْتَحِقُّهُ ، فَوَثِبَ الْفَتَى حَجَبًا وَلَمْ يَنْتَظِرْ عُقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ صَاحِبَ الْخَبَرِ بِذَلِكَ فَمَا خَرَجَ لِرُكُوبِهِ حَتَّى خَرَجَتْ الْجَائِزَةُ لِلسَّيِّدِ .

وكان السيد قديم الأهواز وأبو بَجَيْرِ بْنِ سِمَاكٍ^(١) الأَسَدِيُّ يَقُولُ لَهَا ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا . وَكَانَ مُدَشِّعًا . فَذَهَبَ السَّيِّدُ إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْأَهْوَازِ فَتَزَلَّ بِهِمْ وَشَرِبَ عِنْدَهُمْ ؛ فَلَمَّا أَمْسَى أَنْصَرَفَ ، فَأَخَذَهُ الْعَسَسُ فَحَبَسَهُ . فَكَتَبَ مِنْ غَدٍ إِلَى يَزِيدِ بْنِ مَدْعُورِ مَوْلَى أَبِي بَجَيْرِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ ، فَدَخَلَ عَلَى أَبِي بَجَيْرِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ جَنَيْتَ عَلَيَّكَ صَاحِبُ عَسَسِكَ بِمَا لَا قِوَامَ لَكَ بِهِ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : هَذِهِ آيَاتُ كَتَبَ بِهَا السَّيِّدُ مِنَ الْحَبْسِ :

قِفْ بِالْدِّيَارِ فَحَيِّهَا يَا مَرْبَعٍ وَأَسْأَلُ وَكَيْفَ يُجِيبُ مَنْ لَا يَسْمَعُ
إِلَى آخِرِهَا فَلَمَّا سَمِعَهَا أَبُو بَجَيْرٍ دَعَا بِصَاحِبِ عَسَسِهِ فَسَبَّهُ وَقَالَ : جَنَيْتَ عَلَيَّ
مَا لَا يَدَلِّي^(٢) بِهِ ، فَذَهَبَ صَاحِرًا إِلَى الْحَبْسِ فَأَخْرَجَ أَبَا هَاشِمٍ وَاجْمَلَهُ عَلَى دَابَّتِكَ وَامْشِ
مَعَهُ صَاحِرًا حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ ، فَفَعَلَ . وَأَتَى إِلَى الْحَبْسِ فَلَمْ يَجِبْهُ السَّيِّدُ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَّا بَعْدَ
أَنْ يُطْلِقَ لَهُ كُلَّ مَنْ أَخَذَ مَعَهُ . فَعَادَ إِلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَقُلْ أَخْرَجْتَهُمْ
وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَالًا ، فَمَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى خِلَافِهِ ؛ أَفَعَلَّ مَا أَحَبَّ بِرِغْمِ أَنْفِكَ
نَفَلِي سَبِيلَهُ وَسَبِيلَ كُلِّ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَجَاءَ بِهِ إِلَى أَبِي بَجَيْرٍ فَتَنَاوَلَهُ بِلِسَانِهِ وَقَالَ :
قَدِمْتَ عَلَيْنَا فَلَمْ تَأْتِنَا وَأَتَيْتَ أَصْحَابَكَ الْفُسَّاقَ وَشَرِبْتَ مَا حُرِّمَ عَلَيْكَ حَتَّى جَرَى
مَا جَرَى ؛ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ لَهُ أَبُو بَجَيْرٍ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ وَجَمَلِهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ مَدَّةً .

(١) في ت : أبو يحيى بن أبي سماك « تحريف » وقد تكرر ذكر اسم أبي يحيى محرفا .

(٢) في ت : لك .

ورأى أبو يحيى وجه السيد مُتَغَيَّرِ اللون ، فسأله عن خبره فقال : فقدتُ
الشرابَ الذى أَلْفِتَه لِكِرَاهَةِ الأَمِيرِ فيه ، قال : فأشربَه فإِنَّا نَحْتَمِلُه لك . قال :
ليس عندى ، فقال لِكاتبه : فاكتب له بمائتى دورق مِيخْتَجِ^(١) ، فقال له السيد :
ما هذا العيِّ ؟ فقال : وأى عيِّ ترى ؟ قال : البلاغة أن تأتى من الكلام بما يُحتاج
إليه دون ما يُستغنى عنه . قال : فكيف أقول ؟ قال : أكتب بمائتى دورق « عيِّ »
ولا تكتب « بختج » فإنك تستغنى عنه . فضحك ، وقال : اكتبوا بذلك ، فكتب به
قال : والعيِّ : الخمر^(٢) . وبختج : مطبوخ .

وروى عن السيد أَنَّهُ رَأَى النَبِيَّ صلى الله عليه وسلم فى النوم .
فاستنشه فأنشده قوله :

لَأُمِّ عمرو باللوى مَرَبَعِ طامسة أعلامه بلقع
حتى انتهى إلى قوله :

قالوا له لو شئت أعلمتنا إلى من الغايةُ والمَفْزَعِ

فقال : حسبك ؛ ثم نهض^(٣) وقال : قد والله أعلمتهم .

وروى أبو داود وإسماعيل بن السَّاحِرِ أَنهما حضرا السيّد عند وفاته بواسطة
وقد أصابه شَرٌّ^(٤) وكربٌ فجلس ثم قال : اللهم هذا كان جزأى فى حُبِّ آلِ محمد !
فكأنها كانت ناراً أَطْفِئَتْ عنه .

(١) ميختج : كلمة فارسية مركبة من لفظين : « مى » ومعناها النبيذ أو الخمر و « بختج »

أى مطبوخ .

(٢) فى غ : النبيذ .

(٣) فى غ : نقض يده .

(٤) الشرى : داء يأخذ فى الجلد أحمر كهيشة الدراهم .

قال أبو جعفر المنصور : بلغني أن السيد مات بواسطة فلم يدفنوه . فوالله إن
تحقق^(١) عندي ذلك لأحرقنّها !

قال عبّاد بن صهيب : كنت عند جعفر بن محمد فأتاه نعيُّ السيد ، فدعاه له
وترحم عليه فقال له رجل : يا ابن رسول الله إنه يشرب الخمر ويؤمن بالرجعة !
فقال : حدثني أبي عن جدّي أن مُحسبي آل محمد لا يموتون إلّا تائبين وقد تاب ،
ورفع مُصلّي كان تحته ، وأخرج كتاباً من السيد يعرفه أنه قد تاب ويسأله الدعاء
قال بشير^(٢) بن عمار : حضرت وفاة السيد بالرميلة ببغداد ، فوجه رسولا إلى
صف الخزازين^(٣) الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته ؛ فغلط الرسول فذهب إلى صوف
السّموسين ، فشموه ولعنوه ؛ فعلم أنه قد غلط فعاد إلى الكوفيين فأعلمهم أنه قد
احتضر ؛ فوافاه سبعون رجلا معهم سبعون كفنًا وحضروا جميعا وإنه ليسود
وجهه وما يتكلم إلى أن أفاق إفاقة وفتح عينيه ونظر إلى ناحية القبلة وقال :
يا أمير المؤمنين أيفعل هذا بوليّك ! « قالها ثلاث مرات » قال : فتجلى والله في
وجهه عرفٌ بياض فما زال يتسع ويلبس وجهه حتى صار كالبدر وتوفّي فجهرناه
ودفناه في خلافة الرّشيد .

(١) في ت : حق .

(٢) في ت : بشر .

(٣) في غ : الجزارين .

امرؤ القيس

(هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حُجْر آكل المران بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتَع . وقيل: امرؤ القيس ابن حَجْر بن الحارث بن عمرو بن حَجْر آكل المران بن عمرو بن معاوية بن الحارث ابن يَعْرُب^(١) بن ثور بن مُرْتَع بن معاوية بن كِنْدَةَ على اِخْتِلَاف فيه .

وقالوا : كِنْدَةَ بن مُرْتَع بن عَفِير^(٢) بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّة بن عَدِيّ ابن أدد بن عَمْرُو بن مِسْمَع^(٣) بن عَرِيب بن عمرو بن زيد بن كهلان .

(وأم امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كَلِيب ومُهَلِّهَل

ابن ربيعة .)

وقال من زعم أنه امرؤ القيس بن السَّمَط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية ابن ثور : إنَّ أُمَّ امرئ القيس تَمَلِك بنت عمرو بن زُبَيْد بن مَدْحِج رهط عمرو بن معدى كرب . وقد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال :

أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً ۖ بَانَ أَمْرًا الْقَيْسُ بِنَ تَمَلِكَ بَيِّقَرَا

أى نزل العراق ونزل أهله البادية . ويقال بَيِّقَر الرجل إذا هَاجَرَ .

وقيل : أُمَّ حُجْرَ أَبِي امْرِئِ الْقَيْسِ أُمَّ قَطَامَ بِنْتِ سَلَمَةَ امْرَأَةٍ مِنْ كِنْدَةَ^(٤) .

(١) في ت : يعقوب .

(٢) في ت : عفر .

(٣) في ت : هميسع .

(٤) في غ : عنزة .

وَكُنْيَةٌ : امرئ القيس أَبُو وَهَب . وكان يقال له : الملك الضَّمِّل وقيل له أيضا :
ذُو القُروح . وإياه عنى الفرزدق بقوله :

وَهَبَ القِصائِدَ لى النوايغُ إِذْ مَضَوْا وَأَبُو يَزِيدٍ وَذُو القُروحِ وَجَرُولُ
يعنى بِأبى يَزِيدٍ : المُخَبَّل السَّعْدى ، وَجَرُولُ : الحُطَيْثَةُ .

وولد امرؤ القيس ببلاد بني أسد .

وسمى كِنْدَةَ لأنه كند أباه أى عقه .

وسمى مُرْتَع بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرْتَعاً له ولما شئته .

وسمى حُجْرٌ آكل المرار لأنه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جبلة كان نائماً فى

حِجْرٍ امرأته هند وكانت تَقْلِيهِ جعل يأكل المرار « وهو نبت شديد المرارة » وهو
لا يَدْرِى من الغيظ .

وقيل : بل قالت هند للحارث وقد سألها : ما ترين حُجراً فأعلا : قالت : كأنك به

قد أدركك فى الخيل وهو كأنه بعير قد أكل المرار ، وسمى عمرو المقصور لأنه قَصِرَ^(١)
على ملك أبيه أى أقعد فيه كرها .

وكان أخوه عمرو^(٢) الجون على اليمامة ، وأُمُّهُما شُعْبَةُ ابنة أبى مُعَاوِيَةَ بن حسان

ابن عمرو بن تبع^(٣) .

ولما مات ملك بدمه ابنه الحارث وكان شديد الملك بعيد الصيت^(٤) .

ولما ملك قُبَاذُ بن قَيْرُوزٍ خرج فى أيام ملكه رجل يقال له : مَرْدُكٌ فدعا الناس

(١) فى ت : أقصر .

(٢) فى غ : معاوية .

(٣) فى ت : حادر بن ربيع .

(٤) فى ت : الصوت « تحريف » .

إلى الزندقة وإباحة الحرم والأباحتهم واحد منهم أخاه ما يريد من ذلك . وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملاً على الحيرة ونواحيها فدعاه قبأذ إلى الدخول معه في ذلك فأبى . فدعا الحارث بن عمرو فأجابه ؛ فشدّد له في ملكه وطرد^(١) المنذر عن مملكته وغلب عليها . وكانت أمُّ أنوشروان يوماً بين يدي قبأذ ، فدخل عليه مزدك . فلما رأى أمَّ أنوشروان قال لقبأذ : ادفعها إلى لأقضى حاجتي منها ؛ فقال : دونكها . فوثب إليه أنوشروان فلم يزل يسأله ويتضرّع إليه أن يهب إليه أمه حتى قبّل رجله فتركها ؛ فكانت تلك في نفسه . فهلك قبأذ على تلك الحال .

وملك أنوشروان مجلس في مجلس الملك . وبلغ المنذر هلاك قبأذ وقد علم خلاف ولده أنوشروان عليه فأقبل عليه فأذن أنوشروان للناس ودخل عليه مزدك ثم دخل المنذر . فقال أنوشروان : إني تمنيت أمنيّتين أرجو أن يكون الله عز وجل قد جمعهما [لي فقال مزدك : و] ما^(٢) هما أيها الملك ؟ قال : تمنيت أن أملك فأستعمل هذا الرجل الشريف^(٣) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة . فقال مزدك : أنتستطيع أن تقتل الناس جميعاً؟! فقال : أنت هاهنا يا ابن الزانية ! والله ماذهب نتن جوربك من أنفي مذ يوم قبّلتُ رجلك إلى يومي هذا ! ثم أمر به فقتل وصُلب ، وأمر بقتل الزنادقة فقتل منهم ما بين جازر^(٤) إلى النهروان إلى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق . وطلب^(٥) أنوشروان الحارث بن عمرو ؛ فبلّغه ذلك وهو بالأبصار فخرج هارباً في ماله^(٥) وولده .

(١) في غ : وأطرد .

(٢) بياض بالأصل والتسكيلة من غ .

(٣) يعنى بالشريف المنذر .

(٤) جازر : قرية من نواحي النهروان . وفي ت : حارد « تحريف » .

(٥) بياض بالأصل والتسكيلة من غ .

وإنَّمَا سَمَّيْتَ الْأَنْبَارَ لِأَنَّ أَهْرَاءَ^(١) الطَّعَامِ كَانَتْ بِهَا وَهِيَ الْأَنْبَارُ فَمَرَّ الْحَارِثُ
بِالنُّوْبَةِ^(٢) (وَتَبِعَهُ الْمُنْذِرُ بِالْحَيْلِ مِنْ تَغْلِبٍ وَإِيَادٍ وَبَهْرَاءٍ فَلَحِقَهُ بِأَرْضِ كَلْبٍ فَفَنَجَا،
وَاتَهَبُوا مَالَهُ وَهَجَّأْتُهُ وَأَخَذَتْ بَنُو تَغْلِبِ ثَمَانِيَةَ وَأَرْبَعِينَ نَفْسًا مِنْ بَنِي آكَلِ الْمُرَارِ
فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى الْمُنْذِرِ فَضْرَبَ رِقَابَهُمْ بِحُفْرَةِ الْأَمْلَاكِ مِنْ دِيَارِ بَنِي مَرِينَا^(٣) الْعِبَادِيِّينَ
بَيْنَ دَيْرِ هِنْدٍ وَالْكُوفَةِ . فَذَلِكَ قَوْلُ عَمْرٍو بْنِ كُثَيْمٍ :

— فَأَبَوْا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفِّدِينَ
— مَلُوكٌ مِنْ بَنِي حُجْرٍ بِنِ عَمْرٍو يُسَاقُونَ الْعَشِيَّةَ يُقْتَلُونَ^(٤)
فَلَوْ فِي يَوْمٍ مَعْرَكَةٍ أُصِيبُوا وَلَكِنْ فِي دِيَارِ بَنِي مَرِينَا
فَلَمْ تُغْسَلْ جَمَاعَتُهُمْ بِغَسَلٍ وَلَكِنْ فِي الدَّمَاءِ مَرْمَلِينَا
تَظَلُّ الطَّيْرُ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ وَتَنْتَزِعُ الْحَوَاجِبَ وَالْعِيُونَا

وَمَضَى الْحَارِثُ فَأَقَامَ فِي أَرْضِ كَلْبٍ . وَكَلْبٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ قَتَلُوهُ . وَعُلَمَاءُ كِنْدَةَ
يَزْعُمُونَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ فَأَلْظَ^(٥) بَتَيْسٍ مِنَ الطَّبَّاءِ فَأَعْجَزَهُ .

وَأَلَى أَلْيَّةٍ أَلَا يَأْكُلُ أَوَّلَ أَكْلَةٍ إِلَّا مِنْ كَبِدِهِ وَطَلَبْتَهُ الْحَيْلُ ثَلَاثًا فَأُتِيَ بِهِ بَعْدَ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَجُوعًا فَشَوَى لَهُ بَطْنُهُ فَتَنَاوَلَ فَلِدَّةً مِنْ كَبِدِهِ حَارَّةً فَأَكَلَهَا فَحَاتَ . وَفِي
ذَلِكَ يَقُولُ الْوَلِيدُ بْنُ عَدِيِّ الْكِنْدِيِّ فِي أَحَدِ بَنِي بَجِيلَةَ :

فَشَوُوا وَكَانَ شَوْأَهُمْ حَتْفًا^(٦) لَهُ إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تُجِلُّ جَلِيلًا

(١) الأهراء : الأكوام . وفي ت : أهداء « تحريف » .

(٢) النوبة : موضع قريب من الكوفة وقيل بالكوفة .

(٣) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة .

(٤) في غ : نسب هذا البيت والأبيات الثلاثة التي تليه لامرئ القيس .

(٥) أظ به : لزمه وألح عليه ليصطاده .

(٦) في غ : خطا .

وقيل : إن قباد بن فيروز لم يملك الحارث بن عمرو وأن تبعاً الأخير هو الذي ملكه .

ولما أقبل المنذر إلى الحيرة وهرب الحارث تبعته خيل المنذر فقتلت ابنه عمراً وقتلوا ابنه مالكا بهيت^(١) وصار الحارث إلى مسحلان فقتلته كلب وقيل : مكث فيهم حتى مات حتف أنفه .

ولما قتل الحارث بن أبي شمر الفسائي عمرو بن حنجر ملك بدمه ابنه الحارث بن عمرو ، وأمه بنت عوف بن محلم بن ذهل الشيباني ونزل الحيرة .

فلما تفاسدت القبائل من زرار أثارهم فقالوا : إننا في دينك ونحن نخاف أن تغفاني مما يحدث بيننا ، فوجه معنا بنميك يزلون^(٢) فينا فيكفون بعضنا عن بعض .

ففرق ولده في قبائل العرب ، فملك ابنه حنجر على أسد وغطفان ، وملك ابنه شر حنبل قتييل يوم الكلاب^(٣) على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة

ابن تميم وبني أسد بن عمرو بن تميم وطوائف من بني عمرو بن تميم والرّباب ، وملك ابنه معد يكرّب وهو غلفاء^(٤) « سمي بذلك لأنه كان يغلف رأسه » على بني تغلب

والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بن حنظلة ، والصنائع وهم بنو ربيعة قوم كانوا يكتنون مع الملوك من شدّاذ العرب . وملك ابنه سلمة على

قيس .

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد .

(٢) في ت : يقولون .

(٣) الكلاب بضم أوله : اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، وقيل ماء بين جبلة وشام :

وكان للعرب يومان مشهوران بيوم الكلاب : « انظر معجم البلدان لياقوت » .

(٤) كذا في غ والناموس واللسان (غلف) .

وقيل: إن حُجراً كان في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة لمؤنته^(١) فقصرُوا بذلك فبعث إليهم جابيه الذي كان يخدمه^(٢) ففكلم بذلك - وحجر يومئذ بهامة - فضربوا رُسله. فبلغ ذلك حُجراً، فسار إليهم بجند من ربيعة وجند من عند^(٣) أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم وأخذ مرآتهم فجعل يُقتلهم بالعصا وأبأح الأموال وسيرهم إلى تهامة وآلى بالآية لا يساكنونه أبداً في بلد، وحبس منهم عمرو ابن مسعود بن كلدة^(٤) بن فزارة^(٥) الأسدي وكان سيِّداً، وعبيد بن الأبرص الشاعر. فسارت بنو أسد ثلاثاً.

ثم إن عبيد بن الأبرص قال: أيها الملك أسمع مقالتي، وقال:

يا عينُ فابكي ما بنى	أسدٍ فهم أهلُ الندامة
أهلَ القبابِ الحمرِ والدِّ	عمِّ الموبلِ والمدامة
وذوي الجيادِ الجردِ وال	أسلِ الثقفَةِ القامة
حِلاَ آيتِ اللعنِ حِلا	إنَّ فيما قلتِ آمة
في كلِّ وادٍ بينَ يث	ربِّ فالقُصورِ إلى اليمامة
تصويت ^(٦) عانٍ أو صياً	حُحرقِ أو صوتُ هامة
ومنعتهم نجداً فقد	حلُّوا على وجلِ تهامة
برمت بنو أسدٍ كما	برمت ببيضتها النمامة ^(٧)

(١) في غ: مؤنته .

(٢) في غ: يجيهم .

(٣) في غ: جند .

(٤) كذا في ت وتجريد الأغاني، وفي غ: كندة .

(٥) في ت: ولده .

(٦) في غ: تطريب !

(٧) في غ: الحمامة .

مهما تركت تركت عفة وا أو قتلت فلا ملامه
أنت المليك^(١) عليهم وهم العبيد إلى القيامة
ذلوا لسطوك^(٢) مثل ما ذل الأشيقر^(٣) ذوا الخزامه^(٤)

قال : فرق لهم حُجْر حين سمع قوله ، فبعث في آثارهم فأقبلوا . حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم ، وهو عوف بن ربيعة بن عامر بن سواة^(٥) ابن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، فقال لبني أسد : يا عبادي ! قالوا : لبيك ربنا . قال : من الملك الأصهب^(٦) الغلاب غير المغلب ، في الإبل كأنها الربرب لا يفلق رأسه المنجب^(٧) ، هذا دمه ينثعب وهو غدا أول من يُسلب . قالوا : ومن هو يا ربنا ؟ قال : لولا أن تجيش نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حُجْر ضاحية . فركبوا كل صعب وذلول ؛ فما أشرق عليهم النهار حتى باغوا عسكر حُجْر فجمعوا على قبته وكان حُجْابه من بني الحارث بن سعد يقال لهم : بنو خدان بن خنثر ، منهم معاوية والحارث^(٨) وشيب^(٩) ورقيمة ومالك وحبيب ، وكان حِجر قد أعتق أباهم من القتل . فلما نظروا إلى القوم يريدون قتله جثوا^(١٠)

(١) في ت : الملوك « تحريف » .

(٢) في غ : لسوطك .

(٣) الأشيقر تصغير الأشقر ، وهو الأحمر من الدواب .

(٤) الخزامه : حلقة من شعر تجعل في وتره أنف البعير يشد بها الزمام .

(٥) في غ : سواة .

(٦) في ت : الصليب .

(٧) في غ : لا يعلق رأسه الصخب .

(٨) في غ : معاوية بن الحارث .

(٩) في ت : شيت .

(١٠) في غ : خيموا .

عليه ليمعوه ويجيروه (١) فأقبل علباء بن الحارث الكاهلي ، وكان حُجْرٌ قد قتل أباه ، فطعنه من خلفهم فأصاب نساءً فقتله . فلما قتله قالت بنو أسد : يامعشر كنانة وقيس ، أنتم إخواننا وبنو عمنا ، والرجل بعيد النسب منا ومنكم ، وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع (١) بكم هو وقومه . فأنهبوهم فشدوا على هجائنه فمزقوها ولقوه في رِيْطَةِ بِيضَاءٍ وطرحوه على ظهر الطريق . فلما رأته قَيْسٌ وكنانة انهبوا أسلابه . ووئب عمرو بن مسعود فضم عياله وقال : أنا لهم جار .

وعِدَّةٌ قبائل من بني أسد يدعون قتل حُجْرٍ ويقولون : إن علباء كان الساعي عليه وصاحب الشورة في قتله ولم يقتله هو (٢) وخدّان في بني تميم (٢) وفي بني جديله بالخاء مفتوحة ، وخدّان بالخاء مضمومة في الأزْد ، قالوا : وليس في العرب غير هؤلاء .

وقيل : إن حُجْرًا لما خاف من بني أسد استجار عُوَيْرَ بن شَجْنَةَ أحد بني عَطَارِدِ ابن كعب بن زيد مَنَاءَ بن تميم لبنته هند وعياله وقال لبني أسد لَمَّا كَثَرُوا : أمّا إن كان هذا شأنكم فإني مرتحل عنكم ومُخَلِّكُمْ وشأنكم ، فوادعوه (٣) على ذلك . ومال مع خالد بن خدّان أحد بني سَعْدِ بن ثعلبة . فأدركه علباء بن الحارث أحد بني كاهل فقال : يا خالد اقتل صاحبك لا يُفِلت فيعرك (٤) وإيانا بشر ، فامتنع خالد ومر علباء بقصدة رمح مكسورة فيها سنابها فطعن خاصرة حُجْرٍ وهو غافل فقتله ، ورجع عنه . ففي ذلك يقول الأسدی :

وقصدةُ علباء بن قيس بن كاهل منية حُجْرٍ في جوار ابن خدّان

(١) في ت : صنع .

(٢) في غ : أسد .

(٣) في غ : فوادعوه .

(٤) يعرك : يصيبك . وفي ت : فيغزوك .

وقيل : إنه لما أستجار عُويَر بن شحنة لِبَنِيهِ وَقَطِينِهِ^(١) تحوّل عنهم وأقام في قومه ، وجمع لبني أسد جَمًّا كثيرا من قومه وأقبل مُدًّا بمن معه من الجنود . فتوافرت^(٢) بنو أسد وقالوا : والله إن قهركم هذا ليحكمن عليكم حكم الصبي ! فما خيرُ عيش يكون بعد قَهْرٍ وأنتم بحمد الله أشدُّ العرب ! ففوتوا كراما . فساروا إلى حُجْرٍ وقد ارتحل نحوهم فلَقُّوهُ فاقْتَلَوْا قِتَالًا شديدا . وكان صاحب أمرهم عليّاء ابن الحارث ، فحمل على حُجْرٍ فطعمنه فقتله ، وانهزمت كِفْدَةٌ وفيهم امرؤ القيس فهرب على فرسٍ له أشقر فأعجزهم ، وأسروا من أهل بيته رجالًا وقتلوا وملاؤا أيديهم من الغنائم ، وأخذوا جواري حُجْرٍ ونساءه وما كان معه فاقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ .

(وقيل في قتله) إنه كان وفد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه وأقام عنده حتى هلك ، ثم رجع إلى بني أسد وقد كان أغار عليهم وأساء ولا يتهم ، وكان يُقدّم بعضُ ثقله أمامه ويُهَيِّأُ نَزْلُهُ ثم يجيء وقد هَيَّئُ له ما يصلح^(٣) فينزل فيقدّم مثلُ ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فلما دنا من بلاد بني أسد وقد بلغهم موت أبيه طمعوا فيه . فلما أظلمهم وضربت قبايه أجمع بنو أسد إلى نَوْفَلِ بن ربيعة بن خَدَّان ؛ فقال : يا بني أسد من يلقى هذا الرجل منكم فيقتطعه ؟ فإنني قد أجمتُ على الفَتَكِ به . فقال القوم : ما لهذا أحدٌ غيرك . فخرج نَوْفَلِ بن ربيعة في خياله على وجهين من قومه حتى أغار على الثقل فقتل مَنْ وجد فيه ، وساق الثقل وأصاب جَارِيَتَيْنِ لحُجْرٍ وأنى قومه . فلما رأى قومه ما فعل علموا أن حُجْرًا يُقَاتِلُهُمْ وأنهم لا بُدَّ لهم من القتال ، فحشد الناس لذلك . وبلغ حُجْرًا أمرهم ، فأقبل نحوهم ،

(١) القطين : الخدم والحاشية .

(٢) في غ : فتأمرت بنو أسد بينها .

(٣) في غ : يعجبه .

فلما غَشِيَهُمْ نَاحِضُهُ الْقِتَالِ وَهُمْ بَيْنَ أَبْرَقَيْنِ مِنَ الرَّمْلِ فِي بِلَادِهِمْ يُدْعِيَانِ الْيَوْمَ أَبْرَقِي حُجْرَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ حَجْرٌ أَنْ هَرَمُوا أَحْبَابَهُ وَأَسْرَوْهُ فَحَبَسُوهُ . وَتَشَاوَرُوا فِي قَتْلِهِ ؛ فَقَالَ لَهُمْ كَاهِنٌ مِنْ كَهَنَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ حَبَسُوهُ لِيَرَوْا فِيهِ رَأْيَهُمْ : أَيُّ قَوْمٍ ! لَا تَعْمَلُوا بِقَتْلِ الرَّجُلِ حَتَّى أَزْجَرَ لَكُمْ . فَأَنْصَرَفَ عَنِ الْقَوْمِ لِيَنْظُرَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَلْبَاءُ بْنُ الْحَارِثِ خَشِيَ أَنْ يَتَوَاكَلُوا فِي قَتْلِهِ ، فَدَعَا غَلامًا مِنْ بَنِي كَاهِلٍ ، وَكَانَ ابْنُ أُخْتِهِ وَكَانَ حُجْرٌ قَدْ قَتَلَ أَبَاهُ زَوْجَ أُخْتِ عَلْبَاءِ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّ أَعِنْدَكَ خَيْرٌ فَتَنَاءً بِأَبِيكَ (١) وَتَنَالَ شَرَفَ الدَّهْرِ فَإِنْ قَوْمُكَ لَنْ يَقْتُلُوكَ ؟ ! وَلَمْ يَزَلْ بِالْغَلامِ حَتَّى حَرَبَهُ (٢) ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ حَدِيدَةً قَدْ شَحَذَهَا وَقَالَ : ادْخُلْ عَلَيْهِ فِي قَوْمِكَ ثُمَّ اطْعَمُهُ فِي مَقْتَلِهِ . فَعَمِدَ الْغَلامُ إِلَى الْحَدِيدَةِ نَجْبًا ثُمَّ دَخَلَ مَعَ الْأَسَدِيِّينَ إِلَى حُجْرٍ فِي قُبَّتِهِ الَّتِي حَبَسُوهُ فِيهَا . فَلَمَّا رَأَى الْغَلامُ غَفْلَةً وَتَبَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ؛ قَوَّبَ الْقَوْمُ عَلَى الْغَلامِ . فَقَالَتْ بَنُو كَاهِلٍ : نَارُنَا وَفِي أَيْدِينَا . وَقَالَ الْغَلامُ : إِنَّمَا نَارَتْ بِأَبِي فَخَلَّوْا عَنْهُ (وَأَقْبَلُ كَاهِنَهُمْ فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ! قَتَلْتُمُوهُ ! قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : مُلْكُ شَهْرٍ ، وَذُلُّ دَهْرٍ . إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا تَحْطُونَ بِمَدْعَاهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ أَبَدًا .)

(وَمَا طَمَنَ الْأَسَدِيُّ حُجْرًا وَلَمْ يُجْهِزْ عَلَيْهِ أَوْصِي وَدَفَعَ كِتَابَهُ إِلَى رَجُلٍ وَقَالَ : أَذْهَبُ إِلَى ابْنِي نَافِعٍ - وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِهِ - فَإِنْ بَكَى وَجَزِعَ فَأُلْهُ عَنْهُ وَاسْتَقْرِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى تَأْتِيَ عَلَيَّ أَمْرِي الْقَيْسُ - وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ - فَأَيُّهُمْ لَمْ يَجْزِعْ فَادْفَعْ إِلَيْهِ خَيْلِي وَسِلَاحِي وَوَصِيَّتِي وَقُدُورِي . وَقَدْ كَانَ بَيْنَ فِي وَصِيَّتِهِ مَنْ قَتَلَهُ وَكَيْفَ كَانَ خَبْرَهُ ، فَأَنْطَلَقَ الرَّجُلُ بِوَصِيَّتِهِ إِلَى نَافِعٍ ؛ فَأَخَذَ التُّرابَ فَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ اسْتَقْرَاهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا فَكَلَّمَهُمْ فَعَلَّ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى آتَى أَمْرًا الْقَيْسُ فَوَجَدَهُ مَعَ نَدِيمٍ لَهُ يَشْرَبُ

(١) فِي ت : أَعِنْدَكَ خَيْرٌ بِئَارَ بِأَبِيكَ .

(٢) حَرَبَهُ : حَرَشَهُ .

الجر ويلاعبه بالزرد فقال له : قَتِلْ حُجْرًا ، فلم يلتفت إلى قوله ؛ فأمسك نديمه فقال له
أمرؤ القيس : اضرب فاضرب . حتى إذا فرغ قال له : ما كنت لأفسد دَسْتِكَ . ثم
سأل الرسول عن أمر أبيه فأخبره . فقال : الخمر على حرام ، والنساء حرام حتى أقتل
من بنى أسد مائة وأخلق مائة^(١) ثم أنشأ يقول :

أرقت ولم يارق لذلك^(٢) نافع وهاج لي الشوق الهموم الروادع
وقيل : إن حجرا كان طرد امرأ القيس وآلى ألا يُقيم معه أنفة من قول الشعر ،
وكانت الملوك تأنف من ذلك ، وكان يسير في أحياء العرب من طيِّب وكأب وبكر
ابن وائل ؛ فإذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام به فدبج لمن معه في كل يوم ،
وخرج إلى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر فسقاهم وغنته قبيانه
فلا يزال كذلك حتى ينفد ماء الغدير ثم ينتقل عنه إلى غيره . فلما أتاه خبر مقتل أبيه
وهو بدمون من أرض اليمن ، أتاه به رجل من بنى عجل يقال له عامر الأعور
أخو الوصاف فلما أخبره بذلك قال :

تطاول الليل على دُمون دُمون إنا معشر يمانون
وإننا لأهله مُحِبون

(ثم قال : ضيعني صغيرا وحماني دمه كبيرا . لا صحو اليوم ولا سُكْر غدا
« اليوم خمرٌ وغدا أمرٌ » فذهبت مثلا .)
ثم قال :

خليلى ما فى اليوم مصحى لِشارب ولا فى غدٍ إذاك ما كان يُشرب
(ثم شرب سبعا . فلما صحا آلى أليّة ألا يأكل لحما ، ولا يشرب خمرًا ،

(١) فى غ : وأجز نواصى مائة .

(٢) فى غ : لا بى .

ولا يَدَّهِنَ ، ولا يُصِيبَ امرأةً ، ولا يَغْسِلُ رَأْسَهُ من جنابة ، حتى يدرك ثأره ﴿
فلما جَنَّهُ الليل رأى بَرِّقًا فقال :

أرقتُ لبرقٍ بليلاً أَهْلًا يُضِيءُ سَفَاهَ بأعلى الجبلِ
أنا نى حديثٌ وكذبته بأمر تَزَعَزَعُ منه القلْبُ
بقتلِ بنى أسدٍ ربهم ألا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٌ^(١)
فأين ربيعةٌ عن ربها وأين تميمٌ وأين الخولُ
ألا يحضرون لدى بابهِ كما يحضرون إذا ما استهل^(٢)

وقيل : إن امرأ القيس لما قُتِلَ أبوه كان غلاماً قد ترعرع مقبياً في بني حنظلة ،
لأن ظئره كانت امرأة منهم . فلما بلغه قتل أبيه قال :

يا لهفَ هند إذ خَطِئْتُ^(٣) كاهلاً القاتلين الملكِ الحلاحِلا^(٤)
تالله لا يذهب شَيْخِي باطلاً يا خير شيخٍ حسباً ونائلاً
وخيرهم - قد علموا - فواضلاً يحمِلُنَا والأسلَ النواهِلا
وحى صعبٍ والوشيجِ الذابِلا مُستتفِراتٍ بالحصى جِوافِلا^(٥)

يعنى صعب بن علي بن بكر بن وائل . معنى قوله : مستتفرات يعنى أثارَت الحصى
بحوافرها من شدة جريها حتى ارتفع إلى أشفارها فكأنها استتفرت به .

ولما قُتِلَ حُجْر بن الحارث وأخذ بنته وقطينه عُوَيْرُ بن شجينة . قال له قومه :
كُلُّ أموالهم فإنهم ما كولون ، فأبى . فلما كان الليل حمل هنداً وقطينها وأخذ بخِطامِ

(١) جلال : هين .

(٢) في غ : أكل .

(٣) خطي : أخطأ .

(٤) الحلاحل : السيد الكريم .

(٥) جوافل : مسرعات .

جملها وأشأم^(١) بها^(٢) في ليلة طَخِيَا مُدْلِهَمَةَ . فلما أضاء البرق أبدى عن ساقيه
وكانتَا حَمَشَتَيْنِ فقالت له هند : ما رأيت كالليلة سَاقِي وَافِي . فسمعها فقال : يا هند
هما سَاقَا عَاد^(٣) ومَرَّ بها الفِجَاج^(٤) حتى أطلمها نَجْرَان ، وقال لها : إني لست أُغْنِي
عنك شيئا وراء هذا الموضع ، وهؤلاء قومك ، وقد برئت خِفَارَتِي . فمدحه
امرؤ القيس بمدّة قصائد منها قوله :

ألا إنَّ قوما كنتم أميس دونهم هم ممنوعوا جاراتكم^(٥) آل عُدران
عُوَيْرُ ومن مثل العُوَيْرِ ورهطه أربَّ بأيمان^(٦) وأوفى بجيران
هم أبلغوا الحى المضلل^(٧) أهله وساروا بهم بين الفرات ونجران
ومما قاله فيه :

ألا قبَّح اللهُ البراجمَ كلها وجَدَّعَ ربُّوعاً وعفراً دارِما
فما فعلوا فَمَلَّ العُوَيْرُ ورهطه لدى باب حُجْرٍ إذ تجرَّد قائِما

وقيل : إن القِصَّة المذكورة مع عوير كانت مع أبي حنبل وجارية بن مر .

ويقال : كانت مع عامر بن جُوَيْنِ الطائي وإن ابنته أشارت عليه بأخذ مال
حُجْرٍ ، فقام فدخل الوادي فصاح : ألا إنَّ عامر بن جوين غدر ، فأجابه الصّدَى
بمثل قوله ؛ فقال : ما أقبح هذا من قول ! ثم صاح : ألا إن عامر بن جوين وقي ، فأجابه
الصّدَى بمثل قوله ؛ فقال : ما أحسن هذا من قول ! ثم دعا بجَدَّعَةٍ من غنمه

(١) في ت : تشاءم .

(٢) في غ : بهم .

(٣) في غ : غادر شر .

(٤) في غ : النجاج .

(٥) في ت : جاراتهم .

(٦) في غ : بميثاق .

(٧) في غ : المضيع .

فَحَلَبَهَا وَشَرِبَ وَاسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ وَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أُعَدِّرُ مَا أُجْرَأْتُ نِسِي جَدْعَةَ .
ثُمَّ نَهَضَ وَكَانَتْ سَاقَاهُ حَمْسَتَيْنِ فَقَالَتْ لَهُ ابْنَتُهُ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ سَاقِي وَافٍ ،
قَالَ : فَكَيْفَ بِهِمَا إِذَا كَانَتَا سَاقِي غَادِرٍ ! هَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَفْبَحُ .

(وقيل : إنَّ أمراً القيس ارتحل حتى نزل بَكْرًا وَتَغْلِبَ ، وَسَلَّمَهُمُ النَّصْرَ عَلَى
بَنِي أَسَدٍ فَأَجَابُوهُ ، فَبِعَثَ الْعَمِيُونَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ وَنَذَرُوا بِالْعَمِيُونَ فَاجْتَأَوْا إِلَى بَنِي
كِنَانَةَ . وَكَانَ الَّذِي أَنْذَرَهُمْ بِهِمْ عَلِيَّاءُ بْنُ الْحَارِثِ . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ قَالَ لَهُمْ عَلِيَّاءُ :
يَا مَعْشَرَ بَنِي أَسَدٍ تَعْلَمُونَ ! وَاللَّهِ إِنْ عُيُونَ أَمْرِي الْقَيْسُ قَدْ أَتَوْكُمْ وَرَجَعُوا ^(١) إِلَيْهِ
بِخَبْرِكُمْ فَارْحَلُوا بِأَيْلٍ وَلَا يَعْلَمُ بِكُمْ بَنُو كِنَانَةَ فَفَعَلُوا . فَأَقْبَلَ امْرَأُ الْقَيْسِ بَعْنَ مَعَهُ مِنْ
بَكْرٍ وَتَغْلِبٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَنِي كِنَانَةَ وَهُوَ يَحْسَبُهُمْ بَنِي أَسَدٍ حَتَّى وَضَعَ السَّلَاحَ
فِيهِمْ وَقَالَ : يَا لِنَارَاتِ الْمَلِكِ الْهُمامِ ! نَخَرَجْتَ إِلَيْهِ عَجُوزٌ مِنْ كِنَانَةَ فَقَالَتْ : أَيْتَ
الْعَمْنُ ! لَسْنَا لَكَ بِالنَّارِ ، وَنَحْنُ بَنُو كِنَانَةَ فَاطْلُبْ نَأْرَكَ ؛ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ ارْتَحَلُوا بِالْأَمْسِ
فَتَبِعَ بَنِي أَسَدٍ فَفَاتَوْهُ لِيَلْتَهُمْ تِلْكَ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَا أَلَا يَالْهَفَ قَلْبِي مِنْ أَنَاسٍ ^(٢) هُمْ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلِمَ يَصَابُوا
وَقَامَ جَدُّهُمْ بَيْنِي أَيْبِهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنِ مَدَدَ كَانِ الْعِقَابِ
وَأَفْلَتُنَّ عَلِيَّاءُ جَرِيضاً ^(٣) وَلَوْ أَدْرَكَتَهُ صَفْرُ الْوِطَابِ

يعني بني أيبهم بني كِنَانَةَ ؛ لِأَنَّ أَسَدًا وَكِنَانَةَ ابْنِي حَزِيمَةَ أَخْوَانٌ . وَمَعْنَى
هُوَ : صَهْرُ الْوِطَابِ يَقُولُ : لَوْ أَدْرَكَهُ قَتَلُوهُ وَاسْتَأْقُوا إِلَيْهِ فَصَفِرَتْ وَطَابُهُ
مِنْ اللَّبَنِ

(١) في غ : أنتسكم ورجعت .

(٢) في غ : ألا يالهُف همد لئثر قوم .

(٣) أفلتن جريضا : أفلتن بعد جهد ومشقة .

وقيل: إنه أراد جسمه، أي أنه كان يُقتل فيكون جسمه صِفراً من دمه كما يكون
الوَطْبُ صِفراً من اللَّبَنِ (فلما أصبح أمرؤ القيس رأى آثار القوم منطلقين، فأَتبع
الأثر فأدركهم ظهراً وقد تَقَطَّعت خيله وقطع أعناقهم العطش وبنو أسد جَائِعُونَ^(١)
على الماء، فقاتلهم حتى كثرت القَتلى والجُرْحى فيهم، وحَجَزَ الليلُ بينهم، وهربت
بَنُو أسد. فلَمَّا أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يَتَّبِعُوهم وقالوا: قد أصبت تَأْرِكُ .
قال: لا، والله ما فملت ولا أصبت من بنى كَاهِلٍ ولا من غيرهم من بنى أسد أحداً .
قالوا: بلى ولكنك رجل مشثوم وكرهوا قتالهم بنى كنانة وانصرفوا عنه فضى
هارباً لوجهه حتى لحق بِحَمِيرٍ)

وقيل: إن أمرأ القيس لما أفلت من الحرب على فرسه الشقراء لجأ إلى ابن عمته
عمرو بن المُنْذِرِ وأُمُّه هند بنت عمرو آكل المرار بن حجر . وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه
وتفرُّق ملك أهل بيته . وكان عمرو يومئذ خليفة أبيه المنذر بِنْتَه وهى بين الأنبار
وهيت . فمدحه وذكر صهره ورحمه وأنه قد تعلق بجماله ولجأ إليه فأجاره ومكث
عنده زماناً . ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه فأنذره عمرو فهرب حتى أتى حَمِيرَ .

ولما امتنعت بكر بن وائل وتغلب من أتباع بنى أسد خرج امرؤ القيس من فوره
ذَلِكَ إلى المين (فأسْتَنْصَرَ أزدَ شَنْوَةَ؛ فأبوا أن ينصروه وقالوا: إخواننا وحزبنا^(٢) .
فنزل بقمبل يدعى مرثد الخير بن ذى جَدَن الحَميرى ، وكانت بينهما قرابة ،
فأسْتَنْصَرَهُ واستمدَّه على بنى أسد ؛ فأمدته بجمسائة رجل من حَمِير ؛ ومات مرثد
قبل رحيل امرئ القيس بهم ، وقام بالمملكة بعده رجل من حمير يقال له: قَرْمَل ،
ويقال: قمرل بن الحميم وكانت أمه سوداء ، فردد امرأ القيس وطول عليه حتى همَّ
بالأنصراف فقال :

(١) في غ : جامون .

(٢) في غ : جيراننا .

وإذ نحن ندعو مرثد الخير ربنا : وإذ نحن لا ندعى عميلاً لقرمّل
فأنفذ له ذلك الجيش ؛ وتبعه شدّاذ من العرب ، واستأجر من قبائل اليمن^(١)
رجالا فسار بهم إلى بني أسد وصر بتبالة^(٢) وبها صنم للعرب تعظمه يقال له :
ذوالخلفة ؛ فاستقسم^(٣) عنده بقداحه وهي ثلاثة : الأمر والنهي والمتربص ،
فأجلها نخرج الناهي ، ثم أجلها نخرج الناهي ، ثم أجلها الثالثة نخرج الناهي ؛
فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال : نصصت بظر أمك ! لو أبوك قتل
ما عوقفتني . ثم خرج فظفر ببني أسد .

فيقال : إنه ما استقسم عند ذى الخلفة أحد بقداح بعد ذلك حتى جاء الإسلام
وهدمه جرير بن عبد الله البجلي

(وألحّ المنذر في طلب امرئ القيس ووجه الجيوش في طلبه من إباد وبهراء
وتنوخ ولم تكن لهم^(٤) طاقة ، وأمدّه أنوشروان بجيش من الأكامرة والأساورة
فسرحهم في طلبه . وتفرقت حمير ومن كان معه عنه . فنجا في عصابة من بني آكل
المرار حتى نزل بالحارث بن شهاب^(٥) . من بني يربوع بن حنظلة ، ومع
امرئ القيس أذراع خمس : الفضفاضة والضافية والمحصنة والخربق وأمّ الذبول
كنّ لبني آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك . فقلما لبثوا عند الحارث بن شهاب
حتى بعث إليه المنذر المائة من أصحابه يتوعده بالحرب إن هو لم يسلم بني آكل المرار
فأسلمهم . ونجا أمرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث بن قتيبة وهند بنت

(١) في غ : العرب .

(٢) تبالة : موضع بين مكة واليمن .

(٣) استقسم : طلب معرفة ما قسم للمرء مما لم يقسم .

(٤) في ت : له .

(٥) في ت : هشام « تحريف » .

أمرى القيس والأذرع والسلاح وما كان بقي معه). فخرج على وجهه حتى نزل على سعد ابن الضباب الإيادي سيّد قومه فأجاره . وكانت أم سعد بن الضباب تحت حجر أبي أمرى القيس فطلقها وكانت حاملا وهو لا يعلم ، فتروجها الضباب فولدت سعدا على فراشه ، فلحق نسبه به فقال امرؤ القيس يذكر ذلك :

يُفَاكِهِنَا سَعْدٌ وَيُنَمِّمُ بَالِنَا وَيَغْدُو عَلَيْنَا بِالْجِفَانِ وَالْجُزُرُ
وَتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شِمَائِلًا وَمَنْ خَالَهُ وَمَنْ زَيْدًا وَمَنْ حُجْرًا
سَمَاحَةً ذَاوِرًا ذَا وُفَاءَ ذَا وَنَائِلَ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرَا

ثم تحول عنه فوقع بأرض طيبي فترجل برجل من بني جديلة يقال له المَعْلَى بن تميم . ففي ذلك يقول :

كَأَنِّي إِذْ نَزَلْتُ عَلَى الْمَعْلَى نَزَلْتُ عَلَى الْبَوَاذِخِ مِنْ شَمَامِ
فَمَا مَلِكُ الْمِرَاقِ عَلَى الْمَعْلَى بِمَقْتَدِرٍ وَلَا مَلِكُ الشَّمَامِ
أَقْرَحَ حَسَى أَمْرِي الْقَيْسُ بْنُ حُجْرٍ بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظَّلَامِ

فلبت عنده واتخذ إبلا ، ففدأ قوم من بني جديلة يقال لهم : بنو زيد فطردوا الإبل .

وكانت لامرئ القيس رواحل مُقَيِّدَةٌ عند البيوت خوفا من أن يدهمه أمر ليسبق عليهم . فخرج نفر منهم فركبوا الرّواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهم جديلة ، فرجعوا إليه بلا شيء . فقال في ذلك :

عَجِيبٌ لَهُ مَشَى الْحَرْقَةُ خَالِدٌ كَشَى أُنَانَ خُلَيْتٍ عَنِ مَنَاهِلِ (١)
فَدَعَ عُنُقَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

(١) في غ :

كشى أنان حلت بالمناهل

وأعجبنى مشى الحرقة خالد

وهي رواية الديوان .

ففرقت عليه بنو نبهان فرقا من معزى يجلبها . فأخذ ذلك وأنشأ يقول :

إذا ما لم تكن إبل فمعزى كأن قرون جلَّتْها عصى
إذا ما قام حالِها أرنت كأن القوم صبَّحهم نعى
فتملا بيتنا أقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع ورى

فكان عندهم ما شاء الله . ثم خرج فنزل بعامر بن جوين واتخذ عنده إبلا .
وعامر يومئذ أحد الخُلماء^(١) الفُتاك قد تبرأ قومه من جرأثره فأقام عنده ما شاء
الله . ثم همَّ عامر أن يغلبه على أهله وولده وماله . ففطن امرؤ القيس بذلك من شعر
كان ينطق به عامر وهو :

فكم بالصَّعيد من هيجان مؤبَّله تسير صحاحاً ذات قيد ومُرسله
أردتُ بها فتكا فلم أرتمض له ونهَّهتُ نفسى بعد ما كدتُ أفمله

وكان عامر أيضا يعرض بهند بنت امرئ القيس بقوله :

ألا حىَّ هندا وأطلالها وتظمان هند وتجلالها^(٢)
هممتُ بنفسى كلَّ الهموم وأولى لنفسى أولى لها
سأحمل نفسى على آله^(٣) فأما عليها وإما لها

ويقال : إن هذه الأبيات للخنساء بنت عمرو بن الشريد في قصيدتها :

ألا ما لِمِئنى ألا ما لها لقد أخضَلَ الدمعُ سرِّبَها

فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على نفسه وماله وأهله انتقل إلى رجل
من بنى تَمَل يقال له : حارثة بن مُر فاستجار به فأجاره . فوقع الحرب بين عامر وبين

(١) فت : الحفاء .

(٢) فت : وترحالها .

(٣) الآلة : الحالة .

الثَّمَلِيَّ وَجرت في ذلك أمور نخرج من عندنا ونزل برجل من بني فزارة يقال له: عمرو ابن جابر بن مازن يطلب منه الجوار حتى يرى ذات عييه .

فقال له الفزاري : يا ابن حُجْر ، إني أراك في خلل من قومك وأنا أهش^(١) بملك من أهل الشرف وقد كدت بالأمس تؤكل في دار طيء . وأهل البادية أهل وبر^(٢) لا حصون تمنعهم ، وبينك وبين اليمن ذُؤَبَانٌ من قيس ، أفلا أدلك على بلد ! فقد جئتُ قيصَرَ وَجِئتُ النعمان فلم أرَ لضيْفِ نازل ولا لُجْتَدِ مثله ولا مثل صاحبه . قال : ومن هو وأين منزله؟ قال : السموءل وهو بتياء ، وسوف أضرب لك مثله ، هو يمنع ضمفك حتى ترى ذات عيبك وهو في حصن حصين وحسب كبير ، فقال امرؤ القيس : وكيف لي به ؟ قال : أوصلك إلى من يوصلك إليه ؛ فضى إلى رجل من فزارة يقال له: الربيع بن ضبع قد كان ممن يأتي السموءل فيحمله ويُعطيه ، فلما صار إليه قال له الفزاري إن السموءل يمجه الشعر . فعمال حتى تناشد أشعارا . فقال له امرؤ القيس : قل حتى أقول . فقال الربيع :

قل للسموئل^(٣) أي حين نلتني

بفناء بيتك في الحضيض المزلق

وهي طويلة يقول فيها :

ولقد أتيتُ بني المصاص^(٤) مُفَاخِرًا

وإلى السموئل زُرْتُهُ بِالْأَبْلَقِ

فأتيتُ أفضل من تحمل حاجةً

إن جئته في غارمٍ أو مرهقٍ

عرفت له الأوقامُ كُلَّ فَضِيلَةٍ

وحوى الكارمِ سابقالمِ يُسَبِّقِ

(١) فغ : أفس .

(٢) فغ : بر .

(٣) فغ : للنية !

(٤) ف : الضاف .

فقال امرؤ القيس :

طَرَقْتِكَ هِنْدُ بَعْدَ طَوْلِ تَجَنُّبٍ وَهِنًا وَلَمْ تَكُ قَبْلَ ذَلِكَ تَطْرُقُ
وهي طويلة .

والظاهر أنها مُنْتَحَلَةٌ لأن التوليد فيها بين ، وليست مما يشأ كل كلامٍ أمرى
القيس وما دوتها في ديوانه أحدٌ من الثقات ؛ وأحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد
السموئل .

فوفد الفزاري بأمرى القيس إليه . فلما كانوا ببعض الطريق إذا ببقرة وحشية
مرمية . فلما نظر إليها أحسبها قاموا إليها فذكروها . فبيناهم كذلك إذا هم بقناصها وهم
قوم من بني ثعل (١) فقالوا (٢) لهم : من أتم ؟ فانتسبوا لهم وإذا هم جيران السموئل
فانصرفوا جميعا إليه وقال امرؤ القيس :

مُخْرِجٌ كَفَيْهِ مِنْ قُتْرِهِ (٣)	رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ
غَيْرِ بَانَاةٍ (٤) عَلَى وَتْرِهِ	عَارِضٍ زوراءٍ مِنْ نَشْمٍ
فَتَهِيًّا (٥) الزرعِ مِنْ يَسْرِهِ	قَدَأْتَهُ الْوَحْشُ وَارِدَةً
بِإِزَاءِ الْحَوْضِ أَوْ عُقْرِهِ	فَرَمَاهَا فِي فَرَأْنِصِهَا
كَتَلَّطَى الْجَمْرَ فِي شَرَرِهِ	بِرَهَيْشٍ (٦) مِنْ كِنَاتِهِ
ثُمَّ أَمْنَاهُ عَلَى حَجَرِهِ	رَأَشَهُ مِنْ رَيْشِ نَاهِضَةٍ

(١) ثعل : قبيلة من طيء .

(٢) في ت : فقال .

(٣) في ت : ستره .

(٤) في غ : مع باناة . والباناة : لغة طيء في البانية ، كما يقولون : في ناصية ناضاة . والبانية من

القيس : التي لصق وترها بكبدها حتى كاد ينقطع وترها في بطنها من لصوقه بها ، وهو عيب .

(٥) في غ : فتثنى الزرع في يسره .

(٦) الرهيش : السهم الضامر الخفيف .

فَهو لا تَنمى رَمِيَّتُهُ ماله لا عُدَّة من نفره
[مُطعم للصَّيِّد ليس له غيرها كَسَبَ على كِبَرِه]^(١)

(ثم قدموا على السموع فأشده الشعر ، وعرف لهم حقهم ؛ فأُنزل المرأة في قُبَّة من آدم وأُنزل القوم في منزل له بَرَّاح فَكان عنده ماشاء الله .

ثم إنَّه طلب منه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر النَّسَّاني بالشَّام ليوصله إلى قيصر ؛ واستنجد معه رجلا واستودعه المرأة والأدراع والمال وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث بن معاوية وهو ابن عمه فضى حتى انتهى إلى قيصر ؛ فقبله وأكرمه وكانت له عنده منزلة .

فاندس رجل من بني أسد يقال له الطَّماح ، وكان امرؤ القيس قتل أخاه فورد بلاد الروم فأقام هناك مستخفيا . ثم إن قيصر ضم إليه جيشا كثيفا وفيهم جماعة من أبناء الملوك فلما فصل قال قوم لقيصر : إن العرب قوم غدر ولا تأمن أن يظفر فيغزوك بمن بعث معه . وقيل : بل قال الطَّماح : إن امرأ القيس غوي عاهر وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يواصل ابنتك ويراسلها ، وهو قائل في ذلك أشعارا يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك . فبعث إليه بحلَّة من وُشَى مَسْمُومة ثم قال له : إني أرسلت إليك بحلَّتِي التي كنت ألبسها تَكْرِمَةً لك فإذا وصلت إليك فألبسها باليمن والبركة ، وأكتب إلى بخبرك من مَنْزِل مَنْزِل . فلما وصلت إليه لبسها واشتد سروره بها ؛ فأسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سُمِّي ذَا القُرُوح .

وقال في ذلك :

لقد طَمَحَ الطَّماح من بُمد أرضه ليُلبسني مما يُلبس أبو سا
فلو أنَّها نفس تموت سوِيَّة ولكنَّها نفس تساقط أنفُسا

(١) لم يرد هذا البيت في غ .

فلما صار إلى بلد من بلاد الروم تُسمى أنقرة احتضِر بها .
فقال :

رُبَّ خُطْبَةٍ مُسْحَنَفِرَةٍ وَطَعْنَةٍ مُتَعَنِّجِرَةٍ
وَجَفْنَةٍ مُتَحَمِّيرَةٍ حَلَّتْ بِأَرْضِ أَنْقَرَةٍ

ورأى قبر امرأة من بنات الملوك ماتت هناك فدُفنت في سفح جبل يقال له : عَسِيبُ ؛
فسأل عنها فأخبر بِقِصَّتِهَا فقال :

أجارتنا إن الخُطوبَ تنوبُ (١) وإلى مقيم ما أقام عَسِيبُ
أجارتنا إنا مقيمان (٢) هاهنا وكُلَّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
ثم مات فدُفن إلى جنب المرأة فقبره هناك .

قال عبد الملك بن عُمَيْرٍ : قَدِمَ عَلَيْنَا عَمْرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْكُوفَةَ فَأَرْسَلَ إِلَى عَشْرَةِ
أَنَا أَحَدُهُمْ مِنْ وَجْهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَسَمَرْنَا عِنْدَهُ ثُمَّ قَالَ : لِيُحَدِّثْنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ
أُحَدِثُوهُ وَأَبْدَأْ أَنْتَ يَا أَبَا عَمْرٍو (٣) . فقلت : أصلح الله الأمير أحدث الحق أم
حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحق . قلت : إن أمراً القيس آلِ بَالِيَةَ : ألا يتزوج
بامرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين ؛ فجعل يخطب النساء فإذا سألهن عن
ذلك قلن : أربعة عشر . فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً
صغيرةً له كأنها البدر فأعجبته ؛ فقال : يا جارية ؛ ما ثمانية وأربعة واثنان ؟ فقالت
له : أما الثمانية فأطباء الكلبة . وأما الأربعة فأخلاف الناقة . وأما الاثنان فتدبياً
المرأة . فخطبها إلى أبيها فزوجها إياه . وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث
خصال ، فجعل لها ذلك وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر

(١) في غ : لأن المزار قريب .

(٢) في غ : غريبان .

(٣) يكنى عبد الملك بن عمير أبا عمر وأبا عمرو .

وصائف وثلاثة أفراس، ففعل ذلك . ثم إنه بعث عبدا له إلى المرأة وأهدى لها حلّة
من عَصْبٍ وَنَحِيًّا مِنْ سَمْنٍ وَنَحِيًّا مِنْ عَسَلٍ . فنزل العبدُ ببعض المِياه فنَشَرَ الحُلَّةَ
فَلَبِسَهَا فَمَلَقَتْ بِسَمْرَةٍ^(١) فانشقت ، وفتح النّحيين فأطعم أهل الماء منهما فذقوا .
ثم قدم على حَيِّ المرأة وهم خُلوْف فسألها عن أبيها وأميها وأخيها ودفع إليها هديتها .
فقالَت له : أَعْلِمُ مَوْلَاكَ أَنَّ أَبِي ذَهَبٌ يُقَرَّبُ بِعِيدَا وَيُبْعَدُ قَرِيْبَا وَأَنَّ أُمَّي ذَهَبَتْ
تَشُقُّ النَّفْسَ نَفْسَيْنِ وَأَنَّ أَخِي ذَهَبٌ يُرَاعِي الشَّمْسَ ، وَأَنَّ سَمَاءَ كَمِ انْشَقَّتْ وَأَنَّ
وِعَاءَ يَكُمُ نَضَبًا . فقدم الغلام على مولاة فأخبره . فقال : أَمَا قَوْلُهَا : ذَهَبَ أَبِي يُقَرَّبُ
بِعِيدَا وَيُبْعَدُ قَرِيْبَا ، فَإِنَّ أَبَاهَا ذَهَبٌ يُخَالِفُ قَوْمًا عَلَى قَوْمِهِ . وَأَمَّا قَوْلُهَا : ذَهَبَتْ أُمِّي تَشُقُّ
النَّفْسَ نَفْسَيْنِ ، فَإِنَّ أُمَّهَا ذَهَبَتْ تَقْبَلُ^(٢) امْرَأَةً نَفْسَاءَ . وَأَمَا قَوْلُهَا ذَهَبَ أَخِي يُرَاعِي
الشَّمْسَ ، فَإِنَّ أَخَاهَا فِي سَرْحٍ لَهُ يِرْعَاهُ فَهُوَ يَنْتَظِرُ وَجُوبَ الشَّمْسِ لِيرُوحَ بِهِ .
وَأَمَّا قَوْلُهَا : فَإِنَّ سَمَاءَ كَمِ انْشَقَّتْ ، فَإِنَّ البُرْدَ الَّذِي بَعَثْتَ بِهِ انْشَقَّ . وَأَمَا قَوْلُهَا : فَإِنَّ
وِعَاءَ يَكُمُ نَضَبًا ، فَإِنَّ النّحيين اللذين بعثتُ بهما نَقَصَا . فَأَصْدُقْنِي ، يَا مَوْلَايَ ،
إِنِّي نَزَلْتُ بِنَاءً مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ ، فَسَأَلُونِي عَنْ نَسَبِي فَأَخْبَرْتُهُمْ أَنِّي ابْنُ عَمِّكَ ،
وَنَشَرْتُ الحُلَّةَ وَتَجَمَّلْتُ بِهَا فَلَبِسْتُهَا فَمَلَقْتُ بِسَمْرَةٍ فَانْشَقَّتْ ، وَفَتَحْتُ النّحيين
فَأَطْعَمْتُ مِنْهُمَا أَهْلَ المَاءِ . فقال : أَوْلَى لَكَ ! ثُمَّ سَاقَ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ وَخَرَجَ وَمَعَهُ
الغلامُ فنزل منزلا فقام الغلام يسقي الإبلَ فمَجَزَ ؛ فَأَعَانَهُ امْرَأَةُ القَيْسِ ؛ فَرَمَى بِهِ الغلامُ
فِي البَيْرِ وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى^(٣) المَرْأَةَ بِالإِبِلِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ زَوْجُهَا . فقيل لها : قَدْ جَاءَ
زَوْجُكَ . فقالت : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَزَوْجِي هُوَ أَمْ لَا ! وَلَكِنْ أَنَجِرْوا لِهَ جَزُورًا
وَأَطْعِمُوهُ مِنْ كَرِشِهَا وَذَنَبِهَا ففعلوا . فَأَكَلَ مَا أَطْعَمُوهُ فقالت : اسقوه لبنا حاررا

(١) في غ : بعشرة . والسمرة : الشوكة .

(٢) قبلت المرأة الولد : تلقت عند الولادة .

(٣) في ت : نزل .

وهو « الحامض » فسقوه فشرِب . فقالت : أفرشوا له عند الفَرثِ والدم ، ففعلوا
 فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك . قال : سَلِي عما بدا لك .
 فقالت : مِمَّ تَخْتَلِجُ شَفَتَاكَ ؟ قال : لتَمِيلِي فَأَكُ (١) . قالت : فلمِ يَخْتَلِجُ كَشْحَاكَ ؟
 قال : لا لئلا يَأْكُ إِيَّاكَ . قالت : مِمَّ يَخْتَلِجُ فَنَحْدَاكَ ؟ قال : لتورُكِي إِيَّاكَ . فقالت :
 عليكم العبدَ فشدُّوا أَيْدِيكُمْ به ففعلوا . ومر قَوْمٌ فاستخرجوا امرأَ القيس من
 المِثْرِ ؛ فرجع إلى حَيِّهِ فَاسْتَأَقَ مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته . فقيل لها : قد جاء
 زوجك ، فقالت : والله ما أدري أزوجي هو أم لا ! ولكن انحروا له جَرُوراً
 وأطمموا من كَرِشِهَا وذَنبِهَا ففعلوا . فلما أتوه بذلك قال : وأين الكبدِ والسَنَامِ
 والملْحَاءِ (٢) ؟ وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبنا حازراً . فأبى أن يشربه
 وقال : أين الصَّرِيفُ (٣) والرَيْثَةُ (٤) ؟ فقالت : افرشوا له عند الفَرثِ والدم ففرشوا
 له فأبى أن يَنَامَ وقال : افرشوا لي فوق العَلَمَةِ الحَمْرَاءِ ، واضربوا عليها خِباءً .
 ثم أرسلت إليه : هَلُمَّ شَرِبْطِي عليك في المسائلِ الثلاث . فقال : سَلِي ما شئتِ فقالت
 مِمَّ تَخْتَلِجُ شَفَتَاكَ ؟ قال : لرَشْفِي المُشْعَمَاتِ . قالت : فلمِ يَخْتَلِجُ كَشْحَاكَ ؟ قال :
 لِلْبُسَى الحَبْرَاتِ . قالت : فلمِ يَخْتَلِجُ فَنَحْدَاكَ ؟ قال : لِرُكُضِي المَطْهَمَاتِ . قالت :
 هذا زَوْجِي لعمري ! فمليكم به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه . ودخل امرؤ القيس
 بالجارية . فقال ابن هبيرة : حسبكم فلا خَيْرَ في الحديث سائر الليلة بعد حديثك
 يا أبا عمرو ؛ ولن يأتينا أعجب منه ، وأمر لي بجائزة .

(١) في غ : إياك .

(٢) الملحء : لحم في الصلب من السكاهل إلى العجز من البعير .

(٣) الصريف : الحليب الحار ساعة يتزل من الضرع .

(٤) الرَيْثَةُ : اللبن الحامض .

قال الخليل بن أحمد : قدِم على أمرى القيس بعد مقتل أبيه رجال من قبائل العرب وكان في بنى أسد مقبياً وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وردا وإصداراً ، فمرَفَ إُدْكَ له مَنْ كَانَ مُحِيطاً بِأَكْنَافِ بِلْدِهِ مِنَ الْعَرَبِ . فَلَمَّا عَلِمَ بِمَكَانِهِمْ أَمَرَ بِإِزَالِهِمْ وَتَقَدَّمَ بِأَكْرَامِهِمْ وَأَفْضَلِ عَلَيْهِمْ وَاحْتَجَبَ عَنْهُمْ ثَلَاثًا . فَسَأَلُوا مِنْ حَضْرِهِمْ مِنْ رِجَالِ كِنْدَةَ عَنْهُ ، فَقَالُوا : هُوَ فِي شَفْلِ يَأْخُرَاجِ مَا فِي حَزَائِنِ حُجْرٍ مِنَ السِّلَاحِ وَالْعُدَدِ . فَقَالُوا : اللَّهُمَّ عَفْواً^(١) ، إِنَّمَا قَدِمْنَا فِي أَمْرٍ نَتَنَاسَى بِهِ ذِكْرَ مَا سَلَفَ وَنَسْتَدْرِكُ بِهِ مَا فَرَطَ ، فَأَيُّبَلِّغُ ذَلِكَ عَنَّا . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي قَبَاءٍ وَخُفٍّ وَعِمَامَةِ سَوْدَاءَ وَالْعَرَبُ لَا تَعْتَمُّ بِالسَّوَادِ إِلَّا فِي طَلَبِ الثَّارَاتِ . فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ قَامُوا فَبَدَرَ قَبِيصَةَ فَأَعْتَقَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْآخَرُونَ وَجَلَسَ وَجَلَسُوا ، فَقَالَ قَبِيصَةُ : إِنَّكَ فِي الْمَحَلِّ وَالْقَدَرِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ وَمَا تُحْدِثُهُ أَيَّامُهُ وَتَنْتَقِلُ بِهِ أَحْوَالُهُ بِحَيْثُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَبْصِيرَةٍ مِنْ وَاعِظٍ وَلَا تَذْكَرَةٍ مِنْ مُجْرِبٍ . وَلَكَ مِنْ سُوْدُودٍ مَنُصِّبِكَ وَشَرَفٍ أَعْرَاقِكَ وَكِرْمٍ أَصْلَكَ فِي الْعَرَبِ مَحْتَدٍ يَحْمِلُ^(٢) مَا حُمِلَ عَلَيْهِ مِنْ إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ ، وَرَجُوعٍ عَنِ شَهْوَةِ^(٣) ، وَلَا تَتَجَاوَزُ الْهَمَمَ إِلَى غَايَةِ الْإِرْجَعِ إِلَيْكَ فَوَجَدْتُ عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّأْيِ وَبَصِيرَةِ الْفَهْمِ وَكِرْمِ الصَّفْحِ فِي إِحْتِمَالِ الْمَفْوَةِ وَإِقَالَةِ النَّبْوَةِ مَا يَطُولُ رَغْبَاتِهَا وَيَسْتَفْرَقُ طَلِبَاتِهَا . وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَ مِنَ الْخَطْبِ الْجَلِيلِ الَّذِي عَمَّتْ رَزَيْتُهُ نَزَارًا وَالْيَمِينَ ، وَلَمْ تَخْصُصْ بِذَلِكَ كِنْدَةَ دُونَكَ لِلشَّرَفِ الْبَاذِخِ وَكَانَ لِحَجْرِ ذِي النَّجَاحِ وَالْإِعْمَةِ فَوْقَ الْجَبِينِ الْكَرِيمِ وَأَصْنَافِ الْحَمْدِ وَطِيبِ الشِّيمِ . وَلَوْ كَانَ يُفْدَى هَالِكٌ بِالْأَنْفَسِ الْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَّا بَخِلْتُ كِرَامِيئُنَا بِهَا عَلَى مِثْلِهِ يَبْذُلُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَلِفِدْيَانِهِ وَلَكِنْ

(١) في غ : غفرا .

(٢) في غ : عتمل يحتمل .

(٣) في غ : هفوة .

مَضَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَرِجِعُ أَوْلَاءَهُ عَلَى أُخْرَاهُ وَلَا يَلْحَقُ أَقْصَاهُ أَدْنَاهُ . فَأُخْمِدُ
الْحَالَاتِ فِي ذَلِكَ أَنْ تَعْرِفَ الْوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إِحْدَى خِلَالَ : إِمَّا أُخْتَرْتَ مِنْ بَنِي
أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتًا ، وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ الْمَكْرُمَاتِ صَوْتًا ، فَقَدْ نَاهَ إِلَيْكَ بِنِسْمَةٍ تَذْهَبُ
مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ مَا فِي قَصْرَتِهِ^(١) ، فَيَقُولُ رَجُلٌ : أُمْتَحِنَ بِهَذَا عَزِيْزَهُ فَلَمْ تُسَلِّ
سَخِيْمَتُهُ إِلَّا بِتَمَكِّيْنِهِ مِنَ الْإِتْقَامِ ؛ أَوْ فِدَاءٍ بِمَا يَرُوحُ عَلَى بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعْمَائِهَا فَعِي
أَلُوفٌ تَجَاوِزُ الْحُسْبَةَ فَكَانَ ذَلِكَ فِدَاءً رَجِمْتَ بِهِ الْقَضْبَ إِلَى أَجْفَانِهَا وَلَمْ تَرُدَّهَا
بِتَسْلِيْمِ الْإِحْنِ عَلَى الْبِرَاءِ وَإِمَّا أَنْ وَادَعْتَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ الْحَوَامِلَ فَتَسْدِلُ الْأُزُرَ
وَتَقْدِرُ الْحُمْرَ فَوْقَ الرَّيَّاتِ . قَالَ : فَبِكِي سَاعَةَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : لَقَدْ عَلِمْتُ
الْعَرَبَ أَنَّهُ لَا كِفَاءَ لِحَجْرٍ فِي دَمٍ ، وَإِنِّي لَنْ أَعْتَاضَ بِهِ جَمَلًا وَلَا نَاقَةَ أَكْتَسَبَ بِهِ
سُبَّةَ الْأَبَدِ وَفَتَّ الْعَضْدَ . وَأَمَّا النَّظْرَةُ فَقَدْ أَوْجَبْتُهَا لِلْأَجْنَةِ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِهَا وَلَنْ
أَكُونَ لِعَطْبِهَا سَبِيًّا ، وَسَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ فِتْيَانِ كِنْدَةَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ
حَقْنًا وَفَوْقَ الْأَسْنَةِ عَلَقًا ثُمَّ قَالَ :

إِذَا جَالَتْ الْخَيْلُ فِي مَازِقٍ تَصَافِحُ فِيهِ الْمَنَائِبُ النَّفُوسَا

أَتَقِيْمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ ؟ قَالُوا : بَلْ تَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْأَخْتِيَارِ وَأَبْلَى الْاجْتِرَارِ

لِمَكْرُوهِ وَأَذِيَّةٍ ، وَحَرْبٍ وَبَلِيَّةٍ . ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ وَقَبِيصَةَ يَقُولُ مَتَمَثَلًا :

لَمَلِكٍ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْوَرْدَ^(٢) إِنْ غَدَتِ

كِتَابُنَا فِي مَازِقِ الْمَوْتِ تَمَطَّرُ

(١) القصرة : أصل العنق . وفي غ : قصده .

(٢) في غ : الموت .

فقال امرؤ القيس : لا والله ولكن أستعذبه فرؤيداً تنفرج لك دُجَاهَا عن
فُرسَان كِنْدَةَ وَكَتَائِبَ حِمِير . ولقد كان ذكرُ غير هذا أُولَى بي إذ كنت نازلاً
برَبِي ؛ وَلَكِنَّكَ قَلْتَ فَأَجَبْتُ .
فقال قبيصة : إن ما يُتَوَقَّعُ فوق قدر المَعَاتِبَةِ والإِعْتَابِ . قال امرؤ القيس
فهو ذاك^(١) .

(١) في ت : كذلك .

أشهب بن رميلة

هو أشهب بن ثور بن حارثة بن عبد المدان بن جندل بن نهشل بن دارم بن عمرو ابن تميم .

ورميلة أمه ، هي أمة لخالد بن مالك بن ربمي بن سلمى بن جندل بن نهشل ابن دارم .

وولدها يزعمون أنها كانت سبيبة من سببنا العرب ، فولدت لثور بن حارثة أربعة نفر ، وهم رباب وحجباء ، والأشهب وسويد^(١) وكانوا من أشد إخوة في العرب لساناً وبداء ، ومنعة للجانب ، وكثرت أموالهم في الإسلام .

وكان أبوهم ثور ابتاع ربيعة في الجاهلية ، وولدتهم له في الجاهلية ، فعزوا عزاً عظيماً حتى كانوا إذا وردوا ماء من مياه الصمان^(٢) حظروا على الناس ما يريدونه منه .

وكانت لرميلة قتيبة حمراء ، وكانوا يأخذون الهدب من تلك القتيبة فيلقونه على^(٣) الماء ، أي قد سبقنا إلى هذا وشربنا منه ، فلا يرده أحد لعزهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويدعون ما يستغنون عنه . فوردوا في بعض السنين ماء من مياه الصمان وورد معهم ناس من بني قطن بن نهشل .

وكانت بنو قطن بن نهشل وبنو زيد بن نهشل وبنو عبد مناف^(٤) بن دارم

(٢) في ت : أشهب وسويط

(٢) الصمان : جبل في أرض تميم .

(٣) فت : بأعلى .

(٤) في غ : مناف .

حُلَفَاءَ . وكانت الأَعْجَازُ^(١) عليهم . وهم جَنْدَلٌ وَجِرُولٌ وَصَخْرُ بْنُ نَهْشَلٍ . فأورد بعضهم بغيره فأشرعه حوضاً قد حَظَرُوا عليه وبأنهم ذلك فَمَضَبُوا منه وأَجْتَمَعُوا وأحلافهم ، واجتمعت الأحلافُ عليهم ، فاقتتلوا و ضرب ربابُ بن رُمَيْلَةَ رأس نُسَيْرِ ابن صُبَيْحِ المعروف بأبي بَدَّالٍ ، وأمه بنت أبي الحُكَّامِ بن قُرَادِ بن مَخْرُومٍ . وقال رباب في ذلك :

ضربتُه^(٢) عَشِيَّةَ الْهِلَالِ أوَّلَ يَوْمِ عُدَّةٍ مِنْ شَوَالٍ
ضرباً على رأس أبي بَدَّالٍ تُمَّتَ مَا أُبْتُ وَلَا أُبَالِي
أَلَا يُوُوبَ آخِرَ اللَّيَالِي

فجمع كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه . فقالت بنو قَطَنَ : يا بني جِرُولُ ويا بني صَخْرُ ويا بني عَبْدِ مَنْأَفِ^(٣) ، ضرب صاحبكم صاحبنا ضربةً لا ندرى أيموت منها أم يمشي . فأَنْصَفُوا ، فأبى القومُ أَنْ يَفْعَلُوا فَاقتتلوا يومهم إلى اللَّيْلِ .

وكان أُنَيْبُ بنُ أَشِيْمِ أخو بني جِرُولِ وهو سيدهم قد خرج لحاجة ، فلقيه بمض بني قَطَنَ فأسره وأتى به أَصْحَابَهُ . فقال نهشل بن حَرِيٍّ : يا بني قَطَنَ . أطيعوني اليوم وأعصوني أبداً فقالوا : نعم فقال : إن هذا لم يشهد أمركم^(٤) ولا حربكم ولا يحل لكم دمه ، وإن قومه أحرٌّ من يقاتلكم وشوكتهم ؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخلوا سبيله . قالوا : افعل ما رأيت فأتاه نَهْشَلُ فقال له : يا أبا أسماء ، إن قومك قد حالوا بيننا وبين حقنا وقد قاتلونا دونه . وقد أمكننا اللهُ منك وأنت والله أوفى دماً عهدنا من بني رُمَيْلَةَ ، فوالله لأقتلنك أو تُعْطِيَنِي ما أسألك ، قال : افعل . قال :

(١) في ت : الأحيار .

(٢) في ت : مر به .

(٣) في غ : مناف .

(٤) في غ : شركم .

تَصْرَفَ عَنَّا بَنِي جَرُولَ ، فَإِن لَّمْ يَطِيعوكَ انصرفتَ بِنِي أَشِيمَ ، فَإِن لَّمْ يَطِيعوكَ أَتَيْتُنَا ، قَالَ :
نَعَمْ . نُغَلِّي سَبِيلُهُ تَحْتَ اللَّيْلِ فَأَتَانَهُمْ وَهُمْ بِحَيْثَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَقَالَ : يَا بَنِي جَرُولَ
انصرفوا ؛ أَتَمْتَرِضُونَ عَلَى قَوْمٍ يَرِيدُونَ حَقَّهُمْ ! أَلَا تَخَافُونَ اللَّهَ وَاللَّهَ ! لَقَدْ أَسْرَانِي الْقَوْمَ
وَلَوْ أَرَادُوا قَتْلِي لَكَانَ فِيهِ وِفَاءٌ بِحَقِّهِمْ ^(١) ، وَلَكِنَّهُمْ يَكْرَهُونَ حَرْبَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ .
فَانصرف مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بَنُو صَخْرَ وَبَنُو جَرُولَ قَالُوا : وَاللَّهِ إِنَّا لَنَنْظِمُ قَوْمَنَا إِن قَاتَلْتَنَا .
وَانصرفوا وَتَخَاذَلِ الْقَوْمُ .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَشْمُهَبُ بْنُ رُمَيْلَةَ قَالَ : وَيْلَكُمْ أَفِي ضَرْبَةِ عَصَا لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا
تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ! وَاللَّهِ مَا بَهَ مِنْ بَأْسٍ ، فَأَعْطُوا قَوْمَكُمْ حَقَّهُمْ ، فَقَالَ حِجْنَاءُ وَرَبَّابٌ :
وَاللَّهِ لَنَنْصَرِفَنَّ ^(٢) فَنَلْحَقَنَّ بِغَيْرِكُمْ وَلَا نُعْطَى مَا بِأَيْدِينَا . فَجَعَلَ الْأَشْمُهَبُ يَقُولُ :
وَيْلَكُمْ أَتَحْرَبُونَ دَارَ قَوْمِكُمْ فِي ضَرْبَةِ عَصَا لَمْ تَبْلُغْ شَيْئًا ! فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى جَاءُوا رِبَّابَ
فَدَفَعُوهُ إِلَى بَنِي قَطَنَ وَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَبَا بَدَّالَ وَمَاتَ الْمَضْرُوبُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَكْتَمُوا
أَمْرَهُ وَأَرْسَلُوا إِلَى عَبَّادِ بْنِ مَسْعُودٍ وَمَالِكِ بْنِ رَبِيعِي ، وَمَالِكِ بْنِ عَوْفٍ وَالْقَعْقَاعِ بْنِ سَمِيدٍ ،
فَعَرَضُوا عَلَيْهِمُ الدِّيَةَ فَقَالُوا : وَمَا الدِّيَةُ وَصَاحِبِنَا حَيٌّ ! قَالُوا : فَإِن صَاحِبِكُمْ لَيْسَ بِحَيٍّ .
فَأَمْسَكُوا وَقَالُوا : نَنْظُرُ . ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَبَّابَ وَقَالُوا : أَوْصِنَا بِمَا بَدَّالَكَ . قَالَ دَعُونِي
أُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ . قَالُوا صِلْ فَصَلَّى ثُمَّ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي إِلَى رَبِّي لَدُو حَاجَةٌ ، وَمَا يَمْنَعُنِي
أَنْ أَزِيدَ فِي صَلَاتِي إِلَّا أَنْ تَرَوْا أَنَّ ذَلِكَ فَرَقٌ مِنَ الْمَوْتِ ، فَلْيَضْرِبْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ
شَدِيدُ السَّاعِدِ حَدِيدُ السَّيْفِ . فَدَفَعُوهُ إِلَى أَبِي خَزِيمَةَ بْنِ نُسَيْرِ الْمَكْنِيِّ بِأَبِي بَدَّالَ
فَضْرَبَ عُنُقَهُ وَدَفَنُوهُ .

(١) فِي ت : لِحَظِّكُمْ .

(٢) فِي ت : لَنَنْصَرُونَ .

وذلك في الفتنة بعد قتل عثمان . فقال الأشهب يرثي أخاه ويلوم نفسه في دفعه إليهم لتسكن الحرب :

أعيني قلت عبرة من أخيكما
وبأكية تمنى ربأباً^(١) وقائل
وأضرب في الهيجا إذا حمى^(٢) الوغى
إذا ما اعترضنا^(٣) من أخينا أآهم
قروناً دماً والضيف منتظر القرى
مردناً وكانت هفوة من حلو مننا
وقد لامني قومي ونفسي تلومني
فلو كان قلبي من حديد أذابه

بأن تدهرا الليل التمام وتجزعا
جزى الله خيرا ما أعف وأمنعا
وأطعم إذ أمسى المراضيع جوعا
روينا ولم نشف الغليل فينقما
ودعوة داع قد دعانا فأسمعنا
بئدي إلى أولاد ضمرة أقطعا
بما قال رأبي^(٤) في رباب وضيعا
ولو كان من ضم الصفا لتصدعا

(١) في غ : تبكي الرباب .

(٢) في غ : حمس .

(٣) في غ : اعترضنا .

(٤) في ت : رأى .

المعتضد بالله أحمد

(هو أبو العباس، أحمد بن الموفق أبي أحمد، طلحة بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم أبي إسحاق محمد بن الرشيد هارون . وأمه ضرار . ولد في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين وما ثنتين)

قال عبيد الله^(١) بن سليمان : دعاني المعتضد يوماً فقال لي : لا تعاتب بدرا على ما لا يزال يستعمله في التخرق في النفقات والزيادات والصلوات ! وجعل يؤكد القول عليّ في ذلك ؛ فلم أخرج من حضرته حتى دخل عليه بدر فجعل يستأذنه في إطلاقات مسرفة ويستأمره في نفقات واسعة وصلات سنوية وهو يأذن له في ذلك . فلما خرج رأى في وجهي إنكاراً لما فعله بعد ما جرى بيني وبينه ؛ فقال لي : يا عبيد الله^(١) : عرفت ما في نفسك ؛ وإني وإياه لكما قيل :

في وجهه شافعٌ يحو إساءته من القلوب مطاعٌ حينما شفعا
مستقبلٌ بالذي يهوى وإن كثرت منه الإساءة معذور بما^(٢) صنعا

(وكان المعتضد يُغسني) ، ومن جيد أصواته :

أناةً فإن لم تُغن عقب بعدها وعيداً فإن لم يُغن أعنت عرائمه
وهذا الشعر لإبراهيم بن العباس وكان وقع له في أثناء مكاتبة علي أنه نثر
فلما رآه شعرا أخرجه في شعره وسند كره في ترجمته هنا :

(١) في ت : عبد الله .

(٢) في ت : لم لي .

(٣) في غ : مغفور لما .

إبراهيم بن العباس

هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، وكان صول تركياً ، فتح يزيد بن المهلب بلده وأسلم على يده ، فهم موالى يزيد . ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صول وغيره لينصره فصادفه وقد قُتل .

وكان يقاتل كلَّ مَنْ بَيْنَهُ وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه : صول يدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك ، فاعتاظ وقال : ويلى على ابن الغلفاء^(١) ! ماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ولعله لا يفقه صلاته ! وكان أبه محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها . وقد كان بعض أهلهم ادعى أنهم عرب وأن العباس بن الأحنف الشاعر خالهم .

وكان صول وأخوه فيروز ملكين على جرجان^(٢) [وكانا]^(٣) تركيين بمجسا تشبهاً بالفرس . فلما حضر يزيد بن المهلب جرجان^(٢) أمنهما ، وأسلم صول على يده ولم يزل معه حتى قُتل يوم العقر . وكان محمد بن صول يكنى أبا عمارة أحد الدعاة ، قتله عبد الله بن علي لما خالف مع مقاتل بن حكيم .

(وأماً إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فكانا من وجوه الكتاب ، وكان عبد الله أسنهما وأشدّها وأوفاهما تقدّما ، وكان إبراهيم أحسنهما شعراً وأدباً يقول الشعر ثم يختاره ، ويسقط رذله ، ثم يسقط الوسط ، ثم يسقط ما سبق إليه ، فلا يدع من القصيد إلا اليسير ، وربما لم يدع منها إلا بيتاً أو بيتين)

(١) في ت : الغلفاء .

(٢) في ت : حهران .

(٣) ساقطة من ت .

ثم ذلك قوله :

ولكن الجوادَ أبا هِشَامٍ وفي العهدِ مأمُونِ المَغِيبِ
وهذا يدل على أَنَّ قبله غيره ؛ ومن شعره :
[أَنَاةً فَإِن لَمْ تُعْنِ عَقَّبَ بِمِدْهَا

وَعِيداً فَإِن لَمْ يُعْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ]^(١)

هذا البيت قاله وهو لا يعلم أنه شعر وإنما كتب رسالة إلى بعض الأطراف فقال في فصل منها : « وإن عند أمير المؤمنين في أمرك أَنَاةً فَإِن لَمْ تُعْنِ عَقَّبَ بِمِدْهَا وَعِيداً ، فَإِن لَمْ يُعْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ » فلما تأمله رأى أنه شعر وأنه بيت نادر فأخرجه في شعره .

وإبراهيم وأخوه عبدُ الله من صنائع ذِي الرَّيَّاسَتَيْنِ ، اتَّصَلَا بِهِ فَرَفَعَ مِنْهُمَا .
وتنقل إبراهيم في الأعمال الجلييلة والدواوين إلى أن مات وهو مُتَوَلِّ دِيوَانَ الضِّيَاعِ
والنفقات بسُرٍّ مَنْ رَأَى فِي نِصْفِ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتِينَ .

(وكان دِعْبِيلُ يَقُولُ : لَوْ تَكَسَّبَ إِبرَاهِيمُ بِنِ الْعَبَّاسِ بِالشُّعْرِ لَتَرَكْنَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ)
وكان يستحسن قوله :

إِن أَمْرًا ضَنْ بِمَعْرُوفِهِ عَنِ لِمَبْذُولٍ لَهُ عَذْرَى

مَا أَنَا بِالرَّاعِبِ فِي عُرْفِهِ إِنْ كَانَ لَا يَرْغَبُ فِي شُكْرَى

وكان إبراهيم بن العباس صديقا لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده
وصارت بينهما شحنة عظيمة لم يمكن تلافيا . وكان إبراهيم يهجو من ذلك :

أَبَا جَعْفَرَ خَفَّ خَفْضَةً بَعْدَ رِفْعَةٍ وَقَصَّرَ قَلِيلًا عَنِ مَدَى غُلُوقِ كَأْسِكَ

فَإِن كَانَ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمًا حَوَيْتُهُ فَإِن رَجَأْتِي فِي غَدٍ كَرَجَائِكَ

(١) جاء هذا البيت وما أعقبه من تعليق عليه ضمن ترجمة المعتضد في الجزء العاشر من

وقال أيضاً :

دعوتك في بلوى ألت صروفها فأوقدت من ضغنٍ على سعيها
وإني إذ أدعوك عند مُلَمَّةٍ كداعية بين^(١) القبور نصيرها
وله فيه :

لَمَّا أَنَانِي خَبِرَ الزِّيَّاتِ وأنه قد صار في الأموات
* أيقنتُ أنَّ موتَه حَيَاتِي *
وله فيه :

ولما انحرف محمد بن عبد الملك الزيات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلتقه وكان
الحارث بن بُسْخُنَّرَ صديقا له مصافيا ، فهجره مع من هجره من إخوانه .
فكتب إليه :

تغيَّر لي فيمن تغيَّر حَارِثُ وكَم من أَخٍ قد غيَّرته الحَوَادِثُ
أحارِثُ إن شُورِكتُ فيكَ فطالما غنينا وما بيني وبينك ثالِثُ
وله فيه :

— خَلَّ النِّفَاقَ لِأَهْلِهِ وَعَلَيْكَ فَالْتَمِسِ الطَّرِيقَا
— وَأَرغَب^(٢) بِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقَا

وكان عامر يهوى مُغْنِيَّةً^(٣) بِسُرٍّ مَنْ رَأَى يَقَالُ لَهَا : سامر، فجلس يوما للشرب
ومعه إخوان له وكان من حضر من جوارى القيان ، فدعاها ، فأبطأت فتنغص عليهم
يومهم لما رأوا من شغل قلبه بتأخرها ثم وافت فسُرِّي عنه وطابت نفسه وشرب
وطرب . وكتب :

(١) في غ : عند .

(٢) في غ : واذهب .

(٣) في غ : قينة .

أَلَمْ تَرَيَا^(١) يَوْمَنَا إِذْ نَأَتْ
وَقَدْ غَمَرْنَا دَوَاعِيَ السَّرُورِ
وَمَدَدَتْ عَلَيْنَا سَمَاءَ النَّعِيمِ
وَلَسَانَاتٌ كَيْفَ كُنَّا لَهَا
فَلَمْ تَأْتِ مِنْ بَيْنِ أَتْرَابِهَا
بِإِشْمَالِهَا وَبِإِلْهَابِهَا
وَكُلُّ الْمُنَى تَحْتَ أَطْنَابِهَا
وَلَا دَنْتَ كَيْفَ صِرْنَا بِهَا
وَأَمْرٌ مِنْ قَرَأَ عَلَيْهَا الْأَبْيَاتَ فَتَجَجَّتْ وَقَالَتْ : مَا الْقِصَّةُ كَمَا وَصَفْتَ ، وَلَقَدْ كُنْتُمْ
فِي قِصْفِكُمْ مَعَ مَنْ حَضَرَ ، وَإِنَّمَا تَجَمَّلْتُمْ لِي لَمَّا حَضَرْتُ . فَقَالَ فِيهَا أُبَيَاتَا أُخْرَى
حَتَّى رَضِيتَ عَنْهُ .

— وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِهِ وَكَانَ الْأَخْفَشُ يَسْتَجِيدُهَا :

— أَمِيلَ مَعَ الصَّدِيقِ^(٢) عَلَى ابْنِ أُمِّي وَأَقْضِي^(٣) لِلصَّدِيقِ عَلَى الشَّقِيقِ

أَفَرِّقْ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنْئِي وَأَجْمَعْ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقُوقِ

— وَإِنْ أَلْفَيْتَنِي مَلِكًا^(٤) مُطَاعًا فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ

أَكَانَ لِابْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ ابْنٌ قَدْ يَفْعُ وَتَرَعْرَعُ وَكَانَ بِهِ مُعْجَبًا فَاعْتَلَّ عِلَّةً لَمْ تَطُلْ

وَمَاتَ . فَجَزَعَ عَلَيْهِ جِزْعًا شَدِيدًا ، وَرثَاهُ بِمَرَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا :

كَنْتُ السَّوَادَ لِمُقَلَّتِي فَبِكِي عَلَيْكَ النَّاطِرِ

لِ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمْتُ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَادِرِ

وَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ لِأَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ ثُلُثَ مَالِهِ لِأَخِيهِ^(٥) الْآخَرَ الثُّلُثَ

وَصَارَ مُسَاوِيَا لِهَمَا .

(١) في غ : ترنا .

(٢) في غ : الذمام .

(٣) في غ : وآخذ . . من .

(٤) في غ : حرا . وجاء البيت الثالث مكان الثاني .

(٥) في غ : ولأخته الثلث الآخر .

فقال إبراهيم :

ولكن عبد الله لما حوى الغنى وصار له من بين إخوته (١) مالا
رأى خلةً منهم تُسدَّ بعاله فساهمهم حتى أُستوت بهم الحال
كان محمد بن عبد الملك قد وجَّه بأبي الجهم أحمد بن سيف (٢) إلى الأهواز ليكشف
إبراهيم (٣) بن العباس فتحامل عليه تحاملا شديدا . فكتب إبراهيم إلى محمد يشكوه إليه
ويُعرفه أمره ويقول له : أبو الجهم كافرٌ لا يبالي ما عمل ، وهو القائل لما مات غلامه
يخاطب ملك الموت :

تركت عبيد بن طاهر وقدملاوا الأرض عرضا وطولا (٤)
وأقبلت تسعى إلى واحدى ضرارا كأنى قتلت الرسولا
فسوف أدن بترك الصلاة وأصطيح الخمر صرفا شمولا
وكان محمد لعصبية على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجهم
 وإنما إبراهيم قاله ونسبه إليه .

لما عُزل إبراهيم بن العباس عن الأهواز في أيام محمد بن عبد الملك الزيات أُعتقل
بها وأوذى ، وكان محمد قبل الوزارة صديقه ، وكان يؤمل أن يُسامحه ويُطلقه .
فكتب إليه :

فلو إذ نبأ دهر وأنكر صاحب وسلط أعداء وغاب نصير
تكون عن (٥) الأهواز داري بنجوة ولكن مقادير جرت وأمور
وإني لأرجو بعد هذا محمدا لأفضل ما يُرجى أخ ووزير

(١) في ت : إخواته .

(٢) في ت : يوسف .

(٣) في ت : ليكشف على إبراهيم .

(٤) جاء هذا البيت في غ مكان الثاني والثاني مكان الأول .

(٥) في ت : مع .

فأقام محمد على قصده والإساءة [إليه] ^(١) حتى بلغ منه كل مكروه ، وانفجرت الحال بينهما بعد ذلك ، وهجاه إبراهيم هجاء كثيرا وبسط لسانه فيه . فمن ذلك ما قاله فيه لما رفع الواثق يده عنه ورده إلى الحضرة مصونا :

قدرت ولم تضرر ^(٢) عدوًا بقدره وسمت به إخوانك الذل والرغما
وكنتم مليئًا بالتي ^(٣) قد يعافها من الناس من يأبي الدنية ^(٤) والذما

قال جعفر بن رفة : دعاني إبراهيم بن العباس وقال : قد قلت في أمير المؤمنين المتوكل بنتين فمن فيهما وأشعهما ، ودعاني بطيب كثير فأعطانيه ، وخلع علي خلعة سنية ^(٥) فغنت فيهما . وها :

ما واحد من واحد أولى بفضل أو مروءة
ممن أبوه وجدّه ^(٦) بين الخلافة والنبوة

فأشعثهما وغنت بهما المتوكل فاستحسنهما ووصلني بصلة سنية .

دخل إبراهيم بن العباس على علي الرضا رضي الله عنه وقد عقد له الأمون

ولاية المهدي .

فأنشده قصيدته :

أزالت عزاء القلب بعد التجدد مصارع أولاد النبي محمد

فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت بأسمه فلم تزل عند إبراهيم وجعل منها مهور نسائه وخلف بعضها لكفنه وجهازه وقبره .

(١) ساقطة من ت .

(٢) في غ : تضرب .

(٣) في ت : مليا بالذي .

(٤) في غ : الدينية .

(٥) في غ : سرية .

(٦) في ت : محمد .

قال علي بن يحيى : بعث المتوكل إلى إبراهيم بن العباس يأمره أن يصف له القدور الإبراهيمية ، التي كان ابتدعها ، فكتب له صفتها ، وكتب في آخرها في ذكر الأباير « ووزن دانيق » ونسى أن يكتب من أي شيء . فلما وصلت إليه الصفة اغتاظ غيظا وقال لعلي : أخلص بجيأتي^(١) أن تقول له ما أمرك ، ففعل . فقال : قل له : وزن دانيق من أي شيء؟ أمين^(٢) بظر أمك ! قال علي بن يحيى : فدخلت إليه فقلت : إني جئت في رسالة عزيز علي أن أوديهالك وأذاها فقال له : ارجع إليه فقل له : يقول لك : يا سيدي إن علي بن يحيى أخى وصديقى فإن رأيت أن تجعل الدانيق من بظر أمه تفضلت بذلك ، فقال له . قبحك الله ! وأنا أي شيء ذنبي ! فقال : قد أديت الرسالة وهذا جوابها . فدخلت على المتوكل فقال : إيه ما قال لك ؟ فقلت له : قبح الله ما جئتك به ! وأخبرته الجواب ؛ فضحك حتى فحص برجله وجعل يشرب عليه بفيئة يومه . وإذا لقيته قال لي : يا علي ، وزن دانيق من أي شيء ! فأقول : لعنة الله على إبراهيم .

كتب إبراهيم بن العباس شفاعة لرجل إلى بعض إخوانه : وإن فلانا ممن يزكو شكره ويحسن ذكره ويعنى^(٣) أمره ، والصنيعة عنده واجدة موصها^(٤) وسالكة به طريقتها :

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجبا
إصابة شكر لم يضع معه أجر
كان عبيد الله بن يحيى يقول للمتوكل : إن إبراهيم بن العباس فضيلة خباها الله عزوجل لك ، وحسنة^(٥) ذخرها ليدولتلك .

(١) بياض بالأصل والتسكلمة من غ .

(٢) فت : من بظر أمك ؟ .

(٣) بياض بالأصل والتسكلمة من « غ » .

(٤) في غ : واقعة موقعها .

(٥) في غ : وذخيرة .

دعا الحسنُ بنُ وهبِ إبراهيمَ بنِ العباسِ ؛ فقال له : أركبُ وأحيثُك عشاءً^(١)
فلا تنتظرني الغداة . فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن في شربه فسكّر ونام ، فجاء إبراهيم
فراه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب :

رُحناً إليك وقد راحت بك الراح وأسرعت فيك أرطال^(٢) وأقداح

ونظر إبراهيم بن العباس يوماً إلى الحسن بن وهب وهو مخمور فقال :

عيناك قد حككتا^(٣) ميب — تك كيف كُنت وكيف كنا

ولربّ عَيْنٍ قد أرّت — لك مبيتَ صاحبها عياناً

لبس إبراهيم بن العباس سلاحه وقال : يا غلام هات ذلك السيف الذي ماخره
الله تعالى به أحداً غيري .

وسأل يوماً عن ابن أخيه أحمد بن عبد الله بن العباس المعروف بطماس فقيل له :
إنه مشغول بطيب ومنجّم عنده ، وكان يستثقله فقال : قولوا له : مالك في الناس
طبع ؛ ولا في السماء نجم ، فما هذا التكلف !

أمر إبراهيم بن العباس أن يجمع كلّ أعمور يمرّ في الطريق ، فلمّا جمعهم وأوقفهم
خرج ومعه طماس ، وقال له : كلّهم مثلك فأترك ذا الصّلف إنّه داعية^(٤) إلى
التلف .

قال الحسن بن وهب لإبراهيم بن العباس : يا أبا إسحاق تعال حتى نعدّ البمضاء ،
فقال : ابدأ بي أولاً لأجل ابن أخي طماس ثم ننّ بمنّ شئت .

(١) في غ : عشيا .

(٢) في غ : أوتار .

(٣) في ت : جلنا « تحريف » .

(٤) في ت : دل عليه « تحريف » .

كان المتوكل قدولى ابن الكلبي البريد ، وأحلفه بالطلاق ألا يكتمه شيئا من أمور الناس ولا من أمره هو في نفسه . فكتب إليه يوما يخبره أن أمراته خرجت مع حُبَّتِهَا^(١) في نزهة وأن حُبَّتِهَا عمر بدت عليها وجرحتها في صدغها فقراه إبراهيم بن العباس على المتوكل ثم قال له : يا أمير المؤمنين قد صحف ابن الكلبي إنما هو جرحتها في سرمها فضحك المتوكل وقال : صدقت ما أظن القصة إلا هكذا . وأن الكلبي هذا ليس من بني كلب ، إنما كان أبوه يلقب « بـكَلْبِ الرَّحْلِ » فقيل له : الكلبي .

وكتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك الزيات : أما والله لو أمنت ودك لقت ؛ ولكني أخاف منك عتبا لا تنصفي فيه ، وأخشى من نفسي لائمة لا تحملها لي . وما قدر فهو كائن ، وعن كل حادثة أحدوثة . وما استبدت بحالة كنت فيها مقتبطا حالة أنا في مكروها وألمها أشد علي من أني فزعت إلى ناصري عند ظلم أحقني ، فوجدت من ظلمني أخف نية في ظلمي منه ، وأحمد الله كثيرا . ثم كتب في أسفلها :

وكنْتَ أَخِي يَاخَاءَ الزَّمَانِ فلما أنشئني^(٢) صرت حَرَبًا عَوَانًا
وكنْتَ أَدُمُ إِلَيْكَ الزَّمَانِ فأصبحتُ فيكَ أَدُمُ الزَّمَانَا
وكنْتَ أُعِدُّكَ لِلنَّائِبَاتِ فيها أنا^(٣) أطلبُ مِنْكَ الأَمَانَا

قال إبراهيم بن المهدي : جرى بين إبراهيم بن العباس وبين أخي أحمد بن المدبر كلام وكان يودني^(٤) دون أخي ؛ فلقينته فأعتذرت إليه عنه فقال : يا أبا إسحاق :

خَلَّ النِّفَاقَ لِأَهْلِهِ وعليك فالتمس الطريقا
واذهب بنفسك أن ترى إلا عدوا أو صديقا

(١) الحبة : المحبوبة .

(٢) في غ : نبا .

(٣) في غ : فأصبحت .

(٤) في ت : مودى « تحريف » .

(وقال إبراهيم بن العباس لأبي تمام وقد أنشده شعراً له في المعتصم : يا أبا تمام ،
أمراء الكلام رعيّةٌ لإحسانك ، فقال له أبو تمام : ذاك لأنّي أستضيء بك وأرد
شريعتك .)

قال أبو الفرج الأصبهاني : أنشدت عمّي أبياتا لأبن دُرَيْدٍ يمدح بها رجلا من
البصرة :

يا مَنْ يُقْبَلُ كَفَّ كُلِّ مُحَرَّقٍ هَذَا ابْنُ يَحْيَى لَيْسَ بِالْمُخْرَقِ
قَبْلَ أَنْ يَمْلَأَهُ فَلَسْنَا أَنْامِلًا لَكِنَّهُنَّ مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ

فقال لي : يا بني هذا سرّقه هو وأبن الرومي من إبراهيم بن العباس يمدح الفضل
ابن سهل :

لفضل بن سهل يَدُّ تقاصر عنها المثل^(١)
فباطنها للندي وظاهرها للقبيل
وبسطتها للغني وسطوتها للأجل
[من الفضل أمواله ومن سائله الأمل^(٢)]

وسرّقه ابن الرومي فقال :

أصبحتُ بين خصاصة وتحمّل^(٣) والمرء^(٤) بينهما يموتُ هزيبلا
فأمدد إلى يدّاء تعود بطنها بذل النّوال وظهرها^(٥) التّقبيللا

(١) في غ : الأمل .

(٢) لم يرد هذا البيت في غ في هذا الخبر .

(٣) في غ : مذلة .

(٤) في غ : والحر .

(٥) في غ : الندي وظهورها .

قال أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب : كان إبراهيم بن العباس أشمرَ
 المُحدّثين ، وما روى ثعلبَ شعرَ كاتِبَ قطّ غيره . وكان يستحسن كثيرا قوله :
 لنا إبل كَوْمٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا وَيَفْتَرُ عَنْهَا أَرْضَهَا وَسَمَاوَهَا
 فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تَسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا وَمِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَدَمَّ^(١) دِمَاؤُهَا
 حِمِّيَ وَقَرَى فَاَلْمُوتُ دُونَ مَرَامِهَا فَأَيْسَرَ حَظُّبِ يَوْمٍ حَقَّ فَنَاوَهَا
 ثم يقول : والله لو كان هذا لبعض الأوائل لاستجيد .

قال الحسن بن رضاء : لما بنى المأمونُ ببوران بنتَ الحسن بن سهل ، قدم إبراهيم
 ابن العباس علينا ودخل إلى الحسن بن سهل فأنشده :

لِيَهْنِكَ إِصْهَارُ أَذَلَّتْ بِمِزِهِ خَدُودًا وَجَدَعَتِ الْأَنْوْفَ الرَّوَاعِمَا
 جَمَعَتْ بِهِ الشَّمْلَيْنِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَخُرَّتْ^(٢) بِهِ لِلْأَكْرَمِينَ الْأَكَارِمَا
 بَنُوكَ غَدَاً^(٣) آلَ النَّبِيِّ وَوَارِثُوهُ خِلَافَةَ وَالْحَاوُونَ كِسْرَى وَهَاشِمَا

فقال الحسن بن سهل : « شَنِسِنَةَ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ » أى إنك لم تزل تمدحنا ،
 وقال : أحسن الله جزاءك يا أبا إسحاق ؛ فما الكثير من فعلنا بك بجزاء لليسير
 من حَقِّكَ .

١ وقال إبراهيم بن العباس فى قِيِنَّةِ كَانَ يَهْوَاهَا :

وَعَلَّمْتَنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجَهَلْتَهُ وَعَلَّمَكُم صَبْرَى عَلَى ظُلْمِكُمْ ظُلْمَى
 وَأَعْلَمَ مَالِي عِنْدَكُمْ فَيَرِدْنَى

هُوَ أَى إِلَى جَهْلَى^(٤) فَأَرْجِعْ^(٥) عَنِّي عِلْمَى

(١) فى غ : تستباح .

(٢) فى ت : وجدت « تعريف » .

(٣) كذا فى الديوان . وفى الأصل : « غدوا » .

(٤) فى غ : جهل .

(٥) فى غ : فأقصر .

قال عُبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر : لا أعلم لتقديم ولا لمُحدَث في قصر الليل
أحسن من قول إبراهيم بن العباس :

وليلة من الليالي الزُّهرُ قابلتُ فيها بدرها بِبدرٍ
لم تكُ غيرَ شفقٍ وفجرٍ حتى تولَّتْ وهي بكرُ الدهرِ

كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دُواد ، فلما خرج من عنده لقيه
محمد بن عبد الملك الزيات وهو خارج من عنده ، فتبين إبراهيم في وجه محمد الغضب
فلم يخاطبه في العاجل بشيء .

فلما أنصرف إلى منزله كتب إليه :

دَعْنِي أُرَاصِلْ مَنْ قَطَعَهُ تَيرَاكُ بِي إِذْ لَا يَرَاكَ
إِنِّي مَتَى أَهْجُرُ بِهِجْرٍ رِيكَ لَا أَضْرِبُهُ ^(١) سِوَاكَ
فَإِذَا قَطَعْتُكَ فِي أَخِيهِ لَكَ قَطَعْتُ فَيْكَ غَدَا أَخَاكَ
حَتَّى أُرَى مُتَّفَعِمًا يَوْمًا لَذًا وَغَدَا لَذًا ^(٢) كَا

قال أبو العيناء : كنتُ عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً فنقطت من القلم
نقطةً مُفسدةً فسحها بكمه ؛ فَمَجِبَتِ مِنْهُ فَقَالَ : لَا تَعَجَبْ ، الْمَالُ فِرْعُ ، وَالْقَلَمُ
أَصْلُ ، وَمِنْ هَذَا السَّوَادِ جَاءَتْ هَذِهِ الثِّيَابُ ^(٣) ، وَالْأَصْلُ أَحْوَجُ إِلَى الْمِرَاعَاةِ مِنَ
الْفِرْعِ . ثُمَّ فَكَّرَ قَلِيلًا وَقَالَ :

إِذَا مَا الْفِكْرُ وَلَدَّ حُسْنَ لَفْظٍ وَأَسْلَمَهُ الْوَجُودُ إِلَى الْعِيَانِ
وَوَشَّاهُ فَنَمَنَّمَهُ مُسَدًّا ^(٤) فَصِيحٌ فِي الْمَقَالِ بِلَا لِسَانٍ
تَرَى حُلَّ الْبَيَانِ مُنْثَرَاتٍ تَجَلَّى بَيْنَهَا صُورٌ ^(٥) الْمَعَانِي

(١) في ت : لا أعزبه .

(٢) في غ : يوي . . وغدى .

(٣) في ت : جاء هذا البياض .

(٤) في معجم الأدباء ١/١٨١ : بيان . والمسد : مصيب السداد .

(٥) في معجم الأدباء : حلل .

لمّا عزم المأمونُ على الفتك بالفضل بن سهل ، وندب له عبدَ العزيز بن عمران الطائى ، ومؤنسا وسراجا الخادم وغيرهم ونمى الخبرُ إلى الفضل ، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه . فلمّا قُتل الفضل وقتلَ المأمون قتلته ، سأل : من أين سَقَطَ الخبرُ إلى الفضل ؟ فعرف المأمون أنه من جهة إبراهيم بن العباس فطلبه فاستتر . وكان إبراهيم عرفَ هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران ، وكان الفضل أستكتم إبراهيم لعبد العزيز بن عمران ، فأخبر به الفضل . وتحمّل إبراهيم عن المأمون وجردَ في أمره هشاما الخطيبَ المعروف بالعباسى وكان جريئاً على المأمون لأنه رباه ، وشخص إليه إلى خراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي ، فلم يُجِبْه إلى ما سأله فيه . فلقبه إبراهيم مستتراً وسأله عمّا عملَ في حاجته . فقال له هشام : قد وعدنى في حاجتك بما تُحب . فقال له إبراهيم : أظن الأمرَ على غير هذا ؛ قال : وما تظن ؟ قال : محلُّك عند أمير المؤمنين أجلُّ من أن يعِدَّكَ شيئاً فترضى بتأخيرهِ ، وهو أكرمُ من أن يعِدَّ مثلك شيئاً فيؤخره عنك ، لكن سمعت مالا تحب أن تُعَمَّنِي به فقلت لى هذا القول ، وأحسنَ الله على كُُلِّ الأحوال جزاءك ، فضى هشام إلى المأمون فعرفه خبر إبراهيم فمَجِبَ من فِطنته وعَفَا عنه . وفي هشام يقول إبراهيم بن العباس :

مَنْ كَانَتِ الْأَمْوَالُ ذُخْرًا لَهُ فَإِنَّ ذُخْرِي أَمَلِي فِي هِشَامِ
فَتَى نَفَى^(١) اللَّامَةَ عَنْ عَرِضِهِ وَأَنْهَبَ الْمَالَ قَضَاءَ الذَّمِّ

دَخَلَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنْشَادِ ، فَقَالَ :

هَات ، فَأَنْشَدَهُ :

يَقْضِي^(٢) الْأُمُورَ عَلَى بَدِيهِتِهِ وَتُرِيهِ فِكْرَتَهُ عَوَاقِبَهَا

(١) في غ : يقي .

(٢) في غ : يعضى .

فِيظَلُّ يُصَدِّرُهَا وَيُورِدُهَا فَيَعْمُ حَاضِرَهَا وَغَائِبَهَا
وَإِذَا أَلَّتْ صَعْبَةً عَظُمَتْ فِيهَا الرِّزِيَّةُ كَانَ صَاحِبَهَا
الْمُسْتَقِيلُ بِهَا وَقَدْ رَسَبَتْ وَلَوَتْ عَلَى الْأَيَّامِ جَانِبَهَا
وَعَدَلَتْهَا بِالْحَقِّ فَأَعْتَدَلَتْ وَوَسِعَتْ رَاغِبَهَا وَرَاهِبَهَا
وَإِذَا الْحُرُوبُ غَلَّتْ بَعَثَتْ لَهَا رَأْيَا تَغْلُ بِه كَتَائِبَهَا
رَأْيَا إِذَا نَبَتِ السِّيُوفُ مَضَى عَزَمُ بِهَا فَشَفَى ^(١) مَضَارِبَهَا

ومما قاله فيه أيضا :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّظِيرُ
لَمَثَّلْتَهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَهُ شَاكِرٌ

ومن شعر إبراهيم بن العباس في أحمد بن المدبر وقد جاءه بعد خلاصه من
النكبة مهنئاً ، وكان أستمعان به في أمر نكبته فقمعد عنه ، وبلغه أنه كان يُحرِّضُ
عليه ابن الزيات :

وَكَنتَ أَخِي بِالذَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَأَ نَبِوتَ فَلَمَّا عَادَ عُدَّتْ مَعَ الذَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالِ نَجْدٍ بِكَ طَائِلًا وَلَا يَوْمَ إِدْبَارِ عِدَدَتِكَ مِنْ وَتْرِ
وَمَا كُنْتَ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامِ نَائِمٍ كَلَّا حَالَتَيْكَ مِنْ وِفَاءٍ وَمِنْ غَدْرِ

لما عقد المتوكل لولاية اليهود من ولده ركب بسر من رأى رغبة لم ير أحسن
منها ، وركب ولاية اليهود بين يديه ، والأترك بين أيديهم وأولادهم يمشون بين يدي
المتوكل بمناطق الذهب ، وفي أيديهم الأطيار ^(٢) المذهبة ثم نزل في الماء وجلس فيه

(١) في ت : عزم به يشفى .

(٢) أنواع من السلاح . وفي غ : الطير : زينات .

والجيش معه من الجانيين وسائر السفن ، وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له :
العروس ، وأذن للناس . فدخلوا فلما تكاملوا بين يديه ، مثل إبراهيم بن العباس بين
الصفيين وأنشد :

ولما بدأ جعفر في الحميد
بدأ لابساً بهما حلة
ولما بدأ بين أحبابه
بدأ^(٢) قرأ بين أقماره
لإيقاد نارٍ وإطفائها
س بين المطل^(١) وبين العروس
أزليت بها طالعات الدخوس
وؤلة المهود وعزّ النفوس
وشمساً مكّلة بالشموس
ويومٍ أنيقٍ ويومٍ عبّوس

وأقبل على ولاة المهود فقال :

أضحت عرى الإسلام وهي منوطة
بخليفة من هاشمٍ وثلاثة
قرئ توافت حوله أقماره
رفعتم الأيام وارتفعت بهم^(٣)
بالنصر والإعزاز والتأييد
كنفوا الخلافة من ولاة عهد
فحققن مطلع سمعه بسعود
فسموا بأكرم أنفسٍ وجُدود

فأمر له المتوكل بمائة ألف درهم وأمر له ولاة المهود بمثلها .

اجتمع هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات وابن بُرد الخباز^(٤) في مجلس عميد الله
ابن سليمان قبل وزارته ، فجعل هارون ينشد من محاسن شعر أبيه ويفضّله ويقدمه .
فقال ابن بُرد الخباز^(٤) : إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم بن العباس :

(١) في ت : المطل « تحريف » .

(٢) في غ : غدا .

(٣) في غ : وارتفعوا به .

(٤) كذا في معجم الأدباء ١ / ١٨٣ . وفي غ : الحيار . وفي ت : الحبار ، وكلاهما تحريف .

— أسدٌ ضارٌّ إذا هيَّجته وأبٌ برٌّ إذا ما قدرا
— يَعْرِفُ الأَبَدَ إنْ أَثْرَى ولا يَعْرِفُ الأَدْنَى إذا ما افتقرا

ومثل قوله :

تلاج السنون بيوتهم وترى لهم^(١) عن جار بيتهم ازورارَ مناكِبِ
وتراهم بسُيوفهم وشفارهم مُسْتَشْرِفِينَ لِرَاغِبٍ أو رَاهِبِ
حامين أو قارين حيث لقيتهم نَهَبَ المُفَاةَ ونُهْرَةَ^(٢) لِلرَّاعِبِ
فأذكره وفاخره به وإلا فأقلل من التطاول والافتخار بما لا طائل فيه ؛
فخجل هارون وسكت .

(١) فت : لها . وفي غ ومعجم الأدباء : لهم .

(٢) كذا في ت وغ . وفي معجم الأدباء : نزهة .

إبراهيم بن المهدي

(كنيته أبو إسحاق . وأمه مولدة اسمها شَكْلَة) . أبوها من أصحاب المازيار ، يقال له : شاه أفرند ، قُتل مع المازيار وسُميتْ شَكْلَة ، وحملت إلى المنصور فوهبها لمُحيَاةَ أمِّ ولده فربّتها وبعثت بها إلى الطائف فنشأت هناك فلما كبرت رُدَّتْ إليها . فرآها المهدي عندها فأعجبته ، فطلبها من مُحيَاةَ فأعطته إياها فولدت منه إبراهيم .)
(وكان إبراهيمُ رجلاً فهِماً عاقلاً أدبياً شاعراً رَويَةً للشعر وأيامِ العرب خطيباً فصيحاً حسن العارِضة .)

وكان إسحاق الموصلي يقول : ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن عباس أفضل من إبراهيم بن المهدي ، فقيل له : مع ما تبدّل به من الغناء ؟ فقال : وهل تمّ فضله إلا بذلك !

وكان إبراهيم أشدَّ خلق الله إعظاماً للغناء ، وأحرصهم عليه ، وأشدّهم منافسة فيه . وكانت صنعتُهُ إذا صنعها ينسبها إلى شارية وريق ، لثلاث يقع عليه طعن أو تقيع ، فقالت صنعتُهُ في أيدي الناس مع كثرتها . وكان إذا قيل له فيها شيء يقول : إنما أصنع تطرُّباً لا تكسباً ، وأغنى لنفسي لا للناس فأعمل ما أشتهي . وكان حسنُ صوتِهِ يسرُّ عوار ذلك .

وكان الناس يقولون : لم يُر في جاهلية ولا إسلام أختٌ وأخٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عُليّة .

وكان يناظر^(١) إسحاق ويجادله ، فلا يقوم له ولا يفي به ، ولا يزال إسحاق

(١) فيغ : يماظ أى ينازع .

يغلبه ويُفصِّه بريقه ويُغضُّ منه ويظهر عليه السَّقَطَاتِ وَبَيِّنَ خَطَأَهُ وَعَجَزَهُ عَنْ مَعْرِفَةِ
الْخَطَأِ الْغَامِضِ إِذَا مَرَّ بِهِ ؛ وَقُصُورَهُ عَنْ آدَاءِ الْغِنَاءِ الْقَدِيمِ فَيَفْضَحُهُ بِذَلِكَ .
وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مُنَازَعَاتٌ لَا تَنْقَطِعُ ، وَكَانَا يُجْرِيَانِ كُلَّ قَبِيحٍ ، وَمَاتَا عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ
مِنَ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمُنَاطَرَاتِ .

(وَلَوْ شَرَحْتُ أَخْبَارَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ لَمَّا وَلى الْخِلَافَةَ وَذَكَرْتُ صِفَاتِهِ
فِي فَصَاحَةِ اللِّسَانِ ، وَحَسَنِ الْبَيَانِ ، وَجَوْدَةِ الشُّعْرِ ، وَرِوَايَةِ الْعِلْمِ ، وَالْمَعْرِفَةَ بِالْجِدَالِ ،
وَجَزَالَةَ الرَّأْيِ ، وَالتَّصَرُّفَ فِي الْفِقْهِ وَاللُّغَةِ ، وَسَائِرَ الْآدَابِ وَالْعُلُومِ الْجَلِيلَةِ ،
وَالْأَدْوَاتِ الرَّقِيمَةِ لِطَالَ الْأَمْرُ .

وَكَانَ يَقُولُ : لَوْلَا أَنِّي أَرْفَعُ نَفْسِي عَنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَأُظْهِرْتُ فِيهَا مَا يَعْلَمُ النَّاسُ
مَعَهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا قَبْلِي مِثْلِي .

وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى حَالِ تَصَوُّنٍ عَنْهُ وَتَرْفَعٍ ، إِلَّا أَنْ يَدْعُوهُ
إِلَيْهِ الرَّشِيدُ إِلَيْهِ فِي خُلُوةٍ وَالْأَمِينُ بِمَدَّةٍ .

فَلَمَّا أَمَّنَهُ الْمَأْمُونُ سَهَّتَكَ بِالْغِنَاءِ وَشُرِبَ النَّبِيدُ بِحَضْرَتِهِ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ لَيْلًا
مَعَ الْمُغْنِيِّنَ خَوْفًا وَإِظْهَارًا لَهُ أَنَّهُ خَلَعَ رِبْقَةَ الْخِلَافَةِ مِنْ عُنُقِهِ وَهَتَكَ سِتْرَهُ فِيهَا حَتَّى
لَا يَصْلُحُ لَهَا .

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَفْسَدَ الْغِنَاءَ الْقَدِيمَ وَجَعَلَ لِلنَّاسِ جِسَارَةً عَلَى تَغْيِيرِهِ ، وَالنَّاسُ
صِنْفَانِ : مَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ وَأَصْحَابِهِ مِمَّنْ كَانَ يُنْكَرُ تَغْيِيرَ الْغِنَاءِ الْقَدِيمِ
فَهُوَ يُعْنَى الْقَدِيمَ عَلَى هَيْئَتِهِ ، وَمَنْ أَخَذَ مَذْهَبَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَأَقْتَدَى بِهِ
كَمُخَارِقٍ وَغَيْرِهِ فَإِنَّهُ يَعْنَى الْغِنَاءَ الْقَدِيمَ كَمَا يَشْتَهَى هُوَ ، لَا كَمَا غَنَّاهُ مِنْ يُنْسَبُ
إِلَيْهِ ، وَيَجِدُ عَلَى ذَلِكَ مُسَاعِدِينَ مِمَّنْ يَشْتَهَى أَنْ يَقْرُبَ عَلَيْهِ مَا أَخَذَ الْغِنَاءَ ، وَيَكْرَهُ

ما تُقَل ، وكثرت أجزاءه^(١)، ويستطيل الزمان في أخذ الغناء الجيد على جهته
لقصور معرفته .

قال أبو الفرج الأصبهاني في أصله : وعلى أن الجميع من الصحيح والمُعَيَّر قد
انقضى في وقتنا هذا)

قال إبراهيم بن المهدي : دخلت يوما على الرشيد وبني فضلة حُمار ، وبين يديه
ابن جَامِع وإبراهيم الموصلي ، فقال : بحياتي يا إبراهيم غنّ . فأخذت العود ولم
ألتفت إليهما لما في رأسي من الحُمار وغنّيت :

أَسْرَى بِخَالِدَةَ الْخَيْالِ وَلَا أَرَى شَيْئًا لَدَّ مِنْ الْخَيْالِ الطَّارِقِ
إِنِّ الْبَلِيَّةَ مَنْ تَمَلَّ حَدِيثَهُ فَأَنْقَعُ فَوَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ
أَهْوَالِكُ فَوْقَ هَوَى النَّفُوسِ وَلَمْ يَزَلْ مَذْبُوتِ قَلْبِي كَالْجَنَاحِ الْخَافِقِ
شَوْقًا^(٢) إِلَيْكَ وَلَمْ تُجَازِي مَوَدَّتِي^(٣)

ليس المُكذَّبُ كَالْحَبِيبِ الصَّادِقِ

فسمعت إبراهيم يقول لابن جَامِع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما تطلب لما أكلنا
خبزا أبداً) فقال ابن جامع : صدقت . فلما فرغت من غنائى وضعت العود ثم قلت :
خذا في حقكما ودعنا باطلنا .

قال هبةُ الله بن إبراهيم بن المهدي : كان الرشيد يحب أن يسمع أبي فخلأ به
مرّات إلى أن سمعه . قال إبراهيم : فحضرته يوما وعنده سُليمان بن أبي جعفر
فقال لي : عمك وسيد ولد المنصور بعد أبيك وقد أحب أن يسممك ؛ فلم يتركني
حتى غنّيت بين يديه للأحوص :

(١) في غ : وثقلت أدواره .

(٢) في غ : طربا .

(٣) في غ : ولم تبالي حاجتي .

سَقِيًّا لِرُبْعِكَ مِنْ رُبْعِ بَدْيِ سَلَمٍ وَلِلزَّمانِ بِهِ إِذْ ذَاكَ مِنْ زَمَنِ
إِذْ أَنْتَ فِينَا لَمَنْ بِنَهَاكَ عَاصِيَةً وَإِذْ أُجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِ
فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي لَيْلَةً وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَجْلِسِ عِنْدَهُ إِلَّا جَعْفَرُ
ابنِ يَحْيَى : إِنْ أَحَبَّ أَنْ تُشَرَّفَ جَعْفَرًا بِأَنْ تُغْنِيَهُ صَوْتَا ، فَنَعْنِيَهُ لِلدَّارِي :
كَأَنَّ صُورَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذْ وَصِفَتْ دِينَارُ عَيْنٍ مِنَ الْمَضْرُوبَةِ (١) الْمُتَقَرِّ
أَوْ دُرَّةٌ أَعْيَتْ النُّوَاصِ فِي صَدَفٍ أَوْ ذَهَبٌ (٢) صَاغَهُ الصَّوَاغُ مِنْ وَرِقٍ
فَأَمَرَ لِي الرَّشِيدَ بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ .

قال محمد الحارث بن بُسْحَرْتِ (٣) : لَمَّا قَدِمَ الْأَمُونُ مِنْ خُرَّاسَانَ لَمْ يَظْهَرَ لِمُعَنَّ
بِمَدِينَةِ السَّلَامِ غَيْرِي ، فَكُنْتُ أَنْادِمُهُ سِرًّا ، وَلَا يَظْهَرُ لِلنَّدَمَاءِ أَرْبَعُ سَنِينَ ، حَتَّى ظَهَرَ
بِابْنِ الْمَهْدِيِّ فَلَمَّا ظَهَرَ بِهِ وَعَفَا عَنْهُ ظَهَرَ لِلنَّدَمَاءِ ثُمَّ جَمَعْنَا ؛ وَوَجَّهَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَحَضَرَ
فِي ثِيَابِ بَدْلَةٍ (٤) ، فَلَمَّا رَأَى الْأَمُونُ قَالَ : أَلْقَى عَمِّي رِذَاءَ الْكَبِيرِ عَنْ مَنْكِبِيهِ ، ثُمَّ
أَمَرَ لَهُ بِخَلْعِ فَاحِرَةٍ وَقَالَ : غَدُّوا عَمِّي ؛ فَتَغَدَّى إِبْرَاهِيمَ بِحَيْثُ يَرَاهُ الْأَمُونُ ثُمَّ تَحَوَّلَ
إِلَيْنَا وَكَانَ مُخَارِقَ حَاضِرًا فَغَنَّنِي مُخَارِقَ :

هَذَا وَرُبَّ مَسُوفِينَ صَبَحْتَهُمْ مِنْ خَمْرِ بِيَابِلَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِ
بَكَرُوا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحْتَهُمْ بِإِنَاءِ ذِي كَرَمٍ كَقَعْبِ الْحَالِبِ
بِزَجَاجَةٍ مِلءِ الْيَدَيْنِ كَأَنَّهَا قَنَدِيلُ فَضْحٍ (٥) فِي كَنِيسَةٍ رَاهِبِ
فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَسَأْتُ فَأَعِدْ ؛ فَأَعَادَ فَقَالَ : قَارِبَتْ وَلَمْ تُصِبْ . فَقَالَ لَهُ الْأَمُونُ :

(١) في غ : المصرية .

(٢) بياض بالأصل والتسكئة من غ .

(٣) في ت بحرف « تحريف » .

(٤) البذلة من الثياب ما يلبس كل يوم .

(٥) الفصح : عيد النصارى .

إن كان أساء فأحسن أنت . فغناه إبراهيم ثم قال لمخارق : غنه فغناه . فقال : أحسنت
ثم قال للمأمون : كم بين الأمرين ؟ قال : كثير . فقال لمخارق : إنما مثلك مثل الثوب
الفاخر إذا غفل عنه أهله وقع عليه التراب فأحال لونه ، فإذا نُفِض عاد إلى جوهره .
قال : ثم غنى إبراهيم :

يا صاحِ يا ذا الضامر العنسى والرحل ذي الأقتاد والحليس^(١)

قال مخارق : وكانت لي جائزة قد خرجت ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين يا امر سيدي
يا لقاء هذا الصوت على مكان جائزتي فهو أحب إليّ منها . فقال : يا عمّ القى هذا الصوت
على مخارق ، فألقاه على حتى إذا كدت أن آخذه قال : اذهب فأنت أحق الناس
به . فقلت : إنه لم يصلح بعمد . فقال : فأعد على . فعدوت عليه فغناه متلويًا . فقلت : أيها
الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابن خليفة وأخو خليفة وعم خليفة تجود
بالرغائب وتبخّل على بصوت . فقال لي : ما أحمّك ! إن المأمون لم يستبقني محبة لي
ولا ضلة لرحمي ولا رياء للمعروف عندي ، ولكنه سمع مني هذا الجرم^(٢) ولم
يسمه من غيري . قال : فأعلمت المأمون مقالته . قال : فإننا لانكدر على أبي إسحاق
عفوًا عنه ، فدعه .

فلما كانت أيام المعتصم نشط يوما للصبوح فقال : أحضر واعمى فجاء في ذرّاعة
بغير طيئسان فأعلمت المعتصم خبر الصوت سرًّا . فقال : يا عمّ غن :

يا صاحِ يا ذا الضامر العنسى

فغناه فقال : أله على مخارق . فقال : قد سبق مني قول في هذا ؛ ثم كان يتجنّب
أن يُغنيّه حيث أحضر .

(١) في ت : ذى الأفتاء والحليس . « تحريف » .

(٢) الجرم : الصوت .

وكان إبراهيم بن المهدي أحسن الإنس والجن والوحش والطير صوتاً .

قالت أسماء بنت المهدي : قلت لأخي إبراهيم : أشتهى أن أسمع من غنائك شيئاً ، فقال : إذا يا أختي لا تسمعين مثله وعلى وعلى وأغلظ في اليمين إن لم يكن إبليس ظهر لي وعلمني النقر والنغم وصاغني وقال لي : اذهب فأنت مني وأنا منك) قال إبراهيم بن المهدي : غضب على الأمين في بعض هناته فسلمني إلى كوثر^(١) فحبسني في سرداب وأغلقه علي فسكنت فيه ليلتي . فلما أصبحت إذا أنا بشيخ خرج علي من زاوية السرداب فدفع إلي وسطاً فقال : كل فأكلت ، ثم أخرج قنينة شراب فقال : اشرب فشربت ثم قال لي : غن :

لي مدة لا بد أبلغها معلومة فإذا انقضت مت

لو ساورني الأسد ضارية لعلبتها ما لم يبح الوقت

فغنيته وسمع كوثر فصار إلى محمد فقال : قد جن عمك هو جالس يغني بكيت وكيت ، فأمر بإحضاري فأخبرته القصة فمجب من ذلك ، وأمر لي بسبع مائة ألف درهم ورضي عني .

قال أحمد بن أبي دواد : كنت أعيب الغناء وأطعن على أهله فخرج المعتصم يوماً إلى الشماسية في حراقة يشرب ، ووجهه في طلي فصرت إليه ؛ فلما قرأت منه سمعت غناء حيرني وشغلني عن كل شيء ، فسقط سوطي من يدي ؛ فالتفت إلى غلامي أطلب منه سوطاً فقال لي : والله سقط مني سوطي . فقات له : وما سبب سقوطه ؟ قال : صوت سمته حيرني ، فما علمت كيف سقط ؛ فإذا قصته قصتي . قال : وكنت أنكر أمر الطرب على الغناء وما يستفزع الناس منه فيغلب على عقولهم ، وأناظر المعتصم عليه^(٢) . فلما دخلت عليه يومئذ أعلمته بالخبر ؛ فضحك وقال : هذا عمي كان يغني :

(١) كوثر : خادم محمد الأمين .

(٢) في غ : فيه .

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصِ نَشَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاتَا
فَإِنْ تَبَّتْ مِمَّا كُنْتَ تُنَاطِرُ عَلَيْهِ مِنْ ذَمِّ الْغَنَاءِ سَأَلْتَهُ أَنْ يَعِيدَهُ . فَعَمَلْتُ وَفَعَلَ .
فَبَلَغَ بِي الطَّرْبُ أَكْثَرَ مِمَّا يَبْلُغُهُ غَيْرِي ؛ وَرَجَعْتُ عَنْ رَأْيِي فِي الْغَنَاءِ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ .
وَقَالَ الْمُتَعَصِّمُ لِإِبْرَاهِيمَ : أَمَا إِذَا كَانَتْ تَوْبَتُهُ عَلَى يَدِكَ فَلَقَدْ فُزْتَ بِفَخْرٍ وَعَدَلَتْ
بِرَجُلٍ ضَخَّمْ عَنْ رَأْيِهِ إِلَى شَأْنِنَا .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيُّ : كُنَّا عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ دَعَا
كُلَّ مُحْسِنٍ مِنَ الْمَغْنِيِّينَ وَهُوَ جَالِسٌ يَلْمَبُ بِالشُّطْرُنَجِ فَتَرَنَّمَ إِبْرَاهِيمُ بِصَوْتِ فَرِيدَةٍ
فِي شِعْرِ أَبِي الْمَتَاهِيَةِ :

قَالَ لِي أَحْمَدٌ وَلَمْ يَدْرِ مَا بِي أَتُحِبُّ الْغَدَاةَ عُتْبَةَ حَقًّا
فَتَنَفَسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حُبًّا أَجْرِي فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَرِيقًا
مَا لِلدَّمْعِ عَدِمَتُهُ لَيْسَ يَرِقًا إِنَّمَا يَسْتَهْلِكُ غَسَقًا فَنَسَقًا

وَهُوَ مَتَكِيٌّ . فَلَمَّا فَرَّغَ تَرَنَّمَ بِهِ مُخَارِقٌ فَأَحْسَنَ فِيهِ وَأَطْرَبَ وَزَادَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ،
فَغَنَّاهُ إِبْرَاهِيمُ وَزَادَ فِي صَوْتِهِ فَعَفَى عَلَى غِنَاءِ مُخَارِقِ . فَلَمَّا فَرَّغَ رَدَّهُ مُخَارِقٌ وَغَنَّاهُ
بِصَوْتِهِ كُلَّهُ وَتَحَفَّظَ فِيهِ فَكِدْنَا نَطِيرُ سُرُورًا . فَاسْتَوَى إِبْرَاهِيمُ جَالِسًا وَغَنَّاهُ بِصَوْتِهِ
كُلَّهُ وَوَفَّاهُ نَعْمَةً وَشُدُورَهُ ، وَنَظَرْتُ إِلَى كَتِفَيْهِ تَهْتَرَانِ وَبَدَنُهُ أَجْمَعُ يَتَحَرَّكُ
إِلَى أَنْ فَرَّغَ مِنْهُ ، وَمُخَارِقٌ شَاخِصٌ نَحْوَهُ يُرْعَدُ ، وَقَدْ امْتَقَعَ لَوْنُهُ وَأَصَابَهُ تَخْتَلِجٌ ؛
فَخَيَّلَ لِي أَنْ الْإِيوَانَ يَسِيرُ بِنَا . فَلَمَّا فَرَّغَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ مُخَارِقٌ فَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ :
جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ أَيْنَ أَنَا مِنْكَ ! ثُمَّ لَمْ يَنْتَفِعْ مُخَارِقٌ بِنَفْسِهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ فِي غِنَائِهِ .
وَاللَّهُ لِكَأَمَّا كَانَ يَتَحَدَّثُ .

قَالَ مَنْصُورُ بْنُ الْمَهْدِيِّ : كُنْتُ عِنْدَ أَخِي إِبْرَاهِيمَ فِي يَوْمٍ كَانَتْ عَلَيْهِ فِيهِ نَوْبَةٌ
لِمُحَمَّدِ الْأَمِينِ قَسَّاعِلٌ بِالشُّرْبِ فِي بَيْتِهِ وَلَمْ يَمِضْ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عِدَّةَ رُسُلٍ فَنَاقَرَ

فلَمَّا كان من غَدٍ قال لى إبراهيم : ينبغي أَنْ نعمل على الرّواح إلى أمير المؤمنين فنترضاه ؛ فما أشكّ فى غضبه علينا . فمضينا فسالنا عن خبره ، فأعلّمنا أنّه مشرف على الوحش^(١) وهو مخمور ، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار فدخلنا ، وكان طريقنا على حُجرة تُعمل^(٢) فيها المَلأهى . فقال لى أخى : أذهب فاختر منها عوداً ترضاه وأصلحه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى إصلاحه وتعميره عند الضرب به ، ففعلتُ وجعلته فى كمّى . ودخلنا على الأمين وظهره إلينا . فلَمَّا بصرنا به من بُعد قال : أخرج عودك . فأخرجته واندفع يبنى :

— وكأسٍ شربت على لذة وأخرى تداويتُ منها بها
— لى يعلم الناسُ أنى أمرؤ أتيتُ الفتوة من بابها
— وشاهدنا الورد^(٣) والياسمَ بينُ والسُمعاتُ بقصاها
وبربطنا دائمٌ مَعْمَلٌ فأىُ الثلاثةِ أزرى بها

فأستوى الأمين جالسا وطربَ طرباً شديداً وقال : أحسنت والله يا عمّ ، وأحييت لى طرباً ، ودعا برطل فشربه على الرّيق وأمتد فى شربه ، وغنى إبراهيم يومئذ على أشدّ طبقة يُتناهى إليها فى العودِ ، وما سمعتُ مثل غنائه يومئذ قطّ . ولقد كان إذا غنى أصغت الوحوش إليه ومدّت أعناقها ، ولم تزل تدنو منا حتى تكاد تَضَع رءوسها على الدّكّة^(٤) التى كُنّا عليها ، فإذا سكت نفرت وبعُدت إلى أبعَد غايةٍ يمكنها التّباعد عَنّا . وجعل الأمينُ يعجبُ من ذلك ، وأنصرفنا ومعنا من الجوائز ما لم ننصرف بثملها قطّ .

(١) فى غ : حير الوحش . والحير : الخطيرة والبستان .

(٢) فى غ : تصنع .

(٣) فى غ : الجبل .

(٤) فى غ : الدكان .

قال محمد بن الحارث بن بُسْحَرٍ^(١) : وَجَّهَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ يَدْعُونِي ،
وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ الْمُعْتَصِمِ ، فَصَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ وَجَارِيَتُهُ شَارِبَةٌ
خَلْفَ السَّتَّارَةِ ، فَقَالَ : إِنِّي قَدْ قَلْتُ شِعْرًا وَغَنَيْتُ فِيهِ ، وَطَرَحْتُهُ عَلَى شَارِبَةٍ فَأَخَذَتْهُ
وَزَعَمَتْ أَنَّهَا أَحَدَقُ بِهِ مِنِّي ، وَأَنَا أَقُولُ : إِنِّي أَحَدَقُ بِهِ مِنْهَا ، وَقَدْ تَرَأَيْنَا بِحُكْمِكَ
بَيْنَنَا لِمَوْضِعِكَ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَأُسَمِّمُهُ مِنِّي وَمِنْهَا وَأُحْكِمُ وَلَا تَعْجَلْ حَتَّى تَسْمِعَهُ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . فَقُلْتُ : نَعَمْ . هَاتِ فَغَنِّي :

أَضَنْ بَلِيلِي وَهِيَ غَيْرُ سَخِيَّةٍ وَتَبَخَّلُ لَيْلِي بِالْهَوَى وَأَجُودُ
[أَلَامٌ فَلَا أُضِنِّي إِلَى قَوْلِ عَادِلٍ وَأَعْلَمُ أَنِّي مُخْطِئٌ وَأَعُودُ]^(٢)

فأحسن وأجاد ثم قال لها : تَغَنِّي ، فغنته فبرزت فيه ، ونظر إلى فعرف أنني
قد عرفت فضلها عليه فقال : أمسك ، وتحدثنا ساعة ، وشربنا ، ثم اندفع فغناها
ثانية فأضعف في الإحسان ، ثم قال لها : تَغَنِّي فغنت فبرعت وزادت أضعاف
زيادته ، فكبدت أشقَّ ثيابي طربًا . فقال لي : تَثَبَّتْ وَلَا تَعْجَلْ . ثم غناها ثالثة
فلم يبق غاية في الإحكام . ثم أمرها فغنت فكانت إنما كان يلعبُ . فقال لي : قل
فقضيت لها . فقال : أصبت ، فكم تساوى عندك الآن ؟ فحملني الحسد له عليها
والنفاسة بمثلها أن قلت : تُسَاوِي مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فقال : أَوْ مَا تُسَاوِي عَلَى هَذَا
الإحسان وهذا التفضيل إِلَّا مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ! قَبِّحَ اللَّهُ رَأْيَكَ ! وَاللَّهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا
أَبْلَغَ فِي عُقُوبَتِكَ مِنْ أَنْ أَصْرِفَكَ ، فَقُمُ فَأَنْصِرْفَ إِلَى مَنْزِلِكَ مَذْمُومًا . فقلت له :
مَا الْقَوْلُكَ : أَخْرَجَ مِنْ مَنْزِلِي جِوَابَ ، وَقَمْتُ وَأَنْصِرْفْتُ ، وَقَدْ أَحْفَظُنِي كَلَامَهُ وَأَرْمَضَنِي .
فلما خطوتُ خُطُوبَاتِ التَّقَمَّتْ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا إِبْرَاهِيمَ ! أَنْظِرْ دُنِي مِنْ مَنْزِلِكَ ! فوالله

(١) في ت : تسحر « تحريف » .

(٢) لم يرد البيت في غ في هذا الخبر .

ما تُحسِن أنتَ ولا هي شيئاً . ثم ضَرَبَ الدهرُ ضَرْبَةً ودَعَانَا المَعْتَصِمَ بعد ذلك فدخلتُ أَنَا ومُحَارِقٌ وعلويته قبل مجيء إبراهيم ، وإِذَا هو مضطجع ^(١) وبين يديه ثلاثُ جاماتٍ : جام فضة مملوءة دنانير جُدُودًا ، وجام مملوءة دراهم ، وجام قوَارِيرَ مملوءة عَنَبْرًا ، فظننَا أَنهَا لَنَا لم نَشْكُ في ذلك ، فَعَمِينَا وَأَجْهَدْنَا أَنفُسَنَا ، فلم يطرب ولم يتَحَرَّكَ لشيء من غِنَائِنَا . ودخل الحَاجِبُ فقال : إبراهيم بن المهدي . فأذن له فدخل ، فغَنَّاهُ أصواتًا أحسنَ فيها ، ثم غَنَّاهُ في صوت ^(٢) من صنعته :

ما بال شمسِ أبي الخطَّابِ قد غَرَبَتْ يا صاحبي أَظُنُّ الساعةَ أَقْتَرَبَتْ
أَمْ لا فَمَا بِال رِيحِ كُنْتُ آمُلُهَا غَدْتُ عَلَيَّ بِبَصْرٍ ^(٣) مِنْ بَعْدِ مَا خَبَيْتُ
أَشْكُو إِلَيْكَ أبا الخطَّابِ جاريةً غَرِيرَةً بِفَوَادِي اليَوْمِ قَدْ لَعِبَتْ

فاستحسنه المعتصمُ وشرب عليه وطرب له ، وقال : أحسنت والله ! فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين فإن كنتُ قد أحسنتُ فهَبْ لي إحدى هذه الجِاماتِ . فقال : خذ أيتها شئتُ ، فأخذ التي فيها ^(٤) الدنانير ، فنظر بعضنا إلى بعض . ثم غَنَّاهُ إبراهيم بشعر له :

ألا ليت ذات الخالِ تَلَقَى من الهوى عَشِيرَ الَّذِي أَلْقَى فَمَيْتَتِمُ الحُبِّ
وصالكم صدَّ وقربكم قَلِي وعطفكم سُخْطٌ وسِلمكم حَرْبٌ
فقال : أحسنتَ والله يا عمِّ ، وشرب فقال : يا أمير المؤمنين إن كنتُ قد أحسنتُ فهَبْ لي جامًا أُخرى ؛ فقال : خذ أيتهما شئتُ ، فأخذ التي فيها ^(٤) الدراهم ؛ فمِنْدَها انقطع رجائونا، وغَنَّاهُ بعد ساعة :

(١) في غ : مضطج .

(٢) في غ : بصوت .

(٣) في ت : بصرى « تحريف » .

(٤) في ت : الذي فيه « تحريف » .

أَصْنُ بَلْبَلِي وَهِيَ غَيْرُ سَخِيَّةٍ وَتَبَخَّلَ لَيْلَى بِالْهُوَى وَأَجُودٌ
فَارْتَجَّ بِنَا الْمَجْلِسُ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَطَرِبَ الْمُعْتَصِمُ وَاسْتَخَفَّ الطَّرِبَ فَقَامَ وَجَلَسَ ،
وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا عَمَّ مَا شِئْتُمْ . فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهَبْ
لِي الْجَامِ الثَّمَالِثَةَ ؛ قَالَ : خُذْهَا فَأَخْذَهَا . وَقَامَ الْمُعْتَصِمُ ، وَدَعَا إِبْرَاهِيمَ بِمَنْدِيلٍ وَثَنَاهُ
طَاقِينَ وَوَضَعَ الْجَامَاتِ فِيهِ وَشَدَّهُ وَدَعَا بِطَيْنٍ فَخَتَّمَهُ وَدَعَا بِغَلَامَةٍ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ،
وَنَهَضْنَا لِلانْصِرَافِ وَقَدَّمْتُ دَوَابَّنَا . فَلَمَّا رَكِبَ إِبْرَاهِيمُ التَّفْتَّ إِلَى وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ
ابْنَ الْحَارِثِ ، زَعَمْتُ أَنَّي لَا أَحْسَنَ أَنَا وَلَا جَارِيَتِي شَيْئًا ، وَقَدْ رَأَيْتَ ثَمْرَةَ الْإِحْسَانِ .
فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : قَدْ رَأَيْتُ ، فَيُخَذُّهَا لَا بَارِكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ! وَلَمْ أُجِبْهُ بِشَيْءٍ .
(لَمَّا ظَفَرَ الْمَأْمُونُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، جَلَسَ لِلنَّاسِ وَأَحْضَرَ مَعَهُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ،
وَجِيءَ بِإِبْرَاهِيمَ فَأَحْبَبَ الْمَأْمُونُ أَنْ يُؤَبِّخَهُ عَلَى رِءُوسِ النَّاسِ ، فَجِيءَ بِهِ يَحْجُلُ فِي
قِيُودِهِ ، فَوَقَفَ عَلَى طَرَفِ الْإِيوَانِ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ
وَبَرَكَاتُهُ . فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : لَا سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا حَفِظَكَ وَلَا كَلَّكَ يَا إِبْرَاهِيمَ ،
فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : عَلَى رِسْلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَدْ أَصْبَحْتَ وَلِيًّا تَأْرَى ، وَالْقُدْرَةُ
تُذْهِبُ الْحَفِيفَةَ) وَمِنْ مَدَّ لَهُ الْإِعْتِرَارُ فِي الْأَمَلِ هَجَمَتْ بِهِ الْأَنَاءُ عَلَى التَّلَفِ .
(وَقَدْ أَصْبَحَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ ، كَمَا أَصْبَحَ عَفْوُكَ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ إِنْ عَاقَبْتَ
فَيَحِقُّكَ وَإِنْ نَعَفُ فَيَفْضُلُكَ) قَالَ (فَطَارِقٌ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : إِنَّ هَذِينَ
أَشَارًا عَلَى بَقْتَلِكَ . فَاتْلَفْتَ إِذَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ . فَقَالَ لَهُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا حَقِيقَةُ الرَّأْيِ فِي مُعْظَمِ تَدْبِيرِ الْخِلَافَةِ وَالسِّيَاسَةِ فَقَدْ أَشَارَا
عَلَيْكَ بِهِ وَمَا غَشَاكَ إِذْ كَانَ مِنِّي مَا كَانَ) (وَلَكِنَّ اللَّهَ عَوَّدَكَ مِنَ الْعَفْوِ عَادَةً جَرِيَةً
عَلَيْهِمْ) إِذَا مَا تَخَافُ بِمَا تَرَجُّو ، فَكَلْفَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَتَبَسَّمَ الْمَأْمُونُ ،
(ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثُمَامَةَ فَقَالَ : إِنْ مِنْ الْكَلَامِ مَا يَفُوقُ الدَّرَّ وَيَغْلِبُ السَّحْرَ ، وَإِنْ كَلَامُ

عَمَى مِنْهُ ، أَطْلَقُوا عَنْ عَمَى حَدِيدِهِ وَرُدُّوهُ إِلَى مَكْرَمًا . فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ (١) قَالَ :
صِرُّ إِلَى الْمُنَادِمَةِ ، وَارْجِعْ إِلَى الْأَنْسِ ، فَلَنْ تَرَى مِنِّي أَبَدًا إِلَّا مَا تُحِبُّ . وَلِمَا كَانَ
مِنَ الْعَدْبِ بَعَثَ إِلَيْهِ بَدْرَجَ (٢) فِيهِ آيَاتٌ :

يَا خَيْرَ مَنْ ذَمَّتْ يَمَانِيَةَ بِهِ
وَأَبْرَ (٣) مِنْ عَبْدِ الْإِلَهِ عَلَى الْهُدَى
مُتَيَقِّظًا حَذِرًا وَمَا يَخْشَى الْعَدَى
قَسَمًا وَمَا أَدْلَى إِلَيْكَ بِحِجَّةٍ
مَا إِنْ عَصَيْتُكَ وَالْعَوَاةُ تَمْدَنِي
حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ حَبَائِلَ شِقْوَتِي
لَمْ أُدْرِ أَنْ لِمِثْلِ ذَنْبِي غَافِرًا
رَدَّ الْحَيَاةَ إِلَيَّ بِمَدِّ ذَهَابِهَا
أَحْيَاكَ مَنْ وَلَاكَ أَطْوَلَ مُدَّةٍ
إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْفَضَائِلَ حَازَهَا
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ لَا تَحْدِثُنِي بِهَا
أَسْدَيْتَهَا عَفْوًا إِلَيَّ هَنِيئَةً

بمَدِّ الرَّسُولِ لَا يَسِي أَوْ طَامِعِ
عَيْنًا (٤) وَأَحْكَمَهُ بِحَقِّ صَادِعِ
نَهَانَ مِنْ وَسَنَاتِ لَيْلِ الْهَاجِعِ
إِلَّا التَّضَرَّعَ مِنْ مَقَرِّ (٥) خَاشِعِ
أَسْبَابِهَا إِلَّا بِنِيَّةِ (٦) طَائِعِ
بِرِدِّي عَلَى خُفْرِ (٧) الْمِهَالِكِ هَائِعِ (٨)
فَأَقْتُمْ أَرْقُبُ أَيَّ حَتْفٍ صَارِعِي
وَرَعَ الْإِمَامَ الْقَاهِرَ الْمُتَوَاضِعِ
وَرَمَى عَدُوَّكَ فِي الْوَرْتَيْنِ بِقَاطِعِ
فِي صُلبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِعِ
نَفْسِي إِذَا آتَتْ إِلَى مَطَامِعِي
فَشَكَرْتُ مُصْطَنِعًا لِأَكْرَمِ صَانِعِ

(١) في ت : عليه .

(٢) الدرَج : ما يكتب فيه .

(٣) في ت : الأبر .

(٤) في غ : نفسا .

(٥) في غ : محب .

(٦) مطبوسة بالأصل ، وما أثبتنا من غ .

(٧) في ت : من « تحريف » .

(٨) الهائِع : المنتشر .

ورحمتَ أطفالاً كأفراخِ القَطَا وعويلَ عانسَةٍ كقَوْسِ النَّازِعِ
وعفوتَ عَمَّنْ لم يكن عن مثله عفوٌ ولم يشفعَ إليك بشافع
إِلَّا العُلُوَّ عن العقوبة بمد ما ظفرتِ يداكِ بمسْتَكِينٍ خاضع
قال : فبكي المأمون ثم قال : عَلَيَّ به ، فَخَلَعَ عليه وحمله وأمر له بخمسة آلاف
دينار ودعا بالفَرَّاشِ وقال له : إذا رأيتَ عَمِّي مقبلاً فأطرح له مُتَّكأً وكان يُنادِمُه
ولا ينكر منه (١) شيئاً .

وقيل : إنه لما فرغ من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد الأحول وقال : هو
صديقك فخذهُ إليك . قال : وما تُفَسِّني صداقتي عنه وأميرُ المؤمنين سَاحِطٌ عليه !
أما إني وإن كنتُ له صديقاً لا أمتنع من قول الحق فيه . قال : قل فإنك غيرُ
مُتَّهَمٍ . فقال وهو يريد التسلُّقَ على العفو عنه : يا أميرَ المؤمنين ، إنك إن قتلتَه
فقد قتلَ الملوكَ قبلك من هو أقلُّ جُرْماً منه ، وإن عفوتَ عنه عفوتَ عَمَّنْ لم يَعْفُ
الملكُ قبلك عن مثله . فنسكتَ المأمون ساعةً بيده (٢) ثم قال :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي (٣)
فَلَيْتَ عَفَوْتُ لِأَعْفُونَ جَلَلًا وَلَيْتَ سَطَوْتُ لِأَوْهِنَ عَظْمِي
خُذْهُ إِلَيْكَ يَا أَحْمَدُ مَكْرَمًا . ثم كتب إليه بالقصيدة العينية فرَّق له وردّه إلى
منزله وردَّ ما قبضَ من أملاكه وماله .

كان المأمون لما أطلق إبراهيم أمر محمد بن مَزْدَاد أن يمنع إبراهيم من دارى
الخاصة والعامّة ويؤكّل به من يعرفه أخباره كل يوم وما يتكلم به . فكتب إليه
المؤكّل به : إنه لما مُنِعَ من دارى الخاصّة والعامّة تمثّل :

(١) في غ : عليه .

(٢) في غ : فسكت المأمون ساعة ثم تمثّل .

(٣) في غ : جاء البيت الثاني مكان الأول .

يَا سَرْحَةَ الْمَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْئُودٍ
لِحَائِمِ حَامٍ حَتَّى لَا وُرُودَ بِهِ ^(١) مُحَلَّلاً عَنِ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ ^(٢)
فَلَمَّا قَرَأَهَا الْمَأْمُونُ بَكَى وَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ مِنْ وَقْتِهِ وَأَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَهُ فِي مَرْبِئَتِهِ ؛
فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ قَبْلَ الْبِسَاطِ وَقَالَ :

الرَّبُّ بِي مِنْكَ وَطَا الْمُنْدَرُ عِنْدَكَ لِي دُونَ أَعْتَادِي فَلَمْ تَعْدُلْ وَلَمْ تَلْمِ
وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَأُحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدِ عَدْلِ غَيْرِ مُتَّهَمِ
رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَمْنُنْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَّقْتَ دَمِي
فَبَوَّأْتَ مِنْكَ وَقَدْ كَافَأْتَهَا بِيَدِ هِيَ الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمِ ^(٣)
تَعَفُّوْا بَعْدَ لُتْسَطُوْا إِنْ سَطَوْتَ بِهِ فَلَا عَدَمْنَاكَ مِنْ عَافٍ وَمُنْتَقِمِ
فَقَالَ : اجْلِسْ يَا عَمُّ أَمْنَا مَطْمَئِنَّا ، فَلَنْ تَرَى مِنِّي أَبَدًا مَا تَكْرَهُ ، إِلَّا أَنْ تُحَدِّثَ
حَدَّثَنَا أَوْ تَعْمِ ^(٤) طَاعَةَ وَأَرْجُو أَلَّا يَكُونَ ذَلِكَ مِنْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قال عبدُ اللهِ بن عيسى : دخلتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في حاجة
فرايتُ عليه مطرفَ خَزْرَ أسودَ ما رأيتُ أحسنَ منه قطَّ ؛ فتحدَّثنا إلى أن أخذنا
في أمرِ المطرفِ فقال : لقد كان لكم أيامٌ حسنةٌ ودولةٌ عجيبةٌ كيف ترى قيمةً
هذا؟ فقلتُ له : ما رأيتُ [مثله] . فقال : إن قيمته مائة ألف درهم ، وله حديثٌ عجيب .
فقلتُ له [٥] : ما أقومُه إلا نحواً من مائة دينار ، فقال إسحاق : أسمع حديثه :

(١) في غ : لا حيام له . وفي اللسان (سرح) : لا حراكه .

(٢) في اللسان (سرح) : عن طريق الورد مردود .

(٣) في غ : جاء هذا البيت آخر الأبيات وجاء مكانه الأخير .

(٤) نعم : تغير . وفي غ : أو تغير عن طاعة .

(٥) سقط هذا الكلام من ت . والتسكيلة من غ .

شربنا يوماً من الأيام ، فبت وأنا مُشْحَن ، فَأُتِيتُ بِرَسُولِ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ
فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : عَجَّلْ عَجَّلْ وَكَانَ بَخِيلًا عَلَى الطَّعَامِ . قُلْتُ : آكُلُ قَبْلَ
أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ فَتَسَوَّكْتُ وَأَصْلَحْتُ أَمْرِي ، فَأَعْجَلَنِي عَنِ الْغَدَاءِ . فَدَخَلْتُ وَإِبْرَاهِيمُ
ابْنُ الْمُهْدِيِّ جَالِسٌ عَنِ يَمِينِهِ وَعَلَيْهِ هَذَا الْمِطْرَفُ وَجِبَّةٌ خَزْرَاءُ دَكْنَاءُ . فَقَالَ لِي مُحَمَّدٌ :
يَا إِسْحَاقُ : تَعْدَيْتَ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا سَيِّدِي . فَقَالَ : إِنَّكَ نَهَمْتَ ، فَقُلْتُ : أَصْبَحْتُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبِي حُمْرًا ، فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا جَرَّأَنِي عَلَى الْأَكْلِ . فَقَالَ لَهُمْ : كَمْ شَرِبْنَا ؟
فَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ أَرْطَالَ . فَقَالَ : أَسْقَوْهُ مِثْلَهَا . فَقُلْتُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَفَرَّقَهَا عَلَيَّ !
فَقَالَ : تُسْقَى رِطْلَيْنِ وَرِطْلًا . فَدُفِعَ إِلَيَّ رِطْلَانِ لَجَعَلْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا أَنْوَهُمُ أَنْ
نَفْسِي تَسِيلُ ، ثُمَّ دُفِعَ إِلَيَّ رِطْلٌ آخَرَ فَشَرِبْتُهُ فَكَانَ سَبَبًا لِخَلَاعَتِي ، فَقَالَ : غَنَّ :
كَلَيْبٌ لَمَعْرِي كَانَ أَكْثَرَ^(١) نَاصِرًا وَأَيْسَرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرَجٌ بِالْدَّهَمِ

فَعَدَيْتُهُ فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَطَرِبْتَ ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ
فَقَمْتُ فِي أَثَرِ قِيَامِهِ فَدَعَوْتُ غُلَامِي وَقُلْتُ : أُرْكَضُ إِلَى بَيْتِي وَجِئْنِي بِبِزْ مَآوَرَدَتَيْنِ^(٢)
وَعَجَّلْ . فَضَى وَجَاءَنِي بِهِمَا فَأَكَلْتُهُمَا فَرَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي وَعُدْتُ إِلَى مَجْلِسِي . فَقَالَ لِي
إِبْرَاهِيمُ : لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ أَحِبُّ أَنْ تَقْضِيَهَا فَقُلْتُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ وَأَبْنُ عَبْدِكَ فَقُلْ
مَا شِئْتَ . فَقَالَ : تَرُدُّ عَلَيَّ الْقَوْلَ :

* كَلَيْبٌ لَمَعْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا *

وهذا المِطْرَفُ لَكَ ، فَقُلْتُ : أَنَا لَا آخِذُ مِنْكَ مِطْرَفًا عَلَى هَذَا ، وَلَكِنِّي أَصِيرُ إِلَى
مَنْزَلِكَ وَأُلْقِيهِ عَلَى جَوَارِيكَ وَأُرِدُّهُ عَلَيْكَ مِرَارًا . فَقَالَ : أَحِبُّ أَنْ تَرُدَّهُ عَلَيَّ السَّاعَةَ
وَأَنْ تَأْخُذَ هَذَا فَإِنَّهُ مِنْ لُبْسِكَ وَمِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ الصَّوْتِ مِرَارًا

(١) في ت : أ كبر .

(٢) البرماورد : طعام يسمى لقمة القاضى كان يصنع من اللحم المقل بالزبد والبيض .

حتى حفظه . ثم سمعنا حركة الأيمن فقمنا حتى جاء مجلس ثم قمنا ، فشرِب
وتحدثنا فنناه إبراهيم هذا القول ، فكأنني لم أسمعُه قبل ذلك حسنا . وطرب محمد
طرباً عجيباً وقال : أحسنت يا عم ! يا غلام عشر بدرِ اعمى الساعة فجاءوا بها .
فقال : يا أمير المؤمنين إن لي فيها شريكا قال : ومن هو ؟ قال : إسحاق . قال :
وكيف ؟ قال : إنما أخذته منه الساعة لما قت . فقلت له : ولم ؟ أضافت الأموال
على أمير المؤمنين حتى يشركك فيما تعطاه ! قال : أما أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم .
فلما أنصرفنا من المجلس أعطاني ثلاثين ألفا وهذا المطرف . فهذا أخذته بمائة ألف
درهم وهي قيمته .

(١) قصته
بالمصنف

[قال إبراهيم بن الهدي : حججت مع الرشيد فلما صرنا في المدينة خرجت
أدور في عرصاتنا فأنهيت إلى بئر وقد عطشت وجارية تسقى منها ، فقلت :
يا جارية ؛ امتحني لي دلوا . فقالت : أنا والله عنك في [شغل] بضرية لمولاي علي .
فقرت بسوطي على سرجي وغنيت :

رام قلبي السؤل عن أسماء
سحنة في الشتاء باردة الصية
وتعزى وما به من عزاء
ف سراج في الليلة الظلماء
وأمتحالي من بئر عروة مائي
كفناي إن مت في درع أروى

قال إبراهيم : فرفعت الجارية رأسها إلىي وقالت : أتعرف بئر عروة ؟ قلت :
لا . قالت : هذه بئر عروة ثم سقتني حتى رويت ، وقالت : إن رأيت أن تعيده
فعلت فأعدته ، فطربت وقالت : لأحملن إلى رحلك قربة ماء . قلت : أفعلي ،
فعلت وجاءت معي تحمليها . فلما رأت الجيش والخدم فزعت . فقلت لها : لا بأس
عليك ! وكسوتها ووهبت لها دنانير وحبستها عندي ، ثم صرت إلى الرشيد
فحدثته خبرها فأمر بابتاعها وأعتقها ؛ فما برحت حتى أشرت وأعتقت ، وأخذت
لها منه صلة وأفترقنا .

قال الفضل بن مروان : لَمَّا دَخَلَ إِبرَاهِيمُ بنُ المَهْدِيِّ عَلَى المَأْمُونِ لَمَّا ظَفَرَ بِهِ كَلَّمَهُ بِكَلَامٍ كَانَ سَعِيدُ بنِ العَاصِ كَلَّمَهُ مُعَاوِيَةَ بنَ أَبِي سَفْيَانَ فِي سَخَطَةِ سَخَطِهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ المَأْمُونُ يَحْفَظُ الكَلَامَ ، فَقالَ المَأْمُونُ : هِيَهَاتَ يَا إِبرَاهِيمُ ! هَذَا كَلَامٌ سَبَقَكَ بِهِ فَحُلُّ بنِي أُمِيَّةَ وَقَارِحُهُمْ سَعِيدُ بنِ العَاصِ وَخَاطَبَ بِهِ مُعَاوِيَةَ . فَقالَ لَهُ إِبرَاهِيمُ : مَهْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ؟ ! وَأَنْتَ أَيْضًا إِنْ عَفَوْتَ فَقَدْ سَبَقَكَ فِجْلُ بنِي حَرْبٍ وَقَارِحُهُمْ إِلَى العَفْوِ ، فَلَا تَكُنْ حَالِي عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ أَبَدًا مِنْ حَالِ سَعِيدٍ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ، فَإِنَّكَ أَشْرَفُ مِنْهُ ، وَأَنَا أَشْرَفُ مِنْ سَعِيدٍ ، وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ سَعِيدٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَإِنَّ^(١) أَعْظَمَ الهُجْنَةِ أَنْ تَسْبِقَ أُمِّيَّةَ هَاشِمًا إِلَى مَكْرُمَةٍ . فَقالَ لَهُ : صَدَقْتَ يَا عَمُّ فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ .

جَرَى بَيْنَ مُحَمَّدِ الأَمِينِ وَبَيْنَ إِبرَاهِيمِ بنِ المَهْدِيِّ كَلَامٌ عَلَى النَّبِيِّذِ ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ بَمَثَ إِلَيْهِ إِبرَاهِيمُ بِالطَّافِ فَلَمْ يَقْبَلْهَا ؛ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِوَصِيْفَةٍ مَلِيحَةٍ مُغْنِيَةٍ ، مَعَهَا عُودٌ مَعْمُولٌ مِنْ عُودٍ^(٢) ، وَغَنَّى فِي هَذِهِ الأَبْيَاتِ وَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا حَتَّى أَحْكَمْتُمَا ، وَوَجَّهَ بِهَا إِلَيْهِ . فَوَقَّفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَمُّكَ وَعَبْدُكَ يَقُولُ لَكَ وَغَنَّتْ :

هَتَكْتَ الضَّمِيرَ بَرْدَ اللَّطْفِ	وَكَشَفْتَ هَجْرَكَ لِي فَانْكَشَفْ
فَإِنْ كُنْتَ تُنْكَرُ شَيْئًا جَرَى	فَهَبْ لِلْخِلاَفَةِ مَا قَدْ سَأَفْ
وُجِدَ لِي بِصَفْحِكَ عَنْ زَلَّتِي	فَبِالْفَضْلِ يَا حُدَّ أَهْلَ الشَّرَفِ

فَسَرَّ بِهَا مُحَمَّدٌ وَأَرْسَلَ إِلَى إِبرَاهِيمِ فَأَحْضَرَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ أَلْفِ دِينَارٍ .

(١) في ت : ولاني .

(٢) في غ : من عود هندي .

كانت لإبراهيم بن المهدي جارية اسمها صدوف وكان لها من قلبه موضع ، ففسدها جواريه على محلها منه ، فلم يزلن يبلغنه عنها ما يكره حتى غضب عليها وجفاها ، ثم شق ذلك عليه ولم يطب نفساً بمراجعتها وصلحها ، فدخل عليه الأعرابي أخو معللة صاحبة الفضل بن الربيع فقال : مالي أرى الأمير - أكرمه الله - منكسراً منذ أيام ؟ فأمسك . فقال : قد عرفت خبر الأمير وقلت فيه أبياتا فإن أذن لي أنشدته إياها فقال : هات ، فأشده :

أَعْتَبْتَ أَمْ عَتَبْتَ عَلَيْكَ صَدُوفُ وَعَتَابُ مِثْلِكَ مِثْلَهَا تَشْرِيفُ
لَا تَقْعُدَنَّ تَلُومُ نَفْسِكَ دَائِبًا فِيهَا وَأَنْتَ بِمُجِبِّهَا مَشْغُوفُ
إِنَّ الصَّرِيحَةَ لَا يَتُوءُ بِحَمَلِهَا إِلَّا الْقَوِيَّ بِهَا وَأَنْتَ ضَعِيفُ

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار ، وبعث إلى صدوف فخرجت إليه ورضي عنها ، وبعث إليه صدوف بمائة^(١) دينار .

وكان إبراهيم بن المهدي شديد الانحراف عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فحدث المأمون يوماً أنه رأى علياً في النوم ، فقال له : من أنت ؟ فأخبره أنه علي بن أبي طالب . قال : فمشينا حتى جئنا قنطرة فذهب يتقدمني لمبورها ؛ فأمسكته وقلت له : إنما أنت رجل تدعى هذا الأمر بامرأة ونحن أحقُّ به منك ! فما رأيتُ له في الجواب بلاغةً كما يوصف عنه . فقال : وأي شيء قال لك ؟ قال : ما زادني على أن قال : سلاماً سلاماً . فقال له المأمون : قد والله أجابك أبلغ جواب . قال : وكيف ؟ قال : عرفك أنك جاهل لا يُجاب مثلك ؛ قال الله تعالى : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » . فضجّل إبراهيم وقال : لينني لم أحدثك بهذا

(١) في ت : بمائتي .

قال إبراهيم بن المهدي : كنت يوماً بين يدي محمد الأمين فغنيته :
أقوت منازل بالهضاب من آل هند والرباب
خطارة بزمامها وإذا ونت ذل الركاب

فاستحسن اللحن ولم يتجاوزَه ، ثم انصرفنا وطلبني سحرا ، فلما جئت رأني من بعيد فصاح بي : يا عمّ بحياتي : « خطارة بزمامها » .

فغنيته ودخلت المجلس فخرجت صديقة كأنها لؤلؤة في يدها عود . فقال :
بحياتي يا عمّ ألقه عليها ! فأعدته مراراً وهو يشرب ؛ حتى ظننت أنها أخذته ،
فأمرتها أن تغنيه ، فإذا هو قد استوى لها إلا في موضع منه كان صعباً جداً ،
فجهدت أن يقع لها طلباً لمسرته وكان حقيقاً^(١) مني بذلك ، فلم يقع لها البتة ورأى
جهدى بأمرها وتعدّره عليها فأقبل عليها وقد سكر وقال : نفيت عن الرشيد ،
وكلُّ أمة لي حرّة لكن لم تأخذه في المرة الثالثة لأمرن بالقائل في دجلة ! قال :
ودجلة تطفح وبيتنا وبينها نحو ذراع وذلك في الربيع ، وتأملت القصة فإذا هو
قد سكر ، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله أبدا . فقلت : هذه والله داهية ، ويتنفس
عليه يومه وأشركه في دمها ، فعدلت عمّا كنت ألقيه عليها ، وغنيته كما كانت
هي تغنيه وردّته ثلاث مرّات وأريته أنني أجتهد ، ثم قلت لها : ها تيه الآن ،
فغنيته على ما كان وقع لها . فقلت : أحسنت يا أمير المؤمنين . وردّته ثلاث مرّات
وطابت نفسه ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم .

قال إبراهيم بن المهدي : كنت بين يدي الرشيد جالساً على ظهر حرافة وهو
يريد الموصل والمدّادون يمدّون السفن ، والشطرنج بيدي وبينه والدست متوجه له ،

(١) في ت : تحقيقاً « تحريف » .

إذ أُطْرَقَ هَنِيئَةً^(١) ثم قال: يا ابن أمِّ ما أحسن الأسماء عندك؟ قلت: محمدٌ اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال: أي شيء بعده؟ قلت: هارون اسم أمير المؤمنين. قال: فما أَسْمَجُ الأسماء؟ قلت: إبراهيم، فزَجَرْنِي^(٢) ثم قال: ويحك! أتقول هذا! أليس هو اسم إبراهيم خليل الله، صلى الله على نبيِّنا وعليه قلت له: لَشُؤْمِ هذا الأسم لَقَبِي من نَمْرُودَ ما لَقَبِي وطُرِحَ في النَّارِ. قال: فإبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قلت: فلا جرم إنَّه لم يَعْمَرَ. قال: فإبراهيم الإمام، قلت: حَرَقَهُ أَسْمُهُ، قَتَلَهُ مروان في حَرَّانِ. وأزيدك يا أمير المؤمنين: إبراهيمُ بنُ الوليدِ خُلِعَ، وإبراهيمُ بنُ عبد الله ابنِ حسنٍ قُتِلَ، وعمّه إبراهيم بن حسن سقط عليه السقف^(٣) فماتَ، وما رأيتُ والله أحداً يُسَمَّى بهذا الاسم إلا قُتِلَ أو نُكِبَ أو رأيتُهُ مَضْرُوباً أو مَضْلُوباً أو مَظْلُوماً أو مَقْدُوفاً. فما أنقضى كَلَامِي حتى سَمِعْنَا مَلَّاحاً يَصِيحُ بآخر يا إبراهيم يا عاصَّ بظُرِّ أمِّه مدَّ ويك! فقلت له: أبقي شيء بعد هذا! ليس والله في الدنيا اسم أشأم من إبراهيم، فضَحِكْتُ حتى أَشْفَقْتُ عليه.

دخل الحَسَنُ بن سَهْلٍ على المأمون وهو يَشْرَبُ فقال له: بحَيَّاتِي عليك يا أبا محمد إلاً شَرِبْتَ مَعِي قَدْحاً وَصَبَّ لَه مِنْ نَبِيذِهِ قَدْحاً فَأُخِذَهُ فقال له: مَنْ تُحِبُّ أَنْ يَغْنِيكَ؟ فأومأ إلى إبراهيم بن المهدي، فقال له المأمون: غنَّه يا عمَّ فغنَّاه: تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ^(٤) وَسَوَاسِئاً إِذَا أَنْصَرَفَتْ كَمَا أُسْتَعْمَانُ بِرِيحِ عَشْرِقٍ زَجَلٍ^(٥)

(١) في ت: هنيئة « تحريف » .

(٢) في ت: فزجرني .

(٣) في غ: السجين .

(٤) في ت: للحلي « تحريف » .

(٥) في ت: عشرت زحل « تحريف » والتصحيح من الأغاني الجزء التاسع / ١٥٢ طبع

دار الكتب عند ذكر « أصوات معبد » المعروفة بالمدن .

يعرّض به لما كان لِحِقِهِ من السوداء والاختلاط . فغَضِبَ المأمون حتى ظَنَّ
إبراهيمَ أَنَّهُ سَيُوقَعُ به ، ثم قال له : أبيت إلا كفرانا أنت أ كفر خَلْقَ اللَّهِ لِنِعْمِهِ !
والله ما حَقَّنَ دَمَكَ غيرُهُ ! ولقد أردتُ قَتْلَكَ فقال لي : إن عفوت عنه فعلتُ فِعْلاً
لم يسبقك أحدٌ إليه ، فعموتُ عنك والله لِقَوْلِهِ . أَفَحَقَّهُ أن تعرّضَ به ولا تدعَ كيدك
ودَعْلَكَ ! أَوْ أَنْفَتَ من إيمائه إليك بالغِنَاءِ ! فوثبَ إبراهيمُ وقال : يا أمير المؤمنين ،
لم أذهب حيث ظننتَ ولستُ بِعائِدٍ ؛ فأعرض عنه .

كان المأمون قد بلغه عن إبراهيم بن المهدي شيء أنكره فغنى بين يديه يوماً
وهو مُصْطَبِحٌ في شِعْرِهِ :

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ مِنِّي هوى الدهرُ بي عنها وولّى بها عَنِّي
فإنَّ أَبكَ نَفْسِي أَبكَ نَفْسًا نَفِيسَةً وَإِنْ أَحْتَسِبُهَا أَحْتَسِبُهَا عَلَى [ضَنْ] (١)
فَرَّقَ لَهُ المأمون لما سَمِعَهُ وبكى ، وقال : لا والله لا تَذْهَبُ نَفْسُكَ يا إبراهيم
على يَدِ أمير المؤمنين ، فَطَبَّ نَفْسًا ؛ فإنَّ اللَّهَ عز وجل قد أَمَّنَكَ إلا أن تُحْدِثَ حَدَثًا
يشهد عليك به عدلٌ ، وأرجو ألا يَكُونَ ذلك إن شاء الله تعالى .

غَنَى إبراهيمُ بن المَهْدِيِّ يوماً مُحَمَّدًا الأَمِينَ صَوْتًا في شعر أبي نُوَاس :

يا كَثِيرَ النُّوحِ في الدَّمَنِ لا عليها بل على السَّكَنِ
سَنَةُ العُشَّاقِ واحِدَةٌ فإذا أحببتَ فاستكِينِ
ظَنَّ بي مَنْ قد كَلَّفْتُ به فهو يَجْفُونِي على الطَّنَنِ
رِشًا لولا ملاحِطُهُ خات الدنيا مِنَ الفِنَنِ

فأمر له بثلاثمائة ألف دينار (٢) . فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين قد أَجَزْتَنِي

(١) ساقطة من ت والتكلمة من غ .

(٢) في غ : درهم .

إلى هذه الغاية بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فقال : وهل هي إِلَّا خِراجُ بعضِ السُّكُورِ !
وقيل : إنه لَمَّا أراد الأَنْصِرافُ قال : أَوْقِرُوا خُرَافَةَ عَمِّي دَنَائِرٍ فَأَوْقِرُوهَا ،
فكان مَالًا جَامِلًا .

وقال الأَمِينُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ المَهْدِيِّ فِي بَعْضِ خَلَوَاتِهِ : يَا عَمُّ أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَكَ (١)
تَزْمُرُ . فقال : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، ما وَضَعْتَ عَلَيَّ فِي نَايًا قَطَّ وَلَا أضعه ، وَلَكِنْ يَدْعُو
أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ بِقُلَانَةٍ - مِنْ مَوَالِي المَهْدِيِّ - حَتَّى تَنْفُخَ فِي النَّايِ وَأَمِيرٌ يَدِي عَلَيْهِ .
فأَحْضَرَتْ ، وَوَضَعَتْ النَّايَ عَلَيَّ فَمِمْهَا وَأَمَسَكَهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَجَمَلٌ يُصَرِّفُ أَصَابِعَهُ
فَسَمِعَ مِنْهُ ما أَجْمَعَ سائرُ مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطَّ .

كان محمد بن موسى المنتجم يقول : حكمتُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ المَهْدِيِّ أَحْسَنُ النِّاسِ
كَلِمَةً غِنَاءً بِبُرْهَانَ ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَرَاهُ فِي مَجَالِسِ الخِلفاءِ يُعْنِي المَغْنُونُ وَيُعْنِي هُوَ ،
فإذا ابْتَدَأَ بِالصَّوْتِ لَمْ يَبْقَ مِنَ العِلْمَانِ أَحَدٌ إِلَّا تَرَكَ ما فِي يَدِهِ وَقَرَّبَ مِنْ أَقْرَبِ
مَوْضِعٍ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُ فَلَا يَزَالُ مُصْغِيًا إِلَيْهِ لِأَهِيَّا عَمَّا كَانَ فِيهِ ما دام يُعْنِي ،
حَتَّى إِذَا أَمَسَكَ وَعَسَى غَيْرُهُ رَجَعُوا إِلَى التَّشَاغُلِ بِما كانوا فِيهِ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى
ما يَسْمَعُونَ . وَلَا بَرهَانَ أَقْوَى مِنْ هَذَا مِنْ شَهَادَةِ الفِطَنِ وَاتِّفَاقِ الطَّبائِعِ
- مَعَ اخْتِلَافِهَا وَتَشَعُّبِ طُرُقِهَا - عَلَى المَيْلِ إِلَيْهِ وَالإِتْقِيادِ نَحْوَهُ .

قال هِبَةُ اللهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ المَهْدِيِّ : قُلْتُ يَوْمًا لِلْمُعْتَصِمِ : كَانَتْ لِأَبِي أَشْيَاءُ
لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِثْلِهَا . قال : وما هي ؟ قُلْتُ : شَارِيَةٌ وَزَامِرَةٌ مَعْمَةٌ . فقال :
أَمَّا شَارِيَةٌ فَمَعْنَدُنَا ، فَمَا فَعَلْتَ الزَّامِرَةَ ؟ فقلت : ماتت . فقال : وماذا ؟ قُلْتُ :
وَسَأَقِيمَتُهُ مَسْكُونَةٌ ، لَمْ يُرَ أَحْسَنُ وَجْهًا وَلَا أَلْبَقَ (٢) وَلَا أَظْرَفَ مِنْهَا . قال :

(١) فِي غ : أَرَاكَ .

(٢) فِي غ : أَلْبِن .

فما فعلت؟ قلت: ماتت. قال: وماذا؟ قلت: نخلة تحمّل رطباً كلّ رطوبة شبر.
قال: فما فعلت؟ قلت: جمرتها بعد وفاته. قال: وماذا؟ قلت: قدح الصّحّاح.
قال: فما فعل؟ قلت: الساعة حجمني فيه أبو حرملة فسألته أن يهبه لي ففعل،
ووجهت به إلى منزلي فغسل ونظف وأعيد إلى خزّانتي، فرأيت أبي في المنام
في ليلتي تلك وهو يقول لي:

أينزغ صخّصاحي دماً بعدما عدت على به مكنونه مئراً حمراً
فإن كنت مني أو تجب مسرتي^(١) فلا تمفلن قبل الصّباح له كسراً
فانتبهت فرها، وما برق الصّبح حتى كسرته.

وصل

٤١٥

أوس بن حجر

(هو على ما قيل أوس بن حجر بن عتاب بن عبد الله بن خلف بن نمير بن أسد ابن عمرو بن تميم .

ذكره أبو عبيدة من الطبقة الثالثة ، وقرنه بالخطيئة والنابعة بن جعدة . وكان من فحول شعراء الجاهلية . وكان شاعراً مضر حتى أسقطه النابعة وزهير فهو شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع)

وكان ابن الكلبي يزعم أن من هذه الطبقة لبديد بن ربيعة والشماخ بن ضرار . ومن الناس من يقول بتقديم عدى . ومن شعر أوس :

إني أُرقت ولم يَأرق معي صاحبي لمستكف بعيد النوم لواح
 دَانِ مُسِفٍ فَوَيْقِ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ
 إِنْ أَشْرَبِ الحَمْرَ أَوْ أَرْزَأْ لَهَا ثَمَنًا فَلَا كَحَالَةَ يَوْمًا إِنَّنِي صَاحِبِي (١)

وهذه القصيدة تروى لعبيد بن الأبرص .

خرج أعرابي مكهوفاً ومعه ابنة عم له يرعى غنما لهما . فقال الشيخ : أجد ريح النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فأ نظري . فقالت : أراها كأنها ررب (٢) معزى هزلى . فقال : أرعى وأحدرى . ثم قال لها بعد ساعة : إني لأجد ريح النسيم قد دنا ،

(١) كذا في ت ، ولم يرد البيتان الأول والثالث في غ . والبيتان الثاني والثالث من قصيدة عدتها خمسة عشر بيتاً لعبيد بن الأبرص في الديوان / ٧٥ طبع ليدن ، ولم يرد بها البيت الأول . والأبيات الثلاثة في ديوان أوس بن حجر من قصيدة عدتها واحد وعشرون بيتاً على خلاف في الترتيب ، طبع وين .

(٢) في ت : سرب « تحريف » .

فَارْفَعِي رَأْسَكَ وَأَنْظِرِي. قَالَتْ : أَرَى كَأَنَّهَا بِنَالٍ دُهُم تَجَرَّتْ جِلَالَهَا . قَالَ : أَرَعِي
وَاحْدَرِي . ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لِأَجْدِرِيحِ النَّسِيمِ قَد دَنَا فَا تَرِينَ ؟ قَالَتْ :
أَرَاهَا كَأَنَّهَا بَطْنِ حِمَارٍ أَصْحَرَ . قَالَ : أَرَعِي وَاحْدَرِي . ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : إِنِّي
لَأَجْدِرِيحِ النَّسِيمِ قَد دَنَا فَا تَرِينَ ؟ قَالَتْ : أَرَاهَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ عَمِّ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

دَانَ مُسِيفٌ فُوَيْقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ
كَأَنَّ بَيْنَ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلِهِ رَيْطٌ مُنْشَرَّةٌ أَوْ ضَوْءٌ مَصْبَاحِ
فَمَنْ بِمَحْفَلِهِ كَمَنْ بَنَجْوَتِهِ^(١) وَالْمُسْتَكِينِ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاكِ

فَقَالَ : أُنْجِحِي لَا أَبَا لَكَ ! فَمَا انْقَضَى كَلَامُهُ حَتَّى هَطَلَتْ السَّمَاءُ عَلَيْهِمَا .

يقول : السحاب لقربه من الأرض يكاد يدفعه من قام براحته . والقرواح :
الفضاء . وقوله : « فَمَنْ بِمَحْفَلِهِ كَمَنْ بَنَجْوَتِهِ » يعني فَمَنْ هُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَمَنْ
هُوَ بَنَجْوَتِهِ أَيْ فِي نَاحِيَةِ عَنَاءِ سِوَاءِ لِكثَرَةِ الْمَطَرِ .

وقولها : بَطْنِ حِمَارٍ أَصْحَرَ : نَعْنِي أَيْبِضَ فِيهِ حُمْرَةٌ ، وَالصُّحْرَةَ . لَوْ
كَذَلِكَ .

وكان أوس بن حجر غزلاً مغرمًا بالنساء ؛ فخرج في سفر ، حتى إذا كان بأرض
بني أسد بين شرج وناظرة^(٢) ، فبينما هو يسير ظلما إذ جالت به ناقته فصرعته
فأندقت نخذه فبات مكانه ؛ حتى إذا أصبح غدا جوارى الحى يجتنين الكمأة
وغيرها من نبات الأرض والناس في ربيع . فبينما هن كذلك إذ بصرن بناقته
تجول وقد علق زمامها بشجرة وأبصرنه ملقى ، ففرغن وهربن . فدعا بجارية

(١) بياض بالأصل والتكلمة من غ . وفي الديوان / ٤ : فمن بنجوته كمن بعوته .

(٢) شرج وناظرة : موضعان .

منهن وقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا حليلة بنت فضالة بن كلدانة ، وكانت أصغرهن ؛ فأعطاها حجرا وقال : أذهبي إلى أبيك فقولي له : ابنُ هذا يُقرئك السلام . فأتته فأخبرته فقال : يا بُدَيَّة ، لقد أتيتِ أباك بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بُدَيَّة^(١) حيث صُرِع وقال : لا أتحوّل أبدا أو تبرا ؛ وكانت حليلة تقوم عليه حتى استقلَّ فقال في ذلك :

لعمرك ما ملت ثواء ثوبها^(٢) حليلة إذ ألقى فراشي بمقعد^(٣)
ولكن تلقت باليدين ضماني و حلّ بشرج القبائل عودي^(٤)
ولم تلها تلك التكاليف إنها كما شئت من أكرومة وتخرّد
سأجزيك أو يجزيك عنى مئوب^(٥) وقصر كأن يُثنى عليك وتحمدى
ثم مات فضالة بن كلدانة وكان يُكنى أبا دليجة فقال يرثيه :

يا عينُ لا بدّ من سكبٍ وتهمال على فضالة جَلَّ الرزءُ والعالى
أبا دليجة من يوصى لأرملة^(٦) أم من لأشعث ذى طمرين ممحاك
أبا دليجة من يلقى^(٧) العشيرة إذ أمسوا من الأمر فى لبسٍ وبلبال
لا زال مسكٌ وريحان له أرج على صدك بصفى اللون سلسال

(١) فى غ : بيته .

(٢) فى ت : ثوبته .

(٣) فى غ : مراسى مقعد .

(٤) فى ت : فالقباء برعدى .

(٥) فى ت : مسوف .

(٦) فى غ : توصى بأرملة .

(٧) فى غ : يكفى .

ومن نادر مرآئيه فيه :

أَيْتُهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا
إِنَّ الَّذِي جَمَعَ الْمَرْوَةَ (٢) وَالِدَ
الْمُخْلِيفِ الْمُتْلِفِ الْمَرْزَأِ لَمْ
أُودَى وَهَلْ تَنْفَعُ الْإِسْخَاحَةُ مِنْ
إِنِّ الَّذِي تَحَذَرِينَ (١) قَدْ وَقَعَا
مَنْجِدَةَ وَالْبِرِّ وَالْتَقَى (٣) جُمَعَا
يُمْتَعِ بِضَعْفٍ وَلَمْ يَمُتْ طَبَعًا
شَيْءٌ لَمْ يَأْتِ قَدْ يُجَاهِلُ الْبِدْعَا

(١) في غ : تَكَرَّهِيْنَ .

(٢) في غ : السَّمَاةُ .

(٣) في غ : الْحَزْمِ وَالْقَوَى .

(أبو جلدة^(١) الشكري)

(هو أبو جلدة بن عبِيد بن مُنقِد بن حُجْر بن عبِيد الله^(٢)) بن مَسَلْمَة بن حَبِيبِ ابن عَدِي بن جُشَم بن غَنَم بن حَبِيب بن كَعْب بن يَشْكُر بن بَكْر بن وائل (شاعرٌ إسلامي من شعراء بني أمية من ساكني الكوفة وهو ممن خرج مع ابن الأشعث وقتله الحجاج) وكان من أخص الناس بالحجاج حتى إنه بعث به ومعه عبد الله بن شداد بن الهادي اللثمي إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فخطب الحجاج منه ابنته أم كلثوم. ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث، وكان من أشد الناس تحريضا على الحجاج. فلما أتى الحجاج برأسه ووضع بين يديه نظر إليه طويلا ثم قال: كم من سرت وضعته في هذا الرأس فلم يخرج منه حتى أتيت به مقطوعا.

وكان يوم الزاوية خرج أبو جلدة بين الصفيين وأقبل على أهل الكوفة يحرضهم وينشدهم قصيدته التي يقول فيها:

فقل للحواريات ^(٣) بيكين غيرنا	ولا تبكيننا إلا الكلاب النوايح
أأسلمتمونا للعَدُوّ وطِرتُم	شِلاّلا وقد طاحت بهن الطوايح ^(٤)
ولا صبرَ للحرب العوان على القنا	إذا أنتزعت منها القرون النواطح
بيكين إيينا خشيمة ^(٥) أن تبيحها	رماح النصارى والسيوف الجوارح

(١) في ت: خلدة « تحريف » .

(٢) في ت: عبد الله .

(٣) في ت: الجواريات « تحريف » وفي لسان العرب (حور) الحواريات ، وهن النقيات

الألوان والجلود لبياضهن .

(٤) في غ واللسان (حور) جاء مكان هذا البيت : « بيكين لإيناخشية . . الخ » . وفي غ :

جاء مكان العجز من هذا البيت : « إذا أنتزعت منها القرون النواطح » ولم يرد هذا العجز في غ ، كالم يرد في غ أيضا صدر البيت الذي يليه « ولا صبر للحرب . . الخ » .

(٥) في اللسان (حور) : خيفة .

بَكِينٍ لَكُمْ يَمْتَمُونَهُمْ مِنْهُمْ وَتَأْتِي قُلُوبٌ أُجْرَتَهَا^(١) الْجَوَانِحُ
وَنَادَيْتِنَا: أَيْنَ الْفِرَارُ^(٢) وَكُنْتُمْ تَعَارُونَ أَنْ تَبْدُوا الْبُرَى وَالْوَشَاحُ
فَاغَارَ مِنْهُمْ غَائِرٌ خَلِيلَةٌ وَلَا عَرَبٌ عَزَّتْ عَلَيْهِ النَّاحِحُ

فَأَنْفُوا وَثَارُوا وَشَدُّوا شِدَّةً تَضَعُ لَهَا عَسْكَرَ الْحِجَّاجِ وَثَبَّتَ الْحِجَّاجُ وَنَادَى
أَهْلَ الشَّامِ فَتَرَجَعُوا وَثَبَّتُوا، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَجَلَّ يُقْتَلُ النَّاسَ
بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، حَتَّى صَاحَ بِهِ رَجُلٌ: يَا حِجَّاجِ، إِنْ كُنَّا أَسَانًا فِي الذَّنْبِ لَمَّا أَحْسَنْتَ
فِي الْعَمَلِ، وَلَقَدْ خَالَفْتَ اللَّهَ تَعَالَى فِينَا وَمَا أَطَعْتَهُ. فَقَالَ: وَكَيْفَ وَبِلَكَ^(٣)! قَالَ:
لَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرَّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنْخَنْتُمُوهُمْ
فَشُدُّوا الرِّمَاقَ فَإِذَا مَنَّا بَعْدَ وَإِذَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا» وَقَدْ قَتَلْتَ
فَأَنْخَنْتَ حَتَّى جَاوَزْتَ الْحَدَّ، فَأَسْرَ وَلَا تَقْتُلْ، وَفَادِ وَأَمُنْ. فَقَالَ: أَوْلَى لَكَ؟ أَلَا
كَانَ هَذَا السِّكِّالِمَ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ! ثُمَّ رَفَعَ السِّيفَ^(٤) وَأَمِنَ النَّاسَ جَمِيعًا.

وَكَانَ الْحِجَّاجُ يَقُولُ مَا حَرَّضَ أَحَدٌ عَلَى كَمَا حَرَّضَ أَبُو جَدَّةَ عَلِيٍّ، فَإِنَّهُ نَزَلَ
عَنْ فَرَسِهِ^(٥) فِي وَسْطِ عَسْكَرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَوَضَعَ سِرَاوِيلَهُ وَسَلَّحَ فَوْقَهُ وَالنَّاسُ
يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ. فَقَالُوا: مَا لَكَ وَبِلَكَ أُجْنَنْتَ! مَا هَذَا! قَالَ: كَلِّمَ فَعَلَ مِثْلَ هَذَا
إِلَّا أَنْكُمْ سَتَرْتُمُوهُ وَأَظْهَرْتُمُوهُ. فَشَتَمُوهُ وَحَمَلُوا عَلَيَّ، فَمَا أَنْسَاهُ يَرْتَجِزُ وَهُوَ يَقْدُمُهُمْ
وَيَقُولُ:

(١) فِي غ: أَضْمَرْتَهَا.

(٢) فِي ت: وَيَادِينَا أَيْنَ الْفِرَارُ «تَحْرِيفٌ».

(٣) فِي ت: ذَلِكَ.

(٤) فِي غ: أَمِنَ.

(٥) فِي غ: عَلَى سِرْحَةٍ.

نَحْنُ جَلْبِنَا الْخَيْلَ مِنْ زَرْنَجَا (١) مَا لَكَ يَا حَجَّاجُ مِنَّا مَنْجَى
لَتُبَعِّجَنَّ بِالرَّمَاحِ (٢) أَوْ لَتَفَرَّيَنَّ فِذَاكَ أَحَجَّى
وَوَاللَّهِ لَقَدْ كَادَ أَهْلُ الشَّامِ يَوْمَئِذٍ أَنْ يَتَضَعُوا لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَيْدِيَهُمْ بِنَصْرِهِ .
وَكَانَ أَبُو جِلْدَةَ مَعَ الْقَعْقَاعِ بْنِ سُوَيْدٍ (٣) الْمِنَقَرِيِّ بِسِجِسْتَانَ ، فَذَمَّ مِنْهُ بَعْضُ
مَا عَامَلَهُ بِهِ ، فَقَالَ فِيهِ :

سَتَعْلَمُ أَنَّ رَأْيَكَ رَأْيُ سَوْءٍ إِذَا ظَلَّ الْإِمَارَةَ عَنْكَ زَالَا
وَرَأَى بَنُو أَبِيكَ وَلَسْتَ فِيهِمْ بَدِي ذِكْرٌ (٤) يَزِيدُهُمْ جَمَالًا (٥)
هَنَّاكَ تَذَكَّرَ الْأَسْلَافَ مِنْهُمْ (٦) إِذَا اللَّيْلُ الْقَصِيرُ عَلَيْكَ طَالَا
فَقَالَ لَهُ الْقَعْقَاعُ : وَمَتَى يَطُولُ عَلَيَّ اللَّيْلُ الْقَصِيرُ؟ قَالَ : إِذَا نَظَرْتَ إِلَى السَّمَاءِ مُرَبِّعَةً .
فَلَمَّا عَزَلُ وَحَبَسَ أَخْرَجَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ فَإِذَا هُوَ لَا يَرَى السَّمَاءَ إِلَّا بِقَدْرِ تَرْبِيعِ السَّجْنِ
[فَقَالَ : (٧) هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَدَّثَنِيهِ أَبُو جِلْدَةَ .

ثُمَّ تَوَلَّى مِسْمَعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ مَسْمَعٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَتَلَقَّاهُ وَمَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ
الَّتِي هِيَ :

— بَانَتْ سَعَادٌ فَأَمَسَى حَبْلُهَا انْقِطَمَا
— شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةٌ زَوْرَاءَ نَازِحَةٍ
وَلَيْتَ وَصَلًّا لَنَا مِنْ حَبْلِهَا رَجَعَا
فَطَارَتِ النَّفْسُ مِنْ وَجْدِهَا قِطْمًا

(١) زرنج : قصبه سجستان .

(٢) في غ : بالسيوف .

(٣) فت : سور .

(٤) فت : زجر .

(٥) فت : جدالا .

(٦) فت : منكم .

(٧) ساقطة من ت .

— مَا قَرَّتِ الْعَيْنُ مُدًّا وَوَلَّتْ ^(١) فَيَنْفَعَهَا
 غَدَّتْ تُلُومٌ عَلَى مَا فَاتَ عَادِلِيَّتِي
 مَهْلًا ذَرِيْسِي فَإِنِّي غَالِي خُلُقِي
 — مَجْدِي ^(٢) تَلِيدٌ وَمَا نَفَقْتُ يُخْلِفُهُ ^(٣)
 مَا عَضَّيْنِي الدَّهْرُ إِلَّا زَادَنِي كَرَمًا
 وَلَا تُنَالِيْنُ مِنْ عُودِي غَوَامِرُهُ ^(٤)
 وَلَا أَخَاتِلُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتَهُ
 — [مَا يَسَّرَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ قَنَعْتُ بِهِ
 إِنِّي لِأَمْدَحُ أَقْوَامًا ذَوِي حَسَبِ
 الطَّيْبِيْنَ عَلَى الْعِلَّاتِ مَعْجَمَةً
 بَنِي شِهَابٍ بِهَا أَعْنَى وَإِنَّهُمْ
 فَوصله مِسْمَعُ بْنُ مَالِكٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَّاهُ وَوَلَّاهُ ثُمَّ تَوَفَّى مِسْمَعٌ بِسَجِسْتَانَ . فَقَالَ
 أَبُو جِلْدَةَ يَرْتِيهِ :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءُ وَتَعْرِيبَةٌ
 يَأْمِسَمَعُ الْخَيْرِ مَنْ نَدَعُو إِذَا نَزَلَتْ
 قَدْ كَانَ فِي مِسْمَعٍ مِنْ مَالِكٍ خَلْفٌ ^(٨)
 إِحْدَى النَّوَابِيبِ بِالْأَقْوَامِ وَاخْتَلَفُوا

(١) في غ : إذ زالت .

(٢) في غ : فخرى .

(٣) في غ : أخلفه .

(٤) في غ : إن خان .

(٥) في غ : غمأثره .

(٦) لم يرد البيت في غ .

(٧) في غ : أطرافهم .

(٨) في غ : قد كان من مسمع في مالك خلف .

لو خَلَدَ الدهرُ فَيَاضًا لَمَكْرُمَةٍ (١) وَبَدَلَ جُودٍ لَمَّا أودَى بِكَ التَّلْفُ
كُنْتَ الشَّهَابَ الَّذِي يُرْمَى المَدْوِيَّةَ وَالبَحْرَ مِنْهُ سِجَالُ الجُودِ تَفْتَرِفُ
كَانَ أَبُو جِلْدَةَ قَدْ ضَمِيمَ مِنْ بَعْضِ الوُلَاةِ فَهَتَفَ بِقَوْمِهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى مَنَعِهِ
مِنْهُ وَلَا عَلَى مَعُونَتِهِ رَهْبَةً مِنَ السُّلْطَانِ ، فَهَتَفَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَسْمَعُ بْنُ مَالِكٍ ،
يَا أَمِيرُ بْنُ أَحْمَرَ ، ثُمَّ قَالَ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ سِرَاةَ قَوْمِي سَكُوتًا لَا يَثُوبُ لَهُمْ زَعِيمُ
هَتَفْتُ بِمَسْمَعٍ وَصَدَى أَمِيرٍ وَقَسْبِرٍ مُعَمَّرٍ تَلَكُ القُرُومُ
فَأَبْكَى مِنْ حَضْرٍ ، وَقَامُوا جَمِيعًا إِلَى الوَالِي فَسَأَلُوهُ فِي أَمْرِهِ حَتَّى كَفَّ عَنْهُ .
وَأَمِيرُ بْنُ أَحْمَرَ ، هُوَ رَجُلٌ مِنْ يَشْكُرَ كَانَ سَيِّدًا جَوَادًا وَكَانَ وَالِيًّا عَلَى
خُرَّاسَانَ ، وَفِيهِ يَقُولُ زِيَادُ الأَعْجَمِ :

لَوْلَا أَمِيرٌ هَلَكْتَ يَشْكُرُ وَيَشْكُرُ هَلَكَى عَلَى كُلِّ حَالٍ
وَمُعَمَّرٌ هُوَ ابْنُ شُمَيْرِ بْنِ عَامِرٍ (٢) بْنِ جَبَلَةَ ؛ وَكَانَ سَيِّدًا شَرِيفًا وَكَانَ أَمِيرًا
سِجِسْتَانَ .

كَانَ أَبُو جِلْدَةَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيِ بُسْتٍ يُقَالُ لَهَا : الخَيْرُ رَانَ (٣) وَمَعَهُ عَمْرُو بْنُ
صُوحَانَ أُخْرٍ صَعْمَعَةَ فِي جَمَاعَةٍ يَتَحَدَّثُونَ وَيَشْرَبُونَ ، فَقَامَ أَبُو جِلْدَةَ لِيَبُولَ وَكَانَ
عَظِيمَ البَطْنِ فَضَرَطَ فَضَحَكَ القَوْمُ مِنْهُ ، فَسَلَّ سَيْفَهُ وَقَالَ : لِأَضْرِبَنَّ كُلَّ مَنْ
لَا يَضْرِبُ فِي مَجْلِسِهِ هَذَا ضَرْبَةً بِسَيْفِي ، أَمِنِّي تَضْحَكُونَ لِأُمَّ لَكُمْ ! فَمَا زَالَ
حَتَّى ضَرَطُوا جَمِيعًا غَيْرَ عَمْرُو بْنِ صُوحَانَ . فَقَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدَ القَيْسِ

(١) فِي غ : قَدْ وَسَدُوكَ عَيْنًا غَيْرَ مُوسَدَةٍ .

(٢) فِي ت : عَمْرُو .

(٣) فِي ت : الخِرْوَانُ .

لا تَضْرِبْ وَلَكِ بَدَلُهَا عَشْرُ فَسَوَاتٍ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ أَوْ تَفْضِخَ بِهَا فَجَعَلَ بِنَحْيِي
وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا .

فَقَالَ أَبُو جِلْدَةَ :

أَمِنْ ضَرْطَةِ بِالْحَيْزُرَانِ ضَرْطُهَا تَشَدَّدَ مِنِّي تَارَةً^(١) وَتَلِينُ
فَا هُوَ إِلَّا السَّيْفُ أَوْ ضَرْطَةُ لَهَا يَثُورُ دُخَانٌ سَاطِعٌ وَطِينُ

سَأَلَ أَبُو جِلْدَةَ الْحَضِينَ بْنَ الْمَسْدَرِ الرَّقَاشِيَّ شَيْئًا فَلَمْ يَمِطْهُ وَقَالَ : لَا أَعْطِيهِ
مَا يَشْرَبُ بِهِ الْخَمْرُ . فَقَالَ أَبُو جِلْدَةَ فِي ذَلِكَ :

يَا بُوْسَ يَوْمٍ^(٢) طَلَعَتْ شَمْسُهُ بِالنَّحْسِ لَا فَارَقَتْ رَأْسَ الْحَضِينَ
إِنْ حُضِينًا لَمْ يَزَلْ بِأَخِلًّا [مَذْكَانٌ]^(٣) بِالْمَعْرُوفِ كَرَّ الْيَدَيْنِ

فَبَلَغَ الْحَضِينَ قَوْلُ أَبِي جِلْدَةَ ، فَقَالَ يُجِيبُهُ :

عَضَّ أَبُو جِلْدَةَ مِنْ أُمَّهِ مُعْتَرِضًا مَا جَاوَزَ الْأَسْكَتَيْنِ^(٤)
بِظُرَا طَوِيلًا عَاصِبًا^(٥) رَأْسَهُ أَعْقَفَ كَالْمَنْجَلِ ذَا شُعْبَتَيْنِ

كَانَ أَبُو جِلْدَةَ عَشِقَ دِهْقَانَةً فِي بُسْتٍ فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا وَيَكُونُ عِنْدَهَا
فَقَالَ فِيهَا :

وَكَأْسٍ كَأَنَّ الْمَسْكَ فِيهَا حَسَوْتُهَا وَنَازَعَنِيهَا صَاحِبٌ لِي مُسَاوِمٌ
أَعْرُ كَأَنَّ الْبَدْرَ سُنَّةٌ وَجْهِهِ لَهُ كَفَلٌ رَابٍ^(٦) وَفَرَعٌ وَمَبِيسَمٌ

(١) في غ : دارة « تحريف » .

(٢) في غ : يا يوم بوس .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت والتسكلمة من غ .

(٤) في ت : الركبتيين .

(٥) في غ : غاشيا .

(٦) في غ : واف .

يضيء دُجَى الظلْمَاءِ رَوْتِقُ وَجْهِهِ (١)
وَتَدْيَانِ كَالْحَقِيقَيْنِ وَالْمَتْنِ مُدْمَجٌ
وَبَطْنِ طَوَاهِ اللَّهِ طَيِّبًا وَمَنْطِقٌ
بِهِ تَبَلَّتْنِي وَأَسْتَبْتَنِي وَغَادَرَتِ
فَنِّ مَبْلِغٌ قَوْمِي الدُّنَا أَنْ مَهْجَتِي
أَبَيْتُ بِهَا أَهْدِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَّبَنِي
فَمَا بِالْهَأْ ضَنَّتْ عَلَيَّ بُوْدَهَا
وَعَهْدِي بِهَا - وَاللَّهُ يُصَلِّحُ شَأْنَهَا -
فلما بلغها الشعر سأت عن تفسيره ففسر لها . فلما انتهى التفسير إلى البيتين
الأخيرين غضبت وقالت : أنا زانية كازعم ! أوكلما اشتها في إنسان بذلت له
نفسى وأئمت له لا كلمته أبدا . فصرمته فلم يقدر عليها وهتف بها زمانا فلم
يصل إليها .

كان أبو جلدة يشرب مع ابن عم له من بكر بن وائل فسكر نديمه فعرّب بد
عليه وشمته فأحتمله أبو جلدة وقال :
أبي لي أن ألقى نديمي إذا أُنشئ
وقارى وعلمي بالشراب (٧) وأهله
وقال كلاماً سيئاً لى على السكر
وما نادى القوم الكرام كذى الحجز

(١) فى غ : خده .

(٢) فى غ : رخم .

(٣) فى ت : وجهم « تحريف » .

(٤) فى غ : مقام .

(٥) فى غ : اظى فى فؤادى .

(٦) فى غ : ألا تتلوم .

(٧) فى ت : بالشباب .

فلمست سلاح لي ندِيمًا بَزَلَّةٍ
عركتُ بِجُنْبِي قَوْلَ خِدْنِي وَصَاحِبِي
فَلَمَّا تَمَادَى قُلْتُ حُدَّهَا عَرِيْقَةً
فَارَزْتُ أُسْقِيهِ وَأَشْرَبُ مِثْلَ مَا
وَأَيْقَنْتُ أَنَّ الشُّكْرَ طَارَ بِلَبِّهِ
وَلَاكَ لِسَانًا كَانَ إِذَا كَانَ صَاحِبِيًّا
مَرَّ مِسْمَعُ بْنُ مَالِكٍ بِأَبِي جِلْدَةَ فَوَثَبَ إِلَيْهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا مِسْمَعُ بْنُ مَالِكٍ يَا مِسْمَعُ
أَنْتَ الْجَوَادُ وَالْخَطِيبُ الْمِصْمَعُ
فَأَصْنَعُ كَمَا كَانَ أَبُوكَ يَصْنَعُ

فقال له رجل هناك : إن قبيل منك ناك أمه . قال : وكيف ؟ قال : لأنك امرأته .
أن يصنع كما كان أبوه يصنع ! [وإن أباه كان ينكح زوجته] (١) .

وكان مِسْمَعُ بْنُ مَالِكٍ يُعْطِي أَبَا جِلْدَةَ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِ وَيَتَوَقَّاهُ لِحُبِّهِ لِسَانَهُ .
وله فيه عدة قصائد منها :

يسمى رجال لكيما يُدْرِكُوكَ ولو
وأنت في الحرب لا رث القوي برم
ساد العراق وحال الناس صالحة
لا خارجي ولا مستحدث شرفا
خاضوا بحارك أوضخاضها غرقوا
عند اللقاء ولا رعديدة فرق
وسادهم وزمان الناس منخرق
بل مجد آل شهاب كان مذ خلقوا

ثم مدح أبو جلدَةَ مُقَاتِلَ بْنَ مِسْمَعٍ طَمَعًا فِي مِثْلِ مَا كَانَ مِسْمَعُ يُعْطِيهِ ،
فلم يلتفت إليه وأمر أن يُحْجَبَ عنه . فقيل له : تمرضت لسان أبي جلدَةَ وحُبِّته .
فقال : ومن هو الكلب ! وما عسى أن يقول قبَّحه الله وقبح من هو منه !
فليجهد جهده ، فبلغه ذلك ، فقال فيه هجاء .

(١) زيادة في ت لم ترد في غ .

إسماعيل بن عمار

هو إسماعيل بن عمار بن عُمَيْنَةَ بن خُزَيْمَةَ بن طُفَيْلِ بن عَيْسَى بن عَمْرُو بن خَلْفِ بن زَبَّانِ بن كَعْبِ بن مَالِكِ بن ثَعْلَبَةَ بن دُودَانَ بن أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ شَاعِرِ مُقِلِ مُخَضَّرَمٍ من شعراءِ الدولتين يَنْزِلُ الكُوفَةَ . وكان بالكُوفَةَ رجلٌ يُقالُ له ابنُ رامين^(١) صاحبُ قِيَانِ قدم من الحِجَازِ فكان يَأْتِيهِ مَنْ يَشْرِبُ النَّبِيذَ وَيَسْمَعُ الغِنَاءَ فَيَقِيمُونَ عِنْدَهُ مثلُ يَحْيَى بنِ زِيَادِ الحَارِثِيِّ ومُشَرِّعَةَ بنِ الزُّنْدَبُودِ ، ومُطِيعِ بنِ إِيسَى ، وعبدُ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ وَعَوْنُ العِبَادِيِّ ومُحَمَّدُ بنُ الأَشْعَثِ الزُّهْرِيُّ المَغْنِيُّ . وكان إسماعيلُ بنُ عمارٍ يَغْشَاهُ أيضًا وَيَشْرَبُ عِنْدَهُ وكان في جِوَارِهِ في بنِي أَسَدٍ وَأَنْتَقَلَ مِنْ جِوَارِهِ إلى بنِي عَائِذِ اللَّهِ^(٢) فكان إسماعيلُ يزوره هُنَاكَ على مَشَقَّةٍ لُبُودٍ ما يَبْنِيهِمَا . وكان لابْنِ رامينِ جِوَارٍ عِدَّةٌ ، منهم سَلَامَةُ الزُّرْقَاءِ ، وسَعْدَةُ ورُبَيْحَةُ ، وَكُنْ من أَحْسَنِ النَّاسِ غِنَاءً . فاشترى مُحَمَّدُ بنُ سَلِيْمَانَ سَلَامَةَ الزُّرْقَاءِ وفيها يَقُولُ مُحَمَّدُ بنُ الأَشْعَثِ :

أَمْسَى لِسَلَامَةَ الزُّرْقَاءِ فِي كَيْدِي صَدَعُ مَقِيمِ طَوَالَ الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ
لَا يَسْتَطِيعُ صَنَاعُ القَوْمِ يَشْعَبُهُ وَكَيْفَ يُشْعَبُ صَدَعُ الحُبِّ فِي الكَبِدِ^(٣)
وَحَجَّ ابْنُ رَامِينَ وَجِوَارِيَهُ مَعَهُ ، وكان مُحَمَّدُ بنُ سَلِيْمَانَ إِذْ ذَاكَ على الحِجَازِ ، فاشترى مِنْهُ سَلَامَةَ الزُّرْقَاءِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . ولإِسْمَاعِيلِ فِي جِوَارِيِ ابْنِ رَامِينَ عِدَّةٌ قِصَائِدٍ .

(١) في ت : رامين بدون ابن « سهو » .

(٢) عائذ الله : حى من العرب . وفي ت : عابد « تحريف » .

(٣) في غ : كبد .

قال رجل وَجِيه من بَنِي أَسَدٍ لِإِسْمَاعِيلِ بْنِ عَمَّارٍ : هَلُمَّ أَرْكَبْ مَعِيَ إِلَى يَوْسُفَ
ابنِ عَمْرِ فَإِنَّهُ صَدِيقِي أَكَلَمَهُ فَبَكَ حَتَّى يَسْتَعْمَلَكَ عَلَى عَمَلٍ تَنْتَفِعُ فِيهِ . فَقَالَ
إِسْمَاعِيلُ : دَعْنِي حَتَّى يَحْوِلَ الْحَوْلُ ، وَأَنْظُرْ إِلَى عَمَّالِهِ مَا يَصْنَعُ بِهِمْ ؛ فَلَمَّا حَالَ
الْحَوْلَ نَظَرَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمَّارٍ إِلَى عَمَّالِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِ يُمَدِّبُونَ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

رَأَيْتُ صَبِيحَةَ النَّيْرُوزِ أَمْرًا فَظَيْمًا عَنْ عَمَّالَتِهِمْ ^(١) نَهَانِي
فَرَرْتُ مِنَ الْعِمَالَةِ بَعْدَ يَحْيَى وَبَعْدَ النَّهْشَلِيِّ أَبِي أَبَانَ
فَحَابَّ بِهَا أَبَا عُثْمَانَ غَيْرِي فَمَا شَأْنُ الْعِمَالَةِ ^(٢) لِي بِشَانَ
أُحَاذِرُ أَنْ أَقْصُرَ فِي خَرَاجِي إِلَى النَّيْرُوزِ أَوْ فِي الْمَهْرَجَانِ
وَمَا عُذْرِي إِذَا عَرَّضْتُ ظَهْرِي لِأَلْفٍ مِنْ سَيَاطِ الشَّاهِجَانِ
تُعَدُّ لِيُوسُفَ عَدًّا صَحِيحًا وَيَحْفَظُهَا عَلَيْهِ الْجَالِدَانِ

كَانَتْ لِإِسْمَاعِيلِ جَارِيَةٌ سَيِّئَةُ الْخُلُقِ قَدْ وُلِدَتْ مِنْهُ ، وَكَانَتْ قَبِيحَةَ الْمَنْظَرِ وَكَانَ
يُبْغِضُهَا وَهِيَ تُبْغِضُهُ فَقَالَ فِيهَا :

بَلِيَّتُ زِمْرَدَةَ ^(٣) كَالْعَصَا أَلْصَّ وَأَخْبَثَ مِنْ كُنْدُشٍ ^(٤)
تُحِبُّ النِّسَاءَ وَتَأْتِي الرَّجَالَ وَتَمْشِي مَعَ الْأَسْفَهِ الْأَطْيَيشِ
لَهَا وَجْهُ قَرْدٍ إِذَا أُزِيدَتْ وَلَوْنٌ كَلُونٍ ^(٥) الْقَطَا الْأَبْرَشِ ^(٦)

(١) في غ : إمارتهم .

(٢) في غ الإمارة .

(٣) زمردة، لفة في « زمردة » . والزمردة : المرأة التي تشبه الرجال خلقا وخلقاً .

(٤) كندش : لقب لمن كان معروفاً عندهم .

(٥) في غ : كبيض .

(٦) الأبرش من البرش والبرشة : لون مختلف ، نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غيرها أو غير

وَمِنْ قَوْفِهِ [لِمَّةٌ جَثَلَةٌ] (١)
 وَبَطْنٌ حَوَاصِرُهُ كَالِوِطَاءِ (٢)
 وَإِنْ نَكَهَتْ (٣) كِدَتْ مِنْ نَتْنِهَا
 وَتَدَى تَدَى عَلَى بَطْنِهَا
 وَفَخَذَانِ بَيْنَهُمَا نَفْفٌ (٤)
 وَسَاقٌ يُخْلِجُهَا خَاتِمٌ
 وَفِي كُلِّ ضِرْسٍ لَهَا أَكْلَةٌ (٥)
 وَلَمَّا رَأَيْتُ حَوَا (٦) أَنْفِهَا
 فَرَرْتُ مِنَ الْبَيْتِ مِنْ أَجْلِهَا
 لَهَا رَكْبٌ (٧) مِثْلُ ظِلْفِ الْفِرْزَالِ
 وَأَبْرُدٌ مِنْ ثَلَجٍ سَاتِيْدِمَا (٨)

كَرِيْشٍ (٩) الْخَوَافِي مِنَ الْمَرَعِشِ
 ب زَادَ عَلَى كَرِشِ الْأَكْرِشِ
 أَخِيْرًا عَلَى جَانِبِ الْمَفْرِشِ
 كَقَرْبَةِ ذِي الثَّلَّةِ الْمُعْطِشِ
 إِذَا مَا مَسَّتْ مِشِيْمَةَ الْمُتَشِي
 كَسَاقِ الْجِرَادَةِ (١٠) أَوْ أَحْمَشِ
 أَصْلٌ (١١) مِنَ الْقَبْرِ ذِي الْمَنْدِشِ
 وَفِيهَا وَإِصْلَالٌ (١٢) مَا تَحْتَشِي
 فِرَارِ الْهَجِيْنِ مِنَ الْأَعْمِشِ
 أَشَدُّ أَصْفِرَارًا مِنَ الْمِشْمِشِ
 إِذَا رَاحَ كَالْمُطْبِ (١٣) الْمُنْفِشِ

(١) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٢) في غ : كمثل .

(٣) الوطاب : سقاء اللبن .

(٤) نكهت : تنفست على أنف آخر .

(٥) النفف : المهواة بين الشيتين . وفي غ : بسطة .

(٦) في غ : الدجاجة .

(٧) الأكلة «بفتح أوله وكسر ثانيه، وسكن هنا للشعر» : داء يقع في العضو فيأستكمل منه .

(٨) أصل : أتقن .

(٩) الحوآء : الهواء بين الشيتين ، والقصر هنا للشعر .

(١٠) الإصلال : التنن .

(١١) الركب : الفرج . وفي غ : لى ضامر .

(١٢) ساتيدما : جبل .

(١٣) العطب : القطن .

وَأَرْسَحُ (١) مِنْ ضَفْدَعٍ عَشَّةٍ (٢) تَنْفِقُ عَلَى الشَّطِّ مِنْ مَرْعَشٍ (٣)
وَأَوْسَعُ مِنْ بَابِ جِسْرِ الْأَمِيرِ نُحْمِرُ الْمَحَامِلَ لَمْ تَحْشِدْشِ
فَهَذِي صِفَاتِي فَلَا تَأْتِهَا فَقَدْ قُلْتُ طَرْدًا لَهَا كَشْكشِي (٤)

كان بجوار إسماعيل رجُلٌ من قومه ينهاه عن الشُّربِ والشُّكرِ وهجاء الناس
ويَعْذُلُهُ، وكان إسماعيلُ له مَبْفُضًا (٥)، فَبَسَى ذلك الرجل مسجداً يُبَلِّصِقُ دارَ إسماعيل
وحسنه ، وكان يجلس فيه هو وقُرَّاء (٦) قومه وذو الستر (٧) والصَّلاح منهم
عامَّة نهارهم ، فلا يقدر إسماعيل أن يَشْرَبَ في داره ولا يدخلُ إليه أحد ممن كان
يَأْلَفُهُ من مُغْنٍ أو مُغْنِيَّة أو نديم ، وكان الرَّجُلُ يَتَوَلَّى شيئاً من الأوقاف (٨)
للقاضي بالكوفة فقال إسماعيل يَهْجُوهُ :

بَنَى مَسْجِدًا بُنْيَانُهُ مِنْ خِيَانَةٍ لِعَمْرِي لَقَدِمًا كُنْتَ غَيْرَ مُوقِّعٍ
كصاحِبَةِ الرُّمَّانِ لَمَّا تَصَدَّقْتَ جَرَّتْ مَثَلًا لِلخَائِنِ الْمُتَصَدِّقِ
يَقُولُ لَهَا أَهْلُ الصَّالِحِ نَصِيحَةٌ لَكَ الْوَيْلُ لَا تَزْنِي وَلَا تَتَصَدَّقِ

سَمِعَ إسماعيلُ بنُ عَمَّارِ رجلاً يُنْشِدُ آيَاتِ الفَرَزْدَقِ يَهْجُو بِهَا عُمَرَ بنَ هُبَيْرَةَ
الفَزَارِيَّ لَمَّا وَلِيَ العِرَاقَ وَيَعْجَبُ مِنْ وِلايَتِهِ ، وكان خَالِدُ القَسْرِيِّ قد ولى العِرَاقَ

(١) أرسح من الرشح ، وهو قلة لحم الفخذين والعجز .

(٢) العثة : الضئيلة الجسم .

(٣) مرعش : مدينة قرب الشام .

(٤) الكشكشة : الهرب . وكشكشى : اهربي .

(٥) في غ : مفضبا .

(٦) في غ : وقومه بدل وقراء قومه .

(٧) في غ : التستر .

(٨) في غ : الوقوف .

فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ . فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ : أَعْجَبُ مِنْ وِلَايَةِ ابْنِ هُبَيْرَةَ وَوِلَايَةِ خَالِدِ الْقَسْرِيِّ
وَهُوَ مُخَنَّثٌ دَرَعِيٌّ ثُمَّ قَالَ :

عَجِبَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ فِرَارَةِ أَنْ رَأَى
فَلَقَدْ رَأَى عَجَبًا وَأُحْدِثَ بَعْدَهُ
بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ فِرَارَةِ شَجْوَاهَا
فَلَوْكَ خَنْدَفٌ أَضْرَعُونَا لِلْأَمْدَا
كَانُوا كَقَازِفَةٍ بَيْنَهَا (١) ضَلَّةٌ
عِنَهَا أُمِّيَّةٌ بِالْمَشَارِقِ تَنْزَعُ
أَمْرٌ تَطِيرُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَفْرَعُ
وَالآنَ مِنْ قَسْرِ تَضَجُّ وَتَجْزَعُ
لِلَّهِ دَرٌّ مُلُوكْنَا مَا تَصْنَعُ
سَفَهَا وَغَيْرُهُمْ تَرُبُّ وَتُرْضَعُ

(١) ق ت : بنوها بالرفع خطأ .

أَسَاقِفَةُ نَجْرَانَ

وَمُبَاهَلَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(أ) أَشْرَافُ (قَدَمِ صُهَيْبٍ مِنْ نَجْرَانَ مَعَ أَهْلِ نَجْرَانَ وَهُوَ غُلَامٌ وَمَعَهُمُ الْأُسْقُفُ وَالْعَاقِبُ وَابْنُ حَبَشٍ^(١) ، وَالسَّيِّدُ ، وَقَيْسٌ^(٢) ، وَعَبْدُ الْمَسِيحِ وَابْنَةُ الْحَارِثِ وَمَعَهُمُ أَرْبَعُونَ حَبِيرًا^(٣) فَوْقَهُمْ عَلَى الْيَهُودِ فِي بَيْتِ الْمَدْرَاسِ^(٤) ، فَصَاحُوا بِهِمْ : يَا ابْنَ صُورِيَا يَا كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ^(٥) ، انزِلُوا يَا إِخْوَةَ الْخَنَازِيرِ وَالْقِرَدَةِ ؛ فَقَالُوا لَهُمْ : هَذَا الرَّجُلُ عِنْدَكُمْ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً قَدْ غَلَبَكُمْ ، أَحْضِرُوا الْأُمْتَحَنَةَ لِنَمْتَحِنَهُ فَعَدَا . فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ قَامُوا فَبَرَكَوا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ تَقَدَّمَهُمُ الْأُسْقُفُ فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، مُوسَى مَنْ أَبُوهَ ؟ قَالَ : عِمْرَانُ ، قَالَ : فَيُوسُفُ مَنْ أَبُوهَ ؟ قَالَ : يَعْقُوبُ . قَالَ : فَأَنْتَ مَنْ أَبُوكَ ؟ قَالَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . قَالَ : فَعِيسَى مَنْ أَبُوهَ ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَانْقَضَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ فَقَالَ : « إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ » فَتَلَّاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَرَ^(٦) الْأُسْقُفُ ثُمَّ دَرَبَهُ مَغْشِيًّا^(٧) عَلَيْهِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ : أَتَزْعَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيْكَ أَنَّ عِيسَى خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ ! مَا نَجِدُ

(١) قوت : تحبس « تحريف » .

(٢) قوت : قس « تحريف » .

(٣) قوت : أحبارا « تحريف » .

(٤) قوت : المدارس « تحريف » . وبيت المدراس : البيت الذي يتدارس اليهود فيه كتابهم .

(٥) قوت : يا بن كعب بن الأشقر « تحريف » .

(٦) قوت : وثب . وفي قوت : فبرا « تحريف » .

(٧) قوت : يبيض بالأصل والتسكلة من غ .

هذا فيما أوحى إِلَيْنَا وَلَا تَجِدُهُ هَوَآءَ الْيَهُودِ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيْهِمْ ، فَأُوحِيَ اللَّهُ إِلَيْهِ :
« فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا
وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » فقال :
أَنْصَفْتَنَا يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَمَتَى نُبَاهِلُكَ ؟ فقال : بِالْعِدَاةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَأَنْصَرَفَ النَّصَارَى
وَأَنْصَرَفَتِ الْيَهُودُ وَهُمْ يَقُولُونَ : وَاللَّهِ مَا نُبَالِي أَيُّهُمَا أَهْلَكَ اللَّهُ الْحَنِيفِيَّةَ أَوِ النَّصْرَانِيَّةَ
فَلَمَّا صَارَتِ النَّصَارَى إِلَى بُيُوتِهَا قَالُوا : وَاللَّهِ إِنْ كُنْمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ . وَإِنْ بَاهَلْنَا
إِنَّا لَنَخْشَى أَنْ نَهْلِكَ ، وَلَكِنْ أَسْتَقْبِلُوهُ لَعَلَّهُ يُقِيلُنَا .. وَغَدَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنَ الصُّبْحِ وَغَدَا مَعَهُ عَلِيٌّ وَقَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . فَلَمَّا صَلَّى
الصُّبْحَ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ جَلَسَ بَارِكًا ، وَجَاءَ بَعْلِيٌّ فَأَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَجَاءَ
بِقَاطِمَةَ فَأَقَامَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، وَجَاءَ بِالْحَسَنِ فَأَقَامَهُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَجَاءَ بِالْحُسَيْنِ فَأَقَامَهُ
عَنْ يَسَارِهِ ، فَأَقْبَلُوا بِسِتْرَتِي فِي الْمَسْجِدِ بِالْخُشْبِ فَرَفَأَ أَنْ يَبْدَأَهُمْ بِالْمُبَاهَلَةِ إِذَا رَأَاهُمْ ؛
فَبَرَكُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ صَاحُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، أَقْلِنَا أَقْلَكَ اللَّهُ عَثْرَاتِكَ . فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْعَمَ - قَالَ : وَلَمْ يُسْأَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطَّ إِلَّا
أَعْطَاهُ . فَقَالَ : قَدْ أَقْلَيْتُكُمْ . فَلَمَّا وَلَّوْا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي بَعَثَنِي
بِالْحَقِّ لَوْ بَاهَلْتُهُمْ مَا بَقِيَ عَلَيَّ وَجْهُ الْأَرْضِ نَصْرَانِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيَّةٌ إِلَّا أَهْلَكْتُهُمْ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

ويقال : إِنْ الْعَاقِبُ وَتَبَّ فَقَالَ : أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ أَنْ نُتْلَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ! فَوَاللَّهِ إِنْ
كَانَ كَاذِبًا مَا لَكُمْ فِي مَلَاعِنَتِهِ خَيْرٌ ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا لَا يَحُولُ الْحَوْلُ وَمِنْكُمْ نَافِخُ
ضَرْمَةَ (١) فَصَالِحُوهُ وَرَجَعُوا .

وَكَانَ الْأَعْمَى يَسْمَعُ مِنْ أَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ وَيُنْقَلُ عَنْهُمْ فِيمَا نَقَلَ عَنْهُمْ فِي شِعْرِهِ قَوْلُهُ :
أَسْتَأْتِرُ اللَّهَ بِالْوَفَاءِ وَبِالْمَدْلِ وَوَلِيَّ الْمَلَأَمَةِ الرَّجُلُ

(١) الضرمه : الجمرة . يقال : ما في الدار نافع ضرمه أى ما فيها أحد .

(إبراهيم بن سيابة)

مولى بنى هاشم . يقال : إن جدّه حَجَّامُ أعتقه بعض الهاشِمِيِّين . مُقَارِبٌ لَشُعْرَاءِ
 وقتِه ، وليست له نَبَاهَةٌ ولا شِعْرٌ شريفٌ وكان يميل بِمَحَبَّتِهِ ومَدَحِهِ إلى إبراهيم وابنه
 إسحاق فغَنَّى في شعره ورفعا منه . وكان خليعا ما جَنَّ طَيْبِ النَادِرَةِ وكان يُرْمَى
 بالأُبْنَةِ .

هَوَى إبراهيمُ بن سيابة أمة سوداء فموتت على ذلك من أهله فقال :

— يَكُونُ الخَالُ فِي وَجْهِ قَمِيحٍ فيكسوه الملاحه والجمالا
 فكيف يُلامُّ مشغوف^(١) على من يراها كُلهَا في العَيْنِ خَالَا

وكان لسوار بن عبد الله القاضي ابنُ امرؤ يهوى مُعْنِيَةَ تسمى رُحَاصُ ، فسكّر
 فنام وإبراهيمُ بن سيابة حاضر ، فجعل يُعَانِقُهُ وَيُقَبِّلُهُ ، فلما انبته قال للجارية : ليت
 شعري ما كان خبرك مع ابن سيابة ؟ فقالت له الجارية : سل عن خبرك أنت معه ،
 وحدثته بالقصة ، فهجره الغلام وشتمه فقال :

— أَلِنْ لثَمَّتْكَ سِرًّا فأبصرتني رُحَاصُ
 وقال في ذلك قومٌ على انتقاصي حِرَاصُ
 — هَجَرْتَنِي وَأَتْتَنِي شَتِيمَةً وَأَنْتِ قَاصُ
 — فَهَاكَ فَاقْتَصَّ مِنِّي إِنَّ الجُرُوحَ قِصَاصُ

وقيل : إن رُحَاصَ هذه كانت دايةَ ابنِ القاضي ، وأنه لقيته وهو سكران
 فأنقته وقبّله ودأبته هذه معه فقيل للدّاية : إن هذا تقبيلُ شهوة لا تقبيلُ سلام
 فلحقته فشتمته وأسمته ما يكره ، وتَحَامَاهُ الغلامُ بمد ذلك .

(١) في غ : معشوق ! .

عُوتِبَ ابْنُ سَيَّابَةَ عَلَى مُجُونِهِ فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ! لَأَنْ أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِذُلِّ الْعَمَامِيِّ
فِي رَحْمَتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَاهُ أَتَبَخَّرْتُ إِذْ لَأَبْحَسَنَاتِي فِيهِ مُتَمَتِّنِي .

وَسَيِّكِرُ ابْنُ سَيَّابَةَ يَوْمًا حَتَّى حُمِلَ فِي طَبَقٍ وَوَجَدَ بِهِ حَامِلُهُ عَلَى الْجِسْرِ ؛ فَسَأَلَهُ
إِنْسَانٌ : مَا هَذَا ؟ فَرَفَعَ هُوَ رَأْسَهُ وَقَالَ : هَذَا بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ
تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ يَا كِشْخَانُ ^(١) .

كَتَبَ ابْنُ سَيَّابَةَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يَقْتَرِضُ مِنْهُ شَيْئًا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَمْتَدِرُ وَيَخِيفُ
أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ مَا طَلِبَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : « إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَعَمَلَكَ اللَّهُ صَادِقًا ، وَإِنْ
كُنْتَ مَلُومًا فَعَمَلَكَ اللَّهُ مَعْدُورًا » .

كَانَ ابْنُ سَيَّابَةَ يَوْمًا مَعَ جَمَاعَةٍ يَتَحَدَّثُ وَيُنْشِدُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ ، فَتَحَرَّكَ
فَضْرِبَ ، فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى أَسْتِهِ غَيْرَ مَكْتَرٍ ، وَقَالَ : إِمَّا أَنْ تَسْكُتِي حَتَّى أَتَكَلَّمَ أَنَا ،
وَإِمَّا أَنْ أَسْكُتَ حَتَّى تَتَكَلَّمِي .

أَعْبَثَ ابْنُ سَيَّابَةَ بَعْلَامٌ أَمْرُدٌ فَأَجَابَهُ ، فَمَضَى بِهِ إِلَى بَيْتِهِ ، فَأَكَلَا وَشَرِبَا ،
فَقَالَ لَهُ الْعَلَامُ : أَنْتَ ابْنُ سَيَّابَةَ الرَّنْدِيقِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَحِبُّ أَنْ تُتَلَّمَنِي
الرَّيْنُدَقَةَ . قَالَ : أَفْعَلُ وَكَرَامَةٌ . ثُمَّ بَطَّحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ وَوَقَعَ عَلَيْهِ
فَصَاحَ الْعَلَامُ : أَوْهَ أَيْ شَيْءٌ هَذَا وَيَحْكُ ! فَقَالَ : هَذَا أَوَّلُ شَرَائِعِ الرَّنْدَقَةِ .

قَالَ مُحَرِّزُ بْنُ جَعْفَرِ الْكَاتِبِ : قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيَّابَةَ : إِذَا كَانَ فِي جِيرَانِكَ
جِنَازَةٌ وَلَيْسَ فِي بَيْتِكَ دَرَقِيقٌ فَلَا تَحْضُرُ الْجِنَازَةَ فَإِنَّ الْمَصِيبَةَ عِنْدَكَ أَكْثَرُ مِنْهَا عِنْدَ
الْقَوْمِ ، وَبَيْتُكَ أَوْلَى بِالْمَاتِمِ مِنْ بَيْتِهِمْ .

سَخِطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى ابْنِ سَيَّابَةَ فَسَأَلَهُ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ فَامْتَنَعَ . فَكَتَبَ
إِلَيْهِ :

(١) الكشخان : الديوث .

إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَحَاطَ بِجُرْمَتِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوِكَ الْمَأْمُولَا
فَكَمْ أَرْتَجِيئُكَ فِي الْآتِي لَا يُرْتَجَى فِي مِثْلِهَا أَحَدٌ فَنِلْتُ السُّوْلَا
وَضَلَّتْ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبًا وَوَجِدْتُ حِلْمَكَ لِي عَلَيْكَ دَلِيلَا
هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَاتُ أَقْرُبُ كَيْ يَزِيدَا عَفْوِكَ بَعْدَ طَوْلِكَ طُولَا
وَالْعَفْوُ أَجْمَلُ وَالتَّفَضُّلُ بِأَمْرِي لَمْ يَعْدَمِ الرَّاجُونَ مِنْهُ جَمِيلَا
فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَضْلُ دَمَعَتْ عَيْنُهُ وَرَضِيَ عَنِ ابْنِ سَيَّابَةَ ، وَأَوْصَلَهُ إِلَيْهِ وَأَمَرَ لَهُ
بِمِشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ .

١٦ جاء إبراهيم بن سيابة إلى بشار بن برد فقال له : ما رأيت أعمى قط إلا وقد
عوض عن بصره ، إما الحفظ والذكاء وإما حسن الصوت فأى شيء عوضت ؟
قال : لا أرى ثقيلًا مثلك ، ثم قال له : من أنت ؟ قال : إبراهيم بن سيابة فضحك
ثم قال :

لَوْ نَكِحَ اللَّيْثُ فِي أَسْتِهِ خَضَمًا وَمَاتَ جُوعًا وَلَمْ يَنْلِ شِبَمَا
كَذَلِكَ السِّيفُ عِنْدَ هَزَّتِهِ لَوْ بَصَقَ النَّاسُ فِيهِ مَا لَمَّا (١)

الأسود بن يعفر

هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وأم الأسود رهم بنت العباب ، من بني سهم بن عجل شاعر فصيح متقدم من شعراء الجاهلية ، ليس بالمكثر . وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثامنة مع خدّاش بن زهير ، والمخبل السعدي ، والنمر بن تولب . وهو من العنثى المعدودين في الشعراء . وقصيدته الدالية المشهورة :
 نام الخليلي وما أحسن رفاذي والهمم محتضّر لذي وسادي
 مُعدودة من مختار أشعار العرب وحكمها ، مفضّلة^(١) مأثورة .

قال الأصمعي : تقدم رجل إلى القاضي سوار بن عبد الله من أهل البصرة من بني دارم ليقم شهادة عنده ، فصادفه يتمثل بقول الأسود بن يعفر :

ولقد علمت لو أن علمي نأفي	أن السبيل سبيل ذي الأعواد
إن المنية والحتوف كلاهما	يسوف المنية يرميان سوادى
ماذا أأمل بعد آل محرق	تركوا منازلهم وبعد إباد
أهل الحورنق والسدير وبارق	والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم	ماء الفرات يجيء ^(٢) من أطواد
جرت الرياح على رسوم ^(٣) ديارهم	فكأنهم ^(٤) كانوا على ميماد

(١) في غ : مفضلية .

(٢) في غ : يفيض .

(٣) في غ محل .

(٤) في غ : فكأنما .

ولقد غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ ^(١) عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
فَإِذَا النَّعِيمِ وَكُلِّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْمًا بِصِيرٍ إِلَى بَيْتِي وَنَفَادٍ ^(٢)

ثم أقبل على الدارمي فقال : أروى هذا الشعر ؟ قال : لا . قال : أفتعرف قائله ؟
قال : لا . قال : رجل من قومك له هذه النبأه وقد قال مثل هذه الحكم لا تعرفه
ولا ترويهها ! يا مزاحم ، أثبت شهادته عندك ، فإني متوقف عن قبولها ^(٣) حتى نسأل
عنه فإني أظنه ضعيفا .

قال سنان بن يزيد : كنت مع مولاي جرير بن سَهْمِ التيمي وهو يسير أمام
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول :

يا فَرَسِي سِيرِي وَأُمِّي الشَّامَا وَخَلَقِي الْأَخْوََالَ وَالْأَعْمَامَا
وَقَطَّعِي الْأَجْوَازَ وَالْأَعْلَامَا وَقَاتِلِي مَنْ خَالَفَ الْإِمَامَا
إِنِّي لِأَرْجُو إِنْ لَقِينَا الْعَامَا جَمَعَ بَنِي أُمِّيَّةِ الطَّغَامَا
أَنْ تَقْتُلَ الْعَاصِيَّ وَالْهَمَامَا وَأَنْ تُزِيلَ مِنْ رِجَالِ هَامَا

فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف على رضي الله عنه ووقفنا فتمثل مولاي
بقول الأسود بن يعفر :

جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَانَهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ

فقال له علي رضي الله عنه : فلم لم تقل كما قال الله عز وجل : « كم تر كوا من
جنات وعميون وزرورع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها
قوما آخرين » ثم قال : يا أخي ، هؤلاء كفروا بالنعمة ، خلت بهم النعمة ، فإياكم
وكفر النعمة فتحل بكم النعمة .

(١) في تجريد الأغاني : بأعظم .

(٢) لم يرد هذا البيت والذي قبله في غ .

(٣) في غ : قبوله .

وجراح بن الأسود بن يعفر هو الذي أخذ فرس بنى الحارث بن نعمة الله بن ثعلبة وهي أجود فرس في الأرض وهرب بها وابتطنها^(١) ثلاثة أبطن ثم رد الفرس وأمسك أمهارها وتوعدوه بسبب ذلك .

وكان جراح هذا في صباه ضعيفاً وأمه أحيذة ، أخذها الأسود بن يعفر من بنى نهد في غارة أغارها عليهم . ولما أسنَّ الأسود كُفَّ بصره وكان يُقاد إذا أراد مذهباً .

وكان للأسود أخٌ يقال له: حطائط بن يعفر شاعر جواد . وهو الذي يقول لأمه رُهم بنت العباب لما عاتبته على جوده :

تقول ابنة العباب رُهم حرَّ بدني^(٢)
إذا ما أفدنا^(٣) صرمةً بعد هجمةٍ
فقلت ولم أعى الجواب تأملي
أريني جواداً مات هزلاً لملني
ذريتي أكن للمال رباً ولا يكن
ذريتي فما أعيا بما حلَّ ساحتي
ذريتي يكن مالي لِعرضي وقايةً
حطائط لم تترك لنفسك مقعداً
تكون عليها^(٤) كابن أمك أسوداً
أكان هزلاً لا حتف زيد^(٥) وأربداً
أرى ما ترين أو بخيلاً مخلداً
لي المال رباً تحمدي غبه غداً
أسود فأكفي أو أطيع المسوداً^(٦)
بقي المال عرضي قبل أن يتبدداً

(١) ابتطنها : نتجها ثلاث مرات .

(٢) في ت : حرمتني .

(٣) في غ : جمعنا .

(٤) في غ : علينا .

(٥) في ت : أنفك أربداً .

(٦) في ت : مسوداً « بدون أل »

أرطاة بن سهية

هو أرطاة بن زُفر بن عبد الله بن مالك بن شداد بن عُقْمَان (١) بن أبي حارثة بن
مُرّة بن نُشَيْة (٢) بن غَيْظ بن مُرّة بن سعد بن ذُبْيَان .

وسهية أمة بنت زامل (٣) بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن حديج (٤) بن
أبي جشم بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف سبيية من كلب . وكانت لضرار بن
الأزور ثم صارت إلى زُفر وهي حامل فجاءت بأرطاة من ضرار على فراش زُفر ؛
فلما ترعرع أرطاة جاء ضرارُ إلى الحارث بن عوف فقال له :

يا حارث أفكك لي بُنيّ من زُفرّ في بعضٍ من تَطْلِقِ مِنِّ أَسْرَى مُضَرّ
إِنَّ أَبَاهُ أَمْرٌ سَوْءٌ إِنْ كُفِرَ

فأعطاه الحارث إياه وقال : أنطلق يا بُنِكَ ، فأدركه نَهْشَلُ بن حَرِيّ
ابن غطفان فأنزعه منه وردّه إلى زُفرّ . وفي تصدّاق ذلك يقول أرطاة لبعض
أَوْلَادِ زُفرّ :

فإِذَا حَمِصْتُمْ قَلْتُمْ يَا عَمَّنَا وَإِذَا بَطِئْتُمْ قَلْتُمْ أَبْنَ الْأَزُورِ
ولهذا غَلَبَتْ أُمّه سَهِيّة على نسبه فنُسِبَ إليها . وضرار بن الأزور هذا قاتل
مَالِكِ بن نُويْرَةَ الذي يقول فيه أخوه مُتَمِّمٌ :
نِعْمَ الْقَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَآوَحَتْ تَحْتَ البَيْوتِ قَتَلَتْ يَا أَبْنَ الْأَزُورِ

(١) في ت : غطفان « تحريف » .

(٢) في ت : سنية « تحريف » .

(٣) في ت : رامك « تحريف » .

(٤) في ت : جريج « تحريف » .

وَأَرْطَاةَ شَاعِرٍ فَصِيحٍ ، معدود في طبقات الشعراء الإسلاميين في دولة بني أمية لم يسبقها ولم يجاوزها . وكان امرأ صدق شريفاً في قومه جواداً .
دخل أَرْطَاةُ بن سُهَيْةٍ على عبد الملك بن مروان ، فأستنشدَه شيئاً مما ناقض به شَيْبِيبَ بن البرصاء فأنشده :

أَبِي كَانَ خَيْرًا مِنْ أَبِيكَ وَلَمْ يَزَلْ جَنِيبًا لِآبَائِي وَأَنْتَ جَنِيْبُ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : كَذَبْتَ ، شَيْبِيبُ خَيْرٌ مِنْكَ أَبَا . قَالَ : ثُمَّ أَنْشَدَهُ :
وَمَا زِلْتُ خَيْرًا مِنْكَ مَذْعُورًا كَارِهًا بِرَأْسِكَ عَادِي النَّجَادِ رَسُوبٌ (١)
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : صَدَقْتَ أَنْتَ فِي نَفْسِكَ خَيْرٌ مِنْ شَيْبِيبِ . فَعَجِبَ مَنْ حَضَرَ
مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَنْ مَعْرِفَتَهُ لَسَأَلَ النَّاسَ عَلَى بَعْضِهِمْ مِنْهُ فِي بَوَادِيهِمْ ، وَكَانَ الْأَمْرُ
كَمَا قَالَ ، فَإِنَّ شَيْبِيئًا أَشْرَفُ أَبَا مِنْ أَرْطَاةَ ، وَأَرْطَاةُ أَشْرَفَ نَفْسًا وَفِعَالًا مِنْ شَيْبِيبِ .
دَخَلَ أَرْطَاةُ بن سُهَيْةٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بن مروان وَقَدْ أَسَنَّ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ
يَا أَرْطَاةَ ؟ فَقَالَ : ضَعُفْتُ أَوْصَالِي ، وَضَاعَ مَالِي ، وَقَلَّ مِنِّْي مَا كُنْتُ أَحِبُّ كَثْرَتَهُ
وَكَثُرَ مَا كُنْتُ أَحِبُّ قَلَّتَهُ ، قَالَ : فَكَيْفَ أَنْتَ فِي شِعْرِكَ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا أَطْرَبَ وَلَا أَعْضَبَ وَلَا أَرْغَبَ وَلَا أَرْهَبَ وَلَا يَكُونُ الشُّعْرُ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ .
وَعَلَى أَيْ الْقَائِلِ :

رَأَيْتَ الْمَرْءَ تَأْكُلُهُ اللَّيَالِي كَأَكْلِ الْأَرْضِ سَاقِطَةَ الْحَدِيدِ
وَمَا تَبَغِي الْمَنِيَّةَ حِينَ تَأْتِي عَلَى نَفْسِ ابْنِ آدَمَ مِنْ مَزِيدِ
وَأَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَكُرُّ حَتَّى تُوفِيَ نَذْرَهَا بِأَبِي الْوَلِيدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال : توفى نذرها بك ويلك ! مالي ولك ؟ فقال : لا تفزع يا أمير المؤمنين ، فإنما عنيت نفسي - وكان أَرْطَاةُ يَكْنَى بِأَبِي الْوَلِيدِ - فسكن عبد الملك ، ثم استعبر بأكيًا وقال : أما والله على ذلك لتلمن بي أيضاً .

وكانت بين أرطاة وبين شبيب بن البرصاء مهاجاة كثيرة .

وكان أرطاة بن سهية يتحدث إلى امرأة من غني يقال لها: وجزة ، وكان يهواها ويهيم بها ، ثم أفرقا وحال الزمان بينهما ، ثم اجتمعت غني وبنو مرة في دار فرأطاة بوجزة وقد هربت وتغيرت محاسنها وافتقرت ، فجلس إليها فشكت إليه أمرها . فلما أراد الانصراف أمر راعيه بجاء بعشرة من إبله فربطها^(١) بفنائها ثم انصرف وقال :

مررتُ على خِدْنِي^(٢) برَمَّان^(٣) بعدما
فكنتُ كَطَبِي مُفْلِتٍ من حَبائِلِ
قال أرطاة بن سهية للربيع بن قعنّب :

لقد رأيتك عرياناً وموتراً
فما عرفتُ أأنثى أنت أم ذَكَرٌ ؟
فقال له الربيع :

[لكن سهية تدرى إذ أتيتكم
على عريحاء لما أنحلت الأزر]^(٤)
ولجَّ الهجاء بينهما .

تزوج عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو أم هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت من أجمل نساء قريش ، وكان يحبها وجداً شديداً ، فرض مرضته التي هلك فيها ، فجعل يديم النظر إليها^(٥) وهي عند رأسه ، فقالت له : إنك

(١) في غ : فمقلها .

(٢) في غ : جدتي ؛ وهو المسامر .

(٣) رمان : جبل في بلاد طي .

(٤) في ت : أقراب .

(٥) في ت : أعقلته .

(٦) لم يرد البيت في غ . وجاء مكانه : لكن سهية قد عرفتني .

(٧) في ت : فيها .

لَتَنْظُرُنَّ نَظْرَ رَجُلٍ لَهُ حَاجَةٌ ، فَقَالَ : إِي وَاللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ لِحَاجَةً لَوْ ظَهَرْتُ بِهَا
لَهَانَ عَلَيَّ مَا أَنَا فِيهِ . قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ تَتَزَوَّجِي بَعْدِي . قَالَتْ :
خَافَ يَرْضِيكَ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤَمِّقِي الْأَيْمَانَ الْعَلِيظَةَ . خَلَفَتْ لَهُ بِكُلِّ يَمِينٍ سَكَنَتْ إِلَيْهَا
نَفْسُهُ . فَلَمَّا أُتْقِضَتْ عِدَّتُهَا خَطَبَهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ - فَأَرْسَلَتْ
إِلَيْهِ : مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ بَلَغَكَ خَبْرُ يَمِينِي . فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا : لَكَ مَكَانٌ كُلُّ عَبْدٍ عَبْدَانِ ،
وَمَكَانٌ كُلِّ شَيْءٍ ضِعْفُهُ . فَتَزَوَّجَتْهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ مَشَيْخَةِ قُرَيْشٍ مُغْفَلٌ ،
فَلَمَّا رَأَاهَا مَعَ عَمْرِ جَالِسَةً قَالَ :

تَبَدَّلَتْ بَعْدَ الْخَيْرِ زُرَّانَ جَرِيدَةً وَبَعْدَ ثِيَابِ الْخَزْرِ أَحْلَامَ نَائِمٍ
فَقَالَ عَمْرُ : وَيَسَّكَ جَعَلْتَنِي جَرِيدَةً وَأَحْلَامَ نَائِمٍ ! فَقَالَتْ أُمُّ هِشَامَ : لَيْسَ كَمَا قُلْتَ ،
وَلَكِنْ كَمَا قَالَ أَرْطَاةُ بْنُ سُهَيْبَةَ :

وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ ذَاتِ بَثٍّ وَعَوْلَةٍ بَكَتْ شَجْوَهَا بَعْدَ الْحَيْنِ الْمُرْجَعِ
فَكَانَتْ كَذَاتِ الْبَوِّ لَمَّا تَعَطَّفَتْ عَلَى قَطْعٍ مِنْ شِلْوِهِ (١) الْمْتَمَزَّعِ
مَتَى لَا تَجِدَهُ تَنْصَرِفُ لِطَيِّبَاتِهَا مِنْ الْأَرْضِ أَوْ تَعْمِدُ لِإِلْفِ فَتَرْتَبِعَ (٢)
عَنِ الدَّهْرِ فَأُصْفَحَ إِنَّهُ غَيْرُ مُعْتَبٍ وَفِي غَيْرِ مَنْ قَدِ وَاوَرَّتِ الْأَرْضُ فَأُطْمَعِ

وهذه الأبيات رثي بها أَرْطَاةُ ابْنَهُ عَمْرًا . وَكَانَ لَمَّا مَاتَ جَزَعٌ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا
حَتَّى كَادَ يَذْهَبُ عَقْلُهُ وَضُرِبَ بَيْنَتَهُ عِنْدَ قَبْرِهِ وَأَقَامَ عَلَيْهِ لَا يُفَارِقُهُ حَوْلًا . ثُمَّ إِنَّ
الْحَيَّ أَرَادُوا الرَّحِيلَ بَعْدَ حَوْلٍ لِنُجْمَةٍ بَقَوْهَا ، فَغَدَا عَلَى قَبْرِهِ فَجَلَسَ عِنْدَهُ حَتَّى إِذَا
أَنَّ الرَّوَّاحَ نَادَاهُ : رُحْ يَا ابْنَ سَلْمَى مَعَنَا ! فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : نَنْشُدُكَ اللَّهُ فِي عَقْلِكَ
وَنَفْسِكَ وَدِينِكَ ، كَيْفَ يَرُوحُ مَعَكَ مَنْ مَاتَ مُنْذَ حَوْلٍ ؟ فَقَالَ : أَنْظِرُونِي اللَّيْلَةَ

(١) في ت : شلوهها .

(٢) في ت : فترتبع .

إلى الغد . فأقاموا معه فلما أَصْبَحَ ناداه : أَعْدُ يَا ابْنَ سَلَمَىٰ مَعَنَا ، فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يُدْعَوْنَ لَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنَادُونَهُ ، فَانْتَضَىٰ سَيْفَهُ وَعَقَرَ رَاحِلَتَهُ عَلَىٰ قَبْرِهِ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَتَّبِعُكُمْ فَأَمْضُوا إِن شِئْتُمْ أَوْ أَقِيمُوا ؛ فَرَقُّوا لَهُ وَرَحِمُوهُ ، وَأَقَامُوا عَامَهُمْ ذَلِكَ ، وَصَبَرُوا عَلَىٰ مَنْزِلِهِمْ . وَقَالَ أَرطاةٌ فِيهِ هَذِهِ الْآيَاتُ :

وقفْتُ على قبرِ ابنِ سلمَى فلم يَكُنْ	وقوفي عليه غيرَ مَبْكِي ومَجْزَعِ
هل أنت ابنِ سلمَى إن نظرتُكَ رَاحِلٌ	مع الركبِ أو غادِ غداةَ غدٍ مَعِي
وقفْتُ على جُثمانِ عمرو فلم أَجدْ	سوى جدِّ عافٍ ببَيْداءٍ بَلْقَعِ
أَأَنْسى ابنَ سلمَى وهو لم يَأْتِ دُونَهُ	من الدهرِ إلا بعدُ ^(١) صيفٍ ومَرَبَعِ
فدعِ ذِكْرَ مَنْ قد حَالَتِ الأَرْضُ دُونَهُ	وفي غيرِ مَنْ قد وَاوَرَّتِ الأَرْضُ فَأُطْمَعِ

(١) في غ : بعض .

الأبيرد الرياحي

هو الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن ربوع بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعر فصيح بدوي إسلامي وأول دولة بني أمة . وليس بكثير ولا مدح الخلفاء ولا وفد عليهم .

قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر فقال : اكسني بردين أدخل بهما على الأمير - يعني عبيد الله بن زياد - فكساه ثوبين فلم يرضهما . فقال يهجوهم :

أحارث أمسك فضل برديك إنما	أجاع وأعمرى الله من كنت كاسيا
وكنت إذا استمطرت منك سحابة	لتمطرتني عادت عجاجا وسافيا
أحارث عاود شريك الخمر إنني	أرى ابن زياد عنك أصبح لاهيا
راى ^(١) فيك رأيا من أبيه وعمه ^(٢)	وكان زياد ماقتا لك قاليا
ألا ليت حظي من غدانة نها	تكون كفافا لا على ولا ليا
أبي الله أن يهدي غدانة للهدى	وألا تكون الدهر إلا مواليا

وبلغت أبياته حارثة فقال : قبّحه الله ! لقد شهيد بما لم يعلم .

قال أبو عبيدة : كانت بنو عجل جاورت بني رياح في سنة ، وكان الأبيرد يعاشر رجلا منهم ، يقال له سعد ، ويجالسه فألت امرأة سعد إلى الأبيرد فوممته ، وكان الأبيرد شابا ظريفاً وكان سعد شيخاً هماً فذهب بها كل مذهب حتى ظهر أمرها ، وتحدثت بهما وشكى سعد الأبيرد إلى قومه واستعذروهم منه ، فقالوا له : مالك تتحدثت إلى امرأة الرجل ؟ فقال : وما بأس بذلك وهل خلا عربي منه ؟ فقالوا :

(١) في غ : أرى .

(٢) في ت : عمر « تحريف » .

فقد قيل فيكما مالا قرار عليه ، فاجتنب محادثتها ، فقال الأبيرد : إن سعداً لا خير فيه لامرأته . قالوا : وكيف ؟ قال : لأنني رأيتُه يأتي فرسه البلقاء ، ولا فضل فيه لامرأته فهي تُبغضه لفعله ، وهو يتهمها لعجزه عنها ؛ فضحكوا من قوله ، وقالوا : وما عليك من ذلك ؟ دع الرجل وامرأته ولا تماودها ولا تجلس إليها . فقال الأبيرد :

تَبَرَّأْتُ مِنْ سَعْدٍ وَخُلَّةِ بَيْنِنَا فَلَا هُوَ يُعْطِينِي ^(١) وَلَا أَنَا سَائِلُهُ
مَتَى تُنْتَجِجُ الْبَلْقَاءُ يَا سَعْدُ أَمْ مَتَى تُنْقَحُّ مِنْ ذَاتِ الرِّبَاطِ حَوَائِلُهُ
يُحَدِّثُ سَعْدٌ أَنْ زَوْجَتَهُ زَنْتَ وَيَا سَعْدُ إِنَّ الْمَرْءَ تَزْنِي حَلَائِلُهُ
فَإِنْ تَسْمُ عَيْنَاهَا إِلَى فَقْدِ رَأْتِ فَتَى كَجُحُومِ أَخْلَصْتَهُ صَيًّا قَلْبُهُ
فَتَى قُدَّ قُدَّ السَّيْفِ لَا مَتَضَائِلُهُ وَلَا رَهْلٍ لَبَّاتُهُ وَبَادِلُهُ ^(٢)

أني رجل الأبيرد الرياحي وابن عمه الأخص يطلب منهما قطراناً لإبله فقالا له : إن أنت بلغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر ^(٣) أعطيناك قطراناً . فقال : قولاً . فقالا : اذهب فقل له :

فَإِنْ بَدَاهَتِي وَجِرَاءَ حَوْلِي لَدُو شِقِّ عَلَى الْخَطَمِ الْحَرُونَ
فَأَنَاءَ وَالشَّعْرَ مَعَهُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْأَبِيرِدَ وَجَّهَنِي إِلَيْكَ وَأَنْشَدَهُ الشَّعْرَ ، فَأَخَذَ عَصَاهُ
وَأَنْحَدَرَ فِي الْوَادِي وَجَمَلٌ يُقْبَلُ فِيهِ وَيَدِيرُ وَيُهَمِّمُ بِالشَّعْرِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَذْهَبُ
فَقُلْ لَهُمَا :

فَإِنْ عَلَّاتِي ^(٤) وَجِرَاءَ حَوْلِي لَدُو شِقِّ عَلَى الضَّرْعِ الظَّنُونِ

(١) في غ : معطيني .

(٢) كذا في اللسان (بأدل) . وقيل : البيت للعجير السلولى يرى به رجلاً من بني عمه .

والبأدلة : اللحمة بين العنق والترقوة . وفي غ : أباجله .

(٣) في ت : الأبيات .

(٤) علا في (ت) « تحريف » .

أنا ابن العرِّ من سَلَفَى رِيَاحٍ كنفصل السيف وضاحُ الجِينِ
أنا ابنُ جَلَا وطلّاعُ الشّنايَا متى أضعُ العمامة تعرّفوني
فإن مكاننا من حميرى مكانُ الليث من وسط العرينِ
وإن قناتنا مشطٌ شظاها شديد مدّها عنقُ القرينِ
وإني لا يعودُ إلى قرني غداة الغبِّ إلا في قرينِ
بذي ليدٍ يصدُّ الركبَ عنه ولا تُوتى فريسته لِحِينِ
عذرتُ البزلِ إذ هي صاولتني فما بآلي وبالُ ابنتي لبون^(١)
وماذا تبغى الشعراءُ متى وقد جاوزت حدَّ^(٢) الأربعينِ
أخو الخمسينِ مجتمعٌ أشدّي ونجدني مداولةً^(٣) الشؤونِ
سأحيا ما حييت وإن ظهري لدو سَنَدٍ إلى نَصَدٍ أمينِ

فأتياء واعتدرا إليه. فقال: إن أحدكم لا يرى أنه صنع شيئا حتى يقبس شعره
إلى شعرنا وحسبه إلى حسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الأرن. فقالوا له: فهل
إلى التزع من سبيل؛ فقال: لا، إننا لم نبلغ أشياء بنا^(٤).

وكان الأبيرد قد رثى أخاه بريداً وكان قد حزن عليه حزناً شديداً، وامتنع
من الطعام والشراب أياما حتى قالوا له: إنك إن أقمت على هذا الفعل تلفت فأتق الله
فإن أخاك قد ذهب؛ فكأنه تعزى وأكل وشرب. وقال يرثيه:
تطاول ليالي لم أنهم متقلبا^(٥) كأن فراثي حال من دونه الجرُّ

(١) في ت: ابن لبون.

(٢) في غ: رأس.

(٣) في غ مداورة.

(٤) في ت: لم تبلغ أسناننا. وفي غ: لم تبلغ أنسابنا.

(٥) في غ: أعمه تقلبا.

أرأيتُ من ليل التمام نُجومه
تذكرتُ قرماً ما بان منّا بنصره
فإن تكن الإيمانُ فرّقن بيننا
أحقاً عباد الله أن لست لاقياً
فليتك كنت الحى فى الناس باقياً
فتى يشترى حسن الثناء بماله
كان لم يصاحبنا برّيد بغبطة
ولما نعى الناعى برّيداً تفوّلت

بي الأرض فرط الحزن^(١) وانقطع الظهر
عساكرُ تغشى النفس حتى كأننى
إلى الله أشكو فى برّيدٍ مُصِبتى
وقد كنتُ أستعفى الإله إذا اشتكى^(٢)

من الأجر لى فيه وإن سرّنى الأجر
وما زال فى عينيّ بعد غشاوة
وسمعى عمّا كنتُ^(٣) أسمعه وقر
على أننى أقتنى الحياءُ وأتقى
شماتة أعداء عيونهم خزر
كفياك عنى الليل والصبح إذ بدا
وهوج من الأرواح غدوتها شهر
هو الخلفُ المعروفُ والدينُ والهدى^(٤)

ومسعرُ حربٍ لا كهامٍ ولا عمرُ

(١) فى ت : الحرص .

(٢) فى غ : شكا .

(٣) فى ت : كما قد كنت .

(٤) فى غ : التقي .

فَتَى الْحَيِّ وَالْأَضْيَافِ إِنْ رَوَّحْتَهُمْ
إِذَا جَارَةٌ حَلَّتْ لَكَدَيْهِ وَفِيهَا
عَفِيفٌ عَنِ السُّوءَاتِ مَا التَّبَسُّتَ بِهِ
سَلَكْتَ سَبِيلَ الْعَالَمِينَ فَمَا لَهُمْ
وَكُلَّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَلْقَى حِمَامَهُ
فَأَبْلَيْتَ خَيْرًا فِي الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا
بَلِيلٌ وَزَادَ السَّفَرِ إِنْ أَرْمَلَ السَّفَرُ
وَأَبَتْ وَلَمْ يُهْتَكِ لِجَارَتِهِ سِتْرُ
صَلِيبٌ فَمَا يُلْفَى لِعُودِ لَهُ (١) كَسْرُ
وَرَاءَ الَّذِي لَاقَيْتَ مَعْدَى وَلَا قَصْرُ
وَإِنْ نَأَتْ الدَّعْوَى وَطَالَ بِهِ الْعُمُرُ
ثَوَابُكَ عِنْدِي الْيَوْمَ أَنْ يَنْطِقَ الشَّعْرُ

(١) في غ: به .

الأسودُ النوفلي

هو الأسودُ بنُ عُمارَةَ بن الوليد بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب شاعر من مخضرمي الدولتين ، وأبوه عمارة شاعر أيضا ، وهو القائل :

تلكَ هند تصدَّ للبين صدًا	أدلاً لا أم هجر هند أجداً ^(١)
أم لتنكأ به قروح فوادي	أم أرادت قتلي ضاراً وعمدا
أيها الناصح الأمينُ رسولا	قلْ لهند عنى إذا جئتَ هندا
علم الله أن قد أوتيت منى	غير منٍ بذاك نصحاً ووداً
ما تقرَّبْتُ بالصفاءِ ^(٢) لأذنو	منك إلا نأيتِ وازددتِ بُعداً

وكان الأسود يقولُ بيتَ المال بالمدينة ، وكان قد عَشقَ جارية يقال لها : مريم ، فابتاعها سيدها لرجل من العراق ، ولما توجه بها سيدها إلى العراق قال :

خَليلي من سعدِ المأ فسلمًا	على مريم لا يُبعدُ الله مريمًا
وقولا لها هذا الفراقُ عزمتُه	فهل من نوالٍ قبل ذلك فنعلما

قال عبدُ الله بنُ مُحَمَّدِ البواب : سألتِ الخيزرانُ موسى الهادي أن يُولِّيَ خاله^(٣) العَظْرِيْفَ اليَمَنَ ، فوعدها بذلك ودفعها^(٤) ، ثم كتبتُ إليه يوماً رُفْعَةً تتنجز فيها أمره ، فوجه إليها برسولها يقول لها : خبريه بين اليَمَنِ وطلاق أُنبتِه

(١) في غ : أم هند تهجر جدا .

(٢) في ت : للصفاء .

(٣) في ت : خالد « تحريف »

(٤) في ت : دافعا .

أَوْ مُقَامَى عَلَيْهَا وَلَا أَوْلِيَهُ الْيَمِينَ ، فَأَيُّهُمَا أُخْتَارَ فَعَلَّمْتَهُ ، فَدَخَلَ الرَّسُولُ إِلَيْهَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِنْهُ مَا قَال . فَأَخْبَرَهَا بِغَيْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ : تَقُولُ لَكَ : وَلَا يَأْتِي الْيَمِينَ ، فَغَضِبَ وَطَلَّقَ ابْنَتَهُ وَوَلَّاهُ الْيَمِينَ ، وَدَخَلَ الرَّسُولُ فَأَعْلَمَهُمْ بِذَلِكَ ، فَارْتَفَعَ الصَّيَّاحُ . فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : مِنْ دَارِ بِنْتِ خَالِكَ ^(١) . قَالَ : أَوْ لَمْ تَخْتَرِ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : لَا وَلَكِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَفْهَمْ مَا قُلْتِ ، فَأَدَّتِي غَيْرَهُ ، وَعَجَّلْتِ بَطْلَاقَهَا ، فَتَدِيمُ وَدَعَا صَالِحًا صَاحِبَ الْمُصَلَّى ، وَقَالَ لَهُ : أَرِقِمِ عَلَيَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ بَحَضَرْتِي مِنَ النَّدْمَاءِ رَجُلًا بِسَيْفٍ ، فَمَنْ لَمْ يُطَلِّقْ امْرَأَتَهُ مِنْهُمْ فَأُضْرِبْ عُنُقَهُ . فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَبْرَحْ مِنْ حَضْرَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَطَلَّقَ امْرَأَتَهُ . قَالَ ابْنُ الْبَوَّابِ : وَخَرَجَ الْخَدَمُ إِلَى ، فَأَخْبَرُونِي بِذَلِكَ وَعَلَى الْبَابِ رَجُلٌ وَاقِفٌ مُتَلَفِّعٌ بِطَيْلَسَانِهِ ، فَخَطَرَ بِيَالِي :

حَلِيلِي مِنْ سَعْدِ الْمَاءِ فَسَلِّمَا عَلَى مَرْيَمَ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ مَرْيَمًا
وَقَوْلًا لَهَا هَذَا الْفِرَاقَ عَزَمْتَهُ فَهَلْ مِنْ نَوَالٍ قَبْلَ ذَلِكَ فَتَعَلَّمَا

فَأَنْشَدْتَهُ : فَيَعْلَمَا بِالْيَاءِ ، فَقَالَ لِي : فَتَعَلَّمَا بِالنُّونِ . فَقُلْتُ : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ؟ فَقَالَ : إِنْ الْمَعَانِي تَحْسِنَ الشُّعْرَ وَتُفْسِدُهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ : فَتَعَلَّمَا ، لِيَعْلَمَ هُوَ الْقِصَّةَ ، وَلَيْسَ بِهِ حَاجَةٌ إِلَى أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ سِرَّهُ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ بِالشُّعْرِ ؟ قَالَ : فَلِمَنْ هُوَ ؟ قُلْتُ : لِلْأَسْوَدِ بْنِ عُمَارَةَ . قَالَ : أَوَلَا تَعْرِفُهُ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : أَنَا هُوَ . فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَاجَعَتِي إِيَّاهُ ، ثُمَّ عَرَفْتُهُ خَيْرَ الْخَلِيفَةِ فِيمَا فَعَلَهُ بِنَدْمَائِهِ ، فَقَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ عَزَاءَكَ ^(٢) وَأَنْصَرَفَ ، وَهُوَ يَقُولُ : هَذَا أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَتْرَكَ ^(٣) .

(١) وت : خالد « تحريف » .

(٢) في ت : جزاءك .

(٣) في غ : يتزل « تحريف » .

أُحَيْحَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ

(هو أُحَيْحَةَ بْنُ الْجَلَّاحِ بْنِ الْحَرِيشِ بْنِ جَجَجِي بْنِ كَلْفَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرٍو (ابن مالك بن الأوس). وَكُنِيَّتُهُ أَبُو عَمْرٍو .

رَكِبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، فَأَتَى مَسْجِدَ الْعُصْبَةِ (١) فَلَمَّا صَلَّى قَالَ لِلأَحْوَصِ : أَيْنَ الزُّورَاءُ الَّتِي قَالَ فِيهَا صَاحِبِكُمْ :

إِنِّي أَقِيمُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْأَقْوَامِ (٢) ذُو الْمَالِ
لَهَا ثَلَاثُ بَنَاتٍ فِي جَوَانِبِهَا فَكُلُّهَا عُقْبٌ تَسْقَى بِأَقْبَالِ
اسْتَعْنِ أَوْمَتْ وَلَا يَغْرُرُكَ ذُو نَسَبٍ مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالَ
يَأُووُنُ (٣) مَا لَهُمْ عَنْ حَقِّ أَقْرَبِهِمْ وَعَنْ عَشِيرَتِهِمْ وَالْحَقُّ لِلْوَالِي

فَأَشَارَ الْأَحْوَصُ إِلَيْهَا وَقَالَ : هَا هِيَ تِلْكَ ، لَوْ طَوَّلْتَ لِأَشْقَرِكَ لَجَالَ عَلَيْهَا .

فَقَالَ الْوَلِيدُ : إِنَّ أَبَا عَمْرٍو كَانَ يَرَاهُ غَنِيًّا بِهَا . فَمَجَّبَ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ مِنْ عِنَايَةِ (٤)

الْوَلِيدِ بِالْعِلْمِ ، حَتَّى عَلِمَ أَنَّ كُنْيَةَ أُحَيْحَةَ أَبُو عَمْرٍو .

(١) الرادفة : (أَقْبَلَ تَبَعَ الْآخِرَ وَهُوَ أَبُو كَرَبِ بْنِ حَسَانَ بْنِ تَبَعِ الْحَمِيرِيِّ مِنَ الْبَيْنِ سَائِرًا

يُرِيدُ الْمَشْرِقَ كَمَا كَانَتْ التَّبَابِعَةُ تَفْعَلُ ، فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَخْلَفَ فِيهَا (٥) ابْنَاهُ وَمَضَى

إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْعِرَاقِ فَنَزَلَ بِالْمُشَقَّرِ ، فَقُتِلَ ابْنُهُ بِالْمَدِينَةِ غِيلَةً ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ

فَكَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَقُولُ :

(١) العصبية : دار بني جججي بالمدينة .

(٢) في غ : الإخوان .

(٣) يلوون : يمجدون .

(٤) في غ : لعناية .

(٥) في غ : بها .

يَا ذَا مُعَاهِرٍ مَا تَرَالُ (١) تَرُودُ رَمَدٌ بِعَيْنِكَ عَادَهَا أَمْ عُودُ
مَنْعَ الرِّقَادِ فَمَا أَعْمَضُ سَاعَةَ نَبَطٌ بِيَثْرِبَ آمَنُونَ قَعُودُ
لَا تَسْقِنِي بِيَدَيْكَ إِنْ لَمْ تَلْقَهَا حَرَبًا كَأَنَّ أَشَاءَهَا مَجْرُودُ

(١) ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ وَهُوَ مُجْمَعٌ عَلَى إِخْرَابِهَا وَقَطَعَ نَخْلَهَا ، وَاسْتَمْتَصَالَ أَهْلِهَا ، وَسَبَى الذَّرِيَّةَ ، فَنَزَلَ بِسَفْحِ أَحَدٍ فَاحْتَقَرَهَا بِئْرًا ، فَهِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا : يَبْرُ الْمَلِكُ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَشْرَافِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِيَأْتُوهُ . فَكَانَ فَيَمِينُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ زَيْدُ (٢) ابْنُ ضُبَيْعَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَابْنُ عَمِّهِ زَيْدُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ زَيْدٍ - وَكَانُوا يُسَمُّونَ الْأَزْيَادَ - وَأُحْيِحَةَ بْنَ الْجَلَّاحِ ؛ فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُهُ قَالَ الْأَزْيَادُ : إِنَّمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا لِيَلِكَّنَا عَلَى أَهْلِ يَثْرِبَ . فَقَالَ أُحْيِحَةُ : وَاللَّهِ مَا دَعَاكُمْ لِخَيْرٍ ! وَقَالَ :

لَيْتَ حَظِّي مِنْ أَبِي كَرِبٍ أَنْ يَرُدَّ خَيْرُهُ خَبَلَهُ
فَذَهَبَتْ مَثَلًا . وَكَانَ يُقَالُ : إِنَّ مَعَ أُحْيِحَةَ تَابِعًا مِنَ الْجَنِّ يَعْلَمُهُ الْأَخْبَارُ (٣)
لِكَثْرَةِ صَوَابِهِ ؛ لِأَنَّهُ مَا كَانَ يَظُنُّ شَيْئًا فَيُخْبِرُ بِهِ قَوْمَهُ إِلَّا كَانَ كَمَا يَقُولُ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَخَرَجَ أُحْيِحَةُ وَمَعَهُ قَيْمَةٌ لَهُ تُدْعَى مُلَيْكَةً ، وَخِبَاءً ، وَخَمْرًا ، فَضْرِبَ الْخَلْبَاءُ وَجُعِلَ فِيهِ الْقَيْمَةُ وَالخَمْرُ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى اسْتَأْذَنَ عَلَى تَبَّعٍ ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى زَرْبَتَيْهِ (٤) وَتَحَدَّثَ مَعَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْوَالِهِ بِالْمَدِينَةِ ، فَجَعَلَ يُخْبِرُهُ عَنْهَا ، وَجَعَلَ تَبَّعٌ كُلَّمَا أَخْبَرَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا يَقُولُ : كُلَّ ذَلِكَ عَلَى هَذِهِ الزَّرِّيَّةِ ؟

(١) فت : ما تراك .

(٢) فت : يزيد « تحريف » .

(٣) فت : الخبر .

(٤) الزريية : كل ما بسط واتسكى عليه .

يريد بذلك قتل أُحَيِّحَةَ ، ففطن أُحَيِّحَةُ أنه يريد قتله ، فخرج من عنده فدخل خِيَاءَهُ ثم شرب من الخمرِ وقَرَضَ أَيْبَانًا وأمر القَمِينَةَ أن تُغْنِيَهُ بِهَا لَيْلًا وجعل تُبْعُ عَلَيْهِ حَرَسًا فقال :

أُشْتَاقُ قَلْبِي ^(١) إِلَى مُلْكِكَ لَوْ	أَمَسْتُ قَرِيبًا مِمَّنْ يُطَالِبُهَا
لَتُبْكِنِي قَمِينَةٌ وَمِزْهَرُهَا	وَلَتُبْكِنِي قَهْوَةٌ وَسَارِبُهَا
وَلَتُبْكِنِي نَاقَةٌ إِذَا ارْتَحَلَتْ	أَوْ غَابَ فِي سَرَدَحٍ مَنَاكِبِهَا
وَلَتُبْكِنِي عُصْبَةٌ إِذَا اجْتَمَمَتْ	لَا يَعْلَمُ النَّاسُ مَا عَوَاقِبُهَا ^(٢)
مَا أَحْسَنَ الْجِيدَ مِنْ مُلْكِكَ وَاللَّهِ	بَبَاتَ إِذْ زَانَهَا ^(٣) تَرَائِبُهَا
يَا لَيْتَنِي لَيْلَةً إِذَا هَجَعَ النَّدَى	سَاسَ وَنَامَ السِّكْلَابُ صَاحِبُهَا
فِي لَيْلَةٍ لَا تَرَى بِهَا أَحَدًا ^(٤)	يَسْعَى عَلَيْنَا إِلَّا كَوَاكِبُهَا

فلم تزل القَمِينَةُ تُغْنِيَهُ بِذَلِكَ يَوْمَهُ وَعَامَّةً لَيْلَتَهُ ؛ فلما نام الحرسُ قال لها : إني ذَاهِبٌ إِلَى أَهْلِ فُشْدَى عَلَيْكَ الْخَبَاءُ ، فإذا جاء رسول الملك فقولي : هو نائم ، فإذا أبوا إلا أن يُوقِظُونِي فقولي لهم : قد رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَأَرْسَلَنِي إِلَى الْمَلِكِ بِرِسَالَةٍ ، فإن ذَهَبُوا بِكَ إِلَيْهِ فقولي له : يَقُولُ لَكَ أُحَيِّحَةُ : «أَعْدِرْ بِقَمِينَةٍ أَوْ دَعِ». ثم انطلق فتَحَصَّنَ فِي أَطْمِهِ الضَّحِيَّانِ ، وأرسل الملك في جوف الليل إلى الأزيادِ فَمَتَّلَهُمْ عَلَى فِقَارَةٍ مِنْ فِقَارٍ ^(٥) تلك الحِرَّةُ ، وأرسل إلى أُحَيِّحَةَ لِيَقْتُلَهُ ، فخرجت إِلَيْهِمُ الْقَمِينَةُ فقالت : هو راقِدٌ ، فانصرفوا وتردَّدُوا إِلَيْهَا ^(٦) مرارا كل ذلك تقول :

(١) في ت : شاق شوق .

(٢) لم يرد في غ إلا الأبيات الأربعة الأولى ، وجاءت بقية الأبيات ومعها البيت الأول في تجريد الأغاني

(٣) في ت : رأنها :

(٤) في تجريد الأغاني : لا يرى بها أحد .

(٥) الفقارة : الحُرْزَةُ مِنْ حُرْزَاتِ الظَّهْرِ ، وشبهت هنا تنوعات الحرة بفقار الظهر .

(٦) كذا في ت والتجريد ، وفي غ : عليها .

هُوَ رَاقِدٌ . ثُمَّ عَادُوا فَقَالُوا : لَتَوْقِظَنَّهُ ^(١) . أَوْ لَنَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ ، قَالَتْ : فَإِنَّهُ قَدْ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَأَرْسَلَنِي إِلَى الْمَلِكِ بِرِسَالَةٍ فَذَهَبُوا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ ؛ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَأَلَهَا عَنْ خَبْرِهِ ، فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبْرَ وَقَالَتْ : يَقُولُ لَكَ : « أَعْدِرِ بَقِيَّةَ أَوْدَعِ » . فَذَهَبَتْ مِثْلًا ؛ فَجَرَّدَ لَهُ كَتِيبَةَ مِنْ خَيْلِهِ ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ فِي طَلَبِهِ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ تَحَصَّنَ فِي أُطْمِهِ فَمَخَصَرُوهُ ثَلَاثًا يِقَاتُ بِتَاهُمْ بِالنَّهَارِ بِالْحِجَارَةِ ، وَيَرْمِي إِلَيْهِمْ فِي اللَّيْلِ بِالتَّمَرِ ؛ فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ رَجَعُوا إِلَى تَبَعٍ فَقَالُوا : بَعَثْنَا إِلَى رَجُلٍ يِقَاتِلُنَا بِالنَّهَارِ ، وَيُضَيِّفُنَا بِاللَّيْلِ ، فَتَرَكَهُ وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَحْرِقُوا نَحْلَهُ وَنَشَبَتْ ^(٢) الْحَرْبُ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : أَوْسَهَا وَخَزَرَجَهَا وَيَهُودَهَا ، وَبَيْنَ تَبَعٍ ، وَتَحَصَّنُوا فِي الْأَطَامِ ، وَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ تَبَعٍ حَتَّى جَاءَ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ؛ وَهُمْ مُتَحَصِّنُونَ فِي أُطْمِهِمُ الَّذِي فِي قِبْلَةِ مَسْجِدِهِمْ ، فَدَخَلَ حَدِيثَةً مِنْ حَدَاثِهِمْ ، فَرَقِيَ عِدْقًا مِنْهَا يَجِدُهُ ^(٣) ، فَاطَّلَعَ عَلَيْهِ ^(٤) رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ مِنَ الْأَطْمِ يُقَالُ لَهُ : أَحْمَرُ أَوْ صَحْرُ ابْنِ سَلْمَانَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ نَزَلَ إِلَيْهِ فَضْرَبَهُ بِمِنْجَلٍ فَقَتَلَهُ وَأَلْقَاهُ فِي بئرٍ مِنْ بئَارِهِمْ تُسَمَّى بِئرِ إِيْمَانَ وَقَالَ : جَاءَنَا يَجِدُ نَحْلَنَا إِنَّمَا النَّخْلُ لِمَنْ أَبْرَهُ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ؛ فَلَمَّا أَنْتَهَى ذَلِكَ إِلَى تَبَعٍ زَادَهُ حَقْنًا وَجَرَّدَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ جَرِيدَةً مِنْ خَيْلِهِ ، فَقَاتَلَهُمْ بَنُو النَّجَّارِ وَرَبَّيْسَهُمْ عَمْرُو بْنُ طَلَّةَ أَخُو بَنِي مُعَارِيَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَجَاءَ بَعْضُ تِلْكَ الْأَحْيَولِ إِلَى بَنِي عَدِيِّ وَهُمْ مُتَحَصِّنُونَ فِي أُطْمِهِمُ الَّذِي فِي مَسْجِدِهِمْ فَرَمُوا ^(٥) بَنِي عَدِيَّ بِالنَّبْلِ ، فَجَعَلَتْ نَبْلُهُمْ تَقَعُ فِي جِدَارِ الْأَطْمِ فَكَانَتْ عَلَى أُطْمِهِمْ مِثْلَ

(١) في ت : أتوقظيه .

(٢) في غ : وشبت .

(٣) في ت : يجذها .

(٤) في غ : إليه .

(٥) في غ : فراموا .

الشَّعْرَ ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْأَطْمَ الْأَشْعَرُ ، وَلَمْ تَزَلْ بَقَايَا النَّبْلِ فِيهِ حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامَ ، وَجَاءَ
بَعْضُ جُنُودِهِ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ كَجُدْمُو نَخَاهِمَ مِنْ أَنْصَافِهَا ، فَسُمِّيَتْ
تِلْكَ النَّخْلُ جُدْمَانُ ، وَجَدَعُوا هُمْ فَرَسًا تَبَعَهُ . وَكَانَ تَبَعٌ يَقُولُ : لَقَدْ صَنَعَ بِي أَهْلُ
يَثْرِبَ صِنْمًا ^(١) مَا صَنَعَهُ بِي أَحَدٌ : قَتَلُوا ابْنَ بِنِي وَصَاحِبِي وَجَدَعُوا فَرَسِي ! ثُمَّ إِنَّ تَبَعًا
بَيْنَنَا هُوَ يُرِيدُ إِخْرَابَ الْمَدِينَةِ وَسَبِي الذَّرِّيَّةِ وَقَطَعَ النَّخِيلَ ^(٢) أَنَاهُ حَبْرَانُ مِنَ الْيَهُودِ
فَقَالَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْصَرِفْ عَنْ هَذِهِ الْبَلَدَةِ فَإِنَّهَا مَحْفُوظَةٌ ، وَإِنَّا نَجِدُ اسْمَهَا مَكْتُوبًا
فِي كِتَابِنَا وَإِنَّهَا مُهَاجِرٌ نَبِيٍّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ اسْمُهُ أَحْمَدُ ، يَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الْحَرَّةِ ^(٣)
مَنْ نَحْنُو الْبَيْتَ الَّذِي بِمَكَّةَ ، تَكُونُ دَارُهُ وَقَرَارُهُ ، وَيَتَّبِعُهُ أَكْثَرُ أَهْلِهَا . فَأَعْجَبَهُ
مَا سَمِعَ مِنْهُمَا وَكَفَّ عَنِ الَّذِي أَرَادَ بِالْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا . وَصَدَّقَ الْحَبْرَيْنِ بِمَا حَدَّثَاهُ .
وَانصَرَفَ عَمَّا أَرَادَ وَكَفَّ عَنِ الْحَرْبِ وَأَمْنَهُمْ حَتَّى دَخَلُوا عَسْكَرَهُ وَدَخَلَ جُنْدُهُ
الْمَدِينَةَ . ثُمَّ إِنَّ تَبَعًا اسْتَوْبَأَ ^(٤) بَيْتَهُ الَّتِي حَفَرَهَا وَشَكَا بَطْنَهُ مِنْ مَائِهَا ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ
امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهَا : فَكَيْهَةَ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ زُرَيْقٍ ، وَكَانَتْ
ذَاتَ شَرَفٍ وَجَلَدٍ فِي قَوْمِهَا ، فَشَكَا إِلَيْهَا وَبَأَى بِبَيْتِهِ ، فَانطَلَقَتْ فَأَخَذَتْ قَرَابًا
وِحَمَارَيْنِ حَتَّى اسْتَقْتَتْ لَهُ مِنْ مَاءِ رُومَةَ ، فَشَرِبَهُ وَأَعْجَبَهُ ، وَقَالَ : زَيْدِي مِنْ هَذَا الْمَاءِ .
فَكَانَتْ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ بِمَاءِ رُومَةَ ، فَلَمَّا حَانَ رَحِيلُهُ دَعَاهَا ، فَقَالَ لَهَا :
يَا فَكَيْهَةَ ، إِنَّهُ لَيْسَ مَعْنَا شَيْءٌ مِنَ الصَّفَرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ ، وَلَكِنْ لَكَ مَا تَرَكْنَا مِنْ
أَزْوَادِنَا وَمَتَاعِنَا ، فَلَمَّا خَرَجَ تَبَعٌ نَقَلَتْ مَا كَانَ مِنْ أَزْوَادِهِمْ وَمَتَاعِهِمْ ، فَيُقَالُ :
إِنَّهُ لَمْ تَزَلْ فَكَيْهَةَ أَكْثَرَ بَنِي زُرَيْقٍ مَا لَّا حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامَ

(١) فِي غ : شَيْئًا .

(٢) فِي غ : الْأُمُوالِ .

(٣) فِي غ : هَذَا الْحَرَمِ .

(٤) فِي ت : سَوَى « تَحْرِيف » .

ثم إن تبعاً خرج يُريدُ اليمنَ ومعه الخبران اللذان نهبياه عن المدينة ، فقال حين شَخَصَ من (١) منزله : هذه قنَاة الأرض ، فسُمِّيَتْ قنَاة (٢) الأرض . ومرّاً بالجُرْفِ فقال : هذا جُرْفُ الأرض ، فسمى جُرْفَ الأرض ؛ وهو أرفعها ، ومرّاً بالعرْصَةِ وكانت تُسمَّى السَّليلِ فقال : هذه عرْصَةُ الأرض فسُمِّيَتْ العرْصَةُ ، ثم انحدر في العَمِيقِ فقال : هذا عَمِيقُ الأرض ، فسُمِّيَ العَمِيقُ ، ثم خرج يسير حتى نزل البَيْعِيعِ ، فنزل على غدير ماء يقال له : بَرَاجمُ ، فشرب منه شربةً فدخلت في حلقه علقَةٌ فاشتكى منها ، فقال :

ولقد شربت على بَرَاجمِ شربةً كادت بِيَاقِيَةِ الحَيَاةِ تَدِيَعُ (٣)

ثم مَضَى حتى إِذَا كَانَ بِجُمْدَانَ جَاءَهُ نَفَرٌ مِنْ هُدَيْلٍ فَقَالُوا لَهُ : اجْعَلْ لَنَا جُعْلًا وَنَدْلُكَ عَلَى بَيْتٍ فِيهِ كَنُوزٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَيْسَتْ لِأَهْلِهِ مَنَعَةٌ وَلَا شَرَفٌ ، فَجَعَلَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ جُعْلًا فَقَالُوا : هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي تَحْبِبُهُ الْعَرَبُ بِمَكَّةَ ، وَأَرَادُوا بِذَلِكَ هَلَاكَهَ ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ فَأَخَذَتْهُ ظُلْمَةٌ مَنَعَتْهُ مِنَ السَّيْرِ [فَدَعَا الْخَبْرَيْنِ فَسَأَلَهُمَا فَقَالَا : هَذَا - لِمَا أَجْمَعَتْ] (٤) عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْبَيْتِ - وَاللَّهُ تَعَالَى مَا نَعَمَهُ مِنْكَ ، وَلَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَأَحْذَرُ أَنْ يُصِيبَكَ مِثْلَمَا أَصَابَ مَنْ أَنْتَ مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ الْقَوْمُ الَّذِينَ أَمْرُوكَ بِهِ هَلَاكَكَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْهُ أَحَدٌ بَشَرًا قَطَّ إِلَّا أَهْلَكَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَأَكْرَمَهُ وَطَفَّ بِهِ ، وَأَحْلَقَ رَأْسَكَ عِنْدَهُ . فَتَرَكَ الَّذِي كَانَ أَجْمَعَ عَلَيْهِ ، وَقَطَّعَ أَيْدِيَ الْهُدَيْلِيِّينَ وَأَرْجُلَهُمْ ، ثُمَّ أَتَى مَكَّةَ فَنَزَلَ بِالشَّعْبِ مِنَ الْأَبْطَحِ ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَكَسَاهُ الْخَصْفَ (٥) .

(١) في ت : عن .

(٢) قنَاة واد بالمدينة .

(٣) تذييع : تذهب بها .

(٤) ما بين القوسين عليه ترميح بالأصل .

(٥) الخصف جمع خصفة ، وهو ثوب غليظ .

وقيل : إنه لما أقبل يريد هدم البيت وصرف وجوه العرب إلى اليمن ،
 بات صحيحاً ، فأصبح وقد سالت عيناه على خديه ، فبعث إلى السحرة والكهّان
 والمنجمين ، وقال : مالي ، فوالله لقد بت ليلى ما أجد شيئاً ، وقد صرتُ إلى
 ما ترون فقالوا : حدّث نفسك بخير . ففعل ، فأرتدّ بصيراً ، وكسا البيت
 الحصف .

[[وقيل : إنه أتى في المنام فقيل له : أ كسُ البيت أحسن من هذا ، فكساه
 الففارة] (١) فأُتِيَ في المنام فقيل له : أ كسُهُ أحسن من هذا ، فكساه الوصائل ؛
 وهي برود العصبُ سُميت الوصائل لأنها كانت توصل بعضها ببعض ؛ فأقام بمكة
 ستة أيام يطعم الطعام وينحر في كل يوم ألف بعير . ثم إنه سار إلى اليمن وهو
 يقول :

ونحَرْنَا بالشَّعْبِ سِتَّةَ آلا فنزى الناسَ نحوهُنَّ (٢) وُرُودَا
 وأقمنا به من الشهر ستاً وجعلنا له به إقليدا
 وكسونا البيت الذي حرّم الله ه ملاء مَعْصَبَا (٣) وبرُودَا
 ثم أبنا منه نوّم سهيلاً قد رفعنا لواءنا المعقودا

قال : وتهودّ تبع وأهل اليمن بدينك الخبرين .

وقال أحيحة :

تفهم أيها الرجل الجهول ولا يذهب بك الرأي الوبيل
 فإن الجهل محمله خفيف وإنّ الحلم محمله ثقيل
 لعمرُ أبيك ما يُعني مقامي من الفتيان راحة جهول

(١) ما بين القوسين لم يرد في غ ولا في التجريد . والقفارة : كل شيء يغطى به شيء .

(٢) في ت : حولهن .

(٣) في غ منضداً ، . وفي التجريد : معضداً .

نُؤوم ما تَقَلَّصَ مُسْتَقِلًّا^(١) على الغَايَاتِ مَضْجَعُهُ تَقِيلُ
تَبُوعٌ لِلْحَلِيلَةِ حَيْثُ حَلَّتْ كما يَعْتَادُ لِقِحَّتِهِ الْفَصِيلُ
وقد أعددتُ للحدَثَانِ أَصْلًا لو أنَّ المرءَ يَنْفَعُهُ الْعُقُولُ

(وكان أُحَيْحَةَ قد أَهْتَمَّ بعمارة الضَّخْيَانِ وَحَصَّنَهُ فَأَشْرَفَ يَوْمًا هُوَ وَغُلَامٌ لَهُ فَقَالَ :
لقد بَنَيْتُ حِصْنًا حَصِينًا ما بَنَى مثله رجلٌ من العرب ، ولقد عَرَفْتُ مَوْضِعَ حَجَرٍ
منه لو تَزَعَزَعَ^(٢) لَوْ قَعَ جَمِيعِهِ . فَقَالَ غُلَامُهُ : أنا أَعْرِفُهُ . قال : فَأَرِنِيهِ يا بُنَيَّ .
قال : هُوَ هَذَا . وَصَرَفَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ ، فَلما رَأَى أُحَيْحَةَ أَنَّهُ قد عَرَفَهُ دَفَعَهُ مِنْ رَأْسِ
الأُطْمِ فَوْقَ عَلى رَأْسِهِ فَمَاتَ ، أَرادَ ألا يَعْرِفَ ذَلِكَ الْحَجَرَ أَحَدًا)

وكان أُحَيْحَةَ إِذا أَمَسَى جَلَسَ تَحْتَ هَذَا الْحِصْنِ وَأَرْسَلَ كِلابًا لَهُ تَنْبَحُ دُونَهُ
عَلى مَنْ يَأْتِيهِ مِمَّنْ لا يَعْرِفُ حَدْرًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَهُ عَدُوٌّ يُصِيبُ مِنْهُ غِرَّةً ، وَكان
أُحَيْحَةَ قد قَتَلَ أَخًا عاصِمِ بْنِ عَمْرٍو فَأَقْبَلَ عاصِمٌ يَريدُ قَتْلَهُ بِأَخِيهِ ، وَقد أَخَذَ مَعَهُ
تَمْرًا ، فَلما دَنَا مِنَ الْكِلابِ نَبَحَتْهُ فَأُلْقِيَ لَهَا^(٣) التَّمْرَ فَوَقَفَتْ ، فَلما رَأَتْ أُحَيْحَةَ قد
سَكَنْتَ حَدْرًا ، فقامَ وَدَخَلَ حِصْنَهُ ، وَرماهُ عاصِمٌ بِسَهْمٍ فَأَحْرَزَهُ مِنْهُ الْبَابُ فَوَقَعَ
السَّهْمُ فِي الْبَابِ^(٤) فَلما سَمِعَ أُحَيْحَةَ وَقَعَ السَّهْمَ صَرَخَ فِي قَوْمِهِ ، فَخَرَجُوا إِلى عاصِمِ
ابْنِ عَمْرٍو ، فَأَعْجَزَهُمْ حَتَّى آتَى قَوْمَهُ .

ثمَّ إِنَّ أُحَيْحَةَ جَمَعَ لِبَنِي النَّجَّارِ ، وَأَرادَ أَنْ يُغَيِّرَ عَلَيْهِمْ^(٥) ، فَواعَدَهُ قَوْمَهُ لَئِنْ
وَكانَ عِنْدَ أُحَيْحَةَ سَلَمَى بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ زَيْدٍ^(٦) بِنْتُ لَبِيدِ بْنِ خِدَاشِ إِحدى نِساءِ
بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، وَلهَ مِنْها عَمْرٍو بْنُ أُحَيْحَةَ ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هاشِمِ

- (١) ف ت : مستقرا .
- (٢) ف غ : نزع .
- (٣) ف ت : لاليها .
- (٤) ف غ : بالباب .
- (٥) ف غ : يغيرهم .
- (٦) ف ت : يزيد .

ابن عبد مناف ، خَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَ أُحَيْحَةَ ، وَكَانَتْ أَمْرًا شَرِيفَةً لَا تَنْكِحُ الرَّجَالَ إِلَّا وَأَمْرُهَا بِيَدِهَا إِذَا كَرِهَتْ مِنْ رَجُلٍ شَيْئًا تَرَكَتَهُ .

فَلَمَّا أَجْمَعَ أُحَيْحَةُ عَلَى الْغَارَةِ عَلَى قَوْمِهَا عَمِدَتْ إِلَى ابْنِهَا عَمْرُو بْنِ أُحَيْحَةَ ، وَهُوَ فَطِيمٌ فَرَبَطْتَهُ بِخَيْطٍ ، حَتَّى إِذَا أَوْجَعَتِ الصَّبِيَّ تَرَكَتَهُ فَبَاتَ يَبْكِي ، وَهِيَ تَحْمِلُهُ ؛ وَبَاتَ أُحَيْحَةُ مَعَهَا سَاهِرًا ، يَقُولُ : وَيَلَيْكَ مَا لِابْنِكَ ؟ فَتَقُولُ : لَا أَدْرِي . حَتَّى إِذَا ذَهَبَ اللَّيْلُ أَطْلَقْتَ الْحَبْلَ فَنَامَ الصَّبِيُّ وَجَمَعْتَ تَقُولُ : وَارَأْسَاهُ . فَقَالَ أُحَيْحَةُ : هَذَا مِنْ سَهْرِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، فَبَاتَ يَعْصِبُ رَأْسَهَا وَيَقُولُ : لَيْسَ بِكَ بَأْسٌ . حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَقْلُهُ قَالَتْ لَهُ : قُمْ فَنَمَّ فَإِنِّي أَجِدُنِي صَالِحَةً قَدْ ذَهَبَ عَنِّي مَا كُنْتُ أَجِدُ . فَنَامَ فَتَنَامَ ، وَإِنَّمَا صَنَعْتُ ^(١) بِهِ ذَلِكَ لِثِقَلِ رَأْسِهِ وَبِشَدَّةِ نَوْمِهِ عَلَى طَوْلِ السَّهْرِ ؛ فَلَمَّا نَامَ قَامَتْ وَأَخَذَتْ حَبْلًا شَدِيدًا وَأَوْثَقَتْهُ مِنْ رَأْسِ الْحِصْنِ ثُمَّ تَدَلَّتْ مِنْهُ وَأَنْطَلَقَتْ إِلَى قَوْمِهَا حِينَ أَصْبَحَتْ فَحَدَّرْتَهُمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ بِالَّذِي أَجْمَعَ هُوَ وَقَوْمُهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَحَدَّرَ قَوْمُهَا وَأَعَدُّوا وَأَجْتَمَعُوا ؛ وَأَقْبَلَ أُحَيْحَةُ فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ كَثِيرٌ قَتَلَ ثُمَّ رَجَعَ أُحَيْحَةُ وَقَدْ فَقَدَهَا حِينَ أَصْبَحَ ؛ فَلَمَّا رَأَى قَوْمَهَا عَلَى حَدَرٍ قَالَ : هَذَا عَمَلُ سَلَمَى ! خَدَعْتَنِي حَتَّى فَعَلْتَ مَا أَرَادْتَ ، وَسَمَّاهَا قَوْمُهَا الْمُتَدَلِّيَّةَ ؛ لِتَدَلِّيَّهَا مِنْ رَأْسِ الْحِصْنِ ، وَقَالَ تِلْكَ الْأَبْيَاتُ :

تَفَهَّمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْجَهُولُ

كَانَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ جَدِيْمَةَ ابْنِ أُحَيْحَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ - لَمَّا وَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَ قَيْسٍ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ ؛ وَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَتَجَرَّ ^(٢) وَيَفْزَوْهُمْ وَيُغَيِّرَ عَلَيْهِمْ حِينَ قَتَلَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ زُهَيْرَ بْنَ جَدِيْمَةَ فَقَالَ قَيْسٌ لِأُحَيْحَةَ : يَا أَبَا عَمْرُو ، نُبِئْتُ أَنَّ عِنْدَكَ دَرْعًا لَيْسَ يَبِثْرِبُ مِثْلَهَا فَإِنْ كَانَتْ فَضْلًا فَبِعْنِيهَا أَوْ فَهَبْهَا لِي . فَقَالَ : يَا أَخَا بَنِي عَبْسٍ ، لَيْسَ مِثْلِي مَنْ يَبِيعُ السَّلَاحَ وَلَا مَنْ يَفْضُلُ عَنْهُ ، وَلَوْلَا أَنِّي

(١) فِي غ : فَمَلَتْ .

(٢) فِي غ : لِيَتَجَهَّزَ .

أَكْرَهُ أَنْ أُسْتَلِيمَ^(١) إِلَى بَنِي عَامِرٍ لَوْ هَبَّتْهَا لَكَ ، وَلِحَمَلْتِكَ^(٢) عَلَى سَوَابِقِ خَيْلِي ،
وَلَكِنْ اشْتَرَاهَا^(٣) يَا أَبَا أَيُّوبَ ؛ فَإِنَّ الْبَيْعَ مُرْتَخِصٌ وَغَالٍ ، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ،
فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ : فَمَا تَكْرَهُ مِنْ أُسْتِلَامَتِكَ إِلَى بَنِي عَامِرٍ ؟ قَالَ : وَكَيْفَ لَا أَكْرَهُ
ذَلِكَ (وَخَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ الَّذِي يَقُولُ :

— إِذَا مَا أُرِدْتَ الْعِزَّ فِي آلٍ يَتْرَبُ فَنَادِ بِصَوْتٍ يَا أُحْيِحَةَ تَمْنَعُ
— رَأَيْتُ أَبَا عَمْرٍو أُحْيِحَةَ جَارُهُ يَمِيْتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ غَيْرَ مُرْوَعِ
— وَمَنْ يَأْتِيهِ مِنْ خَائِفٍ يَنْسُ خَوْفَهُ وَمَنْ يَأْتِيهِ مِنْ جَائِعِ الْبَطْنِ يَشْمَعُ
فَضَائِلُ كَانَتْ لِلْجُلَاحِ قَدِيمَةً وَأَكْرَمُ بِفَخْرٍ مِنْ خِصَالِكِ الْأَرْبَعِ^(٤)
فَقَالَ قَيْسٌ : يَا أَبَا عَمْرٍو وَمَا عَلَيْكَ بَعْدَ هَذَا مِنْ لَوْمٍ ، فَلَهَا عَنْهُ ثُمَّ عَاوَدَ أُحْيِحَةَ
فَسَاوَمَهُ ، فَغَضِبَ أُحْيِحَةُ وَقَالَ لَهُ : بَتَّ عِنْدِي ، فَبَاتَ ، فَلَمَّا شَرِبَا تَغَنَّى أُحْيِحَةُ
وَقَيْسٌ يَسْمَعُ غِنَاءَهُ :

أَلَا يَا قَيْسُ لَا تَسْمَنَّ دِرْعِي فَمَا مِثْلِي يُسَاوِمُ بِالذَّرْوَعِ
وَلَوْلَا^(٥) خَلَّةٌ لِأَبِي جُويِّ وَأَنْتِي لَسْتُ عَنْهَا بِالزَّرْوَعِ
أَنْتُكَهَا مُصَاحِبَةٌ لَطْرَفِي^(٦) لِحُوقِ الْإِطْلِ جِيَّاشٍ تَلْمِيحِ
وَلَكِنْ سَمَّ مَا أَحْبَبْتَ فِيهَا فَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ غَبْنُ الْبُيُوعِ
فَمَا هَبَّةَ الذَّرْوَعِ أَخَا^(٧) بَغِيضِ وَلَا انْخِيلِ السَّوَابِقِ بِالْبَدِيْعِ

فَأَمْسَكَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ مُسَاوَمَتِهِ .

- (١) ق ت : أُسْتَلِيمُ .
(٢) ق ت : وَلِحَمَلْتَهَا .
(٣) ق غ : ابْتَرَاهَا .
(٤) ق ت : أَرْبَعِ .
(٥) ق غ : فَلَوْلَا .
(٦) ق غ : لِأَبْتِهَا عَشْرًا وَطَرَفِ .
(٧) ق ت : أَبَا .

قصة أحد

البراءة (كانت قريش لما أُصيبَت يوم بدر بمن أُصيبت من أصحاب القليب ورجع
فلهم^(١) إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبدالله بن أبي ربيعة ،
وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أُصيب آباؤهم
وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير
من قريش تجارة ، فقالوا^(٢) : يا معشر قريش إن محمدا قد قرّم وقتل خياركم فأعينونا
بهذا المال على حربه ، لعنا أن ندرّك منه ثأراً بمن أُصيب منا . ففعلوا ، واجتمعت
قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب
العير بأحاديثها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، وكل أولئك مجتمعون
على الحرب . وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجحفي قد منّ عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا بنات ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسول
إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فأمن عليّ صلى الله عليك . فمنّ عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان بن أمية : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر فأعنا
بلسانك وأخرج معنا ، فقال : إن محمدا قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه . فقالوا :
بلى فأعنا بنفسك ، فلك الله إن رجمت أن أعنيك^(٣) وإن أُصبت أن أجعل بناتك
مع بناتنا يُصيبهن ما أصابهن من عسر أو يسر نخرج أبو عزة يسير في تهامة
ويدعو بني كنانة ، يحرّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) في ت : كلهم « تحريف » .

(٢) في غ : فقال أبو سفيان .

(٣) في غ : أعنيك .

وَدَعَا جَبْرِ بْنَ مُطْعِمٍ غَلَامًا لَهُ يُقَالُ لَهُ وَحْشِيٌّ كَانَ حَبَشِيًّا يَقْدِفُ بِحَرَبَةٍ لَهُ قَدْفُ
 الْحَبَشَةِ ، قُلَّ مَا يُخْطِئُ بِهَا ، فَقَالَ : أُخْرِجَ مَعَ النَّاسِ فَإِنَّ أَنْتَ قَتَلْتَ عَمَّ مُحَمَّدَ بَعْمَى
 طُعَيْمَةَ بْنَ عَدَى فَأَنْتَ عَمِيْقٌ . فخرجت قريش بحدّها وحديدها وأحاديثها ومن
 معها من كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظنن التماس الحفيظة لئلا يفروا .
 وخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس ، معه هند بنت عتبة بن ربيعة ،
 وخرج عكرمة بن أبي جهل بن هشام ابن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بن خلف
 ومعه برة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ، وهي أم عبد الله بن صفوان
 وخرج عمرو بن العاص وطححة بن أبي طححة وأبو طححة عبد الله بن عبد العزى
 ابن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن سهيل ، وهي أم بني طححة : مسافع ،
 والجلال ، وكلاب ، قتلوا يومئذ وأبوهم . وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب
 إحدى نساء بن مالك بن حسل مع ابنتها أبي عزة بن عمير وهي أم مصعب بن عمير .
 وخرجت عمرة بنت عقمة إحدى نساء بني الحارث بن مناف بن كنانة .

وكانت هند بنت عتبة إذا مرّت بوحشى أو مرّ بها تقول له : إيه أبادسمة^(١)
 اشف واشتف . فنزل القوم ببطن السبخة على شفير الوادى ممّا يلي المدينة ،
 فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني قد رأيت رؤيا فأولتها^(٢) خيرًا : رأيت في
 ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت أنّي أدخلت يدي في درع حصينة ، فأولتها^(٣) المدينة ،
 فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشرّ ، وإن هم
 دخلوا علينا قاتلناهم فيها . ونزلت قريش منزلها من أحد يوم الأربعاء وأقاموا به

(١) في ت : وسمة .

(٢) في ت : فتأولتها .

إلى يوم الجمعة ، وراح النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى الجمعة فأصبح بالشعب من أحد ، فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال . وكان رأى عبد الله بن أبي بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة ، فقال رجال ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته يوم بدر : يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرونا أننا جبننا عنهم وضعمنا . فقال عبد الله بن أبي بن سلول : يا رسول الله أقم بالمدينة ، ولا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخل علينا إلا أصبنا منهم ، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر مجس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لأمته يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بني النجار فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج بهم ، وقد ندم الناس وقالوا : قد استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا ! فإن شئت فاقعد . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما ينبغي لنبى إذا ليس لأمته أن يضمها حتى يُقاتل » فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف رجل من أصحابه حتى إذا كانوا بالشوط^(١) بين أحد والمدينة ، انخذل عبد الله ابن أبي بن سلول بثلاث الناس ، وقال : أطاعهم وخرج وعصاني ، والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا . فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه ، من أهل النفاق والريب ، وأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أحد بني سلمة يقول : يا قوم أذكركم

(١) الشوط : حائط عند جبل أحد . وفي ت : بالشواء « تحريف » .

اللَّهِ أَنْ تَخْذُلُوا نَبِيِّكُمْ وَقَوْمَكُمْ عِنْدَ مَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّكُمْ^(١) . فقالوا : لو نعلم أَنَّكُمْ تَقَاتِلُونَ مَا أَسْلَمْنَاكُمْ ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ . فلما استعصوا عليه وأبوا إِلَّا الْأَنْصِرَافَ قَالَ : أَبْعَدَكُمْ اللَّهُ يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، فَسَيُعْزِي اللَّهُ عَنْكُمْ .

ولما انْخَدَلَ عبد الله بن أُبَيِّ بن سلول من الشيخين^(٢) بِثَلَاثِمِائَةٍ وَبَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَبْعِمِائَةٍ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَالْخَلِيلُ مَائَتًا فَارِسَ ، وَالظُّعْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ أَمْرًا . وَفِيهِمْ سَبْعِمِائَةَ دَارِعَ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ الْخَلِيلِ سِوَى فَرَسَيْنِ : فَرَسٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَرَسٍ لِأَبِي بُرْدَةَ بْنِ زِيَارِ الْحَارِثِيِّ . فَأَدْلَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّيْخَيْنِ حَتَّى طَلَعَ الْحِجْرَاءَ ، وَهِيَ أَطْحَانُ كَانَ يَهُودِيٌّ وَيَهُودِيَّةٌ أَعْمِيَانِ يَقُومَانِ عَلَيْهِمَا فَيَتَحَدَّثَانِ ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَا الشَّيْخَيْنِ وَهِيَ فِي طَرْفِ الْمَدِينَةِ .

وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم المقاتلة بالشَّيْخَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ وَأَجَازَ مَنْ أَجَازَ وَرَدَّ مَنْ رَدَّ . وَكَانَ فِي مَن رَدَّ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَبُو عَمْرٍو أَسِيدُ بْنُ ظَهْرٍ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ، وَعَرَابَةُ بْنُ أَوْسٍ .

وهو الذى يقول فيه الشَّمَاخ :

إِذَا مَا رَأَيْتُهُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

وَرَدَّ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، وَأَجَازَ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ ، وَرَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اسْتَصْفَرَ رَافِعًا ، فَقَامَ عَلَى خُفَّيْنِ لَهُ فِيهِمَا رِقَاعٌ ، وَتَطَاوَلَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَازَهُ .

وَكَانَ قَدْ رَدَّ سَمُرَةَ أَيْضًا فَلَمَّا أَجَازَ رَافِعًا قَالَ سَمُرَةُ لِمُرَيِّ بْنِ سِنَانِ بْنِ ثَعْلَبَةَ عَمِّ

(١) في غ : عدوهم

(٢) الشَّيْخَانِ : مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ كَانَ فِيهِ مَعْسَكَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَكَانَتْ أُمُّ سَمُرَةَ تَحْتَهُ : يَا أَبَتِ أَجَازَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ وَرَدَّنِي وَأَنَا أَصْرَعُهُ ! فَقَالَ مُرِّي : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَدَدْتَ أَبْنِي وَأَجَزْتَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ وَابْنِي يَصْرَعُهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَافِعٍ وَسَمُرَةَ : تَصَارَعَا ، فَصْرَعَ سَمُرَةَ رَافِعًا ، فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ دَلِيلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْحَارِثِي .

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَلَكَ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ ، فَذَبَّ فَرَسٌ بِذَنَبِهِ فَأَصَابَ كُلابَ^(١) سَيْفِ فَارِسٍ فَاسْتَلَّهُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْفَالَ وَلَا يَعْتَأَفُ ، فَقَالَ لِصَاحِبِ السَّيْفِ : « شِمِّمْ سَيْفَكَ فَإِنِّي أَرَى السَّيُوفَ سَتَسْتَلُّ^(٢) الْيَوْمَ » . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَسْحَابِهِ : « مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثْبٍ مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ ؟ » فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْحَارِثِي : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَتَقَدَّمَ فَفَنَذَّ بِهِ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ ، حَتَّى سَلَكَ بِهِ فِي مَالٍ لِمَرْعٍ^(٣) بَنِ قَيْظُنَّ وَكَانَ رَجُلًا مَنَافِقًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَامَ يَحْتَشِي فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ وَيَقُولُ : إِنْ كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَلَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي . وَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ وَقَالَ : لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَا أُصِيبُ غَيْرَكَ لَضَرَبْتُ بِهِ وَجْهَكَ ! فَابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقْعَلُوا فِهَذَا الْأَعْمَى : أَعْمَى الْبَصْرِ أَعْمَى الْقَلْبِ » وَبَدَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ ، فَضَرَبَهُ بِالْقَوْسِ فِي رَأْسِهِ فَشَجَّهُ ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى نَزَلَ الشَّعْبَ مِنْ أَحَدِ

(١) كلاب السيف: الحلقة أو المسمار الذي في قائمه تكون فيه علاقته. وفي ت: ذباب بدل كلاب

(٢) كذا في ت: والتجريد. وفي غ: ستستل.

(٣) في في غ: المرعي.

فِي عُرْعَرَةَ^(١) الْوَادِي مِنَ الْجَبَلِ ، فَيَجْعَلُ ظَهْرَ عَسْكَرِهِ إِلَى أَحَدٍ وَقَالَ : لَا يُفَنَّا تَلَنَ أَحَدٌ حَتَّى آمُرَهُ بِالْقِتَالِ . وَقَدْ سَرَّحَتْ قُرَيْشٌ الظَّهْرَ وَالسُّكْرَاعَ فِي زُرُوعٍ كَانَتْ بِالصَّمْعَةِ^(٢) مِنْ قَنَاةِ الْمَسْلَمِينَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمَسْلَمِينَ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْقِتَالِ : أَتُرْعَى زُرُوعَ بَنِي قَيْسَلَةَ وَلَمَّا تَضَارَبَ ! وَتَعَبَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْقِتَالِ وَهُوَ فِي سَبْعَائَةِ رَجُلٍ ، وَتَعَبَّاتُ قُرَيْشٍ^٣ وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، وَمَعَهُمْ مَائَتَا فَرَسٍ قَدْ جَنَّبُوهَا ، فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَةِ الْخَيْلِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَعَلَى مَيْسَرَتِهَا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّمَاءَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرَ أَخَا بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ وَضَمَّ^٤ إِلَيْهِ خَمْسِينَ رَجُلًا وَقَالَ : «انْصَحِ الْخَيْلَ بِالنَّبْلِ لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا وَأُبْتُ مَكَانَكَ لَا نُوْتَيْنَنَّ مِنْ قِبَلِكَ فَإِنْ ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تَعِينُونَا فَإِنَّا لَا نَزَالُ غَائِبِينَ مَا دَمَتْ مَكَانِكُمْ هَاهُنَا » وَظَاهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ . فَلَمَّا اتَّقَى الْقَوْمُ هَزَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ حَتَّى رُبِّيتِ النِّسَاءُ قَدْ رَفَعْنَ عَنِ سُوقِهِنَّ وَبَدَتْ خَلَاخِيلُهُنَّ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ : الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ ! ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَهْلًا أَمَا عَلِمْتُمْ مَا عَهَدَ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَأَبَوْا وَأَنْطَلَقُوا ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ^(٣) وَأَصِيبَ مِنَ الْمَسْلَمِينَ سَبْعُونَ رَجُلًا . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْخَيْلِ ، وَمَعَهُ يَوْمُئِذٍ الْمِقْدَادُ الْكِنْدِيُّ ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَأَاءَ^(٤) رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ،

(١) فِي غ : عُدْوَةٌ . وَعُرْعَرَةُ الْجَبَلِ : أَعْلَاهُ .

(٢) كَذَا فِي ت وَمَعْجَمِ الْبُلْدَانِ وَتَارِيخِ الطَّبْرِيِّ . وَفِي جَمِيعِ نَسَخِ الْأَغَانِي : بِالصَّمْعَةِ بِالْعَيْنِ

الْمِهْمَلَةِ . وَفِي الرُّوضِ الْأَنْفِ : بِالسَّبْخَةِ .

(٣) فِي ت : فَلَمَّا رَأَوْهُمْ ضَرَبُوا وُجُوهُهُمْ .

(٤) فِي غ : الرِّيَاةُ .

وخرج حمزة بن عبد المطلب بالجيش . وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ،
ومعه عكرمة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ، وقال : استقبل خالد
ابن الوليد فكن يازائه حتى أوافيك ، وأمر طائفة أخرى فقال : كونوا من الجانب
الأخر حتى أؤذنكم . وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى ، فأرسل النبي صلى الله
عليه وسلم إلى الزبير أن يحمل ، فحمل على خالد بن الوليد فهزمه الله تعالى ومن معه ،
فقال تعالى : « وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ » إلى قوله : « مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ
مَا تَجِبُونَ » وإن الله وعد المؤمنين أن ينصرهم وأنه معهم . وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ناساً رماً من أهل البأس فكانوا من ورأيهم ، وقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم : كونوا ها هنا فردوا وجه من فر منا ، وكونوا
حرساً لنا من قبل ظهورنا . فلما وقعت الهزيمة ورأوا الغنائم انطلقوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا : ندرك الغنيمة قبل أن يسيقوا إليها . وقالت طائفة :
بل نطيع الله ونثبت مكاننا . قال ابن مسعود : ما شرت أن أحداً من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى يومئذ . ثم إن طلحة
ابن عثمان صاحب لواء المشركين قال : يا معاشر أصحاب محمد ، إنكم تزعمون
أن الله يعجلنا بسيفكم إلى النار ويعجلكم بسيفنا إلى الجنة ، فهل منكم أحد
يعجله الله بسيفي إلى الجنة ، أو يعجلني بسيفه إلى النار ؟ فقام إليه علي بن أبي طالب
رضي الله عنه فقال : والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار
أو تعجلني بسيفك إلى الجنة ! فضربه علي قطع رجلي فسقط وانكشفت عورته
فقال : أنشدك الله والرحم يا ابن عم . فتركه فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال
لعلي وأصحابه : ما منكم أن تجهز عليه ؟ قال : إن ابن عمي ناشدني حين
انكشفت عورته ، فاستحييت منه . ثم شد الزبير والمقداد بن الأسود الكندي
على المشركين فهزماهم وحمل النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه فهزموا أبوسفيان .

فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقمع، ولما نظر الرماة إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف عسكر المشركين ينهبونهم قال بعضهم: *بادرُوا العنيمَةَ* ، وقال بعضهم: لا نترك قول (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقوا عنهم فلحقوا بالعسكر ، فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ، وحمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى المشركون أن خيلهم تقابل تنادوا (٢) وشددوا على المسلمين فهزم مؤمهم وقتلوهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : *مَنْ يَأْخُذْ هَذَا السِّيفَ بِحَقِّهِ ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم (٣) حتى قام إليه أبو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به في العدو حتى ينحني . فقال : أنا آخذه بحقه يا رسول الله . فأعطاه إياه . وكان أبو دُجَانَةَ رجلاً شجاعاً يَحْتَمِلُ عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أُعْلِمَ بعصاة حمراء يعملها على رأسه علم الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عصابته تلك فمصب بها رأسه ، ثم جعل يتبختر بين الصفتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : *إِنَّهَا لِمِشِيَةٌ يُبَغِضُهَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا فِي هَذَا الْوَطَنِ .**

وأرسل أبو سفيان رسولاً فقال : يا معشر الأوس والخزرج ، خلوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم ، فإنه لا حاجة لنا بقتالكم فردوه بما يكره . وكان أبو عامر بن صفي بن مالك بن النعمان بن أمية ، أحد بني ضبيعة قد خرج

(١) في غ : أمر .

(٢) في غ : تبادروا .

(٣) في غ : بينهم .

إلى مكة مُبَاعِدًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه حَمْسُونَ غلاما من الأوس ، منهم عثمان بن حُنَيْف - وقيل : كانوا خمسة وعشرين ^(١) غلاما - وكان يَعِد قريشا أن لو لقي محمداً وأصحابه لم يَحْتَلِفِ عليه من قومه رَجُلَان . فلما التَقَى النَّاسُ كان أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمْ أبو عامر في الأحابيش وعُبدانِ أهلِ مكة ، فنَادَى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر . قالوا : لا أنعمَ اللهُ بِكَ عَيْنًا يَا فَاسِق . وكان أبو عامر يُسَمَّى في الجاهليَّة الرَّاهِب ، فسَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسِق ، فلما رَدُّوا عليه قال : لقد أصاب قَوْمِي بعدى شرٌّ ! ثم قَاتَلَهُمْ قِتالًا شديدًا ثم راضَحَهُم بِالْحِجَارَةِ .

وقال أبو سفيان لأصحاب اللّواء من بنى عَبْدِ الدَّارِ يُحَرِّضُهُمْ بِذَلِكَ عَلَى الْقِتَالِ : يا بنى عَبْدِ الدَّارِ ، إِنَّكُمْ وَلَيْتُمْ لَوَاءَنَا يَوْمَ بَدْرٍ فَأَصَابَنَا مَا قَدَرْتُمْ ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى النَّاسُ مِنْ قَبْلِ رَأْيَاتِهِمْ ، إِذَا زَالَتْ زَالُوا ، فَإِنَّمَا أَنْ تَكْفُونَا لَوَاءَنَا ، وَإِنَّمَا أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَسُنْكَفِيكُمْ . فهِمُّوا بِهِ وَتَوَعَّدُوهُ وَقَالُوا لَهُ : نَحْنُ نَسْلَمُ إِلَيْكَ لَوَاءَنَا ؟ ! سَتَمَعَلَمُ غَدًا إِذَا التَّمِينَا كَيْفَ نَصْنَعُ ! وكان ذلك هو الذى أراد أبو سفيان . فلما التقى القوم ودنا بعضهم من بعض قامت هِنْدُ بنت عُبَيْبَةَ فى النِّسْوَةِ اللّوَاتِي مَعَهَا وَأَخَذَتِ الدُّفُوفَ يَضْرِبُ بِنِ حَلْفِ الرِّجَالِ وَيُحَرِّضُهُمْ .

وقالت هِنْدُ فِيمَا تَقُول :

نَمْشِي عِلَّ النَّمَارِقِ	[نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقِ
والمِسْكِ فى المَفَارِقِ ^(٢)] ^(٣)	والسِّدْرِ فى المَخَارِقِ
ونَفْرِشِ النَّمَارِقِ	إِنْ تُقْبِلُوا نَعَانِقِ
فِرَاقِ غَيْرِ وَامِقِ	أَوْ تُدْبِرُوا نَفَارِقِ

(١) فى غ : خمسة عشر .

(٢) المَفَارِقِ : الفلاند .

(٣) لم يرد البتة فى غ .

وقالت :

إِيهَا بِنِي عَبْدِ الدَّارِ إِيهَا حُمَاةَ الأَدْبَارِ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارِ

وقاتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجَانَةَ حتى أَمَعَنَ في النَّاسِ ، وحمزة
ابن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين ، فأَنْزَلَ اللهُ نصره عليهم ،
وصدَقَهُمْ وَعَدَهُ فَحَسُّوهُمْ^(١) بالسيف حتى كشفوهم فكانت الهزيمة لا شكَّ فيها .

وقال الزُّبَيْرُ : لقد رأيتني أنظرُ إلى هند بنت عُقْبَةَ وصَوَّأَجَابِيهَا مُشَمَّرَاتِ
هواربَ ، ما دون أخذهنَّ قَلِيلٌ ولا كثير ، إذا مالت الرِّمَاءُ إلى العَسْكَرِ^(٢)
حَتَّى كَشَفْنَا القومَ وانْهَزُوا يَريُدُونَ النَّهْبَ ، وَخَلَّوْا ظَهْرَنَا لِلخَيْلِ ، فَأَتَيْنَا مِنْ
أَدْبَارِنَا وَصرخ صارخ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ! فأنكفأنا وانكفأ القومُ علينا
بعد أن أصبنا أصحابَ اللِّوَاءِ حتى ما يدنو إليه أَحَدٌ مِنَ القومِ . وقيل : إنَّ اللِّوَاءَ
لم يزل صَرِيعًا حَتَّى أَخَذَتْهُ عَمْرَةَ بنت علقمة الحارثية ، فدفعته لقريش . وكان
اللِّوَاءُ مع صَوَابِ : غلام لبني أَبِي طَلْحَةَ حَبَشِي ، وكان آخر من أَخَذَهُ مِنْهُمْ ، فَقَاتَلَ
حَتَّى قَطَعَتْ يَدَاهُ ، فبرك على اللِّوَاءِ وَأَخَذَ بِصَدْرِهِ وَعُنُقِهِ فُقْتِلَ عَلَيْهِ وهو يقول :
اللهم هل^(٣) أَعْدَرْتُ . فقال حَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ فِيهِ حين تَعَارَضُوا بِالشَّعْرِ :

نَفَرْتُمْ بِاللِّوَاءِ وَأَيُّ^(٤) فَخْرٍ لَوَاءِ حِينَ رُدَّ إِلَى صَوَابِ
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهَا لِعَيْدٍ مِنَ الأَمِّ مِنْ وَطَى عَفْرَ التُّرَابِ
ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيهِ لَه ظُنُونِ وَمَا إِنَّ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصَّوَابِ

(١) حسوهم : استأصلوهم .

(٢) كذا في ت وتجريد الأغاني . وفي غ : الكر .

(٣) في غ : قد .

(٤) في غ : وشر .

بِأَنَّ جِلَادَنَا يَوْمَ التَّقِينَا بِمَكَّةَ بِمُعَكُمْ حُمْرَ الْعِيَابِ
أَفَرَّ الْعَيْنَ إِنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ وَمَا أَنْ يُعْصَبَانَ عَلَى خِصَابِ

ولما قتل عليُّ أصحابَ الألوِيَّةِ أبصرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جماعةً من
مُشْرِكِي قُرَيْشٍ فقال لعلي رضي الله عنه : أحمل عليهم . فحمل عليهم ففرَّق جمعهم
وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي ، ثم أبصر جماعةً من مُشْرِكِي قُرَيْشٍ فقال لعلي :
أحمل عليهم . فحمل عليهم وفرَّق جمعهم ، وقتل شَيْبَةَ بن مالك أحدَ بني عامِرِ
ابن لُؤَيٍّ ، فقال جبريل : يا رسولَ الله إن هذه المَؤاساة . فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « إِنَّهُ مِثِّي وَأَنَا مِنْهُ » فقال جبريل عليه السلام : وَأَنَا مِنْكُمْ ، فسمعوا
صَوْتًا :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَا ر وَلَا فِتْيَ إِلَّا عَلِي

وكان المسلمون لَمَّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أنلائنا : ثُلُثٌ قَتِيلٌ ، وَثُلُثٌ
جَرِيحٌ ، وَثُلُثٌ مُنْهَزِمٌ وقد جهده الحرب حتى ما يدرى ما يصنع . وَأَصِيبَتْ رِبَاعِيَةٌ
رسول الله صلى الله عليه وسلم السُّفْلَى وَشُجٌّ وَشُقَّتْ شَفْتُهُ ، وَكُلَّمْ فِي وَجْهَتِهِ وَجَبَّتْهُ
في أصول شعره ، وعلاه ابن قثم بالسيف على شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ، وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ عُتْبَةُ
ابن أَبِي وَقَّاصٍ ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ يَمْسَحُهُ وَيَقُولُ : « كَيْفَ
يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْدَّمِ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » فَأَنْزَلَ اللَّهُ
تعالى : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ » . الْآيَةُ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غَشِيَهُ الْقَوْمُ : مَنْ رَجُلٌ يَشْتَرِي لَنَا
نَفْسَهُ ؟ فقام زياد بن السكن في خَمْسَةِ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَقِيلَ : هُوَ عُمَارَةُ بْنُ زِيَادِ
ابن السَّكَنِ فقاتلوا دُونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجُلًا ثُمَّ رَجُلًا يُقْتَلُونَ
دُونَهُ حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادٌ أَوْ عُمَارَةُ فَقاتل حتى أُنْخَنَتْهُ^(١) الجراحة ، ثم فاءت من

(١) في غ : أنبتته .

المسلمين فثمة حتى أجهضوهم عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أدنوه مني . فأدنوه فوضع خده على قدمه ووسده بها حتى مات وحده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجاجة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثرت فيه النبل . ورعى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيته يناولني ويقول : إرم فذاك أبي وأمي ، حتى إنه ليناولني السهم ما فيه نصل فيقول : أرم به !

ورعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوسه حتى اندقت سببها ، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده وأصابت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى خررت على وجنته ، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينييه وأحدهما . وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لوائه حتى قتل ، وكان الذي أصابه بن قميته وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرجع إلى قريش وقال : قد قتلت مُحَمَّدًا . فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على بن أبي طالب .

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن شرجيل بن هاشم بن عبد مناف ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني ، وكان يكنى أبا نيار ، فقال له حمزة : هلم إلي يا ابن مقطعة البطور - وكانت أمه مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي . وكانت ختانة بمكة - فلما التقيا ضربه حمزة فقتله ، فقال وحنى غلام جبير بن مطعم : إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يليق شيئاً يمر به ، مثل الجمل الأورق^(١) إذا ارتد يبق إذ تقدمني إليه سباع

(١) الأورق : الذي لونه إلى الغبرة .

ابن عبد العزى فقال له حمزة: هَلُمَّ إِلَىَّ يَا ابْنَ مُتَقَطِّعَةِ الْبُظُورِ، فَضَرَبَهُ فَمَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ ،
وهزرت حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا مَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَمْتُهَا عَلَيْهِ فَوَقَعْتُ بِثَنَّتِهِ^(١) حَتَّى خَرَجْتُ
مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ وَأَقْبَلَ نَحْوِي فَغَلِبَ فَوَقَعَ فَأَمْلَتْهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جُنْتُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي
ثُمَّ تَنَحَّيْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ وَلَمْ يَكُنْ لِي بَشْيْءٌ حَاجَةً غَيْرِهِ .

وقد قَتَلَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ ، أَحَدَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، مَسَافِعَ
ابْنِ طَلْحَةَ وَأَخَاهُ كِلَابَ بْنَ طَلْحَةَ ، كِلَاهُمَا تَابِعَ بَيْنَهُمَا^(٢) فَيَأْتِي أُمَّهُ سُلَافَةَ فَيَطْرَحُ
رَأْسَهُ فِي حَجَرِهَا فَتَقُولُ لَهُ : يَا بَنِيَّ مَنْ أَصَابَكَ ؟ فَيَقُولُ : سَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ حِينَ
أَصَابَنِي : خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ أَبِي الْأَقْلَحِ ! فَتَقُولُ : أَقْلَحِي ؟ ! وَنَذَرْتُ لِلَّهِ إِنْ
أَمَكَّنَهَا مِنْ رَأْسِ عَاصِمٍ أَنْ تَشْرَبَ فِيهِ الْخَمْرُ . وَكَانَ عَاصِمٌ قَدْ عَاهَدَ اللَّهَ الْأَلَا يَمَسُّ^٣
مُشْرَكَ أَبَدًا وَلَا يَمَسَّهُ .

وانتهى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ ، عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ وَطَلْحَةَ بْنِ
عُبَيْدِ اللَّهِ ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ : مَا يُجْلِسُكُمْ
هَاهُنَا ؟ قَالُوا : قُتِلَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! قَالَ : فَمَا تَصْنَعُونَ فِي الْحَيَاةِ
بَعْدَهُ ؟ قَوْمُوا فَمُوتُوا عَلَى مَمَاتٍ عَلَيْهِ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ . وَبِهِ سَمِيَ
أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ . وَوُجِدَ فِي أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ يَوْمَئِذٍ سَبْعُونَ ضَرْبَةً وَطَعْنَةً وَمَا عَرَفَهُ
إِلَّا أُخْتَهُ عَرَفَتْهُ بِبَنَانِهِ^(٤) .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ وَقَوْلِ النَّاسِ :
قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَعَبُ بْنُ مَالِكِ أَحَدِ^(١) بَنِي سَلَمَةَ . قَالَ : عَرَفْتُ

(١) كَذَا فِي ت : وَتَجْرِيدِ الْأَغَانِي . وَفِي غ : فِي لَبْتِهِ .

(٢) فِي غ : كِلَاهُمَا يَشْعُرُهُ سَهْمًا ، أَيْ يَخَالِطُهُ بِهِ .

(٣) فِي غ : بِحَسَنِ بَنَانِهِ .

(٤) فِي غ : أَخُو .

عينيه تَزَهْرَانِ تحت المغفر ، فنادتُ بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فأشار إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَنْ أَصُمْتُ . فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض نحو الشعب معه علي بن أبي طالب ، وأبو بكر ، وعمر ، وطلحة ، والزبير ، والحارث ابن الصمة في رهط من المسلمين .

فلما أسند^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : يا محمد لا نجوتُ إنْ نَجَوْتُ ! فقال القوم : يا رسول الله أيمظف عليه رجل مِنَّا ؟ فقال : دعوه . فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن الصمة وانتفض بها انتفاضةً تطاير ناعنه تطاير الشعراء^(٢) من ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله فطمئه في عنقه طعنةً تدأدأ منها عن فرسه مراراً وكان أبي بن خلف يلتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : يا محمد ، إن عندى العود أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه ! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله عز وجل . فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه^(٣) خدشاً غير كبير ، فاختنن الدم فقال : قتلتني والله مُحَمَّد ! قالوا : ذهب فؤادك ، والله ما بك من بأس . قال : إنه قد كان بمكة قال لي : أنا قاتلك فوالله لو بصق علي لقتلني . فمات عدو الله بسرف^(٤) وهم قافلون إلى مكة ، فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب رضى الله عنه حتى ملأ درقته من الماء من المهراس ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب منه وغسل الدم عن وجهه ، وصب على رأسه

(١) أسند : رقى .

(٢) الشعراء : ذباب أحمر وقيل : أزرق ، يقع على الإبل ويؤذيها أذى شديداً .

(٣) كذا في ت والطبرى . وفي غ : حلقه .

(٤) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

وهو يقول: اشتدَّ غَضَبُ اللَّهِ على من أَدَمَى وَجْهَ نَبِيِّهِ. وكان سعد بن وقاص يقول: ما حَرَصْتُ على قتل رجل ما حَرَصْتُ على قتل عُتْبَةَ بنِ أَبِي وَقَاصٍ وإن كان ما علمت لسَيِّئِ الخلق مُبْغِضًا في قومه ، ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشتدَّ غَضَبُ اللَّهِ على من أَدَمَى وجهه رَسُولَه .

وخرجت هند والنسوة معها يَمْتَلِنُ بِالْقَتْلِ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يَجِدُ عَنِ الأَذَانِ والأَنْوْفِ ، حتى اتَّخَذَتْ هِنْدٌ من آذان الرجال وأنوفهم خَدَمًا وَقَلَانِدًا ، وأعطت خَدَمَهَا^(١) وَقَلَانِدَهَا وَحَشِيًّا غلام جُبَيْر بن مُطْعَم .
وَبَقَرَتْ بطن حمزة رضى الله عنه وأخرجت كَبِدَه فلا كَتَمَهَا فلم تستطع أن تَسِيَمَهَا فلفظتها .

ثم عَلَّتْ على صخرة مُشْرِفَةً فصاحت بأَعْلَى صَوْتِهَا بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عمر بن الخطاب لحَسَّان بنِ ثَابِت : يا بنِ الفُرَيْعَةِ ، لو سمعت ما تقول هند ورأيت أُنْثَرَهَا قائِمةً على صخرة تَرْتَجِزُ بنا وتذكر ما صنعت بحَمْزَةٍ ؟ فقال له حَسَّان : والله إنى لَأَنْظُرُ إلى الحربة تَهْوَى وإِنِّي على رأسِ فَارِع - يعنى أطمه - فقلت : والله إن هذه لسلأح ما هى بسلاح العرب ، وكأنها إِنَّمَا تَهْوَى [إلى حمزة]^(٢) ولا أدْرِى ، فأسْمَعْنِي بعضَ قولها أَكْفِكُمُوهَا . فأنشده عمر بعض ما قالت .
فقال حَسَّان يهجوها :

أَشْرَتْ لَكَاعِ وكان عَادَتُهَا	لُومًا إذا أَشْرَتْ مع الكُفْرِ
لمن الإلهُ وزوجها معها	هِنْدَ الهنود طَوِيلَةَ البَطْرِ
أخرجت مرقِصَةً إلى أَحُد	في القسوم مُقْتَبَةً على بَكْرِ

(١) الخدمه : الخلل (ج) خدم .

(٢) النكمله من تاريخ الطبرى ٣ / ٢٣ .

أَخْرَجَتْ نَائِرَةً مَبَادِرَةً بِأَيْبِكِ وَأَيْبِكَ (١) يَوْمَ ذِي بَدْرٍ
 وَبِعَمِّكَ الْمَسْنُونَهُ فِي رَدَعٍ وَأَخِيكَ مُتَعَفِّرِينَ فِي الْجَفْرِ
 وَنَسِيتِ فَاحِشَةَ آتَيْتِ بِهَا يَا هِنْدُ وَيْحَكَ سَبَّةَ الدَّهْرِ (٢)
 فَرَجَعَتْ صَاغِرَةً بِلَا تِرَّةٍ مِنَّا ظَفِرْتِ بِهَا وَلَا نَصْرٍ
 زَعَمَ الْوَالِدُ أَنَّهَا وُلِدَتْ وَلِدًا صَغِيرًا كَانَ مِنْ عَهْرٍ (٣)

ثم إن أبو سفيان بن حرب أشرف على القوم فقال: أفيكم محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تُجيبوه! ثم قال: أفي القوم عمر بن الخطاب؟ ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تُجيبوه. فالتفت إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، ولو كانوا في الأحياء لأجأبوا! فلم يملك عمر بن الخطاب نفسه أن قال: كذبت يا عدو الله، قد أبقي الله لك ما يُخزيك. فقال: أعل هبل، أعل هبل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا «الله أعلى وأجل». قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تُجيبوه! قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا «الله مولانا ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال أما إنكم ستجدون في القوم مثلاً لم أمر بها ولم تسؤنى.

وقد كان الحليس بن زبآن أخو بني الحارث بن عبد مناة مرّ بأبي سفيان بن حرب وهو يضرب في شدة حمزة بزج^(٤) الرُمح ويقول: دُقْ عَقْق؛ دُقْ عَقْق!

(١) في غ: فانتك بدل: وأيبك.

(٢) كذا في ت والديوان والطبرى وفي غ: سيئة الذكر، وهو تخفيف السيئة.

(٣) في ت: عمرو بدل عهر.

(٤) الزج: الحديدية التي في أسفل الرمح.

فقال : يا بَنِي كِنَانَةَ ، هذا سَيِّدُ قُرَيْشٍ يَصْنَعُ بِابْنِ عَمِّهِ كَمَا تَرَوْنَ لَحْمًا ! فقال : اَكْتَمَهَا عَلَيَّ فَإِنَّهَا زَلَّةٌ . فَلَمَّا انصَرَفَ أَبُو سَفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ نَادَى : أَنْ مَوْعِدُكُمْ بِدَرْ ، الْعَامَ الْقَابِلِ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ : « قل : نَعَمْ هِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدٌ » .

ثم بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعْلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : أَخْرَجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ فَانظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَمَا يَرَوْنَ ، فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنَّبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ فَهَمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ فَهَمْ يَرِيدُونَ الْمَدِينَةَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ أَرَادُوهَا لِأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ بِهَا ثُمَّ لَأُنَاجِرَنَّهُمْ . قال : فَخَرَجْتُ فِي آثَارِهِمْ أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُونَ ، فَلَمَّا اجْتَنَبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ تَوَجَّهُوا إِلَى مَكَّةَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَيْ ذَلِكَ كَانَ فَأَخْفَهَ حَتَّى تَأْتِيَنِي . قال عَائِشَةُ : فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ تَوَجَّهُوا إِلَى مَكَّةَ أَقْبَلْتُ أُصَبِّحُ ، مَا أَكْتَمُ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بِي مِنَ الْفَرَحِ إِذْ رَأَيْتُهُمْ انصَرَفُوا إِلَى مَكَّةَ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَفَرَّغَ النَّاسُ لِقِتْلَاهُمْ (١) .

وَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِمْرَةَ مَا رَأَى وَقَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ ، وَمُثِّلَ بِهِ وَجُدِعَ أَنْفُهُ وَأُذُنَاهُ قَالَ : لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةٌ أَوْ تَكُونَ سُنَّةً مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَكُونَ فِي أَجْوَابِ السَّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ ، وَإِنْ أَظْهَرَ نِيَّ اللَّهُ عَلَيَّ قُرَيْشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لِأَقْتُلَنَّ بِهِ ثَلَاثِينَ (٢) رَجُلًا مِنْهُمْ . فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حُزْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْظَهُ عَلَيَّ مَا فَعِلَ بَعْمَهُ حِمْرَةَ قَالُوا : إِنْ أَظْهَرَ نَا اللَّهُ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنَمُثِّلَنَّ بِهِمْ مُثْلَةَ لَمْ يَمُثِّلَهَا

(١) في ت : ونزع الناس لقتلهم . « تحريف » .

(٢) في غ : لأثلاثين بثلاثين .

أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَحَدٍ قَطًّا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا
مِثْلَ مَا عُوِّقْتُمْ بِهِ وَلَنْ صَبْرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ » (١) فعفا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصَبَرَ وَنَهَى عَنِ الْمَثَلَةِ .

وخرَجَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ لِتَنْظُرَ إِلَى أَخِيهَا حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَكَانَ
أَخَاهَا لِأَبِيهَا وَأُمِّهَا (٢) . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبْنَيْهَا الرَّبِيعِ : أَلْقَاهَا فَارْجِعْهَا
لَا تَرَى مَا بِأَخِيهَا . فَلَقِيَهَا الرَّبِيعُ فَقَالَ : يَا أُمَّاهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَأْمُرُكَ أَنْ تَرْجِعِي . فَقَالَتْ : وَلَمْ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُثَلِّ بِأَخِي وَذَلِكَ فِي اللَّهِ قَلِيلٌ ، فَمَا
أَرْضَانَا بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ ، لِأَحْسَبَنَّ وَلَا أَصْبِرَنَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ! فَأَخْبَرَ الرَّبِيعُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ : خَلِّ سَبِيلَهَا . فَأَتَتْهُ فَانظَرَتْ إِلَيْهِ وَصَلَّتْ
عَلَيْهِ وَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْفِينَ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ إِلَى مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ
الرَّبِيعِ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أُمَّ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا أَنْظُرُ لَكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فَعَلَ فَنظَرَ فَوَجَدَهُ جَرِيحًا فِي الْقَتْلِ بِهِ رَمَقًا قَالَ : فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ لَهُ أَفِي الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أُمَّ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ قَالَ : فَأَنَا
فِي الْأَمْوَاتِ ، أُبَلِّغُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُلُّ لَهُ : إِنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ :
جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ وَأُبَلِّغُ قَوْمَكَ عَنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُمْ عَنِّي :
لَا عُدْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ خَلَصَ الْعَدُوُّ إِلَى نَبِيِّكُمْ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ . ثُمَّ لَمْ أَبْرَحْ
حَتَّى مَاتَ فَنَجَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ .

(١) النحل / ١٢٦ .

(٢) في غ : وكان أخاها لأُمِّهَا .

ولما خَرَجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحُدِ رَجَعَ حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ - وهو اليمَانُ أَبُو حُدَيْفَةَ - وثَابِتُ بْنُ وَقَشٍ ^(١) جَلَسَا فِي الْأَطَامِ مَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ وَهِيَ شَيْخَانُ كَبِيرَانِ : لَا أَبَالُكَ مَا تَنْتَظِرُ ، فَوَاللَّهِ إِنْ بَقِيَ لِوَاحِدٍ مِنَّا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا ظِمٌّ هَجَارٌ ^(٢) ، وَإِنَّمَا نَحْنُ هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ ، أَفَلَا نَأْخُذُ أَسْيَافَنَا فَنَلْحَقُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا الشَّهَادَةَ مَعَهُ . فَأَخَذَا أَسْيَافَهُمَا ثُمَّ خَرَجَا حَتَّى دَخَلَا فِي النَّاسِ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَأَمَّا ثَابِتٌ فَقَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَمَّا حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُ الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلُوهُ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ ، فَقَالَ حُدَيْفَةُ : أُنْبِئْ! فَقَالُوا : وَاللَّهِ إِنْ عَرَفْنَا . وَصَدَقُوا . فَقَالَ حُدَيْفَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدِيَهُ ^(٣) فَتَصَدَّقَ حُدَيْفَةُ بِدِيَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فزَادَتْهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا .

وكان رجل يُقال له قُرْمَانٌ لَا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ هُوَ ، كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ ، إِذَا ذَكَرَهُ : « إِنَّهُ لِمِنْ أَهْلِ النَّارِ » فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ قَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَقَتَلَ هُوَ وَوَحْدَهُ ثَمَانِيَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ تِسْعَةَ ، وَكَانَ مِنْهُمَا شُجَاعًا ذَا بَأْسٍ ، فَأَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ ، فَاحْتَمَلَ إِلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ ، فَجَعَلَ رِجَالُ يَقُولُونَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَبْلَمْتَ الْيَوْمَ يَا قُرْمَانُ فَأَبْشِرْ . قَالَ : بِمِ أَبْشِرُ ؟ فَوَاللَّهِ مَا قَاتَلْتُ إِلَّا عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا قَاتَلْتُ . فَلَمَّا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ جِرَاحَتُهُ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِفَانَتِهِ

(١) في ت قيس .

(٢) ظم الحمار : ما بين الشربين له ، وليس شيء من الدواب أقصر ظمًا من الحمار ، يرد

الماء كل يوم في الصيف مرتين .

(٣) وداه : أدى ديبته .

فَقَطَعَ رَوَاهِشَهُ فَنَزَفَهُ الدَّمُ فَمَاتَ . فَأَخْبِرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا .

وكان عَبْدُ اللَّهِ بن الزُّبَيْرِ بن قيس بن عَدِيّ بن سَعْدِ بن سَهْمِ بن عمرو بن
هُصَيْصِ بن كَعْبِ بن لُؤَيِّ بن غَالِبِ ، أَحَدُ شُعْرَاءِ قُرَيْشِ المَعْدُوْدِيْنَ . وكان مِمَّنْ
يُحَرِّضُ كُفَّارَ قُرَيْشِ عَلَى المَسْلَمِيْنَ بِشِعْرِهِ وَيَهْجُو المَسْلَمِيْنَ . وهو القائلُ في
وَقَعَةِ أَحَدَ :

يا غرابَ البَيْنِ أزمَعْتَ فقل	إنما تنطقُ شيئاً قد فُعلِ
إنَّ للخَيْرِ وللشَّرِّ مَدَى	لِكِلَا ذَيْنِكَ وَقْتٌ وَأَجَلِ
كُلُّ بؤسٍ ونعيمٍ زائلٌ	وبناتُ الدهرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ
والعطيَّاتِ خِساسٌ بينهم	وسواءُ فيه (١) مَثْرٌ ومُقلِ
[قد قتلنا القومَ مِنْ ساداتِهِمْ	وعَدَلناهِ يَبْدُرُ فَأَعْتَدَلِ] (٢)

ولما كان يومُ الفتحِ أسلمَ عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ ، وقَبِلَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إسلامَهُ وأَمَنَهُ .

ولما كانت صَبِيحَةَ يومِ أَحَدِ يومِ الأَحَدِ لِسِتِّ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَوَّالِ أَذَنَ
مُؤدِّنِ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّاسِ بِطَلَبِ العَدُوِّ ، وأَذَّنَ مؤدِّنُهُ :
ألا يَخرِجَ مَعنا أَحَدٌ إِلا مَنْ حَضَرَ بالأَمْسِ يَوْمَنا . فكلَّمَهُ جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرو
ابنِ حَرَامِ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ إنَّ أباي كانَ خَلَفَى عَلَيَّ أَخواتِ لي سَبْعَ ، وقال :
يا بُنَيَّ ، إنَّه لا يَنْبَغِي لي ولا لَكَ أنْ تَتْرُكَ هؤُلاءِ النِّسوةَ لا رَجُلَ فِيهِنَّ ، ولستُ
بالذي أُورِثُكَ بِالِجِهَادِ معَ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَفْسِي ، فَتَخَلَّفَ عَلَيَّ

(١) في غ : قبر بدل فيه .

(٢) لم يرد هذا البيت في غ .

أَخَوَاتِكَ ، فَتَخَلَّفْتُ عَلَيْهِنَّ . فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُ وَإِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْهَبًا لَلْعَدُوِّ لِيُبَاكِبَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ لِيَعِظُنُوا بِهِ قُوَّةً وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُوهِنَهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ . وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ قَدْ شَهِدَ هُوَ وَأَخُوهُ أَحَدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَا جَرِيحَيْنِ ، فَلَمَّا أُذِّنَ بِالْخُرُوجِ قَالَ لِأَخِيهِ : أَتَفَوْتُنَا غَزْوَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهِ مَا لَنَا مِنْ دَابَّةٍ نَرَاهَا كَبِيْهَا ، وَمَا مِنَّا إِلَّا جَرِيحٌ ثَقِيلٌ . قَالَ : فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنْتُ أُبَسِّرُ جُرْحًا مِنْهُ ، فَكُنْتُ إِذَا غُلِبَ أَحْمَلُهُ سَاعَةً حَتَّى أَنْتَهَيْتُنَا إِلَى مَا أَنْتَهَى الْمُسْلِمُونَ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حِمْرَاءِ الْأَسَدِ ، وَهِيَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا : الْاِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَاءِ وَالْأَرْبَعَاءِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَكَانَ مَعْبِدُ الْخَزَاعِي قَدْ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ خِزَاعَةُ مُسْلِمُهُمْ وَمَشْرِكُهُمْ عَيْبَةً رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) صَفَقْتَهُمْ مَعَهُ لَا يُخْفُونَ عَلَيْهِ شَيْئًا وَمَعْبِدٌ يَوْمئِذٍ مُشْرِكٌ ، فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي أَصْحَابِكَ ، وَلَوْ دِدْنَا أَنَّ اللَّهَ كَانَ أَعَانَكَ عَلَيْهِمْ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ بِحِمْرَاءِ الْأَسَدِ حَتَّى لَقِيَ أَبَا سَفِيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمِنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ قَدْ أَجْمَعُوا الرَّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا : أَصَبْنَا جِدًّا أَصْحَابَهُ وَقَادَتَهُمْ وَأَشْرَفَهُمْ ، ثُمَّ رَجَعْنَا قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ ، لَنَسْكُرَنَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ وَلَنَفْرُغَنَّ مِنْهُمْ ! فَلَمَّا رَأَى أَبُو سَفِيَانَ مَعْبِدًا قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبِدُ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَّ مِثْلَهُ قَطُّ يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا ، وَقَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيهِمْ مِنَ الْخِنَقِ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرَّ مِثْلَهُ قَطُّ . قَالَ : وَبِئْسَ

(١) عيبة الرجل : موضع سره .

ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترتجّل حتى ترى نواصي الخيل. قال: والله لقد
أجمعنا الكفرة عليهم لنستأصل بقيتهم^(١). قال: فإني أمهاك عن ذلك، فوالله لقد
حلتني ما رأيت على أن قلت شعرا، قال: أنشدنا فأشدهم:

كادت تهدُّ من الأصوات راحلتى إذ سأت^(٢) الأرض بالجرد الأبايل
فظلت عدواً أظن الأرض مائلة لَمَّا سموا برئيس غير مخدول
فقلت ويل ابن حرب من لقاءكم إذا تغطّط البطحاء بالجيل
إني نذير لأهل السيل^(٣) ضاحية لكل ذي إربة منهم ومعقول^(٤)
من جيش أحمد لا وخش تدايلة^(٥) وليس يوصف ما أنذرت بالقيـل

قال: فتني ذلك أبا سفيان ومن معه.

ومرّ به ركب من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ فقالوا: نريد المدينة. قال:
ولم؟ قالوا: نريد الميرة. قال: فهل أنتم مبلّغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه،
وأحمّل لكم إبلكم هذه غداً زيباً بمكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا
جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا على المسير إليه وإلى أصحابه، لنستأصل شأفتهم.
فر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» ورجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ثلاثة وكان قد خلف على المدينة ابن أم مكتوم.

(١) في غ: شأفتهم.

(٢) في ت: سارت.

(٣) في ت: النسل.

(٤) المعقول: العقل.

(٥) في ت: بناثله «تحريف». والوخش: رذالة الناس وصغارهم والتنبيل: القصير.

آدم بن عبد العزيز

(هو آدم بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وهو أحد من من عليه أبو العباس السفاح من بني أمية لما قتل من وجد منهم . فقال له : قد علمت مذهب أبي فيكم ، ولم يكن كأبائهم . فقال : صدقت وأطقت)

(وكان آدم من أول أمره خليعاً ما جناً منهمكا في الشراب ، ثم نسك بعد ذلك ومات على طريقة محمودة .)

أغنى بهذه الأبيات بين يدي المهدي :

— أسقني وأسق خليل	في دجى ^(١) الليل الطويل
— قهوة صهباء صرفاً	سبيت من نهر بيل
— في لسان المرء منها	مثل طعم الزنجبيل
ريحها ينفح منها	ساطعاً من رأس ميل
من ينل منها ثلاثاً	ينس منهاج السبيل
فتى ما نال خمسا	تركته كالقثيل
ليس يدري حين ذاكم	ما دبير من قبيل
— قل لمن يلحك فيها	من فقيه أو نبيل
— أنت دعها وأرج أخرى	من رحيق السسبيل

فَسأل عن قائلها ، فقيل : آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فدعا به فقال : وبلك تزندق ! قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ومتى رأيت قرشياً تزندق؟

(١) في غ : مدى .

والمحنة^(١) في هذا إليك ، ولكنّه طَرَبَ غَلْبَنِي ، وشعرَ طَفَحَ على قلبي في حال
الحدائفة فنظقت به . وأنا رجل أَشْرَبُ أَخْمَر ، ولم أقل ذلك إلا على سبيل المَجُون .
ووالله ما كَفَرْتُ بالله قطّ ، ولا شككت فيه ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ . وكان المهدي
يجبه ويكرمه لظرفه وطيب^(٢) نفسه .

وقيل : إنَّ المَهْدِيَّ جَلَدَهُ ثَلَاثَمِائَةَ سَوْطٍ على أن يُقَرَّ بِالزُّنْدَقَةِ ، فقال : والله
ما أشركتُ بالله طرفة عين ، فقال : أين قولك :

أَسْقِنِي وَأَسْقِ غَصِيئَنَا لَا تَبِعْ بِالْفَقْدِ دِينَنَا

أَسْقِنِيهَا مُرَّةَ الطَّعْمِ م تَرِيكَ الشَّيْنِ زَيْنَا

فقال : إن قلت ذلك فما هو مما يشهد على قائله بالزُّنْدَقَةِ . قال : فأين قولك :

أَنْتَ دَعَاها وَاِرْجُ أُخْرَى مِنْ رَحِيقِ السَّلْسَبِيلِ

قال : كنتُ فتىً أَشْرَبُ النَّبِيذَ وَأَقُولُ مَا قُلْتُ على سَبِيلِ المَجُونِ ، فَخَلَّى

سَبِيلَهُ . وهو القائلُ :

أَحْبَبْتُ حُبِّينِ لِي وَاحِدٍ وَأَخْرَأْتُكَ أَهْلُ لَدَاكَ

فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الطَّبَّاعِ^(٣) فَشَيْءٌ خُصِّصْتُ بِهِ عَنْ سِوَاكَ

وَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْجَمَالِ فَلَسْتُ أَرَى ذَاكَ حَتَّى أَرَاكَ^(٤)

وَلَسْتُ أَمَّنُّ بِهَذَا عَلَيْكَ لَكَ الْمَنُ فِي ذَا وَهَذَا وَذَاكَ

(١) المحنة : الامتحان .

(٢) في ت : وصنف .

(٣) في ت : الجمال .

(٤) في ت : روى البيت : وأما الذي هو حبي فلست أرى الحسن في الناس حتى أراك .

قال فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ : مررنا يوماً مع خَالِصَةَ في موكبها ، فَوَقَّتْ على آدم ابن عبد العزيز فقالت : له : يا أخى طلبت مِنَّا حَاجَةً فرفمناها إلى السَّيِّدَةِ وأمرت بها وهي في الديوان ، فسَاءَ ظَنُّكَ بنا فَمَعَدَّتْ عن تَنَجُّزِهَا . قال : فموه لها عُدْرًا اعْتَدَرَ بِهِ فَوَقَّتُ عن الموكب حتى مَضَت ، ثم قلت له : أَخْمَلْتُ ذِكْرَكَ (١) والله ما أَحْسَبُ أنه حبسك عنها إلا الشراب ، أنتَ تَرَى الناسَ يَرُونَ كُضُونَ خلفها وهي تَقْفُ (٢) عليك لحاجتك ، قال : هو والله ذاك ، إذا اصطبخت (٣) فكل كِسْرَةَ ولو بملح ، وَأَفْتَحَ دَنَّاكَ فَإِنْ كَانَ حَامِضًا دَبَعَ مَعِدَّتَكَ ، وَإِنْ كَانَ حُلْوًا أَخْرَطَكَ ، وَإِنْ كَانَ مُدْرِكًا فهو الذي أردت . فقلت : لا بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ . ومضيت ، ثم تابَ بعد ذلك وأقْلَعَ . واستأذَنَ يوماً على يعقوب بن الرِّبِّيع فقال : ارفَعُوا الشَّرَابَ فَإِنَّ هَذَا قَدْ تَابَ وَأَحْسَبُهُ يَكْرَهُ أَنْ يَرَاهُ . فرُفِعَ وَأُذِنَ له فدخل ، فقال : « إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَقْنَدُونُ » . قال يعقوب : هو الذي وجدت ، ولكننا ظننا أَنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْكَ لِتَرَكِكَ الشَّرَابَ . قال : إى والله ، إنه لِيَثْقُلُ عَلَيَّ . قال : فهل قلت في ذلك شيئاً منذُ تَرَكَتَهُ؟ قال : نعم قلت :

ألا هل فتى عن شرهها اليوم صابر
شربتُ فلماً قيسل ليس بنسازع
ليجزيه يوماً بذلك قادرُ
نزعْتُ وثوبى من أذى اللوم طاهرُ

(١) في غ : نفسك بدل ذكرك .

(٢) في غ : ترف .

(٣) في غ : أصبحت .

أم حكيم

(هي أمُّ حَكِيم بنت يَحْيَى بن الحَكِيم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس .
وأُمُّهَا زَيْنَب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

(كانت هي وأُمُّها من أجمل نساء قريش ، وكانت قريش تقول لأم حَكِيم :
الواصلة ؛ لأنها وصلت الجمال بالكمال).

وأم أمها زَيْنَب سُعدى بنت عَوْف بن خَارجة بن سِنان بن أبي حَارِثة بن عوف
ابن أبي حارِثة بن لأم الطَّائِي .

وكانت سُعدى عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة ، فولدت له سَلمة ورَيْطَة ،
ثم توفى عنها . تخلف عليها طَلْحَة بن عُبيد الله ، فولدت له يحيى وعيسى ؛ ثم قُتِل
عنها . فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ فتسكَّم بنوها وكرهوا أن تتزَوَّج ،
وهم رجال . فقالت : إنه قد بقي في رحم أمكم فضلة شريفة لا بدَّ من خروجها .
فتزوجها فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه وأمُّ أم حَكِيم . وكان المغيرة أحد
أجواد قريش والمُطعمين الطعام منهم ، وقد وفد [إلى الكوفة] ^(١) على عبد الملك بن
إِسر بن مروان . وكان صديقه ، وبها جماعة يُطعمون الناس من قريش وغيرها ^(٢) .
فلما قدم تغيبوا فلم يخرج ^(٣) أحد منهم حتى خرج ، وبث المغيرة الجفان في السكك
والقبائل يُطعم الناس ، وهو مُطعم الجيش بمسنى ، وإلى الآن يُطعم عنه ، وكانت
زَيْنَب هذه أحسن النساء قدًّا ووجهاً ، كأن أعلاها قضيبي ، وأسفلها كئيب .

(١) سافطة من ت ، والتكملة من غ .

(٢) في غ : وغيرهم .

(٣) في غ : يظهر .

فتزوجت زينبُ أباَنَ بنَ مروانَ بنَ الحَكَمِ ، فولدت له عبدَ العزيزِ بنَ أبانَ ثم مات عنها فخطبها عبدُ الملك^(١) [بنُ مروانَ ويحيى بنُ الحَكَمِ فمألوا إلى عبدِ الملك ، فأرسلَ يحيى إلى المُغيرةِ بنِ عبدِ الرحمنِ]^(٢) : كم الذي تأمل من عبدِ الملك ؟ فوالله لا يزيدُها على ألفِ دينار ، ولا يزيدُك على خمسمائة ، ولها عندى خمسون ألفَ دينار ، ولك عشرة آلاف دينار إن زوجتنيها ، فزوجه إياها على ذلك ، فغضب عبد الملك ، وقال : دخل عليّ في خطبتي ! والله لا يخطب على منبر ما دُمت حيًّا ، ولا يرى مني ما يحب ، فقال يحيى : ما أبالي ، كمكثتان وزينب .

وقيل : إنها لعمَّا خطبت قالت : والله لا أتزوج إلا من يُعنى أخى المُغيرة ، فأرسل إليها يحيى بن الحَكَمِ : أيغنيهِ خمسون ألف دينار ؟ قالت : نعم . قال : هي له ، ولك مثلهما . فقالت : ما بعد هذا شيء ، فأرسل إلى أهلك بشيء من طيب وشيء من كسوة .

ولما تزوجها يحيى قال عبد الملك : لقد تزوجتُ أفوهَ غليظَ الشفتين . فقالت : هو خير من أبي الدباب فمأله يعميه بغمه ؟ وقال أبو يحيى : قولوا له : إن الذي خبرت من في كرهته من فيك . ولما تزوجها يحيى عزله عبد الملك عن عمله وخلعه من ماله ، فجعل يحيى يقول :

ألا لأبالي اليوم ما فعل الدهرُ إذا بقيت لي كمكثتان وزينب

(وكانت أم حكيم تحب عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك تزوجها في حياة جده عبد الملك .

ولما عُقدَ النكاح بينهما في مجلس عبد الملك أمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالمقد ويقولوا في ذلك أشعارا يرونها الناس فأختير منهم جرير وعدي بن الرقاع فدخلا .

(١) في ت : عبد الرحمن « تحريف » .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت والتسكلة من غ .

وقد بدأ عدي لموضعه منهم فقال :

قمر السماء وشمسها اجتمعا
ما وارت الأستار مثلهما
بالسعد ما غابا وما طلعا
من ذارأي هذا ومن سميما
وقال جرير :

جمع الأمير إليه أكرم حرّة
حكيمية عات الروابي كلها
وإذا النساء تفاخرت ببعولة
عبد العزيز ومن يكلف نفسه
هنا تكم بمودة ونصيحة
فلتهنك النعم التي حوتها
في كل ما حال من الأحوال
بمفاخر الأعمام والأحوال
نخرتهم بالسيد الفضال
أخلاقه يلبث بأ كسف بال
وصدقت في نفسي لكم ومقال
ياخير مأمول وأفضل وإلى

فأمر لها عبد الملك بمشربين ألف درهم ، وفضى لأهله ومواليه يومئذ مائة
حاجة ، وأمر لجميع من حضر من الحرس^(١) والكتّاب بمشربة دنانير عشرة
دنانير .

ولم تزل أم حكيم عند عبد العزيز مدة ، ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن
أبي بكر ، فلكتته وأحبها وذهبت بمقله كل مذهب ، فلم ترض منه إلا بطلاق
أم حكيم ، فطلّقها ، فتزوجها هشام بن عبد الملك ، ثم مات عبد العزيز فتزوج
هشام ميمونة أيضا ، وكان شديد المحبة لأم حكيم ، فطلق ميمونة أفْتِصَاصًا لها
منها بما فعلته معها في اجتماعهما عند عبد العزيز ، وقال لها : هل أرضيتك منها ؟
قالت : نعم . فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام ، وكان من رجالات
بني أمية ، وكان أحد من يظن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويُغري به
الناس . وكانت أم حكيم مُدْمِنَةً على الشراب لا تكاد تفارقه ، وهي القائلة :

(١) وت : الجيش .

أَلَا فَاسْقِيَانِي مِنْ شَرَابِكَا الْوَرْدِي

وإن كنتُ قد أنفدتُ فاسترهُنَا بُرْدِي

سِوَارِي وَدُمُؤُوجِي وَمَامَلِكْتُ يَدِي مُبَاخٌ لَكُمْ نَهْبٌ وَلَا تَقْطَعُوا وِرْدِي

وكأسها التي كانت تشرب بها مشهورة عند الناس إلى اليوم ، وهو في خزائن

الخلفاء حتى الآن .

وفيه يقول الوليد بن يزيد :

عَدَلَانِي بِصَافِيَاتِ^(١) الْكُرُومِ وَأُسْقِيَانِي بِكَأْسِ أُمِّ حَكِيمِ

إِنَّهَا تَشْرَبُ الْمَدَامَةَ صِرْفًا فِي إِنَاءٍ مِنَ الزُّجَاجِ عَظِيمِ

جَنَّبُونِي أَذَاةَ كُلِّ لَثِيمِ إِنَّهُ مَا عَلِمْتُ شَرُّ نَدِيمِ

فلما بلغ هذا الشعر هشاما قال لأم حكيم : أَو تَفْعَلِينَ مَا ذَكَرَهُ الْوَلِيدُ ؟

فقلت : أَو يَصْدُقُ الْفَاسِقُ فِي شَيْءٍ حَتَّى تُصَدِّقَهُ فِي هَذَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَتْ : هُوَ

كَبَعْضِ كَذِبِهِ .

وكانت كأس أم حكيم كأسا كبيرة من زجاج أخضر ، مقبضها من ذهب .

قال إسماعيل بن مجمع : كنا نخرج ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة

فتزكى عنه ، وكان فيما يزكى عنه كأس أم حكيم ، وكان فيها من الذهب

ثمانون مثقالا .

ولما أخرج المعتد ما في الخزائن ليبيع في أيام ظهور الناجم بالبصرة أخرجت

كأس مدورة على هيئة القحف تسع ثلاثة أرتال ، فقومت بأربعة دراهم ، فتعجب

من حصول مثلها في الخزائن مع خساستها ، فسئل الخازن عنها ، فقال : هذه كأس

أم حكيم ، فردت إلى الخزانة ، ولعل الذهب الذي كان عليها أخذ يومئذ .

(١) في غ : بعاقات .

وكان لهشام من أم حَكِيم ابنٌ يقال له . مَسْلَمَة ، وَكُنِيَّتُهُ أَبُو شَاكِر ، وكان هشام يُنَوِّهُ بِاسْمِهِ ، وكان أَرَادَ أَنْ يُوَلِّيَهُ الْعَهْدَ بَعْدَهُ ، فَوَلَّاهُ الْحَجَّ فَحَجَّ بِالنَّاسِ . وَفَرَّقَ فِي الْحِجَازِ عَلَى أَهْلِهَا مَالًا كَثِيرًا وَأَحْبَهُ كَثِيرًا النَّاسُ وَمَدَّحُوهُ ، وَفِيهِ يَقُولُ عُرْوَةُ بْنُ أَذِيْنَةَ :

أَبَيْتَنَا نَمَتَ بِأَرْحَامِنَا وَجِئْنَا بِأَمْرِ أَبِي شَاكِرِ

وفيه يقول الوليدُ بنُ يزيد بن عبد الملك في حَيَاةِ أَبِيهِ وَأَشَاعَ ذَلِكَ وَأَشْهَرَهُ :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا نَحْنُ عَلَى دِينِ أَبِي شَاكِرِ

فلما أَرَادَ هِشَامُ أَنْ يُوَلِّيَهُ الْعَهْدَ كَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى خَالِدِ الْقَسْرِيِّ ، فَقَالَ خَالِدٌ : أَنَا بَرِيٌّ مِنْ خَلِيفَةِ كُنِيَّتِهِ أَبُو شَاكِرِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ هِشَامًا ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ إِيقَاعِهِ بِهِ .

قال ابنُ الأعرابي : كُنَّا مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَنْبِغِ الْخَطَلِيِّ نَشْرَبُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ وَكَانَ صَوْتُهُ :

عَلَّلَانِي بِعَاقَاتِ الْكُرُومِ وَأُسْقِيَانِي بِكَأْسِ أُمِّ حَكِيمِ

فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حتى السَّحَر ، فوافاه كِتَابُ خَلِيفَتِهِ فِي دَارِ الْخَلِيفَةِ (١) يُخْبِرُهُ أَنَّ الرَّشِيدَ (٢) عَلَى الرُّكُوبِ . وَكَانَ مُحَمَّدٌ أَحَدَ أَصْحَابِ الرَّشِيدِ وَمَنْ يُقَدِّمُ دَابَّتَهُ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَعْمَلُ وَالرَّشِيدُ لَا يَقْبَلُ لِي عُذْرًا وَأَنَا سَكْرَانٌ ؟ فَقَالُوا : لَا بُدَّ مِنَ الرُّكُوبِ ، فَرَكِبْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَلَمَّا قَدَّمَ إِلَى الرَّشِيدِ دَابَّتَهُ قَالَ لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا هَذِهِ الْحَالُ الَّتِي أَرَاكَ فِيهَا ؟ (٣) قَالَ : لَمْ أَعْلَمْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) في غ : الرشيد .

(٢) في غ : الخليفة .

(٣) في غ : عليها .

في الرُّكُوبِ فَشَرِبَتْ لَيْلَتِي أَجْمَعُ ، قال : فما كان صوتك ؟ فأخبره ، فقال له :
عُدْ إلى منزلك فلا فضلَ فيك ، فرجع إلينا وأخبرنا بما جرى وقال : خذوا بنا
في شأننا ، فجلستنا على سطح ، فلما أرتفع ^(١) النهار إذا خادِم من خُدَّام أمير المؤمنين
قد أقبل على برذون ، ومعه شيءٌ مُغَطَّى بمنديل قد كاد ينال الأرض ، فصعد إلينا
وقال : أمير المؤمنين يقرأ عليك ^(٢) السلام ، ويقول لك : قد بعثنا إليك بكأس
أم حكيم لتشربَ فيها ، وبألف دينار تُنفقها في صبوحك ، فقام محمد فأخذ الكأس
من يد الخادِم ، وقبَّلها ، وصبَّ فيها ثلاثة أرطال وشربها قائماً ، وسقانا مثل ذلك ،
ووهب الخادِم مائتي دينار وغسل الكأس وردّها إلى موضعها ، وجعل يُفرِّق
علينا تلك الدنانير حتى بقيَ معه أقلُّها .

(١) في غ : متع .

(٢) في ت : عليكم .

أحمد المكي

(هو أحمد بن يحيى بن مرزوق المكي كُنِيْتُهُ أَبُو جَعْفَرٍ ، وَلَقَبَهُ طَنْبِينٌ ، وَجَمَعَ
أَبُوهُ كِتَابًا فِي الْغِنَاءِ .)

جَرَى ذِكْرُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى لِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِيَّ :
يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، لَوْ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى مَمْلُوكًا كَمَا كَانَ يُسَاوِي ؟ قَالَ : أَخْبِرْكَ
عَنْ ذَلِكَ . أَنْصَرَفْتُ لَيْلَةً مِنْ دَارِ الْوَأَثِقِ ، فَاجْتَرْتُ بَدَارَ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ
فَإِذَا أَحْمَدُ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا قَامُوا الصَّلَاةَ الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ قَالَ لِي الْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ : كَمْ يَسَاوِي
أَحْمَدُ لَوْ كَانَ مَمْلُوكًا ؟ قُلْتُ : يَسَاوِي عَشْرَةَ آلَافٍ ^(١) دِينَارًا ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَنَغَنَيْتُ صَوْتًا ، فَقَالَ
لِي الْحَسَنُ : كَمْ يُسَاوِي ؟ قُلْتُ : يَسَاوِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، ثُمَّ تَغَنَيْتُ صَوْتًا آخَرَ :
أَلَيْسَ عِنْدَكَ شُكْرٌ لِلَّتِي جَعَلْتَ مَا أَيْضًا مِنْ قَادِمَاتِ الرَّأْسِ كَالْحَمِيمِ
فَقُلْتُ لِلْحَسَنِ : يَا أَبَا عَلِيٍّ أَضْعَفُهَا ، ثُمَّ لَمَّا أَرَدْتُ الْأَنْصَرَافَ قُلْتُ لِأَحْمَدَ :

غَنِّ :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ السُّتْرَ مِنْ خُلُقِي إِذَا قَعَدْتُ إِلَيْكَ الدَّهْرَ لَمْ أَقُمْ
فَغِنَاءَهُ فَأَحْسَنَ فِيهِ كُلَّ الْإِحْسَانِ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، أَضْعَفُ الْجَمِيعِ ، فَقَالَ لَهُ
أَحْمَدُ : مَا هَذَا الَّذِي أَسْمَعُكَ تَقُولَانِهِ وَلَسْتُ أَدْرِي مَعْنَاهُ ؟ قَالَ : نَحْنُ نَبِيْعُكَ
وَنَشْتَرِيكَ مِنْذُ اللَّيْلَةِ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْمَكِّيُّ : نَظَرَ أَبِي بَعْضَ الْمَغْنَمِينَ يَوْمًا فِي دَارِ الْمُعْتَصِمِ
وَطَالَ تَلَاْحِيهِمَا فِي الْغِنَاءِ فَقَالَ أَبِي لِلْمُعْتَصِمِ : مِنْ شَاءَ مِنْهُمْ فَلْيَغَنَّ عَشْرَةَ أَصْوَاتٍ لَا

(١) فِي غ : عَشْرِينَ أَلْفَ .

أعرف منها ثلاثة وأنا أغنى ثلاثين^(١) صوتا لا يعرف أحد منهم منها صوتا فقال إسحاق: صدق يا أمير المؤمنين وصدقه علوية؛ فأمر له بعشرين ألف درهم. ثم عاد ذلك الرجل إلى مماحكته^(٢) يوما فقال له: قد دعوتك إلى المنصفة فلم تقبل، وأنا أبدأ بما دعوتك إليه، فابتدأ فغنى عشرة أصوات، فلم يعرف أحد منها صوتا واحدا، وكلها من الغناء القديم، فاستحسن المعتصم منها صوتا وأسكت المغنين له، واستعادته مرات عدة^(٣). ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه، وأمر ألا يرجعه أحد من المغنين كلاما ولا يعارضه.

(وكان الصوت الذي أطرب المعتصم وأعطاه عليه ألفي دينار:

— لَمَنَ اللهُ مَنْ يَلُومُ مُجِيبًا وَلَحَى اللهُ مَنْ يُحِبُّ فَيَأْتِي
— رَبِّ الْغَيْنِ أَضْمَرَ الْحَبَّ دَهْرًا فَعَفَا اللهُ عَنْهُمَا حِينَ ثَابَا

قال: وكان المعتصم قد خلع عليهم في ذلك اليوم مماطر^(٤) لها شأن من ألوان شتى، فسألني عبد الوهاب بن علي أن أردد عليه الصوت، وجعل ممطرة لي، فغنيته إياه، فلما خرجنا أمر غلامه فدفع الممطر إلي.

قال أحمد المسكي: قال المعتصم يوما ونحن جلوس عنده: خلعت اليوم على فتى، شريف نظيف، حسن الوجه، شجاع القلب، ووليته المصيصة ونواحيها، فقلت^(٥): من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: خالد بن يزيد بن مزيد، فقال علوية: يا أحمد، غن أمير المؤمنين صوتك في مدح خالد، فأمسكت عنه، فقال المعتصم: مالك

(١) في غ: أغنى عشرة وعشرة وعشرة.

(٢) المماحكة: المخاصمة ومثلها المماظة.

(٣) في ت: عديدة.

(٤) ماطر جمع ممطرة؛ وهي ما يلبس في المطر.

(٥) في غ: فقلنا.

لا تُجيبه ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين لیسَ هو مما يُغنیَ به بحضرة الخليفة ، فقال :
ما من أن تُغنیه بَدَّ ، فغنیته :

عَلَّمَ النَّاسَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدٍ كُلَّ حَلْمٍ ^(١) وَكُلَّ بَأْسٍ وَجُودٍ
فَتَرَى النَّاسَ هَيْبَةً حِينَ يَبْدُو مِنْ قِيَامِ وَرُكْعِ وَسُجُودِ

فقال المعتصم : ياأمامة ، خذ بأحمد يُلقَى هذا الصَّوتُ على الجوارى في غد
وأمر له بعشرة آلاف درهم .

قال محمدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَكِّي : غَنَى أَبِي يَوْمَا مُحَمَّدًا الْأَمِينَ :

فَعَشِ عُمَرَ نُوحَ فِي سُورٍ وَغَبَطَةَ وَفِي خَفْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِثْمٌ
تَسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَنْثَنِي إِلَيْكَ وَتَرَعَى فَضْلَكَ الْعُرْبُ وَالْمُجْمُ

فأمر له بمِئَةِ دِينَارٍ .

وتوفى أحمدُ المكي في خلافة المُستَعِينِ كما روى جَحْظَةَ ، وعمرُ أبوه يحيى المكي
مائة وعشرين سنة ، وأصاب بالغناء ما لم يُصِبْه أحدٌ من نظرائه ، ومات وهو
صَحِيحُ الْعَقْلِ وَالْبَصَرِ وَالسَّمْعِ .

أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ (١)

(هو أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن كلاب^(٢) وهو أخو أبي سعيد بن ربيعة العامري لأمه وكنيته أبو حداد .

قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَى بِنِي عَامِرِ بْنِ صَعْمَةَ ، فِيهِمْ عَامِرُ ابْنِ الطَّفِيلِ وَأَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ وَجَبَّارُ بْنُ خَالِدِ^(٣) بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، وَكَانَ هَوًّا لَأَهْلِ رُمُوسِ الْقَوْمِ وَشِيَاظِيهِمْ .

(وكان عامر بن الطفيل قد همَّ بالعدو برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له قومه : يا عامر ، إنَّ الناسَ قد أسلموا فأسلم ، فقال : والله لقد كنتُ آليتُ ألا أنتهي حتى يتبع العرب عقيبي فأتبع أنا عقب هذا الفتى من قريش ، ثم قال لأربد : إذا أقبلنا على الرجل فإني مُسَاعِلٌ عنك وجهه ، فإذا فعلتُ أنا ذلك فأعله أنت بالسيف ، فلما قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له عامر : يا مُحَمَّدَ ، خالني ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وُحْدَهُ ، قال : يا محمد خالني^(٤) ، وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يُحِيرُ شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خالني ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وُحْدَهُ لا شريك له . وقيل : لما أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَّده وسدم له وقال له : أسلم ،

(١) جاءت ترجمة أربد في الأغاني تحت عنوان : أخبار لييد في مرتبة أخيه .

(٢) في معجم الشعراء للمرزباني / ١٨ : اسم أربد : عمرو بن قيس بن جذيمة بن جزء بن خالد بن جعفر .

(٣) في غ : طبع بيروت : جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب .

(٤) خالني «بتخفيف اللام» : تفرد لي خالياً أتحدث معك ، وبتشديد اللام : اتخذني خليلاً مصاحباً .

فقال : عَلَى أَنْ لِي الْوَبْرَ وَلِكَ الْمَدْرَ (١) ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَامَ عَامِرٌ مُغْضَبًا ، فَلَمَّا أَبَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : أَمَا وَاللَّهِ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلًا مُحْرَمًا وَرَجُلًا مُسْمَرًا (٢) ، وَلَا أَرِيظَنَّ بِكَ نَخْلَةَ فَرَسًا ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا قَوْمَ ، إِذَا دَعَوْتُ فَاْمَنُوا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اهْدِ بَنِي عَامِرٍ ، وَاشغَلْ عَنِّي عَامِرَ بْنَ الطَّفَيْلِ بِمَا شِئْتَ وَكَيْفَ شِئْتَ ، فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ عَامِرٌ لِأَرْبَدٍ : وَيْلَكَ يَا أَرْبَدُ ، أَيْنَ مَا كُنْتَ أَوْصَيْتُكَ بِهِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ هُوَ أَخْوَفُ عِنْدِي عَلَى نَفْسِي مِنْكَ ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَا أَخَافُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا . قَالَ : لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ لَا أَبَاكَ ، وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا دَخَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ حَتَّى مَا أَرَى غَيْرَكَ ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ ؟ فَقَالَ عَامِرٌ :

بُعِثَ الرَّسُولُ بِمَا تَرَى (٣) فَكَانَمَا عَمْدًا أَشَدُّ عَلَى الْمُقَاتِبِ غَارًا
وَلَقَدْ وَرَدْنَا بِنَا الْمَدِينَةَ شُرَبًا وَلَقَدْ قَتَلْنَا بِجَوْهَا الْأَنْصَارَا

(وَخَرَجُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ حَتَّى إِذَا كَانُوا يَبْعُضُ الطَّرِيقِ بَعِثَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَامِرِ الطَّاعُونَ فِي عُنُقِهِ ، فَفَقَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى) وَإِنَّهُ لَنِي بَيْتِ أُمْرَأَةٍ مِنْ سَلُولٍ ، فَجَعَلَ يَشِيبُ وَيَفْزُو (٤) فِي السَّمَاءِ وَيَقْرُلُ : يَا مَوْتَ أَرْزُلِي ، وَيَقُولُ : يَا بَنِي عَامِرٍ ، غُدَّةَ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتَ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ ! بَأَى وَجْهِهِ أَفَاخِرَ الْعَرَبِ ، ثُمَّ مَاتَ . وَخَرَجَ أَصْحَابُهُ حِينَ وَارَوْهُ حَتَّى قَدِمُوا أَرْضَ بَنِي عَامِرٍ ، فَلَمَّا قَدِمُوا أَنَا هُمْ قَوْمُهُمْ فَقَالُوا : مَا وَرَاءَكَ يَا أَرْبَدُ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ دَعَانَا إِلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأَرْمِيهِ

(١) المراد بالوبر أهل البادية واندر أهل المدن .

(٢) في غ : خيلا جرذا ورجالا مرد .

(٣) في ت : أرى .

(٤) في ت : يشدد ويعرو « تحريف » .

بَنبَلِي هَذِهِ حَتَّى أَقْتُلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَقَالَتِهِ هَذِهِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ مَعَ جَمَلٍ يَبِيعُهُ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَلِهِ صَاعِقَةً فَأَخْرَقَتْهُمَا .

وقال ابنُ دَابٍ : أَصَابَ عَامِرَ بْنَ الطَّفَيْلِ دُبَيْلَةٌ ^(١) فَبَعَثَ لَيْبِيدَ بْنَ رَبِيعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَهْدَى لَهُ رَوَاحِلَ ، فَقَدِمَ بِهَا لَيْبِيدٌ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَسْتَشْفِيَهُ مِنْ وَجَعِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ قَبِلْتُ مِنْ مُشْرِكٍ لَقَبِلْتُ مِنْهُ ، وَتَنَاوَلُ مِنَ الْأَرْضِ مَدْرَةَ مَدْرَةَ فَتَقَلَّ عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَعْطَاهَا لَيْبِيدًا وَقَالَ : دُنْهَا لَهُ بِمَاءٍ ثُمَّ أَسْقِهِ إِيَّاهُ ^(٢) ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ^(٣) لَيْبِيدٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَكَتَبَ « الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ... » فَخَرَجَ بِهَا ، وَلَقِيَهُ أَخُوهُ أَرْبَدٌ عَلَى لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، فَأَنْزَلَهُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِهِ رَجُلٌ أَوْثَقُ عِنْدِي فِيهِ قَوْلًا مِنْكَ ، فَقَالَ : يَا أَخِي ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ ، وَجَمَلٌ يَذْكُرُ صِدْقَهُ وَبِرَّهُ وَحُسْنَ حَدِيثِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَعَكَ مِنْ قَوْلِهِ شَيْءٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَخْرَجَ لَهُ سُورَةَ الرَّحْمَنِ ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا قَالَ لَهُ أَرْبَدٌ : لَوَدِدْتُ أَنَّي أَلْقَى الرَّحْمَنَ بِتِلْكَ الْبُرْقَةِ ، فَإِنْ لَمْ أَضْرِبْهُ بِسَيْفِي فَعَلَى وَعَلَى . وَنَشَأَتْ سَحَابَةٌ وَقَدْ حَلِيًا بِعِيرَيْهِمَا ، فَخَرَجَ أَرْبَدٌ يَرِيدُ الْبَعِيرَيْنِ فَنَشِيتَهُ صَاعِقَةً فَات .

وَقَدِمَ لَيْبِيدٌ عَلَى عَامِرٍ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ فِيهَا أُسْتَشْفِيْتَهُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا كَانَ أضعفَ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ ؛ وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، قَالَ : أَيْنَ هِيَ ؟ قَالَ : هِيَ مَعِي ، قَالَ : هَاتِيهَا ، فَأَخْرَجَهَا لَهُ فَدَأَفَهَا وَشَرِبَهَا فَبُرَأَ .

وَلَمَّا أَصَابَ عَامِرًا مَا أَصَابَهُ ، بَعَثَ بَنُو عَامِرٍ لَيْبِيدًا ، وَقَالُوا لَهُ : أَقْدِمْ لَنَا

(١) الدبيلة : داءٌ في الجوفِ أو خراجٌ ودملٌ يظهر فيه .

(٢) في ت : لإياها .

(٣) في غ : عندهم .

على هذا الرَّجُلِ فَأَعْلَمَ لَنَا عِلْمَهُ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، وَأَصَابَهُ هُنَاكَ وَجَعٌ شَدِيدٌ مِنْ
مِحْمَى ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ بِفَضْلِ تِلْكَ الْحِمَى ، وَجَاءَهُمْ بِذِكْرِ الْبَعَثِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ .
وَلَمَّا مَاتَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، لَمْ يُرَ يَوْمَ كَانَ أَكْثَرَ بَاكِيًا وَبَاكِيَةً وَخَمْسَ وُجُوهِ
وَسَقَّ جُيُوبٌ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَلَمَّا مَاتَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، نَصَبَ بَنُو عَامِرٍ عَلَى قَبْرِهِ أَنْصَابًا مِثْلًا فِي مِثْلِ ،
حَتَّى لَا تَمْتَشِي فِيهِ مَاشِيَةٌ ، وَلَا يُرْعَى ، وَلَا يَسْلُكُهُ رَاكِبٌ وَلَا مَاشٍ ، وَكَانَ جَبَّارُ
ابْنِ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَمْفَرِ بْنِ كَلَّابِ غَائِبًا ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : مَا هَذِهِ
الْأَنْصَابُ ؟ قَالُوا : حِمَى لِقَبْرِ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ ، فَقَالَ : ضَيِّقْتُمْ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ .
إِنَّ أَبَا عَلِيٍّ بَانَ مِنَ النَّاسِ بِثَلَاثَ : كَانَ لَا يَعْطَشُ حَتَّى يَعْطَشَ الْجَمَلُ (١) ،
وَلَا يَضِلُّ حَتَّى يَضِلَّ النَّجْمُ ، وَلَا يَجْبُنُ حَتَّى يَجْبُنَ السَّيْلُ .

وَكَانَ قُدُومَ عَامِرٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ بَضْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً .
وَمِمَّا رَوَى بِهِ لَيْبِدُ أَخَاهُ أَرْبَدَ :

أَلَا ذَهَبَ الْمُحَافِظُ وَالْمُحَامِي	وَدَافِعُ ضَيْمِنَا يَوْمَ الْخِصَامِ
وَأَيْقَنْتُ التَّمَرُّقُ يَوْمَ قَالُوا	نُقَسِّمُ مَالَ أَرْبَدَ بِالسَّهَامِ
فَوَدَّعَ بِالسَّلَامِ أَبَا حُرَيْرِزٍ	وَقَلَّ وَدَاعُ أَرْبَدَ بِالسَّلَامِ

وَمِنْ ذَلِكَ :

مَا إِنْ تَعَدَّيَ الْمُنُونَ مِنْ أَحَدٍ	لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ
أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الْخُتُوفَ وَلَا	أَرْهَبَ نَوْءَ السَّمَكَ وَالْأَسَدَ
فَجَعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالِ	فَارِسِ يَوْمَ الْكُرَيْهَةِ النَّجْدِ
كُلِّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ	قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنَ الْعَدَدِ

(١) في غ : البعير .

يا عينُ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إِذِ قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَيْدِ
إِنْ يَشْغَبُوا لَا يُبَالِ شَغَبَهُمْ أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْخِصَامِ يَقْتَصِدِ

وَلَمَّا أُنْشِدَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلَ لَيْبِيدٍ فِي أُخِيهِ أَرْبَدَ :

لَعَمْرِي لَيْنٌ كَانَ الْخَبْرُ صَادِقًا لَقَدْ رُزِّتَ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ جَعْفَرُ
أَخِي لِي أَمَّا كُلُّ شَيْءٍ سَأَلْتُهُ فَيُعْطِي وَأَمَّا كُلُّ ذَنْبٍ فَيَعْفِرُ

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَرْبَدَ

ابن قيس .

ومن مختار مرثيه قوله :

طَرِبَ الْفؤَادُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَطْرَبِ وَعَنَاهُ ذَكَرِي خُلَّةٌ لَمْ تُصَقِّبِ (١)
فَتَمَرَّزَ عَنْ هَذَا وَقُلُّ فِي غَيْرِهِ وَاذْكَرْ شَمَائِلَ مِنْ أُخِيكَ الْمُنْجِبِ
يَا أَرْبَدَ الْخَيْرَ الْكَرِيمَ جُدُودُهُ (٢) أَفْرَدْتَنِي (٣) أَمْشِي بَقْرَنَ أَعْضَبِ
إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رِزِيَّةَ مِثْلَهَا فَقُدَانُ كُلِّ أَخٍ كِضْوَاءُ الْكَوْكَبِ
ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ الْجِلْدِ الْأَجْرَبِ
مِنْ كُلِّ كَهْمَلٍ كَالسَّنَانِ وَسَيْدٍ صَعْبِ الْمَقَادَةِ كَالْفَنِيْقِ الْمُصْعَبِ (٤)
فَبَرَى عِظَامِي بَعْدَ لِحْمِي فَقَدَّهُمْ وَالدهرُ إِنِ عَاتَبْتِ لَيْسَ بِمُعْتَبِ
مِنْ مَعْشَرِ سَنَّتِ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَالْعِزَّةُ قَدْ يَأْتِي بِنَعِيرِ تَطَلَّبِ
(ومن مرثيه في أربد أيضاً :

بَلِينَا وَمَا تَبَلَّى النُّجُومُ الطَّوَالِغُ وَتَبَقَّى الْجِبَالُ بِمَدْنَا وَالصَّائِغُ

(١) تصقب : تقرب .

(٢) في ت : الكريمة صدقه « تحريف » .

(٣) في ت . أ رأيتني .

(٤) الفنيق : الفحل من الإبل ، والمصعب الذي لم يركب .

وقد كنتُ في أكنافِ دارِ مَضَنَّةٍ (١)
 — فلا جَزَعُ إن فرَّقَ الدهرُ بيننا
 — وما المرءُ إلَّا كالشَّهابِ وضوئِه
 أليسَ ورأى إن ترأختَ مِنِّي
 أخبرَ أخبارَ القُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
 فأصبحتُ مثلَ السيفِ أخلقَ جفنه
 فلا تبعدنُ إنَّ المنيَّةَ موعِدُ
 أعاذلُ ما يُدريكُ إلَّا تظنِّيًا
 أتجزعُ بما أحدثَ الدهرُ للفتى

فَفَارَقَنِي جَارٌ بَارَبَدٌ نَافِعُ
 فَكُلُّ فَتَى يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعُ
 يَجُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ
 لُزُومُ العَصَا تُحَنِّي عَلِيمًا (٢) الأَصَابِعُ
 أَدَبٌ كَأَنِّي كَلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ
 تَقَادُمُ عَهْدِ القَيْنِ وَالنَّضْلُ قَاطِعُ
 عَلِينَا ، فَدَانَ لِلطُّلُوعِ وَطَالِعُ
 إِذَا رَحَلَ السَّفَارُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ
 وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ القَوَارِعُ

قال أبو الفرج مُصَنِّفُ الأَصْلِ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
 أَبُو السَّائِبِ سَالِمٌ (٣) [بن جنادة] (٤) حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ ، عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ
 عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّهَا كَانَتْ تُنْشِدُ بَيْتَ لَبِيدٍ :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

وتقول : رحم الله لبيداً ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟ وقال
 هشام : رحم الله أبي عروة ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟ وقال
 وكيع : رحم الله هشاماً ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ، وقال
 أبو السائب : رحم الله وكيعاً فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟ وقال

(١) في ت : مطية .

(٢) في ت : لزوم الغضا تحنى عليه . « تحريف » .

(٣) في ت : سلمة .

(٤) التكملة من غ .

مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا السَّائِبِ ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ ؟
وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ : وَنَحْنُ نَقُولُ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، فَالْقِصَّةُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ
تُوصَفَ .

قال محمد بن مكرم مُخْتَصِرٌ هَذَا الْمُخْتَصِرَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْفَرَجِ ، أَيْنَ هُوَ مِمَّا
نَحْنُ فِيهِ ! وَاعْتَقَدَ أَنَّ هَذَا الْخَبَرَ لَوْ أُسْتَمَرَّتْ رِوَايَتُهُ إِلَى يَوْمِ النَّشُورِ عَلَى أَلْسِنَةِ
آلَافٍ مِنَ الرُّوَاةِ ، لَتَرَحَّمَ كُلُّ آتٍ عَلَى كُلِّ مَاضٍ ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

(أَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَتِ)

لم يُعرف اسمه) واسم الأسلت عامر بن جُشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عُمارة ابن مُرّة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر الشاعر من شعراء الجاهلية .

(وكانت الأوس قد أسندت حرّ بها إليه ، وجعلته رئيساً عليها ، فكفى وساد .) وأسلم ابنه عُقبة بن أبي قيس ، واستشهد يوم القادسيّة . وكان يزيد بن مرداس السلمى أخو عمّاس^(١) ، قتل قيس بن أبي قيس في بعض حروبهم ، فطلبه بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد بن مرداس فقتله بقيس بن أبي قيس ، وهو ابن عمّه .

ولقيس يقول أبوه : أَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَتِ :

أَقَيْسٌ إِنْ هَلَكْتُ وَأَنْتَ حَيٌّ فَلَا يَعْدَمُ فَوَاضِلَكَ^(٢) الْفَقِيرُ

وكانت الأوس يوم بُعَاث قد أسندت أمرها إلى أبي قيس بن الأسلت ، فقام في حربهم وآثرها على كل أمر ، حتى شحب وتغيّر ، ولبت أشهراً لا يقرب امرأته ؛ ثم إنه جاء ليلة فدقّ على امرأته : كبشة بنت ضمرّة بن مالك بن عمرو ، ففتحت له فأهوى إليها بيده ، فدفعته وأنكرته ، فقال لها : أنا أبو قيس ، فقالت : والله ما عرفتُك حتى تكلمت فقال أبو قيس :

قَالَ وَلَمْ تَقْصِدِ لِقِيْلَ الْخَفَا مَهْلًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي

(١) في ت : العباس .

(٢) في غ : فلا تعدم مواصلة .

استنكرت لونا له شاجبا والحرب غول ذات أوجاع
 قد حصت البيضة رأسى فما أطعمم نوما غير تهجاع
 أسعى على جل بني مالك كل امرى فى شأنه ساعى
 من يدق الحرب يجد طعمها مرّا وتركه بجمعجاع
 لا نالم القتل ونجزى به ال أعداء كيل الصاع بالصاع

قال الهيثم بن عدي : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ صَالِحِ بْنِ حَسَانَ ، فَقَالَ لَنَا : أَنْشِدُونِي

بَيْتًا خَفِرًا فِي أَمْرَةِ خَفِرَةَ شَرِيفَةَ ، فَقُلْنَا : قَوْلَ حَاتِمٍ :

يُضِيءُ لَهَا الْبَيْتُ الظَّلِيلُ خِصَاصَهُ إِذَا هِيَ يَوْمًا حَاوَلَتْ أَنْ تَكَلِّمَنَا (١)

فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسن من هذا ، قلنا : قول الأعشى :

كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَارِيثٍ وَلَا عَجَلٍ

فقال : هذه خراجة ولاجة ، كثيرة الاختلاف ، قلنا : بيت ذى الرمة :

تَنَوُّهُ بِأَخْرَاهَا (٢) فَلَايَا قِيَامِهَا وَتَمَشِيِ الْهُوَيْنَا مِنْ قَرِيبٍ فَتُبْهَرُ

فقال : ليس هذا ما أردت ، إنما وصف هذه بالسمن وثقل البدن ، قلنا : ما عندنا

شيء . فقال : قول أبي قيس بن الأسلت :

— وَيُكْرِمُهَا (٣) جَارَاتُهَا فَيَزُرُّنَهَا

— وَلَيْسَ بِهَا أَنْ تَسْتَهِينِ بِجَارَةِ

وَتَمْتَلِ (٤) عَنْ إِيْتِيَانِهِنَّ فَتُعْذَرُ

وَلَكِنَّهَا مِنْهُنَّ أَحْيَا وَأَخْفَرُ (٥)

(١) فى غ : تيسما .

(٢) فى ت : بأولاها .

(٣) فى ت : ويكرمنها .

(٤) فى ت : وتقدم .

(٥) فى غ : تحيا وتخفر .

ثم قال : أَنشِدُونِي أَحْسَنَ بَيْتٍ وُصِفَ بِهِ الثَّرِيَاءُ ، قُلْنَا : بَيْتَ ابْنِ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيِّ :
وَقَدْ لَاحَ فِي الْعَرَبِ (١) الثَّرِيَاءُ كَأَنَّمَا بِهِ رَايَةَ بِيضَاءِ تَخْفُقُ لِلطَّعْنِ

قال : أريد أحسنَ من هذا ، قلنا : بَيْتَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

إِذَا مَا الثَّرِيَاءُ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفْصَلِ

قال : أريد أحسنَ من هذا . قلنا : بَيْتَ ابْنِ الطَّطْرِيةِ :

إِذَا مَا الثَّرِيَاءُ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا (٢) جُمَانَ وَهِيَ مِنْ سِلْكِهِ فَنَسَرَاعًا

قال : أريد أحسنَ من هذا ، قلنا : مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ . قال : قول أبي قَيْسِ

ابنِ الْأَسَلْتِ :

— وَقَدْ لَاحَ فِي الصَّبْحِ الثَّرِيَاءُ لِمَنْ رَأَى كَعُنُقُودِ مُلَاحِيَةٍ حِينَ نَوَّرَا

فَحَكَمَ لَهُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَيْنِ الْعَنِينِ بِالتَّقَدُّمِ .

لَمَّا قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مَصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ ، خَطَبَ النَّاسَ بِالنُّخَيْلَةِ ،

فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، دَعُوا الْأَهْوَاءَ الْمُضِلَّةَ ، وَالْآرَاءَ الْمُشْتَتَةَ (٣) ، وَلَا

تُكَلِّفُونَا أَعْمَالَ الْمُهَاجِرِينَ وَأَنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ بِهَا ، فَقَدْ جَارَ يَتْمُونَا إِلَى السَّيْفِ ، فَرَأَيْتُمْ

كَيْفَ صَنَعَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَا أَعْرِفُكُمْ (٤) بَعْدَ الْمَوْعِظَةِ تَزْدَادُونَ جَرَاءَةً فَإِنِّي لَا أَزْدَادُ

بَعْدَهَا إِلَّا عُقُوبَةً ، وَمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسَلْتِ :

مَنْ يَصِلَ نَارِي بِلَا ذَنْبٍ وَلَا تِرَةٍ يَصِلَ بِنَارِ كَرِيمٍ غَيْرِ عَوَّارٍ (٥)

أَنَا النَّذِيرُ لَكُمْ مِثِّي مُجَاهِرَةٌ كَيْلَا أَلَامَ عَلَى نَهْيِ وَإِعْذَارِ

(١) في غ : القور .

(٢) في ت : تعرضت .

(٣) في غ : المشتتة .

(٤) في غ : أعرفكم .

(٥) في غ : غدار .

فإن عصيتم مقالي اليوم فاعترفوا
لتركن^(١) أحاديثاً وملمبة
[من كان في نفسه حوجاً يطلبها
وصاحب الوتر ليس الدهر مدرّكه^(٢)
أقيم عوجته^(٤) إن كان ذا عوج
أن سوف تلقون خزياً ظاهر العار
عند المقيم وعند المدّيج السارى
عندى فأنى له رهنٌ يا صحرار^(٣)
عندى وإنى لطلاب لأوتار
كما يقوم عود^(٥) النّبة البارى

-
- (١) في ت : لتركن « تحريف » .
(٢) لم يرد هذا البيت في ح .
(٣) في ت : يتركه . « تحريف » .
(٤) في ت : نجوته « تحريف » .
(٥) في غ : قدح .

أبو عطاء السندی

(أبو عطاء كُنِيَّتُهُ ، وهو أَفْلَحُ بن يَسَارَ . مَوْلَى بِنِي أُسَدٍ) ثم مَوْلَى عَنَبَرِ بن سِمَاكٍ^(١) بن حُصَيْنِ الأَسَدِيِّ ، مَشْهُوٌّ بالكوفة مخضرم مدح بنى أمية وبني هاشم . وكان أبوه يسار سِنْدِيًّا أعجميا لا يُفْصَحُ .

(وكان في لسان أبي عطاء عجمة^(٢) شديدة وثغمة فلا يكاد يفصح).

وكان له غلام فصيح سمّاه عطاءً وَتَكَنَّى به ، فكان يُرَوِّيه شعره ، فإذا مدح من يَجْتَدِيهِ أمره بإنشاد ما قاله فيه . وكان يقول له : قد جَمَلْتُكَ أبنِي وَكُنَيْتُكَ بِكُنَيْتِي .

قيل : إنه كاتب مَوَالِيه ، وكان قد كُتِرَ ماله بمدد أن أُعْتِقَ ، فَأَعْتَقَتْهُ^(٣) مواليه ، وطمموا فيه وأدعوا رِقَّةً ، فشكّا ذلك إلى إخوانه ، فقالوا له : كَاتِبْتَهُمْ^(٤) ، فكاتبهم^(٥) على أربعة آلاف درهم ، وسعى له أهل الأدب فيها ، فتركهم وأتى الحرَّ بن عبد الله القرشي حَلِيفَ قريش . فقال فيه :

أَتَيْتُكَ لا من قُرْبِيَةٍ هِيَ بَيْنَنَا ولا نِعْمَةٍ قَدَّمْتُهَا أَسْتَيْبُهَا
ولكن مع الراجين^(٦) إذ كنت موردا إليه بُعَاةُ الرَّيِّ^(٧) تَهْفُو قلوبها

(١) في ت : عنبر بن شمال . وفي ا : عنبر بن سماك ، والتصويب من شعره .

(٢) في غ : لسكنة .

(٣) كذا في غ و ا . وفي ت : فأعتقه « تحريف » .

(٤) كاتب العبد : كتب على نفسه بيمينه ، فإذا أداه صار حرا .

(٥) كذا في ا وت . وفي غ : فكاتبوه .

(٦) في غ : أن .

(٧) كذا في ا وت . وفي غ : الدين .

أَغْنِي بِسَجَلٍ مِنْ سَمَاكٍ (١) يَفْكُنِي (٢)
 وَقَاكَ الرَّدَى مُرْدُ الْكِرَامِ (٣) وَشِيْبَهَا
 تَسْمَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ حُرًّا كَوْصِفِهِ
 وَتَلِكُ الْعَلَا يُعْنِي بِهَا مَنْ يُصِيْبَهَا (٤)
 فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، فَأَدَّاهَا فِي مَكَاتِبَتِهِ فَأَعْتَقَ .

ومن شعره :

— إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه
 — وصار على الأذنين كلاً وأوشكت
 — فسِرَ في بلاد الله وأتمس الغني
 — ولا ترض من عيشٍ بدون ولا تنم
 شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر
 حبال ذوى القربى به أن تنكراً
 تعش ذا يسار أو تموت فتعدراً
 وكيف ينام الليل من كان مُعسراً

وَأَتَى أَبُو عَطَاءٍ سُلَيْمَانَ (٥) بْنِ سُلَيْمٍ الْكَلَابِيَّ فَقَالَ :

أَعَوَزْتَنِي الرَّوَاةُ يَا بْنَ سُلَيْمٍ
 وَغَلَى بِالَّذِي أُجْجِمُ صَدْرِي
 وَازْدَرَّتْني الْعِيُونَ إِذْ كَانَ لَوْنِي
 فَضْرَبْتُ الْأُمُورَ ظَهْرًا لِبَطْنِ
 وَتَمَنَيْتُ أَنَّني كُنْتُ بِالشَّعْرِ
 ثُمَّ أَصْبَحْتُ قَدْ أَنْخْتُ رِكَابِي
 فَأَكْفِينِي مَا يَضِيقُ عَنْهُ رُوَاتِي
 وَأَبِي أَنْ يُقِيمَ شِعْرِي لِسَانِي
 وَجَفَانِي لِعُجْمَتِي سُلْطَانِي
 حَالِكَا مُجْتَوَى مِنَ الْأَلْوَانِ
 كَيْفَ أَحْتَالُ حَيْلَةً لَبِيَانِي (٦)
 رَ فُصِيحًا وَبَانَ بَعْضُ بِنَانِي
 عِنْدَ رَحْبِ الْفِنَاءِ وَالْأَعْطَانِ
 بِفَصِيحٍ مِنْ صَالِحِي الْغِلْمَانِ

(١) في غ : نذاك . والسجل : الدلو العظيمة ، فيها ماء قل أو كثير .

(٢) في غ : يكفني .

(٣) في غ : الرجال .

(٤) في اوت : يعيها .

(٥) في ت : سليم . « تحريف » .

(٦) كذا في اوت . وفي غ : للساني .

يُفهِمُ النَّاسَ مَا أَقُولُ مِنَ الشُّعْرِ . ر فإِنَّ الْبَيَانَ قَدْ أَعْيَانِي
فَاعْتَمِدْنِي بِالشُّكْرِ يَا ابْنَ سُلَيْمٍ فِي بِلَادِي وَسَائِرِ الْبُلْدَانِ
سُتُوا فِيهِمْ قِصَائِدُ غُرِّ فَيْكَ سَبَاقَةٌ بِكُلِّ لِسَانٍ
فَقَدِيمًا جَمَلْتُ شُكْرِي جَزَاءَ كُلِّ ذِي نِعْمَةٍ بِمَا أَوْلَانِي
لَمْ تَزَلْ تَشْتَرِي الْمَدَائِحَ (١) قَدَمًا بِالرَّبِيحِ الْغَالِي مِنَ الْأَثْمَانِ
فَأَمْرٌ لَهُ بَوَصِيفٍ ، فَمَا عَطَاءٌ وَرَوَاهُ شِعْرَهُ وَكَانَ يُنْشِدُ عَنْهُ قِصَائِدَهُ .

(وكان أبو عطاء من مداحي بني أمية) والمنصبي الهوى إليهم (ولم تكن له
نباهة في دولة بني العباس ، فهجأهم ، ومات في آخر أيام المنصور . وكان من أحسن
الناس بديهة وأشدّهم تقدّمًا وهو من فحول طبقتة والمعدودين من أهل عصره).
وشهد حرب بني أمية وبني العباس فأبلى ، وقُتِلَ غلامه عطاء مع ابن هبيرة
وانهزم هو .

ولما قاتل المسوّدَةَ كان بين يديه رجلٌ من بني مُرّة يُكنى أبا يزيد ، فعقر
فرسُ المُرّي ، فقال لأبي عطاء : أعطني فرسك لأقاتل عنّي وعنك فقد أيقننا بالهلاك ،
فأعطاه فرسه ، فركبه المُرّي ومضى على وجهه ناجيا . فقال أبو عطاء من أبيات :
لَعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبَا يَزِيدَ (٢)
رَأَيْتُ مُخِيلَةَ (٣) فَطَمَعْتُ فِيهَا
وَمَا أَعْنَتَهُ سَيِّدَهُ عَنبر (٤) واشترى منه نفسه قال يهجوهُ :

إِذَا مَا كُنْتَ مَتَّخِذًا خَلِيلًا فَلَا تَنْتَهِنَ بِكُلِّ أَخِي إِخَاءَ

(١) في غ : المحامد .

(٢) في ا و ت : لعمرى . . وأبو زياد ! .

(٣) المخيلة : السحابة تحسبها مطرة .

(٤) في ا و ت : عنتر .

فإن خُيرتَ بينهم فألصقَ بأهل العَمَلِ منهم والحَيَاءِ
فإن العَقْلَ لَيْسَ له إِذَا مَا تَدُوَّكَرْتَ الفَضَائِلَ من كِفَاءِ
وإنَّ النُّوكَ لِلأَحْسَابِ ^(١) غُولُ به تَأْوِي إلى دَاءِ عَمِيَاءِ
فلا تَقْنَنَّ من النُّوكِ بشيءٍ ولو كانوا بَنِي مَاءِ السماءِ
كعَنْبَرِ الوَيْقِ بِنَاءِ بَيْتٍ ولكن عَقْلُهُ مِثْلُ الهَبَاءِ
وليس بَقَابِلٍ أَدْبَابًا فدَعَهُ وكنُ مِنْهُ بِمُنْقَطَعِ الرَّجَاءِ

قال المدائني : كان بين يحيى بن زياد الحارثي وبين حماد الراوية ومعلّى بن هبيرة ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من النفاسة ، وكان معلّى بن هبيرة يحب أن يطرح حمادا في لسان شاعر بهجوه .

قال حماد : فقال لي يوما بحضرة يحيى بن زياد : أتقول لأبي عطاء السندي أن يقول في : زجّ وجراده ومسجد بني سيّطان ؟ قال : فقلت له : فما تجعل لي على ذلك ؟ قال : بغلتي بسرّجها ولجامها ، قلت : فعدّلها على يدى يحيى بن زياد ، ففعل وأخذت عليه بالوفاء موقفاً . وجاء أبو عطاء السندي فجلس إلينا فقال : مرهبا مرهبا هيا كم الله ، فرحبت به وعرضت عليه العشاء فقال : لا هاجّة لي به ، فهل عندكم من نبيذ ؟ فأتيناه به فشرب حتى احمرت عيناه . فقلت له : يا أبا عطاء إن إنسانا طرح علينا أبياتا فيها لغز ، ولست أقدر على إجابته البتّة ، ومنذ أمس إلى الآن ما يستوى لي منها شيء ففرّج عني . فقال : هات ، فقلت :

أَبْنُ لِي إِنْ سُمِّتَ أَبَا عَطَاءِ يَقِينَا كَيْفَ عِلْمُكَ بِالْمَعَانِي
فقال :

خَيْرُ عَالِمٍ فَاسْأَلْ تَجِدُنِي بِهَا طَبًّا وَآيَاتِ المَثَانِي

فقلت :

فما أَسْمَ حَدِيدَةٍ فِي رَأْسِ رُمْحٍ دُوَيْنَ الكَعْبِ لَيْسَتْ بِالسِّنَانِ

فقال :

هو الزُّزُّ الذي إن بَاتَ ضَيْفًا لصدْرِكَ لم تَزَلْ لك عَوَلْتَانِ يريد الزُّجَّ . فقلت : فرج الله عَنْكَ .

فما صفراءُ تُدْعَى أُمَّ عَوْفٍ كَأَنَّ رُجَيْلَتَيْهَا مِنْجَلَانِ

فقال :

أردتَ زرادَةَ وَأَزُنُّ زَنًّا بِأَنَّكَ ما أردتَ سِوَى لِسَانِي يريد جرادَةَ وَأَطْنُ ظَنًّا . فقلت : فرجَ اللهُ عَنْكَ ، وأطال بقاءَكَ :

أُتَعْرِفُ مَسْجِدًا لِبَنِي تَمِيمٍ فُوَيْقَ المَيْلِ دُونَ بَنِي أَبَانَ

فقال :

بنو سَيْطَانَ دُونَ بَنِي أَبَانَ كَقُرْبِ أَيْبِكَ مِنْ عَبْدِ المَدَانِ

قال حماد : ورأيت عَيْنَيْهِ قد أُحْمِرَتَا ، وعرفت الغضبَ فِي وَجْهِهِ ، وتخوفتُهُ ،

فقلت : يا أبا عطاءَ هذا مقامُ المُسْتَجِيرِ بِكَ ، ولكِ النصفُ مما أخذتُهُ . قال :

فأصدُقْنِي ، فأخبرتُهُ فقال : أوْلَى لكِ قد سَلِمْتَ وسَلِمَ لكِ جُعْلُكَ ، خذْهُ لا بورِكَ (١)

لكِ فِيهِ ، فأخذتُهُ وانقلبَ يَهْجُو مَعْلَى بنِ هُبَيْرَةَ .

كان أبو عطاءَ قد مدحَ أبا جعفرٍ فلم يُثْبِتْهُ ، وأظْهَرَ الانحرافَ عَنْهُ لِعلمِهِ بِمدْحِهِ

فِي بنِي أُمَيَّةَ ، فعَاوَدَهُ المَدِيحَ ، فقال له : يا ماصَّ كذا من أمه ، ألسْتَ القَائِلُ

فِي عَدُوِّ اللهِ : نَصْرُ بنِ سَيَّارِ :

— فاضتْ دُمُوعِي على نَصْرٍ وما ظَلَمْتَ عَيْنُ تَقْيِضٍ على نَصْرِ بنِ سَيَّارِ

(١) كذا في اوت . وفي غ : بورك بدون لا .

سبياً نَصْرُ مَنْ لِلْقَاءِ^(١) الْحَرْبُ إِنْ لَقِيتَ
 الْخَنْدِفِيَّ^(٢) الَّذِي يَحْمِي حَقِيقَتَهُ
 وَالْقَائِدُ الْخَيْلِ قُبًّا^(٣) فِي أَعْنَتِهَا
 مِنْ كُلِّ أَيْضٍ كَالْمِصْبَاحِ مِنْ مُضْرٍ
 مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ مِقْدَامٍ إِذَا اعْتَرَضَتْ
 إِنْ قَالَ قَوْلًا وَفِي الْقَوْلِ مَوْعِدُهُ
 وَاللَّهُ لَا أُعْطِيكَ بَعْدَ هَذَا شَيْئًا أَبَدًا ، نَجْرَجُ مِنْ عِنْدِهِ وَهَجَاهُ بَعْدَهُ قِصَائِدُهَا مِنْهَا :
 فَلَيْتَ جَوْرَ بَنِي مَرْوَانَ عَادَ لَنَا وَلَيْتَ عَدْلَ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي النَّارِ
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ :

أَلَيْسَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي
 وَمَا بِي أَنْ يَكُونُوا أَهْلَ عَدْلٍ
 يُحِبُّ بَنِي أُمَيَّةٍ مَا اسْتَطَاعَا
 وَلَكِنِّي رَأَيْتُ الْأَمْرَ ضَاعَا
 كَانَ أَبُو عَطَاءٍ مَعَ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، وَهُوَ يَبْنِي مَدِينَتَهُ الَّتِي عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ،
 فَأَعْطَى نَاسًا كَثِيرًا صِلَاتٍ ، وَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا ، فَقَالَ :
 قِصَائِدُ حُكْمَتُهُنَّ^(٤) لِعُدْمِ قَيْسٍ رَجَعْنَ إِلَى صِفْرًا خَائِبَاتٍ^(٥)
 رَجَعْنَ وَمَا أَفَاءَ^(٦) عَلَيَّ شَيْئًا سَوَى أَنِي وَعُدْتُ التَّرَهَاتِ
 أَقَامَ عَلَى الْفُرَاتِ يَزِيدُ شَهْرًا^(٧) فَقَالَ النَّاسُ أَيُّهُمَا الْفُرَاتِي

(١) كَذَا فِي أَوْغ . وَفِي ت : يَلْتَقِي .

(٢) خَنْدِف : اسْمُ قَبِيلَةٍ . وَالْخَنْدِفِيُّ : الْمُنْسُوبُ إِلَيْهَا .

(٣) الْقَب : الضَّامِرَةُ الْبَطْنُ ، الدَّقِيقَةُ الْحَصْرُ .

(٤) فِي ت : حَلِيمُهُنَّ لِقَوْمٍ . . . وَفِي أ : حَكْمَتُهُنَّ لِقَوْمٍ . . .

(٥) فِي غ : خَائِلَاتٍ .

(٦) فِي أ وَت : أَفْدَنُ .

(٧) فِي غ : حَوْلًا .

فيا عجباً لبحرٍ باتَ يَسْتَعِي جميعَ الخلقِ لم يبُلِّ لهاقي
فقال له يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ : وكم يبُلُّ لهاك ؟ فقال : عشرة آلاف درهم ،
فأمر ابنه فدفعها إليه ، فقال يمدح ابنه :

أَمَّا أَبُوكَ فَعَيْنُ الْجُودِ نَعْرُفُهُ وَأَنْتَ أَشْبَهُ خَلْقَ اللَّهِ بِالْجُودِ

لَوْلَا يَزِيدٌ وَلَوْلَا قَبْلَهُ عُمَرُ أَلَقْتَ إِلَيْكَ مَعَدُّهُ بِالْقَالِ لَيْدِ

مَا يَثْبُتُ الْعُودُ إِلَّا فِي أُرُومَتِهِ وَلَا يَكُونُ الْجَنَى إِلَّا مِنَ الْعُودِ

كان أبو دُلَامَةَ قد باع بَعْلَتَهُ وهجاءاً بقصيدته المشهورة . وكان سَبَبُ بيعها
أن أبا عطاء هجاءها ، فخاف أبو دُلَامَةَ أن تشتهر بذلك ، فباعها .

وكان الذي هجاءها به :

أُبْغَلَ أَبِي دُلَامَةَ مَتَّ هَزَلًا عَلَيْهِ بِالشَّحِيحِ (١) تَعَوَّلِينَا

دَوَابُّ النَّاسِ تَقْضِمُ فِي الْخَالِي (٢) وَأَنْتَ مُهَانَةٌ لَا تَقْضِمِينَا

سَلِيهِ الْبَيْعَ وَأُسْتَعْدِي عَلَيْهِ فَإِنَّكَ إِنْ تَبَاعَى تَسْمِنِينَا

أُتِيَ قَالَ حَمَّادُ الرَّاوِيَةَ : أَنْشَدْتُ أَبَا عَطَاءَ السَّنْدِيَّ يَوْمَ هَذَا الْبَيْتِ :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسَلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ

فقال أبو عطاء : بئس ما قال ، قلت : فكيف تقول أنت ! قال : أقول :

إِذَا أُرْسِلْتَ فِي أَمْرٍ رَسُولًا فَأَفْهِمَهُ وَأَرْسِلْهُ أَدِيًّا

فَإِنْ ضَمِعَتْ ذَاكَ فَلَا تَلْمُهُ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ عِلْمَ الْغِيُوبَا

كان أبو عطاء مُنْقَطِعًا فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، وَخِبَاؤُهُ مَطْرُوحٌ ، فَمَرَّ بِهِ نَهْيِكُ بْنُ
مَعْبَدِ الْمُطَارِدِيِّ ، فَقَالَ : لِمَنِ هَذَا الْخِبَاءُ الْمَلْتَقَى ؟ فَقِيلَ لَهُ : لِأَبِي عَطَاءِ السَّنْدِيِّ ؟

(١) كذا في اوت . وفي غ : بالسحاء .

(٢) في ت : بالخالي .

فبعث غلمانَه فضرَبوا له خِيَاءً ، وبعث إليه بألطف كَثِيرَةٍ ، فقال : مَنْ صَنَعَ هَذَا ؟
فقالوا : نَهَيْكَ بنُ مَعْبَدِ العَطَّارِ دِيّ ، فنادى بأعلى صَوْتِهِ :

إذا كنتَ مرتادَ الرَّجَالِ لِنَفْعِهِمْ فنادِ بصَوْتِ يَا نَهَيْكَ بنُ مَعْبَدِ
فبعث إليه بَدَنَانِيرٍ ، وقال : يَا أَبَا عَطَاءَ ، إِنَّمَا أُعْطِينَاكَ عَلَى قَدَرٍ مَا أُعْطِينَنَا ،
وَإِنْ زِدْتَنَا زِدْنَاكَ .

قال النَّوْفَلِيُّ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ سَلِيمَانَ بنِ مَجَالِدٍ (١) ، وَعِنْدَهُ أَبُو عَطَاءَ السَّنْدِيُّ
وَرَاوِيَتُهُ يُنْشِدُ سَلِيمَانَ مَدِيحًا لِأَبِي عَطَاءَ فِيهِ ، وَأَبُو عَطَاءَ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ ، إِذْ قَالَ
الرَّأْوِيَةُ فِي إِشَادِهِ :

فَا فَضَلْتَ بِيَمِينِكَ مِنْ يَمِينِ وَلَا فَضَلْتَ شِمَالِكَ مِنْ شِمَالِ
هَكَذَا بِالرَّفْعِ فَغَضِبَ أَبُو عَطَاءَ وَقَالَ : فَا مَدَهْتَهُ (٢) إِذْنًا هَزَوْتَهُ ، يُرِيدُ إِنَّمَا
هَجَوْتَهُ . ثُمَّ أَنْشَدَ أَبُو عَطَاءَ :

فَمَا فَدَلْتَ (٣) بِيَمِينِكَ عَنِ يَمِينِ وَلَا فَدَلْتَ (٣) شِمَالِكَ عَنِ شِمَالِ
يُرِيدُ : فَمَا فَضَلْتَ وَلَا فَضَلْتَ ، فَكَدْتَ أَضْحَكَ وَلَمْ أَجْسُرْ ؛ لِأَنَّ رَأْيَ الْقَوْمِ جَمِيعًا
بِهِمْ مِثْلَ الَّذِي بِي وَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الضَّحْكِ خَوْفًا مِنْهُ .

وَفَدَّ أَبُو عَطَاءَ عَلَى نَصْرِ بنِ سَيَّارٍ ، فَأَنْشَدَهُ :

قَالَتْ تَرْيِكَةُ (٤) بَيْتِي وَهِيَ عَاتِبَةٌ
إِنِّي دَعَانِي إِلَيْكَ الخَيْرُ مِنْ بَلَدِي
وَالخَيْرُ عِنْدَ ذَوِي الأَحْسَابِ مَطْلُوبُ
فَأَمْرُ لَهُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

(١) فِي أَوْت : مَخْلَدٌ .

(٢) كَذَا فِي غ . وَفِي ت وَ أ : مَدَحْتَهُ .

(٣) فِي غ : فَزَلْتُ .

(٤) فِي ت : رَمِيلَةٌ .

دخَلَ عَلِيَّ أَبِي الْعَطَاءِ ضَيْفًا ، فَأَتَاهُ بِطَعَامٍ فَطَعِمَ ، وَبِشَرَابٍ فَشَرِبَ ، وَجَلَسَا
يَتَنَادِمَانِ ، فَنظَرَ أَبُو عَطَاءٍ إِلَى الرَّجُلِ يُبْلِحُ حَظَّ جَارِيَتِهِ ، فَأَنشَأَ أَبُو عَطَاءٍ يَقُولُ :

كُلُّ هَنِيئًا وَمَا شَرِبْتَ مَرِيئًا ثُمَّ قُمُّ صَاغِرًا ففَيْرِ كَرِيمٍ ^(١)
لَا أُحِبُّ النَّدِيمَ يَوْمِضُ بِالطَّرِّ فِي إِذَا مَا خَلَّ لِعِرْسٍ ^(٢) النَّدِيمِ

(١) كَذَا فِي أَوْت . وَفِي غ : وَأَنْتَ ذَمِيمٌ .

(٢) فِي غ : بَعْرَسٌ .

(الأضبط بن قريع)

كان الأضبط بن قريع مُفْرَكًا ، وكان إذا لقي في الحرب تقدّم أمام الصف ،
ثم قال :

أنا الفتى تفرّكته^(١) حلائله ألا فتى معشوق أنازله

قال: فاجتمع نساؤه ذات ليلة يتسامرن ، فتماقذن على أن يصدقن الخبر عن
فرك الأضبط ، فأجمعن أن ذلك لأنه بارد الكمرة ، فقالت لإحداهن خالتهما :
أفتعجز إحداكن إذا كانت ليلته منها أن تسخن كمرته بشيء من دهنٍ ؟ فلما سمع
قولها صاح : يا آل عوف ، فثار الناس وظنوا أنه قد أتى فقالوا له : ما حالك ؟
قال : أوصيكم بأن تسخنوا الكمرة بالدهن ؛ فإنه لا خطوة لبارد الكمرة .
فانصرفوا يضحكون وقالوا : تبأ لك ، الهذا دعوتنا .

وكانت أمه عجيبة^(٢) بنت دارم بن مالك بن حنظلة ؛ وخالته الطموح بنت

دارم أم^(٣) جشم وعبد شمس ابني كعب بن سعد . وهو القائل :

لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الْهُمُومِ سَعَةٌ	وَالصَّبْحِ وَالْمُسَى لَا بَقَاءَ ^(٤) مَعَهُ
لَا تَحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ عِلَّكَ أَنْ	تَرَكَعَ يَوْمًا وَالدهرُ قَدْ رَفَعَهُ
وَصِلْ حِبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ	لِ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ	وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ
فَأَقْبِلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ	مَنْ قَرَّ عَيْنًا بَعِيثِهِ نَفَعَهُ

(١) تفرّكته حلائله : تبغضه زوجته

(٢) كذا في اوت . وفي غ : عجيبة .

(٣) في غ : بن .

(٤) في غ : فلاح .

أَشْجَعُ السَّلْمِيِّ

(هو أشجعُ بنُ عمرو السَّلْمِيُّ ، وكُنْيَتُهُ أبو الوَلِيدِ ، من ولد الشَّرِيدِ بنِ مَطْرُودِ السَّلْمِيِّ ، تزوج أبوه امرأةً من اليمامة ، فشخص معها إلى بلدها ، فولدت له هناك أشجع ، ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه ، فقَدِمَت أمُّه به البصرة تطلب ميراث أبيه ؛ وكان له هناك مال فأتت أمه بها ، ورُبِّيَ (١) أشجع بالبصرة ، ونشأ بها وكان من لا يعرفه يدفع نسبه ، ثم كبر وقال الشعر فأجَادَ وعُدَّ في الفُحُولِ ، وكان الشعر يُوجَدُ في ربيعة واليمن ؛ ولم يكن لقيس شاعر (٢) مَعْدُودَ ، فلما نَجِمَ أَشْجَعُ وقال الشعر أَفْتَحَرَّتْ به قيس وأثبتت نسبه)

وكان له أخوان : أحمد وحرث أبنا عمرو ، وكان أحمد شاعرا ولم يكن لحرث

شعر .

(ثم خرج أَشْجَعُ إلى الرِّقَّةِ والرَّشِيدِ بها ، فنزل على بني سُلَيْمٍ (٣) ، فقبَلوه وأكرموه ، ومدح البرامكة ، وانقطع إليهم وإلى جعفر خاصة ، وأصفاء مدحه ، فأوصله إلى الرَّشِيدِ فدحه فأعجب به ، وأثري وحسنت حاله في أيامه ، وتقدّم عنده) قال أَشْجَعُ : خرجتُ من البصرة إلى الرِّقَّةِ . فوجدتُ الرَّشِيدَ غازیا [ونالني خلة] (٤) فخرجت حتى لقيته مُنْصَرِفًا من غزوه ، وكنت قد اتصّلت ببعض أهل داره ، فصاح صائح يباهه : مَنْ كان ها هنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس ،

(١) فت : وبق .

(٢) كذا في اوت . وفي غ : شعر .

(٣) في ا : سلم .

(٤) الزيادة من ا .

فحضرنا سبعة غيري^(١) ، وأمرنا بالبُكُور يوم الجمعة فبكرنا ، وأدخلنا وقدم
واحد بعد واحد^(٢) مِنَّا ينشد على الأَسنان ، وكنتُ أُحدِثُ القومَ سِنًّا ، وأرَقَّهُم^(٣)
حَالًا ، فما بلغ إليَّ حتى كادتِ^(٤) الصَّلَاةُ تَجِبُ ، فقدمتُ والرَّشِيدُ على كُرْسِيِّ ،
وأصحابُ الأعمدة بين يديه سَمَاطَان ، فقيس لي : أَنشد ، فخفتُ أن أبتدئُ من
أوَّل^(٥) قصيدتي بالنَّشِيبِ فتَجِبُ الصَّلَاةُ وَيَفُوتُنِي ما أردتُ ، فتركتُ النَّشِيبَ
وَأَشَدَّتْ من موضع المَدِيحِ في قصيدتي التي أوَّلها :

تذكر عهد البيض وهو لها ترُّبٌ وأيام يُصِبي الغاياتِ ولا يصبُو
فابتدأتُ قولِي في المَدِيحِ :

إلى ملكٍ يَسْتَعْرِقُ المَالَ جودُهُ مَكَارِمُهُ فينا^(٦) ومَعروفُهُ سَكَبُ
وما زالَ هَارُونَ الرِّضَا بنُ مُحَمَّدٍ له من مياهِ النُّصرِ مَشْرَبُهَا العَدْبُ
مَتى تَبْلُغُ العِيسِ المَراسِيلُ بآبِهِ بنا فهناكَ الرَّحْبُ والمَنْزِلُ الرَّحْبُ
لقد جُمِعَتِ فيكَ الظُّنُونُ ولم يكن لغيرِكَ^(٧) ظَنٌّ يَسْتَرِيحُ له قَلْبُ^(٨)
جَمَعَتِ ذَوِي الأَهْواءِ حتى كَانَهُم على مَهْجِ بَعْدَ أَفْتِرَائِهِم رَكْبُ
جهدتِ فلم أبلغ عَلاكَ بَمَدْحَةٍ وليس عليَّ مَنْ كان مُجْتَهِدًا عَتْبُ
فضحك الرِّشِيدُ ، ثم قال : خفتُ أن يَفُوتَ وَقتُ الصَّلَاةِ وَيَنْقَطِعَ المَدِيحَ عَلَيكَ ،

(١) كذا في اوت . وفي غ : وأنا ثامنهم .

(٢) في ا : وقدم واحد واحد .

(٣) في غ : وأرثهم .

(٤) في ت : كانت « تحريف »

(٥) في ا : أول .

(٦) في غ : شر .

(٧) كذا في اوت : وفي غ : بغيرك .

(٨) في غ : القلب .

فبدأت به ، وتركت التَّشْيِيبَ . وأمرني أن أنشده التَّشْيِيبَ ، فأنشدته ، فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم ، وأمر لي بضعفها .

قال أحمدُ بن سيَّار الجرجاني وكان راوية شاعرا مداحا ليزيد بن مزيد : دخلتُ أنا وأشجعُ السُّلَميُّ والتيميُّ وابنُ رزِينِ عليَّ الرَّشِيدِ في قصر له بالرقَّة ، وقد كان ضرب أعناق^(١) أقوام في تلك الساعة ، فجعلنا نتخلَّلُ الدِّماءَ حتى وصلنا إليه . فأنشده أبو محمد التيمي قصيدة له يذكر فيها نَقْفُور ووقعته ببلاد الروم ، فنثر عليه مثل الدر من جودة شعره ، وأنشده أشجع :

— قصر عليه تحيةً وسلامٌ ألقته عليه جمالها الأيامُ
قصرٌ سُقُوفُ المِزْنِ دونَ سُقُوفِهِ فيه لأعلام الهدى أعلامُ
— تُشِنِّي على أيَّامِك الأيامُ والشَّاهدانِ الحِلُّ والإِحرامُ
[أدنتك من ظلِّ النبي وصيةً وقرابةً^(٢) وشجته^(٣) بها الأرحامُ
برقت سماؤك في العدو وأمطرت هاماً لها ظلُّ السيوفِ غمامُ
— وإذا سيوفك صافحت هامَ المدى طارتْ لهن عن الرُّؤوسِ الهامُ^(٤)

فجعلت أنمصَّبُ له بالقيسية وأرفع منه إلى أن أنتهى إلى قوله :

وعلى عدوك يا ابن عمِّ محمد رصدان ضوء الصَّبْحِ والإِظلامِ

فإذا تنبَّه رُغمته وإذا غفا سلَّت عليه سيوفك الأحلامُ

فاستحسن ذلك الرَّشِيدُ ، وأومات إلى أشجع أن يقطع الإنشاد^(٥) ، وعلمت

(١) كذا في اوغ . وقت ، رقاب .

(٢) في ت : وقراءة « تحريف » .

(٣) وشجت به قرابته : اشتبكت .

(٤) الأبيات الثلاثة الأخيرة لم ترد في الأغاني .

(٥) في غ : الشعر .

أَنَّهُ لَا يَأْتِي بِمِثْلِهِمَا ، فلم يفعل ، ولما أنشد ما بعدها فترَّ الرشيد ، وضرب بمخضرة كانت بيده في الأرض ، واستنشد منصوراً النمرى فأنشده :

ماتنقضى حَسْرَةٌ مِنِّي وَلَا جَزَعُ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجَعُ

فمرَّ في قَصِيدَةٍ مَا تَقُولُ الْعَرَبُ مِثْلَهَا ، وجعل الرشيدُ يضرب بِمِخْضَرَتِهِ الْأَرْضَ ويقول : الشَّعْرُ فِي رِبْعِي سَائِرَ الْيَوْمِ ، فلما خَرَجْنَا قَلْتُ لِأَشْجَعِ : غَمَزْتُكَ أَنْ تَقْطَعَ فَلَمْ تَفْعَلْ ، وَلَمْ تَأْتِ بِشَيْءٍ وَيْلَكَ هَلَّا مَتَّ بَعْدَ الْبَيْتَيْنِ أَوْ خَرَسْتَ فَكُنْتَ أَشْعَرَ النَّاسِ .

جلس جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بِالصَّالِحِيَّةِ ، يَشْرَبُ عَلَى مُسْتَشْرِفٍ لَهُ ، فَجَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي هِلَالٍ ، فَاسْتَكَى وَاسْتَمَاحَ بَلْفَظٍ فَصِيحٍ وَكَلَامٍ يَمْطِفُ السُّئُولَ ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى : أَنْتَقُولُ الشَّعْرَ يَا هِلَالِي ؟ قَالَ : كُنْتُ أَقُولُهُ وَأَنَا حَدَّثَ أُمَّلِحَ بِهِ ثُمَّ تَرَكَتُهُ لِمَا صرَّتْ شَيْخًا ، قَالَ : فَأَنْشِدْنَا يَا أَعْرَابِي لِمَا كَرِهْتُمْ حَمِيدِ بْنِ ثَوْرٍ فَأَنْشده قَوْلُهُ :

* لَمَنِ الدِّيَارُ بِجَانِبِ الْحُمْسِ *

حتى أتى على آخرها . قال : فاندفع أشجع فأنشده مديحاً على وزنها وقافيتها :
 — ذهبت مَكَارِمُ جَعْفَرٍ وَفِعَالُهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ مَذَاهِبِ الشَّمْسِ
 مَلِكٌ تَسْوَسُ لَهُ الْعَالَى نَفْسُهُ وَالْعَقْلُ خَيْرُ سِيَاسَةِ النَّفْسِ
 [وَرَى الْمُلُوكَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ كُلُّ بَعِيدِ الصَّوْتِ وَالْجُرْسِ
 فَإِذَا بَدَأَ لَهُمْ ابْنُ يَحْيَى جَعْفَرٌ رَجَعُوا الْكَلَامَ بِمَنْطِقِ هَمْسِ]^(١)

(١) كذا ورد البيتان في اوت . وفي غ جاء مكان البيتين البيت :

فإذا تراءت الملوكة تراجعوا جهر الكلام بمنطق همس
 وجاء البيتان في الأغاني في خبر آخر كما أوردهما ابن منظور .

— ساد البرامك جعفر ، وهُم الألى
ماضراً من قَصْدِ ابْنِ يَحْيَى راعبا
بَعْدَ الْخِلاَفِ سَادَةُ الْإِنْسِ
بِالسَّعْدِ حَلَّ بِهِ أُمُ النَّحْسِ

فقال له جعفر : صِفْ مَوْضِعَنَا هَذَا ، فَقَالَ :

قُصُورُ الصَّالِحِيَّةِ كَالْعِدَارَى
مُطَلَّاتٌ عَلَى قَصْرِ (١) كَسْتِهِ
لَيْسَنُ ثِيَابُهُنَّ لِيَوْمِ عُرْسِ
أَيَادِي الْمَاءِ وَشِمَاءُ نَسِجِ عُرْسِ
إِذَا مَا الطَّلُّ أَثَرَ فِي تَرَاهِ
تَنْفَسُ نَوْرَهُ مِنْ غَيْرِ نَفْسِ
فَتَصْبُغُهُ (٢) السَّمَاءُ بِصِنْعِ وِرسِ
وَتُضْبِحُهُ بِأَكْوَسِ عَيْنِ شَمْسِ

(فقال جعفر للأعرابي : ياهلالي كيف ترى صاحبنا؟ قال : أرى خاطره طوع
لسانه ، وبيان الناس دون (٣) بيانه) وقد جملت له ما اتصلني به ، قال : تبرك (٤)
يا أعرابي ونرضيه ، ثم أمر الأعرابي بمائة دينار ، ولأشجع بمائتي دينار .
وكان أشجع يحب الثياب ، وكان يكثر الخلع في كل يوم بدرهمين
فيلبسها أياماً ، ثم يكثر غيرها فيفعل بها مثل ذلك .

لَمَّا خَرَجَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى لِيُصْلِحَ أَمْرَ الشَّامِ وَنَزَلَ فِي مَضْرَبِهِ ، أَمَرَ بِالطَّعَامِ
لِلنَّاسِ ، فَقام أَشْجَعُ فَأَنشَدَهُ :

فَتنان طاعيةٌ وباعيةٌ (٥)
قد جاءكم بالخيال ساذيةٌ
جَلَّتْ أُمُورُهُمَا عَنِ الْخُطْبِ
يَنْقُلُنَّ نَحْوَكُمْ رَحَى الْحَرْبِ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَدُورَ بِكُمْ
قَدْ قامَ هادِياً (٦) على القُطْبِ

(١) في غ : بطن .

(٢) في غ : فتصبغه .

(٣) في غ : تحت .

(٤) في غ : تفرك .

(٥) في غ : باغية وطاغية .

(٦) كذا في غ وت . وفي ا : هاربا .

فأمر له بِصِلَّةٍ لَيْسَتْ بِالسَّنِيَّةِ (١) ، وقال له : دَائِمُ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ مُنْقَطِعِ الْكَثِيرِ ، فقال له : وَنَزَرُ الْوَزِيرِ أَكْثَرُ مِنْ جَزِيلِ غَيْرِهِ ، فَأَمْرٌ لَهُ بِمِثْلِهَا .
وكان يُجْرَى عَلَيْهِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مِائَةٌ دِينَارٍ مَدَّةَ مُقَامِهِ بِبَابِهِ .

قال إسحاق الموصلي : دخلتُ عَلَى (٢) الرشيد يومًا ، وهو يُخَاطِبُ جعفر بن يحيى بِشَيْءٍ لَمْ أَسْمَعْ ابْتِدَاءَهُ وَقَدْ عَلَا صَوْتُهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مُقْبِلًا قَالَ لَجَعْفَرٍ : أَرْضَى بِإِسْحَاقِ ؟ فقال جعفر : والله ما في حُكْمِهِ (٣) مَطْعَنٌ إِنْ أَنْصَفَ ، فقال لي : أَيُّ شَيْءٍ تَرَوِي لِلشُّعْرَاءِ الْمُحَدِّثِينَ فِي الطَّحْرِ ؟ أَنُشِدُنِي مِنْ أَفْضَلِ مَا عِنْدَكَ وَأَشَدَّهُ تَقَدُّمًا ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُمَا كَانَا يَتَمَارَيَانِ فِي تَقْدِيمِ أَبِي نُوَّاسٍ ، فَعَدَلْتُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ لَثَلَا أَخْلَفَ أَحَدَهُمَا . فقلت : لقد أحسن أشجع في قوله :

وَلَقَدْ طَعَمْتُ اللَّيْلَ (٤) فِي أَعْجَازِهِ	بِالْكَأْسِ بَيْنَ غَطَارِفِ كَالْأَنْجَمِ
يَتَمَايَلُونَ مِنَ النِّعِيمِ كَأَنَّهُمْ	قُضِبَ مِنَ الْهِنْدِيِّ لَمْ تَتَلَمَّ
وَسَمِعِي بِهَا الظُّبِيَّ الْغَرِيرَ يَزِيدُهَا (٦)	طَيْبًا وَيَعْشُمُهَا إِذَا لَمْ تَعْشِمِ (٧)
وَاللَّيْلُ مُنْتَقِبٌ بِفَضْلِ رِدَائِهِ	قَدْ كَادَ يَحْضَرُ عَنْ أَعْرَ أَرْتَمِ (٨)
فَإِذَا أَدَارَتْهَا الْأَكْفُ رَأَيْتَهَا	تَثْنِي الْفَصِيحَ إِلَى لِسَانِ الْأَعْجَمِ
وَعَلَى بَنَانِ مُدِيرِهَا عَقِيَانُهُ	مِنْ سَكْبِهَا وَعَلَى فُضُولِ الْمِعْصَمِ

(١) في ت : سنية .

(٢) في غ : لمي .

(٣) في اوغ : علمه .

(٤) في ت : الكأس « تحريف » .

(٥) في غ : على .

(٦) في او ت : يزيدة .

(٧) غشم : ظم .

(٨) رثم : كان في طرف أذنه بياض فهو أرثم .

تَغْلِي إِذَا مَا الشُّعْرِيَّانِ تَلْظِيًّا صيفا وتَسْكُنُ فِي طُلُوعِ المِرْزَمِ (١)
 وَلَقَدْ فَضَضْنَاها بِحَاتِمِ رَبِّها بَكْرًا وُلَيْسَ البَكْرَ مِثْلَ الأَيِّمِ
 وَلها سَكُونٌ فِي الإِناءِ وَخَلْفها (٢) شَغَبٌ يُطَوِّحُ بِالكَمِيِّ المَعْلَمِ
 تُعْطِي عَلى الظُّلْمِ الفَتَى بِقِيادِها قَسْرًا وَتَظْلِمُه إِذا لَمْ يُظْلِمِ

فقال لى الرشيد : قد علمتُ تَعْصِبُكَ عَلى أِبي نَواصِ ، فَإِنَّكَ عَدَلْتَ عَنه مُتَمَمِّداً (٣) ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَشْجَعُ ، وَلِكنه لا يَقولُ أبداً مِثْلَ قولِ أِبي نَواصِ :
 يَاشَقِيقَ النَفْسِ (٤) مَن حَكَمَ نَمَتَ عَن (٥) لِيلى وَلم أَنمِ
 فقلت : ما علمتُ ما كَنتَما (٦) فِيه يا أَميرَ المُؤمِنينَ ، وَإِنا أَنشَدتُ ما حَضَرَني ،
 فقال : حَسْبُكَ قَد سَمِعْتُ الجَوابَ .

وكان في إسحاق تَعْصَبُ عَلى أِبي نَواصِ لشيءٍ جَرى بَينَهُما .

دَخَلَ أَشْجَعُ عَلى الرَّشيدِ وَقَد ماتَ لَه ابْنٌ وَالناسُ يُعزُّونَه ، فَأَنشَدَه :
 نَقَصُ مِنَ الدِّينِ وَمِنَ أَهلِهِ نَقَصُ المَنايا مِنَ بَني هاشِمِ
 قَدَمَتَه - فَأَصيرَ عَلى فَقَدِهِ - إِلى أَيْبِهِ وَأِبي القاسِمِ

فقال الرَّشيدُ : ما عَزَّاني اليَومَ أَحَدٌ أَحسَنَ مِنَ تَعزِيَةِ أَشْجَعِ ، وَأَمَرَ لَه بِصِلَةٍ .
 (كَتَبَ أَشْجَعُ السُّلَمى إِلى الرَّشيدِ وَقَد أَبْطَأَ عَنه شَيءٌ مِمَّا أَمَرَ لَه بِهِ :
 أَبْلَغَ أَميرَ المُؤمِنينَ رِسالَةَ لها عَنقُ بَينَ الرِواةِ فَسَمِيعَ

(١) الشعريان والمرزم : نجوم .

(٢) في اوت : وخلفه .

(٣) كذا في غ . وفي اوت : معتمدا !

(٤) في ت : الروح .

(٥) في ا : من .

(٦) في غ : كنت .

— بَانَ لِسَانَ الشَّعْرِ يُنْطِقُهُ النَّدَى وَيُخْرِسُهُ الْإِبْطَاءَ وَهُوَ فَصِيحٌ
 فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَقَالَ لَهُ : لَنْ يَخْرُسَ لِسَانَ شِعْرِكَ ، وَأَمْرٌ بِتَعْجِيلِ صَلَاتِهِ .
 لَمَّا وُلِيَ الرَّشِيدُ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى خُرَّاسَانَ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ بِهِنَّثُونِهِ ،
 ثُمَّ دَخَلَ الشُّعْرَاءُ فَأَنْشَدُوهُ ، وَقَامَ أَشْجَعُ آخِرَهُمْ ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ فَأُذِنَ
 لَهُ فَأَنْشَدَهُ :

أَنْصِرُ لِلْبَيْنِ أَمْ تَجْزَعُ فَإِنَّ الدِّيَارَ غَدًا بَلْقَعُ
 غَدًا يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْهَوَى وَيَكْثُرُ بِأَكِّ وَمُسْتَرْجِعُ

حتى انتهى إلى قوله :

وَدَوِيَّةٌ (١) بَيْنَ أَقْطَارِهَا مَقَاطِيعِ أَرْضِينَ لَا تُقْطَعُ
 تَجَاوَزَتْهَا فَوْقَ عَيْرَانَةٍ مِنَ الرِّيحِ فِي سِيرِهَا أَمْرَعُ
 إِلَى جَعْفَرٍ تَرَعْتَ رَغْبَةً وَأَيُّ فِتْيٍ نَحْوَهُ تَنْزَعُ (٢)
 فَمَا دُونَهُ لَا مَرِيٍّ مَطْمَعُ وَلَا لَامَرِيٍّ غَيْرِهِ مَقْنَعُ
 — وَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مِنْ حَطَّهِ وَلَا يَضْعُونَ الَّذِي يَرْفَعُ
 — يُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرِ وَلَا يَضْنَمُونَ كَمَا يَضْنَعُ
 — وَلَيْسَ بِأَوْسَمِهِمْ فِي الْغِنَى وَلَسْكَنٌ مَعْرُوفَةٌ أَوْسَعُ
 تَلُوذُ الْمُلُوكِ بَارَأْتَهُ (٣) إِذَا نَالَهَا (٤) الْحَدِيثُ الْأَفْطَعُ
 بَدِيهَتُهُ مِثْلُ تَدْبِيرِهِ إِذَا رُمَّتْهُ (٥) فَهُوَ مُسْتَجْمِعُ

(١) في ت : ودوته « تحريف »

(٢) في ا : ينزع .

(٣) في غ : بأبوابه

(٤) في ا : نابها .

(٥) في غ : متى .

— وكما قائلٍ إذ رأى ثروتى ومافى فضول الغنى أصنعُ
— غداً فى ظلال ندى جعفر يجرُّ ثياب الغنى أشجعُ
فقل لخراسان تحياً فقد أناها ابنُ يحيى الفتى الأروعُ

فأقبل عليه جعفر ضاحكا ، واسيَّحَسَنَ شِعْرَهُ ، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ ، ثم أمر له بألف دينار .

ثم بدأ للرشييد^(١) فى ذلك التدبير ، فعزل جعفراً عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب وعقد المقد وأمر ونهى ، فوجم لذلك جعفر ، فدخل عليه أشجع فأنشده :

أمت خراسان تُمزى بما أخطأها من جعفر المرتجى
كان الرشييدُ المعتلى أمره ولى عليها الشرق^(٢) الأبلجاً
ثم أراه رأيه أنه أمسى إليه منهم أحوجاً
فكم فك به الرحمن^(٣) من كربة فى مُدَّة تقصُر قد فرجاً

فضحك جعفر ، وقال : لقد هونت على العزل ، وقت لأمير المؤمنين بالمدنر ، فسألنى ما شئت ، فقال : كفا فى جودك ذل السؤال ، فأمر له بألف دينار .

قال أشجع : دخلت على مُحَمَّد الأمين حين أُجس مجلس الأدب للتعليم ، وهو ابنُ أربع سنين ، وكان يجلس فيه ساعة ويقوم ، فقلت :

ملك أبوه وأمه من نبعة منها سراج الأمة الوهاجُ
شربت بمكة فى ربا بطحاؤها ماء النبوة ليس فيه مزاجُ

(١) فى ١ : الرشييد .

(٢) فى اوت : على مشرقها .

(٣) كذا فى ت . وفى اوغ : فكم به الرحمن من كربة .

فأمرت له زُبَيْدَةُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قال : ولم يملك الخلافة أحد ، أبوه وأُمُّه من هَاشِمِ إِلَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُحَمَّدُ بْنُ زُبَيْدَةَ .

انقطع أَشْجَعُ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، فقال الرَّشِيدُ لِلْعَبَّاسِ يَوْمًا : يا عمِّ ، إن الشعراء قد أكَثَرُوا فِي مُحَمَّدِ الْمَدَائِحِ بِسَبِيٍّ وَبِسَبِّ أُمَّ جَعْفَرٍ ، ولم يقل أحدٌ منهم في المَأْمُونِ شَيْئًا ، وأنا أحبُّ أَنْ أَقْعَ عَلَى شَاعِرٍ فَطِنٌ ذَكَى يَقُولُ فِيهِ . فقال العباس ذلك لِأَشْجَعِ ، وأمره أَنْ يَقُولَ فِيهِ ، فقال :

بِيعَةَ الْمَأْمُونِ آخِذَةً بِنِغَانِ الْحَقِّ فِي أَفْئِهِ
لَنْ يَفُكَّ الْمَرْءُ رِبْقَتَهَا أَوْ يَفُكَّ الدِّينَ مِنْ عُنُقِهِ
وَلَهُ مِنْ وَجْهِ وَالِدِهِ صُورَةٌ تَمَّتْ وَمِنْ خُلُقِهِ

فَاتَى بِهَا الْعَبَّاسُ الرَّشِيدَ ، وَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا ، فَاسْتَحْسَبَهَا وَسَأَلَهُ : لِمَنْ هِيَ ؟ فَوَقَالَ : هِيَ لِي . فقال : سررتني مرَّتين : بِإِصَابَتِكَ مَا فِي نَفْسِي ، وَبِأَنَّهَا لَكَ ؛ وَمَا يَكُونُ لَكَ فَهَوِي ، وَأَمْرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَدَفَعَ إِلَى أَشْجَعِ مِنْهَا خَمْسَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ وَأَخَذَ بِأَقْبِهَا لِنَفْسِهِ .

وَعَدَّ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ أَشْجَعَ السُّلَمِيَّ وَعَدَا فَأَخْرَجَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ :

رَأَيْتَكَ لَا تَسْتَلِدُّ الْمِطَالَ وَتُوفِي إِذَا غَدَرَ الْخَائِنُ
فَمَاذَا تُؤَخِّرُ مِنْ حَاجَتِي وَأَنْتِ لَتَمَجِّيلِهَا ضَامِنُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ احْتِبَاسَ النَّوَالِ لِمَعْرُوفٍ صَاحِبِهِ شَائِنُ

فَلَمْ يَتَمَجَّلْ لَهُ مَا أَرَادَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

رُؤْيُوكَ إِنْ عَزَّ الْفَقْرُ أَذَى إِلَى مِنَ الشِّرَاءِ مَعَ الْهَوَانِ
وَمَاذَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِثِّي بَرِيْبٌ صُرُوفِهَا وَمَعِي لِسَانِي

فبلغ قوله جعفر ، فقال : ويلك يا أشجع هذا تهذؤ ، فلا تعد إلى مثله ، وكلم
أباه فقضى حاجته ، فقال :

— كفاني صروف الدهر يحيى بن خالد
— كفاني كفاه الله كل ملمة
— فأصبحت في رعد من العيش واسع
فأصبحت لا أرتاع للحدثان
طلاب فلان مرة وفلان
أقلب فيه ناظري ولساني

كان أول ما نجم به أشجع أنه اتصل بجعفر بن المنصور وهو حدث . وصله
به أحمد بن يزيد السلمي وابنه عوف فقال أشجع في جعفر بن المنصور من قصيد :

أذكروا حرمة العواتك فينا^(١) يا بني هاشم بن عبد مناف
قد ولدناكم ثلاث . . . ولأدأ
مهدت هاشماً^(٢) نجوم قصي
إن أرماح^(٤) بهشة بن سليم
ولأسيافهم فزى من نجيع^(٥)
معشر يطعمون من ذروة الشو
يضربون الجبار في أخذعيه
ت حطن الأشراف بالأشراف
وبنو فالج^(٣) حجور عفاف
لعجاف الأطراف غير عجاف
راجع من مراجع^(٦) الأكتاف
ل ويسقون خمره الأفتاف^(٧)
ثم يسقونه^(٨) نعيم الدعاف

(١) كذا في اوت . وفي غ : منا .

(٢) في اوت : نجوم .

(٣) في اوت : من بني فالج .

(٤) في اوت : لبث أرواح « تحريف » .

(٥) كذا في اوت . وفي غ : فرى غير لذ .

(٦) في ت : تراجع .

(٧) في ت : الأفتاف « تحريف » .

(٨) كذا في اوت . وفي غ : ويسقونه .

فشاع شعره وَبَلَغَ الْبَصْرَةَ (١) . ولم يزل يترقى إلى أن وصَّته زُبَيْدَةُ بعد موتِ
أبيها بزواجها (٢) الرَّشِيدَ ، فَأَسْتَبَى جَوَائِزَهُ وَأَلْحَقَهُ بِالطَّبَقَةِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الشُّعْرَاءِ .
وكان أول مَنْ أَدْخَلَ أَشْجَعَ إِلَى الرَّشِيدِ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ ، فَإِنَّهُ وَصَّاهُ لَهُ وَقَالَ :
هُوَ أَشْعَرُ شُعْرَاءَ هَذَا الزَّمَانِ ، وَقَدْ اقْتَطَعَهُ (٣) عَنْكَ الْبِرَامِكَةُ ، فَأَمْرٌ بِاحْتِضَارِهِ وَإِصَالِهِ
مَعَ الشُّعْرَاءِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ أَنْشَدَهُ قَوْلُهُ :

* قَصْرَ عَلَيْهِ تَحِيَّةً وَسَلَامًا *

فَاسْتَحْسَنَهَا وَوَصَلَهُ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَمَدَحَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَشَكَرَ لَهُ
إِصَالَهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ فَقَالَ فِيهِ :

غَلَبَ الرَّقَادُ عَلَى جُفُونِ الْمُسْهَدِ	وَعَرَفْتُ فِي سَهْرٍ وَلَيْلِ سَرْمَدِ
قَدْ جَدَّ بِي سَهْرٌ فَلَمْ أَرْقُدْ لَهُ	وَالنَّوْمُ يَلْعَبُ فِي جُفُونِ الرَّقْدِ
أَأَقِيمُ مُحْتَمِلًا لَضَمِيمِ حَوَادِثِ	مَعَ هِمَّةٍ مَوْصُولَةٍ بِالْفِرْقَدِ
وَأَرَى مَخَايِلَ لَيْسَ يُخْلِفُ نَوُؤَهَا	لِلْفَضْلِ إِنْ رَعَدَتْ وَإِنْ لَمْ تَرَعْدِ
لِلْفَضْلِ أَمْوَالٌ أَطَافَ بِهَا النَّدَى	حَتَّى جُهَدِنَ وَجُودُهُ لَمْ يَجْهَدِ

يَا ابْنَ الرَّبِيعِ حَمَرْتُ شُكْرِي بِالَّذِي (٤)

أَوْ لَيْتَنِي فِي عَوْدِ أَمْرِي (٥) وَالْبَدِي
أَوْصَلْتَنِي وَرَفَدْتَنِي وَكِلَاهُمَا
وَكَفَيْتَنِي مِنَ الرَّجَالِ (٦) بِنَائِلِ
شَرَفَ فَقَعَاتٍ بِهِ عُيُونُ الْحُسَدِ
أَغْنَى يَدِي عَنِ (٧) أَنْ تُمَدَّ إِلَى يَدِ

(١) في اوت : المنصور .

(٢) في اوت : وتزوجها .

(٣) في غ : اقتطعته .

(٤) في غ : بالنى .

(٥) في غ : أمرك .

(٦) في ت : الرجاء « تحريف » .

(٧) في ت : من .

وكان أحمد أخو أشجع قد مدح محمد بن جميل بشعره ، وسأل أخاه أشجع
إيصاله ، ودفع القصيدة إليه ، فتوانى عن ذلك ، فقال أحمد يهجوهُ :
وسائلة لي ما أشجعُ فقلت يضرُّ ولا ينفعُ
قريب من الشرِّ واعي^(١) له أصمُّ عن الخيرِ لا يسمعُ
بِطِيءٍ عن الأمرِ أخطى به إلى كلِّ ماساءٍ نِي مُسرِعُ
شُرودِ الوِدَادِ على قرْبِهِ يُفرِّقُ منه الَّذِي أَجمَعُ
أُسبُّ باني شقيقٍ له فأَنْفِي به أبدأُ يُجدَعُ^(٢)

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : دخلتُ إلى الفضل بن الربيع وقد بلغ
الرشيدَ إطلاقه يحيى بن عبد الله بن حسن ، وقد كان أمر بقتله . فلم يُظهر له أنه
بلغه [إطلاقه] وسأله عن خبره : هل قتله ؟ فقال : لا . قال : فأين هو ؟ قال : أطلقته ،
قال : ولم ؟ قال : لأنه سألتني بحق الله ورسوله وقرآنته منه ومنك ، وحلف لي أنه لا
يحدث حديثاً ، وأنه يجيئني متى طلبته . فأطرق ساعة ، ثم قال له : أمض
بنفسك في طلبه حتى تجيئني به ، وأخرج الساعة . فخرج . قال : فدخلتُ عليه
مهنئاً بالسلامة ، فقلت له : ما رأيت أثبت من جأشك^(٣) . ولا أصحَّ من رأيك
وأنت والله كما قال أشجع :

بديته وفكرته سوا
وأحزم ما يكون الدهر رأياً
إذا ما نابه الخطب الكبير
إذا عى المشاور والمشير
وصدرفيه اللهم اتسع
إذا ضاقت بما تحوى الصدور

فقال الفضل : أنظروا كم أخذ أشجع على هذه القصيدة ، فاحملوا إلى أبي محمد^(٤)
مثله ، فوجده قد أخذ ثلاثين ألف درهم ، فحملت إلى .

(١) في ت : داع .

(٢) في غ : أجدع .

(٣) في غ : جناك .

(٤) في اوت : أبي أحمد تحريف .

كَانَ أَشْجَعُ إِذَا قَدِمَ ^(١) بَغْدَادَ يَنْزِلُ عَلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ أَهْلِهَا ، فَقَدِمَهَا مَرَّةً
فَوَجَدَهُ قَدِمَاتَ ، وَالنَّوْحُ وَالْبُكَاءُ فِي دَارِهِ ، فَجَزِعَ لَذَلِكَ وَبَكَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَيَحْجَاهُ هَلْ دَرَّتْ عَلَى مَنْ تَنْوُحُ أَسْقِيمُ فَوَادِهَا أُمُّ صَحِيحٍ
قُرْ أَطْبِقُوا عَلَيْهِ بِيغْدَا دَضْرِيحًا مَاذَا أَجَنُّ الضَّرِيحُ
رَحِمَ اللَّهُ صَاحِبِي وَصَدِيقِي ^(٢) رَحْمَةً تَغْتَدِي وَأُخْرَى تَرُوحُ

مَرَّةً أَشْجَعُ وَأَخْوَاهُ أَحْمَدُ وَبِزِيدٍ عَلَى قَبْرِ الْوَالِيدِ بْنِ عَقْبَةَ وَقَبْرِ أَبِي زَيْدٍ
الطَّائِي النَّصْرَانِي ، وَكَانُوا قَدِ شَرِبُوا وَأَنْتَشُوا ، وَكَانَ أَبُو زَيْدٍ قَدْ أَوْصَى لَمَّا
اِحْتَضَرَ أَنْ يُدْفَنَ إِلَى جَنْبِ الْوَالِيدِ بِالْبَلِيخِ ، وَالْقَبْرَانِ مُخْتَلِفَانِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
مُتَوَجِّهٌ إِلَى قِبْلَةِ أَهْلِ مِلَّتِهِ . قَالَ : فَوَقَفُوا عَلَى الْقَبْرَيْنِ ، وَجَمَعُوا يَتَحَدَّثُونَ
بِأَحَادِيثِهِمَا وَيَتَدَاكِرُونَ أَخْبَارَهُمَا ، فَأَنْشَأَ أَشْجَعُ يَقُولُ :

مَرَرْتُ عَلَى عِظَامِ أَبِي زَيْدٍ وَقَدْ لَاحَتْ بِبَلْقَعَةٍ صَالِدٍ
وَكَانَ لَهُ الْوَالِيدُ نَدِيمَ صِدْقٍ فَنَادِمُ قَبْرِهِ قَبْرَ الْوَالِيدِ
أَرِنَسَا أَلْفَةَ ذَهَبًا فَأَمْسَتْ عِظَامَهُمَا تَأْسُ بِالصَّعِيدِ ^(٣)
وَمَا أَدْرِي بِنِ تَبَدُّا الْمَنَايَا بِأَحْمَدَ أُمُّ بِأَشْجَعِ أُمُّ بِيْزِيدِ
قَالَ : فَمَاتُوا كَمَا رَتَّبَهُمْ فِي شِعْرِهِ ، وَكَانَ أَوْلَهُمْ أَحْمَدُ ، ثُمَّ أَشْجَعُ ،

ثُمَّ بِيْزِيدٍ .

(١) في ت : دخل .

(٢) في غ : نديمي .

(٣) في الصعيد .

إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم

قال المفضل الضبي : خرجتُ مع إبراهيم فلما صارَ بالمرَبَدِ وقف علي باب (١)
سُلَيْمَانَ بنِ عَلِيٍّ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ صَبِيانَ مِنْ وَلَدِهِ فَضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَقَالَ : هُوَ لَاءُ وَاللَّهِ مِنَّا
وَنَحْنُ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ آبَاءَهُمْ فَعَلُوا وَصَنَعُوا ، وَذَكَرَ كَلَامًا يَعْتَدُّ عَلَيْهِمْ فِيهِ بَعْضَ
الإِسَاءَةِ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ لَوِجْهَتِهِ ، وَتَمَثَّلَ :

مهلا بني عمنا ظلامتنا
مثلكم تُحْمَلُ السُّيُوفُ وَلَا
إِنِّي لَأُنْمِي إِذَا أُتِمِّتُ إِلَى
بِيضِ سَيْبَاطُ الْأَكْفِ أَعْيُنُهُمْ (٣)
إِنَّ بِنَا سَوْرَةَ مِنَ الْقَلَقِ
تُعْمَرُ أَحْسَابُنَا مِنَ الرَّقِقِ (٢)
عَزَّ عَزِيزٌ وَمَعَشَرُ صُدُقِ
تُكَجَلُّ يَوْمَ الْهَيْجِ بِالْعَلَقِ (٤)

فقلت : ما أَفْجَلَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ ! فَلَمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : لِضَرَارِ بنِ الْخَطَّابِ
الْفَهْرِيِّ ، فَالَهَا يَوْمَ حَضَرَ الْخَلْدِقُ فِي أَجْتِمَاعِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَتَمَثَّلَ بِهَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ صِفِّينَ ، وَتَمَثَّلَ بِهَا الْحُسَيْنُ
ابْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَوْمَ قُتَيْلٍ ، وَتَمَثَّلَ بِهَا زَيْدُ بنُ عَلِيٍّ ، وَهَانِحُنْ
تَمَثَّلْنَا بِهَا الْيَوْمَ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى بَاخَمَرَى (٥) فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا أَتَاهُ نَعْيُ أَخِيهِ
مُحَمَّدَ فَمَثَّلَ :

(١) في غ : رأس .

(٢) الرقيق : الضعف .

(٣) في غ : كأن أعينهم .

(٤) كذا في غ : والعلق : الدم : وفي اوت : بالزرق .

(٥) باخرى : بلدة قرب الكوفة بها قبر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي

(القاموس) .

نَبَّئْتُ أَنَّ بَنِي رَبِيعَةَ (١) أَجْمَعُوا
إِنْ يَقْتُلُونِي لَا تَصِبْ أَرْمَاحَهُمْ
أَرْمِي الطَّرِيقَ وَإِنْ صَدَدْتَ (٢) بِضَيْقَةٍ
أَمْرًا خَلَا لَهُمْ اتَّقَتْلُ خَالِدًا
نَارِي وَيَسْعَى الْقَوْمُ سَعْيًا جَاهِدًا
وَأَنزَلُ الْبَطْلَ السَّكْمِيَّ الْحَارِدَا (٣)

فقلت : لِمَنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ ؟ فقال : لِلْأَخْوَصِ (٤) بن جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ تَمَثَّلَ بِهَا
يَوْمَ شَعْبِ جَبَلَةَ وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي لَقِيتُ فِيهِ قَيْسُ تَمِيمًا .

قال : وَأَقْبَلْتَ عَسَاكِرَ أَبِي جَعْفَرٍ فَنَقَلْتِ مِنْ أَحْسَابِهِ وَقَتْلَ مِنَ الْقَوْمِ وَكَأَدَ يَكُونُ
الظَّفَرُ لَهُ .

قال المفضل : فقال لي : حَرَّ كُنِي بِشَيْءٍ . فَأَشَدَّتْهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

أَلَا أَيُّهَا النَّاهِي فَرَارَةَ بَعْدَ مَا
أَبَى كُلُّ حُرٍّ أَنْ يَبِيَّتَ بَوْتَرَةَ
أَقُولُ لِفَتَيَانَ الْعَشِيِّ (٦) تَرَوُّوْهُ
قَفُوا وَقَهَّ مَنْ يَخْبِي لَا يَخْزُ بَعْدَهَا
وَهَلْ أَنْتَ إِنْ بَاعَدْتَ نَفْسَكَ مِنْهُمْ
فقال لي أَعَدَّ فتنبته وندمت وقلت : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ فقال : أَعَدُّهَا فَأَعَدُّهَا ،
فِيمَطَّى فِي رِكَابِهِ حَتَّى خَلَّتْهُ قَدِ قَطَمَهُمَا ، ثُمَّ حَمَلَ فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَقِيلَ :
إِنَّهُ طَعَنَ وَطَعَنَ مَرَّةً أُخْرَى . فقال له المفضل : أَتُبَايَسُ الْحَرْبَ بِنَفْسِكَ وَالْعَسْكَرَ

(١) في مقاتل الطالبين / ٣٧٥ : بنو خزيمية .

(٢) في مقاتل الطالبين : رصدت .

(٣) كندنا في اوت : ومقاتل الطالبين وفي غ : الجاحدا .

(٤) في مقاتل الطالبين : خالد بن جعفر بن كلاب .

(٥) في ا : أخذت .

(٦) في مقاتل الطالبين : كرام .

مَنْوُطُ بَكَ ! فَقَالَ : إِلَيْكَ يَا أَخَا بَنِي ضَبَّةَ كَانَ عَوْيفًا أَخَا بَنِي قَزَاةَ كَانَ يَنْظُرُ
إِلَيْنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا إِذْ يَقُولُ :

أَلَمَّتْ خُنَاسُ ^(١) وَإِلَهَا مَهْمَا	أَحَادِيثُ نَفْسٍ وَأَسْقَامُهَا ^(٢)
يَمَارِيَّةٌ مِنْ بَنِي مَالِكٍ	تَطَاوَلُ فِي الْمَجْدِ أَعْمَامُهَا
وَإِنَّ لَنَا أَصْلَ جُرْثُومَةٍ	تَرُدُّ الْحَوَادِثَ أَيَامُهَا
تَرُدُّ السَّكَبِيَّةَ مَغْلُولَةً	بِهَا أَفْنُهَا وَبِهَا ذَامُهَا

(١) كذا في اوت و غ وفي ابن أبي الحديد : سعاد.

(٢) في مقاتل الطالبين : أحلامها .

أبو عيينة

هذا اسمه ، وكُنِيَتْهُ أَبُو الْمِنْهَالِ ، (وهو أبو عِيْنَةَ بن مُحَمَّد بن أَبِي عِيْنَةَ بن الْمُهَلَّب بن أَبِي صُفْرَةَ) واسم أَبِي صُفْرَةَ : ظالم بن سُرَّاق وقيل : غَالِب بن سُرَّاق بن صُبْح بن كِنْدِي بن عَمْرُو بن عَدِي بن وائل بن الحارث بن العتيك^(١) بن الأَسَد ابن عِمْران بن الوَضَّاح بن عَمْرُو بن مُزَيْقِيَا^(٢) بن حَارِثَةَ بن الْغَطْرِيف بن امرئ القيس [البطريق]^(٣) ثعلبة الْبَهْلُول بن مَازِن زَاد الرَّكْب بن الأَزْد .

(شَاعِر مَطْبُوع ظَرِيف غَزَلِ هَجَاءٍ أَكْثَرَ هِجَائِهِ فِي ابْنِ عَمِّهِ خَالِدٍ ، وَهُوَ مِنْ سَاكِنِي الْبَصْرَةِ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، مِنْ أَطْبَعِ النَّاسِ وَأَقْرَبِهِمْ مَأْخِذًا مِنْ غَيْرِ أَدَبٍ مَوْصُوفٍ وَلَا رِوَايَةٍ كَثِيرَةٍ . كَانَ يُقَرَّبُ الْبَعِيدِ وَيُحَدِّثُ الْفُضُولَ وَيُقَلِّبُ التَّكْلِيفَ^(٤)) ، وَكَانَ أَصْفَرَ مِنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ وَمَاتَ قَبْلَهُ .

وقيل لعبد الله : أَيُّمَا أَشْعَرُ أَنْتَ أَمْ^(٥) أَخُوكَ ؟ فقال : لو كان له عِلْمِي لكان أَشْعَرَ مِنِّي .

تولى الرَّيِّ لِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَيْهِ وَحَبَسَهُ وَأَخَذَ مِنْهُ مَالًا .
وكان أبو عِيْنَةَ يَهْوَى فاطمة بنت عمرو^(٦) بن حفص الملقب هَزَارَ مَرْدٍ ،
وكانت امرأةً جَمِيلَةً نَبِيلَةً شَرِيفَةً ، وَكَانَ يُخَافُ أَهْلَهَا أَنْ يَذْكَرُهَا تَصْرِيحًا ،

(١) في ت : عتيك .

(٢) في ت : ساف . وفي غ : مزيقا . وما أثبتناه في ا .

(٣) ساقطة من ت .

(٤) في ا وت : التكليف

(٥) في ا : أو .

(٦) كذا في ا وت . وفي غ : عمر .

ويرهب زوجها عيسى بن سليمان . وكان يقول الشعرَ في جارية لها يقال لها : دُنْيَا ،
وكانت قيِّمة دارها ووالية أمورها كلها ، فما قالَ فيها وكفى عنها بدُنْيَا هذه
الجارية :

مَا لِقَلْبِي أَرْقَ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ	وُلْحِبِي أَشَدَّ مِنْ كُلِّ حُبِّ
وَلدُنْيَا عَلَى جَنُونِي بِدُنْيَا	أَشْتَهِي قُرْبَهَا وَتَكَرُّهُ قُرْبِي
نَزَلَتْ بِي بَلِيَّةٌ مِنْ هَوَاهَا	وَالْبَلَايَا تَكُونُ مِنْ كُلِّ ضَرْبٍ (١)
قَلْ لِدُنْيَا أَلَمْ تَجِئْكِ لِمَا بِي	رَطْبَةٌ مِنْ دَمُوعٍ عَيْنِي كَتَبِي
فَعَلَّامٌ انْتَهَرْتِ بِاللَّهِ رُسُلِي	وَتَهَدَّدْتِهِمْ بِجُنْسٍ وَضَرْبٍ
أَيَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُ لَيْتَ شِعْرِي	كَانَ هَذَا جَزَاءَهُ أَيَّ ذَنْبٍ

وقيل : إن أبا عيِّنة كنى عنها بهذا الاسم ، وليست لها جارية تُسمى دُنْيَا ،
وكانت هذه فاطمة سرّية من النساء ، وكان أبوها من أشدّ الفرسان وشجعانهم .

قال عيسى بن موسى للمهلب بن المغيرة بن المهلب : أكان يزيد بن خالد أشجع
أم عمرو بن حفص ؟ يعني أبا فاطمة هذه . فقال المهلب : لم أشهد من يزيد
ما شاهدته من عمرو بن حفص ، وذلك أنّي رأيتُه يركض في طلب صيدٍ حمّار
وحش ، حتّى إذا حاذاه جمع جرّاميزه (٢) وقفز فصار على ظهره ، فقمص الحمار ،
وجعل عمرو يحز ناصيته إمّا بسيفه أو بسكين معه حتى قتله .

ومما قاله أبو عيِّنة في فاطمة :

ضَيِّعْتَ عَهْدَ فَتَى لِعَهْدِكَ حَافِظًا	فِي حِفْظِهِ عَجَبٌ وَفِي تَضْيِيعِكَ
وَنَأَيْتَ عَنْهُ فَسَالَهُ مِنْ حَيْلَةٍ	إِلَّا الْوُقُوفَ إِلَى أَوَانِ رُجُوعِكَ

(١) في ت : ثلاثة بدل بلية والثلاثة بدل البلايا « تحريف » .

(٢) الجراميز : القوائم .

مَتَخَشَّمًا يُدْرِي عَلَيْكَ دُمُوعَهُ أَسْفَا وَيَعْجَبُ مِنْ جُمُودِ دُمُوعِكَ
إِنْ تَقْتُلِيهِ وَتَدَّهِي بِفُؤَادِهِ فَبِحُسْنِ وَجْهِكَ لَا بِحُسْنِ صَنِيعِكَ
قال الفضل بن الربيع جُلَسَائِهِ : من أشعرُ أهلِ عَصْرِنَا ؟ فأكثرُوا . فقال
الفضل : الَّذِي يَقُولُ فِي قَصْرِ عَيْسَى بْنِ جَعْفَرٍ بِالْحَرَيْبَةِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي عُمَيْنَةَ :

زُرْ وادِي الْقَصْرِ نِعْمَ الْقَصْرُ وَالوَادِي

وحبذا أهله من حاضِرِ بادِي

تُرَى قَرَاقِيرُهُ^(١) وَالعَيْسُ وَاقِفَةٌ وَالصَّبُّ وَالنُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي

تزوج سَعِيدُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الْمُهَلَّبِ بِنْتَ سُفْيَانَ بْنِ معاويةَ بْنِ يزيدِ
ابنِ المهلبِ ، وقد كان تزوجها قبله رجُلان فدفنتهما . فكتب أبو عُمَيْنَةَ إلى سَعِيدِ :

رَأَيْتَ أَنَاثَهَا فَرَعِبْتَ فِيهِ فَكَمْ نَصَبْتَ لِغَيْرِكَ بِالْأَنَاثِ

إِلَى دَارِ الْمُنُونِ فَجَهَزْتَهُمْ تَحْتَهُمْ بِأَرْبَعَةِ حِثَاثِ

فَصَبَّرْ أَمْرَهَا بِيَدَيَّ أَيْبَهَا وَعَيْشِكَ مِنْ حَيَاتِكَ^(٢) بِالثَلَاثِ

وَإِلَّا فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي سَأَبْدُ مِنْ غَدٍ لَكَ بِالْمَرَانِي

وَمِنْ شِعْرِ أَبِي عُمَيْنَةَ :

— مَا لَا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِمْلَةٍ أَبْدَا وَمَا هُوَ كَأَنَّ سَيَكُونُ^(٣)

سَيَكُونُ مَا هُوَ كَأَنَّ فِي وَقْتِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ مُتَمَبِّحُ مَحْزُونُ

— يَسْعَى الْقَوِيُّ فَلَا يَنَالُ بِسَعْيِهِ حَظًّا وَيَسْمَعُ^(٤) عَاجِزٌ وَمَهِينُ

(١) كذافي معجم البلدان . وفي غ : ترفى قراقيره . وفي ت : ترفى قراقيره . وفي ف : تروا قراقيره .

(٢) في غ : حبالك .

(٣) في غ : فيكون .

(٤) في غ : ويحظى .

وقد قيل : إن هذه الأبيات وَجِدَتْ مَكْتُوبَةً عَلَى حَجَرٍ وَوَجِدَ فِي بَعْضِ أَفْنِيَةِ مَكَّةَ ، حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَدْ ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ إِلَى طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَمْزِلَ أَمِيرَ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِ ، فِدَافِعَهُ عَنْهُ وَعَرَّضَ عَلَيْهِ عِوَضًا خَطِيرًا مِنْ حَاجَتِهِ ، وَوَعَدَهُ أَنْ يَسْتَصْلِحَ لَهُ ذَلِكَ الْأَمِيرَ وَيُزِيلَ عَنْهُ مَا يَكْرَهُهُ ، فَأَبَى ، فَعَزَلَهُ وَأَجْزَلَ صِلَتَهُ ، فَقَالَ :

يَا ذَا الْيَمِينَيْنِ قَدْ أَوْقَرْتَنِي مِنْنًا تَتَرَى هِيَ الْغَايَةَ الْقُصْوَى مِنَ الْمَنِّ
وَلَسْتُ أَسْطِيعُ مِنْ شُكْرٍ أَجْبَى بِهِ إِلَّا اسْتَطَاعَةَ ذِي رُوحٍ وَذِي بَدَنِ
لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَنزِلَةً أَوْفَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الثَّمَنِ
أَخْلَصْتُهَا لَكَ مِنْ قَلْبِي مَهْدَبَةً حَذُّوْا عَلَيَّ مِثْلَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

وَكَانَ ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ هَجَا زَارًا ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَأْمُونُ شَعْرَهُ فِيهِمْ هَدَرَ دَمَهُ (١) ، فَهَرَبَ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَرَكِبَ الْبَحْرَ إِلَى عُثْمَانَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا مَتَوَارِيًا فِي نَوَاحِي الْأَزْدِ حَتَّى مَاتَ الْمَأْمُونُ ، وَمِنْ شَعْرِهِ :

يَا حُسْنَهَا يَوْمَ قَالَتْ لِي مُودَعَةً لَا تَنْسِ مَا قَلَّتْ مِنْ فِيهَا إِلَى أُذُنِي
كَأَنِّي لَمْ أَصِلْ دُنْيَا عَلَانِيَةً وَلَمْ أَزُرْ أَهْلَ دُنْيَا زُورَةَ الْخَلْنِ
جِسْمِي مَعِيَ غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمْ فَالْجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالرُّوحُ فِي وَطَنِ (٢)
فَلْيَعْجَبِ النَّاسُ مِنِّي إِنْ لِي جَسَدًا لَا رُوحَ فِيهِ وَلِي رُوحٌ بِلَا بَدَنِ

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُيَيْنَةَ أَخُو أَبِي عُيَيْنَةَ شَاعِرًا . وَهُوَ الْقَائِلُ يُعَاتِبُ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الْبُرْمَكِي :

عَلَيْكَ مِنْ السَّلَامِ هَذَا أَوَّانُ يِنَايَ بِي الزَّارُ

(١) هدر دمه : أبطله .

(٢) كذا في اوت . وفي غ : فالروح في وطن والجسم في وطن .

ما كنت إلا كالحم ميمت دعا إلى أكله اضطرار
 أسلم وإن كان فيك عنى قبض لكفنيك وأزورار
 تلحظني عابسا قطوباً كأنما بي إليك (١) ثار
 قد أصبح الناس في زمان أعلامه السفلة الشرار
 يستأخر السابق الذكي فيه ويستقدم الحمار
 وليس للمرء ما تمنى يوماً وما إن له اختيار
 ما قدر الله فهو آت وفي مقاديره الخيار

ولابن أبي عمينة مع ابن عمه خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة أخبار ، وزيدتها (٢)
 أن خالداً لما تولى جرجان (٣) سأل يزيد بن حاتم أبا عمينة أن يصحبه ، ووعد
 الإحسان والولاية ، وأوسع له المواعيد ، وكان أبو عمينة جندياً ، جرد معه ،
 وأخرج رزقه معه ، فلما حصل بجرجان أعطاه رزقه لشهر واحد واقتصر به على
 ذلك ، وتشاغل عنه وجفاه ، فبلغه أنه هجاه ، وبسط فيه لسانه ، وذكروه بكل قبيح
 عند وجوه (٤) أهل عمله . فلم يقدر على معاقبته لموضع أبيه وسنه ومحلته ، فدعا به ،
 وقال له : بلغني أنك تريد أن تهرب ، فأما أن تقيم لي كفيلاً برزقك أو تردده ،
 فاتاه بكفيل ، فأعنته ولم يقبله ورده حتى ضجر ، وجاءه بما قبض من الرزق فأخذه
 ولج أبو عمينة في هجائه حتى فضحه . فمن ذلك هذه القصيدة وأنشدها دعماً :

يا حفص عا ط أخاك عا طه كاسا تهيج من نشاطه
 صر فاً يمسود لوقعها كالظبي أطلق من رباطه

(١) في غ . لديك .

(٢) في ت : وبدؤها .

(٣) في ت : خراسان .

(٤) في ت : وجود « تحريف » .

صَبَّأ طوت عنه الهُمُور	م نعيمه بمد أنيساطه
فَبَكَى وَحَقَّ لَهُ الْبُكَاءُ	لشقائه بمد اغتباطه
جَزَعَ الْمُخَنَّثَ خَالِدٌ	لما وقمت على قباطه
فَانظَرَ إِلَى نَزَوَاتِهِ	من منطقي وإلى اختلاطه
دَعْنِي وَإِيَّا خَالِدٍ	فلاقطن عرى نياطه
إِنِّي وَجَدْتُ كَلَامَهُ	فيه مشابه (١) من ضراطه
رَجُلٌ يُعِدُّ لَكَ الْوَعِيدَ	د إذا وطئت على بساطه
وَإِذَا انتظرت غداءه	تخف البوادر من سياطه
يَا خَالُ صَدِّ الْمَجْدِ عِنْدَ	ك فلن تجوز على صراطه
وَعَرِيَّتٍ مِنْ حُلَلِ النَّدَى	عرى اليتيم ومن رباطه (٢)
فَإِذَا تَطَاوَلَتِ الرَّؤُوفُ	س فغط رأسك أو فطاطه (٣)

فقال له دعبل : أغرقت والله وأسرفت في التسرع ، وهتكت ابن عمك ،
وغضضت منه . ولو علمت أنك تبلغ به هكذا لما سمعت إنشادك .

قال الرشيد للفضل بن الربيع : من أهجى المحدثين عندك في عصرنا هذا ؟

فقال : الذي يقول في ابن عمه :

لو كما ينقص يزداد إذا	نال السماء
خالد لولا أبوه	كان والكلب سواه
أنا ما عشت عليه	أسوأ الناس ثناء

(١) في ت : تشابه « تحريف » .

(٢) الرباط جمع ربيعة ، وهي الملاعة إذا كانت قطعة واحدة ونسجا واحدا .

(٣) في غ : ثم طاطه .

إِنَّ مَنْ كَانَ مُسِيئًا^(١) لِحَقِيقٍ أَنْ يُسَاءَ

فقال الرشيدُ: هذا ابن أبي عُيَيْنَةَ ، ولعمري لقد صدقت .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : لم يجتمع لأحدٍ من المحدثين في بيتٍ واحد
هَجَاءُ رَجُلٍ وَمَدْحُ أَبِيهِ كَمَا اجْتَمَعَ لِأَبِي عُيَيْنَةَ فِي هَجْوِ ابْنِ عَمِّهِ . حيث يقول
من أبيات :

أَبُوكَ لَنَا نَعِيثٌ نَعِيشُ بُوَيْلَهُ^(٢) وَأَنْتَ جَرَادٌ لَيْسَ تُبْقَى وَلَا تَذُرُ

(١) في اوت : إن يكن كان مسيئًا .

(٢) في ت : نؤمله بدل نعيش بويله .

إبراهيم بن أبي مُحَمَّد الزِيْدِي

هو إبراهيم بن أبي مُحَمَّد يَحْيَى بن المَبَارِك أحد بني عَدِي بن عبد شَمْس بن زَيْد مَنَاء بن تَمِيم . يقال : إنهم من رَهْط ذِي الرَّمَّة .

كتب إبراهيم إلى بعض أصحابه ، وقد رأى منه جفوة ، ثم أستصلحته :
 مَنْ تَاهَ وَاحِدَةً فَتَهُ عَشْرًا كَيْلًا يَجُوزُ بِنَفْسِهِ الْقَدْرًا
 وَإِذَا زَهَا أَحَدٌ عَلَيْكَ فَكُنْ أَزْهَى عَلَيْهِ وَلَا تَكُنْ غَمْرًا
 أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ تَرَجُ مَنَفَعَةً مِنْهُ وَلَمْ تَحْذَرْ لَهُ ضَرًّا
 لَمْ تُسْتَرْقِ^(١) وَتُسْتَدَلَّ لَهُ بَلْ كُنْ أَشَدَّ إِذَا زَهَا كِبْرًا

دخل إبراهيم بن أبي مُحَمَّد على السَّامُون وهو يشرب ، فأمره بالجلوس ، فجلس وأمر له بشراب ، فشرب وزاد في الشرب ، فسكر وعربد ، فأخذ علي بن صالح صاحب المصلى يده فأخرجه . فلما أصبح كتب إليه :

أَنَا الْمَذْنِبُ الْخَطَاءُ ، وَالْعَفْوُ وَسِيعٌ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ لَمَا عُرِفَ الْعَفْوُ
 نَعَلْتُ^(٢) فَأَبَدْتُ مَنَى الْكَأْسِ بَعْضَ مَا

كَرِهْتُ وَمَا إِنْ يَسْتَوِي السُّكْرُ وَالصَّخْوُ
 وَلَوْ لَا حُمِيًّا الْكَأْسُ كَانَ أَحْتِمَالُ مَا بُدِهُتُ بِهِ لَا شَكَّ فِيهِ هُوَ السَّرْوُ^(٣)
 وَلَا سِيَمَا إِذْ^(٤) كَفْتُ عِنْدَ خَلِيفَةٍ وَفِي مَجْلِسٍ مَا إِنْ يَجُوزُ^(٥) بِهِ اللَّفْوُ

(١) كذا في اوت . وفي غ تسترك .

(٢) كذا في اوت و غ . وفي معجم الأدباء : سكرت .

(٣) السرو : الفضل .

(٤) كذا في غ ومعجم الأدباء . وفي اوت : إن .

(٥) في معجم الأدباء يليق :

تَنصَلَّتْ مِنْ ذَنْبِي تَنْصَلُّ ضَارِعٌ إِلَى مَنْ لَدَيْهِ يُغْفِرُ الْعَمْدُ وَالسَّهْوُ
فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي تُلْفِ حَطَوِيَّ وَأَسِيعَا وَإِلَّا يَكُنْ عَفْوٌ فَقَدْ (١) قَصُرَ الْخَطْوُ

زَامَلَ الْمَأْمُونُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ بَيْنَ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ وَعِبَادَةَ الْمُخَنَثِ .
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ :

وَحَاكِمٌ زَامَلَ عِبَادَةَ وَلَمْ تَزَلْ تِلْكَ لَهُ عَادَهُ
لَوْ كَانَ (٢) لِي حُكْمٌ لَمَا جَازَ أَنْ يَحْكُمَ فِي قِيَمَةِ لُبَادِهِ
كَمْ مِنْ غَلَامٍ عَزَّ فِي أَهْلِهِ وَاقَتْ قَفَاهُ مِنْكَ (٣) سَجَادَهُ

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ فِيهِ أَيْضًا :

وَكُنَّا نُرْجِي أَنْ نَرَى الْعَدْلَ ظَاهِرًا فَأَعْقَبْنَا بَعْدَ الرَّجَاءِ قُنُوطُ
مَتَى تَصْلُحَ الدُّنْيَا وَيَصْأَحُ أَهْلُهَا وَقَاضِيَ قُضَاةَ الْمُسْلِمِينَ يَلُوطُ

قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : نَظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ وَهُوَ يَلْحَظُ خَادِمًا ، فَقَالَ
لِلْخَادِمِ : تَمَرَّضْ لَهُ إِذَا قُمْتُ ، فَإِنِّي سَأُقِيمُ لِلْوَضوءِ - وَأَمْرُهُ أَلَا يَبْرَحُ - وَعُدُّ إِلَى
بِمَا يَقُولُ ، وَقَامَ الْمَأْمُونُ وَأَمْرٌ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ بِالْجُلُوسِ ، فَلَمَّا قَامَ تَمَزَّهَ الْخَادِمِ
بِعَيْنِهِ ، فَقَالَ يَحْيَى : « لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ » (٤) فَضَى الْخَادِمِ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ ،
فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : قُلْ لَهُ : « أَنْحَنُ صَدَدْنَا كَمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ
مُجْرِمِينَ » (٥) فَفَرَجَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ ذَلِكَ لَهُ ، فَأَطْرَقَ يَحْيَى وَكَادَ يَمُوتُ جَزَعًا ،
وَحَرَجَ الْمَأْمُونُ وَهُوَ يَقُولُ :

(١) ف ت : وقد « تحريف » .

(٢) ف غ : جاز .

(٣) كذا في ا و ت . وفي غ : منه .

(٤) سورة سبأ ٣١ .

(٥) سورة سبأ ٣٢ .

مَتَى تَصْلُحِ الدُّنْيَا وَيَصْلُحِ أَهْلُهَا وَقَاضِيَ قُضَاةَ الْمُسْلِمِينَ يُلُوطُ
فَمَنْ فَانصَرَفَ وَأَتَقَّ اللَّهَ وَأَصْلَحَ نَبَتَكَ .

[كتب إبراهيم بن أبي محمد الزبيدي إلى محمد بن محمد الكاتب يهجوهُ ويُعيرهُ
بأنَّ الحَسَنَ بنَ إبراهيمَ بنَ رَبَاحٍ والحَسَنَ بنَ وَهَبٍ يَعشَقَانِ جَارِيَتَهُ وَيَتَغَايِرَانِ
عَلَيْهَا :

نِ اِ مَا يَمْلَانِهِ حَادِقَانِ	لِي خَلِيلَانِ مُحْكِمَانِ مُجِيدَانِ
كَبَاهَا فِي أَسْتِقَامَةِ الْمِيزَانِ	وَاحِدٌ يَمَلُّ الْقِسِيَّ فِيمَا نِيَه
نِ مُقَرَّرٌ بِحَدِّقِهِ الثَّقَلَانِ	وَفَتَى يَمَلُّ السَّكَاكِينَ فِي الْقَرَرِ
سَكَ فَا فَهَمٌ لِبَعْضِ تِلْكَ الْمَعَانِي	وَمَا يَطْلُبَانِ شَيْئًا عَلَى رَأَى
ه تَرِيدَانِ أَيُّهَا الْفَتَيَانِ	قَلْتُ: هَلْ يُؤَلِّمُ الْفَتَى قَطْعُ مَا مِنْهُ
نَم قَامَا إِذَا لَنُو كَامِدَانِ (١)	فَأَجَابَا بِلُطْفِ قَوْلٍ وَفَهَمِ
إِنَّ فِيمَا تَرَى لِمَحْضِ بَيَانِ	فَأُقْطِعِ الْآنَ مَا بَرَأْسِكَ مِنْهَا
فَيُقَالُ انظُرُوا إِلَى الْقَرْنَانِ (٢)	ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُسَمَّى بِسُوءِ

(١) كذا في اوت ولم يرد الخبر في غ ولم أجده في مرجع من المراجع التي ترجمت لإبراهيم

الزبيدي

(٢) ما بين القوسين لم يرد في غ .

أحمدُ بنُ محمد بن أبي محمد الزيّدي

كان أحمدُ هذا راويةً للعلم : علم أهله ، فاضلاً أدبياً . وكان أسنَّ إخوته ، وكان إخوته جميعاً يأثرون عنه جميع علوم جدّهم وعمومتهم ، وأدرك جدّه أبا محمد ، ورؤبما روى عنه ، وكُنيتُهُ أبو جعفر . ومن شعره :

شوق إليك على^(١) الأيام يزداد والقلب مُدغبت للأحزان معتاد
يالَهْفَ نفسي على دهر فِجعت به كأنَّ أيامه في الحُسنِ أعيادُ

قال أحمدُ بنُ محمد الزيّدي : كنتُ عند جعفر بن المأمون مُقيماً ، فلما أردتُ الأنصرافَ منعتني فبيتَ عنده ، وأصبحنا فوافقتنا عريب وجوارِها ، فأقتُ عنده ، وبيتَ ، وأوصلتها بغداد^(٢) ، وأستطيب المقام أيضاً فأقتُ .

فكتبَ إلى عمّي إبراهيم بن أبي محمد :

شردت يا هذا شرودَ البعير وطالت الغيبة عند الأمير
أقتَ يومين وليليهما وثالثاً تحسبي بيبرٍ كثير
يوم عريب مع إحسانها إن طالت الأيام يومٌ قصير
لها أغان غير مملوكة^(٣) منها ولا تخلقُ عند الكُرور
غير مألوم يا أبا جعفر أن تُورثَ اللهوَ ويوم السرور
فاجعل لنا منك نصيباً فما إن كنت عن مجلسنا بالففور

(١) في ت : مع .

(٢) في ١ : واحتبسها من غد .

(٣) في ت : مملوكة « تحريف » .

وصِرٌ^(١) إلينا غير ما صاغِرٍ
أصارَكَ الرحمنُ خَيْرٌ^(٢) المَصِيرُ
إن لم يَكُنْ عِنْدِي غِنَاءً وَلَا
عُودَ فَعِنْدِي القَمَرُ بِالترَدَشِيرِ^(٣)
والذِّكْرُ بِالْعِلْمِ الذِي قَدْ مَضَى
بأهله^(٤) حَدِثُ صَرَفُ الدُّهُورِ

قال أبو جعفر أحمد بن محمد الزبيدي : دخلتُ على المأمون وهو في مجلس غاصَّ بأهله ، وأنا يومئذ غلام ، فاستأذنتُ في الإنشاد ، فأذن لي ، فأنشدته مديحاً لي فيه ، وكان يسمع الشعر ما دام في نسيبٍ^(٥) أو وصفٍ لضربٍ من الضروب ، فإذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة ثم يقول للمُنشد : حسبك ، ترفعاً ، فأنشدته :

يا من شَكَوتُ إليه ما ألقاه
وَبذلتُ من ودي^(٦) له أَقْصاهُ
فأجَابَنِي بِخِلافِ ما أَمَلْتُهُ
ولرَبِّها مُنِعَ الحَريصُ مَنَاهُ
أَترى جَمِيلاً أَن شَكَا ذُو صَبوَةٍ
فَهجرتَه وَغَضبتَ من شِكوَاهُ
يَكفِيكَ صِمتُ أوجُوبِ مُؤيسٍ
إن كنتَ تَكره وَصَلَه وَهَوَاهُ
موتِ المَحبِ سَماذَةٌ إن كانَ من
يَهواه يَزعمُ أن ذاكَ رضاهُ
فلما صرت إلى المدح أنشدت :

أبقَى لنا اللهُ الإمامَ وزادَه
شرفاً إلى العِزِّ الذي أعطاهُ
فاللهُ أَكرَمَنا بأنَّنا مَعشَرَ
عَتَقاهُ من نَعَمِ العِبادِ سِوَاهُ

(١) في ت : فصر .

(٢) في ت : غير « تحريف » .

(٣) التردشير : لعبة الترد .

(٤) كذا في ت و غ . وفي أ : بأمره .

(٥) في غ : تشيب .

(٦) في غ : وجدى .

فسر بذلك وضحك ، وقال : جعلنا الله وإيّاكم ممن يشكر النعمة^(١)
ويُحسِن العملَ .

قال أبو جعفر أحمد بن محمد الزيدى : دخلت يوماً على المأمون بقارا وهو يريد
الغزو فأنشدته :

يا قصر ذى النخلات من باراً إني حُببت إليك من قارا
أبصرت أشجاراً على نهر فذكرت أشجاراً وأنهاراً
لله أيامٌ نعمت بها بالفُصصِ أحياناً وفي باراً
إذ لا أزالُ أزورُ غانِيةً ألهو بها وأزورُ خماراً
أعصى النصحَ وكلَّ عاذلةً وأطيعُ أوتاراً ومِرماراً

فغضب المأمون وقال : نحنُ في وجهِ عدوٍّ ، وأنا أخضُّ الناسَ على الغزو ، وأنت
تذكرهم نزه بغداد ولداتها ! فقلت : الشىء يا أمير المؤمنين بتمامه ثم أنشدت :

فصحوتُ بالمأمون عن سكرى ورأيت خيراً الأمرِ ما أختاراً
ورأيت طاعته مؤديةً للفرصِ إعلاناً وإمّاراً
فخلعتُ ثوب الهزل عن عنقى ورضيتُ دارَ الجدِّ لى داراً
وظللتُ ممتصماً بطاعته وجواره وكفى به جارا
إن حلَّ أرضاً فهى لى وطنٌ وأسيرُ عنها حيثما سارا

فقال له يحيى بن أكرم : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين ، أخبر أنه كان فى
سُكرٍ وغزلٍ ، فترك ذلك وارهوى ، وآثر طاعة خليفته ، وعلم أن الرشد فيها ،
فسكّن وأمسك عنه .

(١) فى ١ : النعمة .

دعا الْمُعْتَصِمِ الْمُأْمُونَ ذَاتِ يَوْمِ فِجَاءِهِ ، فَأَجْلَسَهُ فِي بَيْتِ عَلِيٍّ (١) سَقَفَهُ جَامَاتٌ ،
فَوْقَ ضَوْءِ الشَّمْسِ مِنْ وَرَاءِ تِلْكَ الْجَامَاتِ عَلَى وَجْهِ سِيَامِ التَّرْكِيِّ غِلَامِ الْمُعْتَصِمِ ،
وَكَانَ أَوْجَدَ النَّاسِ بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ (٢) مِثْلُهُ ، فَصَاحَ الْمُأْمُونَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ
مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَكَانَ حَاضِرًا ، فَقَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : أَنْظِرْهُ وَيَلِّكْ إِلَى وَجْهِ سِيَامِ
التَّرْكِيِّ ، أَرَأَيْتَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا قَطًّا ؟ وَقَدْ قُلْتُ :

قَدْ طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَى شَمْسٍ وَزَالَتْ الْوَحْشَةُ بِالْأَنْسِ

أَجْزَى يَا أَحْمَدُ فَقَالَ :

قَدْ كُنْتُ أَشْفَأُ الشَّمْسَ فِيمَا مَضَى فَصُرْتُ أَشْتَقُّ إِلَى الشَّمْسِ

قَالَ : وَفَطِنَ الْمُعْتَصِمَ وَعَضَّ عَلَى شَفْتِهِ لِأَحْمَدَ ، فَقَالَ أَحْمَدُ لِلْمَأْمُونِ : وَاللَّهِ لَنْ
لَمْ يَعْلَمْ أَخْوَكُ (٣) حَقِيقَةَ أَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَقْمَنَ مَعَهُ فِيمَا أَكْرَهَ ، فَدَعَا الْمَأْمُونَ ،
وَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ ، فَضَحِكَ الْمُعْتَصِمُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : كَثُرَ اللَّهُ فِي غِلْمَانِكَ مِثْلَهُ ، إِنَّمَا
اسْتَحْسَنْتَ شَيْئًا فَجَرَى مَا سَمِعْتَ لَا غَيْرَ .

(١) في ت : في .

(٢) في ا : حضرته .

(٣) في ت . أجرك .

أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمِ الْأَسَدِيِّ

هو أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكِ الْأَسَدِيِّ ، نسب إلى فَاتِكِ وهو جدُّ أَبِيهِ ، لأنه أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمِ بْنِ أَخْرَمِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ فَاتِكِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَسَدِ بْنِ خُرَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ .

صحاب هو وأبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وَرَوِيَا عَنْهُ . وكان أَيْمَنُ يَتَشَبَّهُ .
وكان أبوه أحدَ من أَعْتَرَلَ حَرْبَ الْجَمَلِ وَصِفِيَّينِ وما بعدها من الْأَخْدَاتِ فلم يَحْضُرْهَا .

كان عبد الملك شَدِيدَ الشَّغَفِ بِالنِّسَاءِ ، فلما أَسَنَّ ضَعْفَ عن الجماع ، وازداد غرامه بِهِنَ ، فدخل عليه ^(١) أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمِ يَوْمًا ، فقال له : كيف أنت يا أَيْمَنُ ؟ قال : بخير يا أمير المؤمنين . قال : كيف قوتك ؟ قال : كما أَحَبَّ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ، إِنِّي لَا أَكُلُ الْجَذَعَةَ مِنَ الضَّانِّ بِالصَّاعِ مِنَ الْبُرِّ ، وَأَشْرَبُ الْعُسَّ الْمَمْلُوءَ أَعْبَهُ عَبَا ، وَأُرْتَحِلُ الْبَمِيرَ الصَّعْبَ فَأُنْصِبُهُ ، وَأُرْكَبُ الْمَهْرَ الْأَرِنَ فَأُذِلُّهُ ، وَأَفْتَرِعُ الْعَدْرَاءَ لَا يُقْعِدُنِي عَنْهَا الْكِبَرُ ، وَلَا يَمْنَعُنِي مِنْهَا إِلَّا السَّحَرُ . وَلَا يُرْوِيَنِي مِنْهَا الْغَمْرُ ^(٢) ، وَلَا يَنْقُضِي ^(٣) مَنِي الْوَطْرِ ، فغَاظَ عَبْدَ الْمَلِكِ قَوْلُهُ ، وَحَسَدَهُ وَمَنَعَهُ الْعَطَاءَ ، وَحَجَبَهُ وَقَصَدَهُ بِمَا كَرِهَ حَتَّى أَثَّرَ ذَلِكَ فِي حَالِهِ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : وَيْحَكَ ، أَصَدَّقْنِي عَنْ حَالِكَ ، هَلْ لَكَ جُرْمٌ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ . قَالَتْ : أَيُّ شَيْءٍ دَارَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ آخِرَ مَا لَقَيْتَهُ ؟ فَأَخْبَرَهَا . فَقَالَتْ : إِنَّا لِلَّهِ ، مِنْ هَا هُنَا أُتَيْتَ ، أَنَا أَحْتَالُ لَكَ فِي ذَلِكَ

(١) في غ : إليه .

(٢) الغمر : القدح الصغير .

(٣) في غ : ينقص .

حتى أزيل ما جرى عليك ، فقد حسدك الرجل على ما وصفت به نفسك . فتمهيات
ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة زوجته ، فقالت : أسألك بالله أن تستعدي لي
أمير المؤمنين على زوجي ، قالت : وما شأنه ؟ قالت : ما أدري أنا مع رجل
أو حائط ؟ فإن له سنتين^(١) ما يعرف فراشي فسليه أن يفرق بيني وبينه ، فخرجت
عاتكة إلى عبد الملك فأخبرته ، وسألته في أمرها ، فوجه إلى أين فأحضره ، وسأله
عما شكك منه فاعترف بذلك له ، فقال : ألم أسألك عام أول عن حالك ، فوصفت
كيت وكيت ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الرجل ليتجمل عند سلطانة ، ويتجدد
على^(٢) أعدائه بأكثر مما وصفت به نفسي وإني أنا القائل :

لقيت من الغايات العجبا	لو أدرك مني النساء ^(٣) الشبا
يرى الشيب جمع النساء الحسن	عيباً شديداً إذا المرء شاباً
ولو كلت بالمد للغايات	وضاعفت فوق الثياب الثياباً
إذا لم تزلهن من ذاك ذاك	بمينك عند الأمير الكذاباً ^(٤)
يددن بكل عصاً ذائد	ويصبحن كل غداة صماباً
إذا لم يخالطن كل الخلا	ط أصبحن مخرنطام غضاباً
علام يكحلن حور العيون	ويحدثن بمد الخضب الخضباً
ويمركن بالمسك أجيادهن	ويدين عند الحجال العياباً
ويبرقن ^(٥) إلا لسا تعلمون	فلا تمنعن النساء ^(٦) الضراباً

(١) في غ : لسين .

(٢) في ت : عند .

(٣) في غ : الفواني .

(٤) في غ : جعدنك عند الأمير الكتابا .

(٥) في ت : ويرقبن « تحريف » .

(٦) في غ : فلا تحرموا الغايات .

فجعل عبد الملك يضحك من قوله ، ثم قال : أُولَى لَكَ يَا بَنَ خُرَيْمَ ، لقد لقيتَ مِنْهُنَّ بَرَحًا^(١) ، فما تَرَى أَنْ نَصْنَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ زَوْجَتِكَ ؟ قال : تستأجِلُها إلى أجل العَيْنَيْنِ ، فأدَارِيها لعلِّي أستطيع إمساكها ، قال : أفعلُ ذلك ، ففعل وردّها ، وأمر له بما فات من عَطَاة ، وعاد إلى بَرِّه وتقرَّب به .

ولما فرغَ أَيْمَنُ من إنشاد هذه الأبيات قال له عَبْدُ الْمَلِكِ : ما وصف أحدُ النساءِ بِمِثْلِ هذا ، ولا عرفهن أحدٌ مَعْرِفَتِكَ . فقال له أَيْمَنُ : لئن كنتُ صدقتُ في ذلك ، لقد صدقَ الَّذِي يَقُولُ :

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي خَيْرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبٌ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي^(٢) وَدُهْنِ نَضِيبٍ
يُرْدُنُ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ وَجَدَنَهُ^(٣) وَشَرَّخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ
فقال عَبْدُ الْمَلِكِ : لعمري لقد صدقتُما وأحسنتمُما .

قال عَبْدُ الْمَلِكِ يوماً : يامعشر الشعراء ، تشبهوننا مرةً بالأسدِ الأبخري ، ومرةً بالجبلِ الأوعري ، ومرةً بالبحرِ الأجاج ، الا قلمَ فيما كما قال أَيْمَنُ بنُ خُرَيْمِ في بَنِي هَاشِمٍ :

أَجْعَلْكُمْ وَأَقْوَامًا سَوَاءَ وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاءَ
وَهُمْ أَرْضٌ لَأَرْجُلِكُمْ وَأَنْتُمْ لَأَرْؤُسِهِمْ وَأَعْيُنُهُمْ^(٤) سَمَاءُ
دخل نُصَيْبُ يَوْمَا عَلِي^(٥) عبد العزيز بن مروان ، فأشده قصيدة له مدحه بها ،

(١) في غ : ترحا .

(٢) في غ : من .

(٣) في غ : علته .

(٤) في اوت . وأرجلهم .

(٥) في غ : إلى .

فأعجبته ، فأقبل على أيمن بن خريم فقال له : كيف ترى شعر مولاى هذا ؟
قال : هو أشعر أهل جلدته فقط ، قال : هو والله أشعر منك . قال : أمتى أيها
الأمير . قال : إى والله ، قال : لا والله ، ولكنك ملول ، قال : لو كنت كذلك
ما صبرت على مؤا كلك سنّة وبك من البرص ^(١) ما بك ، وكان به وضح ،
قال : ائذن لى أيها الأمير فى الانصراف ، قال : ذلك إليك ، فضى لوجهه إلى بشر
ابن مروان وهو على العراق ، وقال :

ركبتُ من المقطم في جمادى
ولو أعطاك بشر ألف ألف
أمير المؤمنين أقم ببشر
ودع بشراً يقومهم ويحدث
وإننا قد وجدنا أم بشر
كان التاج تاج بنى هرقل
يخاف لونه ديباج بشر
إلى بشر بن مروان البريدا
رأى حقاً عليه أن يزيدا
عمود الدين إن له عمودا
لأهل الزينغ إسلاما جديدا
كأم الأسد مذكاراً ^(٢) ولودا
جلوه لأعظم الأيام عيداً
إذا الألوان خالفت الخدودا

يعرض بنمى كان بوجه عبد العزيز ، فوصله بشر بمائة ألف درهم ، ولم
يزل عنده .

ولما أتى أيمن بن خريم بشر بن مروان ، نظر إلى الناس يدخلون أفواجا إليه ،
فقال : من يؤذن بنا ^(٣) الأمير ويستأذن لنا ؟ فقيل له : ليس على الأمير حجاب
ولا ستر ، فدخل وهو يقول :

(١) فى ت : المرض .

(٢) كذا فى ا وفى ت : كلثوا .

(٣) فى غ : لنا .

يُرَى بَارِزاً لِلنَّاسِ بَشْرٌ كَأَنَّهُ إِذَا لَاحَ فِي أَثْوَابِهِ قَمَرٌ بَدُرٌ
وَلَوْ شَاءَ بَشْرًا غَلِقَ الْبَابَ دُونَهُ^(١) طَعْمًا طِمُّ سُودٌ أَوْ صَقَالِبَةٌ شُقُرٌ
أَبِي ذَا وَلَكِنْ سَهَّلَ الْإِذْنَ لِلَّتِي يَكُونُ لَهُ فِي غَيْبِهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
فَضَحِكَ بِشْرًا إِلَيْهِ وَقَالَ : يَا قَوْمِ إِنَّمَا نَحْجُبُ الْحَرَمَ ، فَأَمَّا الْأَمْوَالُ وَالطَّعَامُ فَلَا .
وَأَمْرٌ لَهُ بِمِثْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .

(١) في ت : ولو أن بشرا غلق الباب دونه .

أَبُو نُخَيْلَةَ الْحَمَّانِي

أَبُو نُخَيْلَةَ اسْمٌ لَا كُنْيَةَ^(١)، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْجَنْبِيدِ، وَقِيلَ: أَبُو الْعَرْمَاسِ وَهُوَ ابْنُ حَزْنِ بْنِ زَائِدَةَ بْنِ لَقَيْطِ بْنِ هَرَمِ بْنِ اثْرَبِيِّ بْنِ ظَالِمِ بْنِ مُجَاشِرٍ^(٢) بْنِ يَقْدَمِ بْنِ يَثْرَبِيِّ بْنِ حِمَّانٍ^(٣) بْنِ عَبْدِ الْعَزْمِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ .
وَكَانَ عَاقِبًا بِأَبِيهِ، فَفَنَفَاهُ أَبُوهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَتَادَبَ بِالْبَادِيَةِ حَتَّى شَعَرَ، وَسَارَ شِعْرُهُ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَأَقَامَ هُنَاكَ إِلَى أَنْ مَاتَ أَبُوهُ، ثُمَّ عَادَ وَيُقَى مَشْكُوكَا فِي نَسَبِهِ مَطْمُونًا عَلَيْهِ. وَكَانَ الْأَغْلَبَ عَلَى شِعْرِهِ الرَّجْزُ، وَهُوَ قَصِيدٌ لَيْسَ بِالكَثِيرِ .

وَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الشَّامِ اتَّصَلَ بِعَسَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأُضْطَنَعَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَوْصَلَهُ إِلَى الْخُلَفَاءِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَاسْتَمَاحَهُمْ لَهُ فَأَغْنَوْهُ .
وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَلِيلَ الْوَفَاءِ لَهُمْ وَأَنْتَقَطَعَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ وَلَقَّبَ نَفْسَهُ شَاعِرِ بَنِي هَاشِمٍ فَمَدَحَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَهَجَا بَنِي أُمَيَّةٍ فَأَكْثَرَ .
وَكَانَ طَامِعًا فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ قَالَ فِي الْمَنْصُورِ أَرْجُوزَةً يُغْرِبُهُ فِيهَا بِخَلْعِ عَيْسَى بْنِ مُوسَى وَبِعَمْدِ الْمَهْدِ^(٤) لِابْنِهِ مُحَمَّدِ الْمَهْدِيِّ فَوَصَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ

(١) قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ٥٨٣ : اسْمُهُ يَعْمُرُ، وَإِنَّمَا كُنِيَ أَبَا نُخَيْلَةَ، لِأَنَّ أُمَّهُ وَلَدَتْهُ إِلَى جَنْبِ نَخْلَةٍ. وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ فِي الْأَشْتِقَاقِ: كُنِيَ بِهَذَا لِأَنَّ أُمَّهُ وَلَدَتْهُ فِي أَرْضِ نَخْلَةٍ، وَكَانَ يَطْعَنُ فِي نَسَبِهِ .

(٢) كَذَا فِي غَوَاوَاتٍ، وَلَعَلَّهُ نَخْلَاشِنُ فَقَدْ قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ: بَنُو نَخْلَاشِنُ: بَطْنٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ قِضَاعَةَ وَمِنْهُمْ أَبُو نُخَيْلَةَ .

(٣) فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ ١ / ٧٩ : حَمَارٌ « بَكْسَرِ الْمَهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ » .

(٤) كَذَا فِي غَوَاوَاتٍ وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ؛ وَفِي تِ: الْعَمْدِ .

بَأَلْفَى دِرْهِمٍ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يُنْشِدَهَا بِحَضْرَةِ عَيْسَى ، فَمَعَلَ فَطَلَبَهُ عَيْسَى فَهَرَبَ مِنْهُ ، فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِ قَطْرِيًّا مَوْلى لَهُ فَأَدْرَكَهُ فِي طَرِيقِ خُرَاسَانَ فَذَبَحَهُ وَسَلَخَ جِلْدَهُ (١) وَأَقْسَمَ لَا يَرِيْمُ مَكَانَهُ حَتَّى تُمَزَّقَ الطَيْرُ وَالسَّبَاعُ لِحِمِّهِ ، فَأَقَامَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا عِظَامُهُ وَأَنْصَرَفَ . بَنَى أَبُو نُخَيْلَةَ دَارَهُ فَمَرَّ بِهِ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِ . فَقَالَ أَبُو نُخَيْلَةَ : يَا بَنُ صَفْوَانَ كَيْفَ تَرَى دَارِي ؟ قَالَ : رَأَيْتُكَ سَأَلْتَ فِيهَا إِيحَافًا وَأَنْفَقْتَ مِمَّا جَمَعْتَ لَهَا إِسْرَافًا ، وَجَمَعْتَ إِحْدَى يَدَيْكَ سَطْحًا وَمَلَأْتَ الْأُخْرَى سَلْحًا وَقُلْتَ : مَنْ وَضَعَ فِي سَطْحِي وَإِلَّا مَلَأْتَهُ بِسَلْحِي ، ثُمَّ وَلى وَتَرَكَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَهْجُوهُ ؟ فَقَالَ : إِذَا وَاللَّهِ يَرَى كَبَّ بَغْلَتِهِ وَيَطْوُفُ فِي مَجَالِسِ الْبَصْرَةِ يَصِفُ أَبْنِيَّتِي بِمَا يَعْيبُهَا ، وَمَا عَسَى أَنْ يَضُرَّ الْإِنْسَانَ صِفَةَ أَبْنِيَّتِهِ بِمَا يَعْيبُهَا سَنَةً ، ثُمَّ لَا يُعِيدُ فِيهَا كَلِمَةً .

قال أبو نخيلة : وفدتُ على مسَلَمَةَ بن عبد الملك فمدحته وقلتُ فيه :

أُمْسَلِمِ إِنِّي يَا أَبْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ (٢)
 وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَا وَيَا جَبَلَ الْأَرْضِ
 شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّمِي
 وَمَا كُلٌّ مَنْ أَقْرَضْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِي
 وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَنْ أَتَيْتُكَ (٣) زَارِراً
 عَلَيَّ إِيحَافًا سَابِغَ (٤) الطُّولِ وَالْعَرْضِ
 وَأَحْيَيْتَ لِي ذِكْرًا وَمَا كُنْتُ خَامِلاً (٥)
 وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

فقال لي مسَلَمَةُ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فقلتُ : مِنْ بَنِي سَعْدِ . فقال : مَا لَكُمْ يَا بَنِي سَعْدِ وَالْقَصَائِدُ ؟ إِنَّمَا حَظُّكُمْ فِي الرَّجْزِ ، فقلتُ له : أَنَا وَاللَّهِ أَرْجَزُ الْعَرَبِ . قال : فَأَنْشِدْنِي

(١) كذا في ت و غ . وفي ا والحزاة : وجهه .

(٢) كذا في اوت و غ . وفي كتاب الحيوان للجاحظ ٢ / ١٠٠ : خير خليفة .

(٣) كذا في غ وفي اوت : رأيتك .

(٤) كذا في غ وفي اوت : واسع .

(٥) في كتاب الحيوان للجاحظ ٢ / ١٠٠ : فأحييت من ذكرى وما كان خاملاً .

من رَجَزِكَ فَكَأَنِّي لَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ لَمْ أَقُلْ رَجَزًا قَطَّ وَأُنْسِيَتْهُ كُلَّهُ ، فَمَا ذَكَرْتُ مِنْهُ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ شَيْئًا سِوَى أَرْجُوزَةٍ لِرُؤُوبَةٍ كَانَ قَدْ قَالَهَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ لَمْ تَبْلُغْ مَسْئَلَةَ ، فَأَنْشَدْتُهَا فَنَكَّسَ وَتَمَتَّعْتُ ، فَرَفَعُ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : لَا تُتَعَبْ نَفْسَكَ ، فَأَنَا أَرُوِي لَهَا مِنْكَ ، قَالَ : فَأَنْصَرَفْتُ وَأَنَا أَكْذَبُ النَّاسِ عِنْدَهُ وَأَخْرَأَمُ عِنْدَ نَفْسِي حَتَّى تَلَطَّفْتُ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَدَّحْتُهُ بِرَجَزٍ كَثِيرٍ ^(١) فَمَرَّقَنِي وَقَرَّبَنِي ، وَمَا رَأَيْتُ ذَلِكَ فِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَطَّ وَلَا قَرَّعَنِي بِهِ حَتَّى افْتَرَقْنَا .

قَدِمَ أَبُو نُخَيْلَةَ عَلَى الْمُهَاجِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّكِلَابِيِّ وَكَانَ أَبُو نُخَيْلَةَ أَشْبَهَهُ خَلَقَ اللَّهُ بِهِ وَجْهًا وَجِسْمًا وَقَامَةً لَا يَكَادُ النَّاطِرُ إِلَى أَحَدِهِمَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخَرِ ، فَأَمْتَدَّحَهُ بِأَرْجُوزَةٍ ، فَأَمَرَ لَهُ الْمُهَاجِرُ بِنَاقَةٍ فَرَدَّهَا وَهَجَاهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُهَاجِرُ فَبِعَثَ وَتَرَضَاهُ ، وَقَامَ فِي أَمْرِهِ بِمَا يُحِبُّ وَوَصَلَهُ ، فَقَالَ أَبُو نُخَيْلَةَ : هَذِهِ صِلَةُ الْمَدِيحِ فَإِنَّ صِلَةَ الشُّبْهِ ، فَإِنَّ التَّشَابُهَ فِي النَّاسِ نَسَبٌ ، فَوَصَلَهُ حَتَّى أَرْضَاهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَمْدَحُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ وَرَثَاهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ .

^(٢) [قَالَ أَبُو نُخَيْلَةَ : وَفَدَتْ عَلَيَّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَصَادَفْتُ مَسْئَلَةَ قَدَمَاتِ ، وَكُنْتُ بِأَخْلَاقِ هِشَامِ غَرًّا وَأَنَا غَرِيبٌ ، فَسَأَلْتُ عَنْ أَحْصَى النَّاسِ بِهِ ، فَذُكِرَ لِي رَجُلَانِ ، أَحَدُهُمَا مِنْ قَيْسٍ ، وَالْآخَرُ مِنَ الْيَمَنِ ، فَمَدَدْتُ إِلَى الْقَيْسِيِّ بِالنَّزَارِيَّةِ وَقُلْتُ : هُوَ أَقْرَبُهُمَا إِلَيَّ وَأَجْدَرُهُمَا بِمَا أُحِبُّ ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، وَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى ذِرَاعِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي مَسَسْتُكَ لَتَمَسَّنِي رَحِمُكَ ، وَأَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ شَاعِرٌ مِنْ عَشِيرَتِكَ ، وَأَنَا غَيْرُ عَارِفٍ بِأَخْلَاقِ هَذَا الْخَلِيقَةِ ، وَأُحِبِّبْتُ أَنْ تُرْشِدَنِي إِلَى مَا أَعْمَلُ ، فَيَنْفَعَنِي عِنْدَهُ وَيَشْفَعُ لِي وَتُوصِيَانِي إِلَيْهِ ، فَقَالَ : ذَلِكَ كُلُّهُ لَكَ ،

(١) كذا في ت و غ . وفي ا : كبير .

(٢) الخبر كله ساقط من ت وقد أنبته عن ا .

عَلَى أَنْ الرَّجُلَ فِيهِ شِدَّةٌ لَيْسَ كَمَنْ عَاهَدَتْ مِنْ أَهْلِهِ ، وَإِذَا مُدِحٌ ^(١) وَخُلِطَ مَدْحُهُ
بِطَلَبِ حَرَمِ الطَّالِبِ ، فَأَخْلِصْ لَهُ فِي الْمَدْحِ ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يَنْفَعَكَ ، وَأَعْدُ إِلَيْهِ
غَدًا ، فَإِنِّي مُنْتَظِرُكَ بِالْبَابِ حَتَّى أَوْصَلَكَ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ يُعِينُكَ ، فَصِرْتُ مِنْ غَدٍ
إِلَى بَابِ هِشَامٍ ، فَإِذَا أَنَا بِالرَّجُلِ يَنْتَظِرُنِي ، فَأَدْخَلَنِي مَعَهُ ، وَإِذَا أَنَا بِأَبِي النَّجْمِ
قَدْ سَبَقَنِي فَأَنْشَدَهُ :

إِلَى هِشَامٍ وَإِلَى مَرُوانَ بَيْتَانِ - مَأْمُومَهُمَا بَيْتَانِ
كَمَاكَ بِالْجُودِ تَبَارِيانَ كَمَا تَبَارَى فَرَسًا رِهَانِ
مَالَ عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ وَبَعْتُ ^(٢) مَا يَغْلُومِنَ الْغِلْمَانِ
بِالْتَّمَنِ الْوَكْسِ مِنَ الْأَمَانِ وَالْمُهْرَ بَعْدَ الْمُهْرِ وَالْحِصَانِ
قال : فَأَطَالَ فِيهَا ، وَأَكْثَرَ الْمَسْأَلَةَ حَتَّى ضَجِرَ هِشَامٌ ، وَتَبَيَّنَتْ الْكِرَاهَةُ
فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَتْهُ فِي الْإِنْشَادِ ، فَأَذِنَ لِي ، فَأَنْشَدْتُهُ أَرْجُوزِي
الَّتِي فِيهَا :

إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجْدِي رَبِّ مَعَدٍ وَسِوَى مَعَدٍ
مَنْ دَعَا مِنْ أَصِيدٍ وَعَبَسِدٍ ^(٣) ذِي الْمَجْدِ وَالْتَّشْرِيفِ بَعْدَ الْمَجْدِ
فِي وَجْهِهِ بَدْرٌ بَدَا بِالسَّعْدِ أَنْتَ الْهُمَامُ الْقَرَمُ عِنْدَ الْجِدِ
طَوْقُهَا مُجْتَمِعَ الْأَشُدِّ فَاثْبَلْ لَأَقْتِ صُوبَ الرَّعْدِ
حتى أَتَيْتُ عَلَيْهَا ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ فِيهَا ، ثُمَّ عَزَفَتْ نَفْسِي ، وَقُلْتُ :
قَدْ اسْتَنْصَحْتُ رَجُلًا فَأَخْشَى أَنْ أَخَالَفَهُ فَأَخْطِي ، وَحَانَتْ مِنِّي الْتِفَاتُهُ ، فَارَأَيْتُ

(١) في أ : سئل .

(٢) في غ : وبيع .

(٣) في غ و نجد : .

وجه هِشَامٍ مُنْطَلِقًا ، فلما فَرَعْتُ أُقْبِلُ عَلَى جُلسَانِهِ ، وَقَالَ : الْعَلَامُ السَّعْدِيُّ أَسْعُرُ
مِنَ الشَّيْخِ الْعَجَلِيِّ ، وَخَرَجْتُ . فلما كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ أَنْتَنِي جَائِزَتُهُ .

ثم دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَدَحْتُهُ بِقَصِيدَةٍ فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا ، فَأَلْقَى عَلَيَّ جَبَّةَ خَزٍّ
مِنَ جِيَابِهِ مُبَطَّنَةً بِسَمُورٍ . ثم دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا آخَرَ فَكَسَانِي دُوَاجِبًا^(١) كَانَ عَلَيْهِ
مِنَ خَزٍّ أَحْمَرَ مُبَطَّنًا بِسَمُورٍ . ثم دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا ثَالِثًا فَلَمْ يَأْمُرْ لِي بِشَيْءٍ ، فَحَمَلْتُ
نَفْسِي عَلَى أَنْ قُلْتُ لَهُ :

كَسَوْتَنِيهَا فَهِيَ كَالْتَجَنَافِ مِنْ خَزِّكَ الْمَنْصُوبَةِ^(٢) الْكِتَافِ
كَأَنَّي فِيهَا وَفِي الْأَحَافِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ أَوْ بَنِي مَنَافِ
وَإِلْحَزَّ مُشْتَقًّا إِلَى الْأَفْوَافِ

قَالَ : فَضَحِكَ ، وَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَتَزَعَّهَا وَرَمَى بِهَا إِلَيَّ وَقَالَ : خُذْهَا لَا بَارَكَ
اللَّهُ لَكَ فِيهَا [٣] .

كَانَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ قَدْ حَبَسَ الْفَرَزْدَقَ وَهُوَ أَمِيرُ الْعِرَاقِ وَأَبَى أَنْ يُسَفَّحَ فِيهِ
أَحَدًا ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو نُخَيْلَةَ فِي يَوْمٍ فَطَرَ ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ :

أَطْلَقْتِ بِالْأَمْسِ أُسِيرَ بَكْرٍ فَهَلْ فِدَاكَ نَفْرِي وَوَفْرِي
مِنْ سَبَبٍ أَوْ حُجَّةٍ أَوْ عُذْرٍ تُنَجِّنِي التَّمِيمِيَّ الْقَلِيلَ الشُّكْرِي
مِنْ حِلْقِ الْقَيْدِ الثَّقَالِ السُّمْرِ مَا زَالَ مَجْنُونًا مَمَرَّ الدَّهْرِ^(٤)
ذَا حَسَبٍ يُمْلِي وَعَقْلٍ يُزْرِي هَبْهُ لِأَحْوَالِكَ يَوْمَ الْفِطْرِ

فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ وَكَانَ قَدْ أَطْلَقَ قَبْلَهُ رَجُلًا مِنْ عَجَلٍ ، جِيءَ بِهِ مِنْ عَيْنِ التَّمْرِ ،

(١) الدواج كغراب ورمان : اللعاف الذي يلبس .

(٢) كذا في اوت وفي غ : المصونة .

(٣) الخبر كله ساقط من ت والتسكلمة من ا .

(٤) كذا في اوت وفي غ : على است الدهر . بدل ممر الدهر .

قد أفسد ، فشفعت فيه بكر بن وائل فأطلقه ، وإياه عني أبو نخيلة . فلما خرج الفرزدق سأل عن شفع فيه ، فأخبر فرجع إلى الحبس وقال : لا أريه ولو مت ، أيتلق قبلي بكرى وأطلق بشفاعة دعي ، والله لا أخرج هكذا ولو من النار . فأخبر ابن هبيرة بذلك فدعا به وأطلقه ، وقال : قد وهبتك لنفسك ، وكان سبب حبسه أنه هجاه .

ولما عزل ابن هبيرة وحيس مدحه الفرزدق فكان يقول : ما رأيت أكرم منه [هجاني أميراً ، ومدحني أسيراً . وقيل : إن هذه الأرجوزة قيلت في غير الفرزدق] (١)

دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح وكان لا يجترئ عليه لما كان السفاح يعلمه من اصطناع مسلمة لأبي نخيلة وكثرة مديحه له ولبنى أمية (٢) حتى علم أنه قد عفا عن أكبر جرماً وأعظم محلاً منه ، فلما وقف بين يديه سلم عليه ودعا له ، وأثنى عليه ، ثم استأذن في الإنشاد فقال له : ومن أنت ؟ قال : عبدك يا أمير المؤمنين أبو نخيلة الحماني . فقال : لا حياك الله ولا قرب دارك يا نضو الشوء ألسن القائل في مسلمة :

أمسلم إني يا ابن كل خليفة ويا فارس الهيمجاء ويا جبل الأرض (٣)
أما والله لولا أنني قد أمنت نظراءك لما أرتد إليك طرفك حتى أخضبك
بدمائك . فقال له أبو نخيلة :

كنا أناساً نرهب الأملاك إذ ركبوا الأعناق والأوراكا
قد ارتجينا زمناً أباك ثم ارتجينا بعده أخاك

(١) بياض بالأصل ، والتكلمة من ا .

(٢) في غ : لبنى مروان .

(٣) في غ : يا من ساد كل خليفة . . وياقر الأرض .

ثُمَّ ارْتَجَيْمَنَّكَ لَهَا يَا كَا وَكَانَ مَا قُلْتُ لِمَنْ سِوَاكَ
زُورًا وَقَدْ كَفَّرَ هَذَا ذَاكَ

فَتَبَسَّمَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ شَاعِرٌ وَطَالِبٌ خَيْرٌ ، وَمَا زَالَ النَّاسُ
يَمْدَحُونَ الْمُلُوكَ فِي دَوْلِهِمْ ، وَالتَّوْبَةُ تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ ، وَالظَّفَرُ يُزِيلُ الْحَقْدَ ،
وَقَدْ عَفَوْنَا عَنْكَ ، وَاسْتَأْنَفْنَا الصَّنِيعَةَ لَكَ ، فَأَنْتَ الْآنَ شَاعِرُنَا فَتَسَمَّ بِذَلِكَ لِيَزُولَ
عَنْكَ مِسَمٌ بَنِي مَرْوَانَ ، فَقَدْ كَفَّرَ هَذَا ذَاكَ كَمَا قُلْتَ . ثُمَّ التَّمَّتْ إِلَى أَبِي الْخَصِيبِ
فَقَالَ : يَا مَرْزُوقَ أَدْخِلْهُ دَارَ الرَّقِيقِ فَخَيْرُهُ جَارِيَةٌ يَأْخُذُهَا لِنَفْسِهِ ، فَفَعَلَ فَاخْتَارَ
جَارِيَةَ وَطَبَاءً (١) كَثِيرَةَ اللَّحْمِ فَلَمْ يَحْمَدْهَا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَخَلَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ
وَكَانَ عَلَى رَأْسِهِ وَصِيفَةٌ حَسَنَاءُ تَدْبُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ عَرَفْتُ خَبَرَ الْجَارِيَةِ الَّتِي
أَخَذْتَهَا وَهِيَ كَذَّابًا ذَنُوبًا كَهَ فَاحْتَفِظْ بِهَا فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِنِّي وَجَدْتُ الْكَذَّابَ ذَنُوبًا كَمَا (٢)
غَيْرَ مَنِيكَ فَأَبْغَيْتُ مَنِيكَ كَمَا
حَسْتِي إِذَا حَرَّ كَتَهُ تَحَرَّ كَمَا

فَضَحِكَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ : خُذْ هَذِهِ الْوَصِيفَةَ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا خَلَوْتَ بِهَا تَحَرَّكَ
مِنْ غَيْرِ أَنْ تَحَرَّكَ .

وَكَانَ أَبُو نُخَيْلَةَ بَدَلًا يُرْضِيهِ الْقَلِيلُ وَيُسْخِطُهُ وَكَانَ الرَّبِيعُ يَنْزِلُهُ عِنْدَهُ وَيَأْمُرُ
سَائِسًا لَهُ يَتَقَقَّدُ فَرَسَهُ فَمَدَحَ الرَّبِيعَ بِأَرْجُوزَةٍ وَمَدَحَ مَعَهُ سَائِسَهُ فَقَالَ :
وَمِنْ صَلَاحٍ رَاشِدٍ أَصْطَبِلُهُ نَعِمَ الْفَتَى وَخَيْرُ فِعْلٍ فِعْلُهُ
يَسْمَنُ مِنْهُ طَرْفُهُ وَبَعْلُهُ

فَضَحِكَ الرَّبِيعُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا نُخَيْلَةَ أَرْضَى أَنْ تُقْرَنَ بِي السَّائِسُ فِي
مَدِيحٍ ؟ كَأَنَّكَ لَوْلَمْ تَمْدَحْهُ مَعِيَ كَانَ يُضْمَعُ فَرَسًا .

(١) الوطباء : العظيمة الثدي . وفي ت : وطفاء .

(٢) كذا في اوت . وفي غ : الأذنيان الكودكا . وكودك معناها في الفارسية فتى .

قال أبان بن عبد الله النميري يوماً لجلسائه وفيهم أبو نخيلة : والله لو ددت
أنه لو قيل في ما قيل في جرير بن عبد الله :

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست القبيلة
وأني أثبت^(١) على ذلك . فقال له أبو نخيلة : هلم الثواب فقد حضرني من
ذلك ما تريد ، فأمر له بدرهم فقال : [اسمع يا طالب ما يجزيه]^(٢) :

لولا أبان هلكت نمير نعم الفتى وليس فيهم خير
أفحمت السنة أبا نخيلة فأنى القمقاع بن ضرار وهو يومئذ على شرطة
السكوفة ، فمدحه فأنزله القمقاع وأبنيه وعبديه وركابهم في دار ، وأقام لهم
الأنزال ولركابهم الملوقة ، وكان طبخ القمقاع بأنهم في كل يوم بأربع قِصاع ،
فيها ألوان مطبوخة من لحوم النعم ، ويأتيهم بتمر وزبد ، فكان أبو نخيلة
يكثر الأكل مما يأتيه فتحم ، فدخل على القمقاع فسأله : كيف أصبحت ؟
فقال : أصبحت والله بشما أمرت خبازك فأتاني بهذا الرفاق الذي كأنه الثياب
المبلولة قد غمسه في الشحم غمسا وأتبعه بزبد كراس النعجة الحوسية^(٣) ، وتمر
كأنه عتر رابضة إذا أخذت التمرة من موضعها تبسها من الرب كالسلوك
المدودة ، فأمنت من ذلك^(٤) وأعجبنى حتى بشت من أقداح جياذ ؟ وبين
يدى القمقاع حجام واقف وسفرة^(٥) موضوعة فيها المواسي فإذا أتى بشراب
النبيذ حلق رءوسهم ولحاهم . فقال لي القمقاع : أتطلب مني النبيذ وأنت ترى
ما أصنع بشرابه ؟ علمك بالمسل والماء البارد . فوثب أبو نخيلة فقال :

(١) بياض بالأصل : والتكلمة من أوغ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت موجود في أوغ .

(٣) في غ : الحرسية ! والحوسية : السمينة .

(٤) في ت : الزبد .

(٥) كذا في أوغ وفي غ : صفرة .

قد عَلمَ المَظَلُّ والبَيتُ إِذَا أَتتْ ما بُدِّدَ أُتِيتُ
أَيُّ من القَمَاقِعِ فِيمَا شِيتُ ولو تَمَنَّيتُ الَّذِي أُعْطِيتُ
بِيدِعِ لَيسَ بِهَا غُذِيتُ أَيَا ابنَ بَيتِ دُونِهِ البُيُوتُ
ما أَزْدَدتُ شَيْئاً فَوَوقَ ما لَقِيتُ^(١) ما مِن شِرابِ عَسَلٍ مَنَمُوتُ
أَقْصِرُ فَمَقدُّ فَوَوقَ القَرى قُريتُ رِطَلٌ نَبِيدٌ مُخْفِيسٍ^(٢) سُقِيتُ
لَكِنِّينِي في القَوْمِ^(٣) فَقدَّ أُرِيتُ صُلباً إِذا جَاذَبْتُهُ رَوِيتُ

فغمزه على ابن أخيه^(٤)، وأوماً إلى إسماعيل، فأخذه بيده ومضى به إلى منزله،

فسقاه حتى صلح .

(١) كذا في أوغ ووفت : أعطيت .

(٢) في اوت : في النوم .

(٣) شراب مخفس : سريع الإسكار .

(٤) في اوت : فغمزه على إسماعيل ابن أخيه وأوماً إلى إسماعيل .

أُمَيَّةُ بنِ الْأَسْكَرِ (١) اللَّيْثِي

هو أُمَيَّةُ بنِ حُرْثَانَ بنِ الْأَسْكَرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَرَائِيلَ الْمَوْتِ (٢) بنِ زُهْرَةَ ابنِ زَبِيْبَةَ (٣) بنِ جُنْدَعِ بنِ لَيْثِ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَنَاءَ بنِ كِنَانَةَ بنِ حَزِيمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ ابنِ إِيَّاسِ بنِ مُضَرَ شَاعِرِ فَارِسِ مُخَضَّرَمِ ، أدرك الجاهليَّةَ والإسلامَ . وكان من فرسان قومه وساداتهم ، وله أيام مأثورة مذكورة .

وكان له أخ يقال له : لاعق الدم (٤) وكان من فرسان قومه وشعرائهم .

وابنه كِلَابُ بنِ أُمَيَّةِ أدرك النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ مع أَبِيهِ ، ثم هاجر إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال أبوه فيه شعرا ، فأمره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصِلَةِ أَبِيهِ وَطَاعَتِهِ وَمِلَازِمَتِهِ .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل كِلَابًا ، وعاش حتى ولى لِزِيَادِ الْأُبُلَّةِ ، ثم استغفاه عن الأُبُلَّةِ ، وكان أبواه يَنْتَابَانِهِ (٥) ، يَأْتِيهِ أَحَدُهُمَا فِي كُلِّ سَنَةٍ ، ثم أبطأ عليه وكبرا وضعفا عن لقاءه ، فقال أبياتا أنشدها عُمَرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَرَقَّ لَهُ وَرَدَّهُ إِلَيْهِمَا ، فلم يلبث معهما إِلَّا مُدَّةً حَتَّى نَهَشَتْهُ أَفْعَى فَمَاتَ ، قالوا : وهذا وَهْمٌ ؛ لِأَنَّ كِلَابًا عَاشَ حَتَّى ولى لِزِيَادِ الْأُبُلَّةِ ، ثم استغفاه فأعفاه .

(١) في ترجمته في الإصابة رقم ٢٥١ : الأسكر بالسين المهملة فيما صوبه الجياني ، وضبطه ابن عبد البر بالمعجمة .

(٢) كذا في اوت وخزانة الأدب . وفي غ : زبينة ، وفي الإصابة : زبينة وفي هامش سمط اللآلي / ١٢ : زبينة .

(٤) كذا في اوت . وفي غ : أبو لاعق الدم .

(٥) كذا في غ و ا . وفي ت : يأتياه .

وكان كِلاب بن أُمَيَّة قد هاجر إلى المدينة في خلافة عُمر - رضي الله عنه - فأقام بها مُدة ، ثم لقي ذات يوم طلحة والزبير ، فسألَهُما : أيُّ الأعمال أفضل ؟ فقالا : الجهاد ، فسأل عُمر ، فأغراه في جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت غيبته عنه قال :

لَمَنْ شَيْخَانٌ قَدْ نَشَدَا كِلَابًا كِتَابَ اللَّهِ لَوْ قَبِلَ (١) الْكِتَابَا
أُنَادِيهِ فِيمَعْزُضٍ فِي إِبَاءِ (٢) فَلَا وَأَبِي كِلَابٍ مَا أَصَابَا
تَرَكْتَ أَبَاكَ مُرْعَشَةً يَدَاهُ وَأُمَّكَ مَا تَسِيغُ لَهَا شَرَابَا
وَإِنَّكَ وَالْتِمَاسِ (٣) الْأَجْرِ بَمَدِي كِبَاغِي الْمَاءِ يَلْتَمِسُ (٤) السَّرَابَا

فبلغت أبياته عُمر - رضي الله عنه - فلم يردد كِلابا ، وطل مقامه فاهتر (٥)
أُمَيَّةُ وخالط جزعا عليه ، ثم أتاه يوما وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحوله المهاجرون والأنصار فوقف عليه فأنشأ يقول :

أعاذل قد عدت بغير قدر (٦) ولا تدرين عاذل ما ألاق
فإما كنت عاذلتى فردى كِلابا إذ توجه للعراق
ولم أقض اللبانة من كِلاب غداة غدا وأذن (٧) بالفراق
فتى الفقيان في عسر ويسر شديد الركن في يوم التلاق
فلا وأبيك ما باليت وجدى ولا شغفى عليك ولا أشتياقي

(١) في غ : لمن . وفي ذيل الأماي / ١٠٨ : إن رقب .

(٢) في ذيل الأماي : أناديه وولاني قفاه .

(٣) في خزنة الأدب : وابتغاء .

(٤) في غ وخزنة الأدب : يقبع .

(٥) في غ : فاهتر .

(٦) كذا في اوت وفي الخزنة : علم .

(٧) كذا في اوت والخزنة . وفي غ : وأذن .

وإِبْسَانِي عَلَيْكَ إِذَا شَتَوْنَا وَضَمَّكَ تَحْتَ نَجْرِي وَأَعْتِنَانِي
 فَلَوْ فَلَقَ الْفَوَادُ شَدِيدًا وَجَدِي لَهَمَّ سَوَادُ قَلْبِي بَانْفِلَاقٍ
 سَأَسْتَمْدِي عَلَى الْفَارُوقِ رَبًّا لَهُ عَمَدَ الْحَجِيجِ إِلَى بُسَاقٍ ^(١)
 وَأَدْعُو اللَّهَ مُجْتَهِدًا عَلَيْهِ بِيظَنِّ الْأَخْشَبِينَ إِلَى دُفَاقٍ ^(٢)
 إِنْ الْفَارُوقُ لَمْ يَرُدُّدْ كِلَابًا إِلَى شَيْخَيْنِ هَامَهُمَا زَوَاقٍ ^(٣)

قال : فَبَكَى عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بُكَاءَ شَدِيدًا وَكَتَبَ بِرِدِّ كِلَابِ
 إِلَى الدِّينَةِ .

فلما قدم دخل عليه فقال : ما بلغ من برِّك لأبيك ؟ قال كنت أبرُّه ^(٤)
 وأكفنيه أمره ، وكنت أعتد إذا أردت أن أحلب له لبنًا أغزر ناقةً واسمها
 فأريحهما وأنزركها حتى تستقر ثم أعسل أخلافها حتى تبرد ثم احتلب له
 وأسقيه ، فبعث عمر إلى أبيه من جاء به فدخل يتهادى وقد ضعف بصره وانحصى ،
 فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ فقال : كما ترى يا أمير المؤمنين . قال : فهل
 من حاجة ؟ قال : نعم ، كنت أشتهي أن أرى كلابًا فأشمه شمةً وأضمه ضمةً قبل
 أن أموت ، فبكى عمر رضي الله عنه وقال : ستبلغ في هذا ما تحب إن شاء الله
 تعالى ، ثم أمر كلابًا أن يحلب لأبيه ناقةً كما يفعل ويبعث إليه بلبنها ففعل فناوله
 عمر الإناء وقال : دونك هذا يا أبا كلاب ، فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال لعمر :
 والله يا أمير المؤمنين أني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر

(١) كذا في معجم البلدان ١ / ٦٠٩ وساق : جبل برفات . وأورد ياقوت القصة عند ذكر
 الجبل ، وفي طبقات الشعراء : له عمد الحجيج إلى سباق . وفي اوتوغ : له دفع الحجيج إلى سباق
 وفي الخزانة : له رفع الحجيج إلى سباق .
 (٢) الأخشبان : جيلان . ودفاق : موضع قرب مكة .
 (٣) زقت الهامة . ونحوها : صاح . وفي طبقات الشعراء : رواق .
 (٤) في غ : أدثره .

وقال : هذا كلاب عندك حاضِر وقد جِئْتَاكَ بِهِ ، فَوَثَبَ إِلَى أَبِيهِ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَبَلَهُ وَعُمَرَ يَبْكِي وَمَنْ حَضَرَهُ وَقَالَ الْكِلَابُ : أَلَزَمَ أَبُوكَ جَاهِدَ فِيهِمَا مَا بَقِيََا ثُمَّ شَأْنُكَ . وَنَفْسُكَ بَعْدَهُمَا ، وَأَمْرُ لَه بَعَطَائِهِ ، وَصَرْفُهُ إِلَى أَبِيهِ ، فَلَمْ يَزَلْ مَقِيًا حَتَّى مَاتَ أَبُوَاه .

وَعُمَرُ أُمِيَّةُ بْنُ الْأَسْكَرِ طَوِيلًا حَتَّى خَرَفَ :

وكان ذات يوم جالساً في نادى قومه وهو يحدث نفسه إذ نظر إلى راعي ضأن لبعض قومه يتمعجب منه فقام لينهض فسقط على وجهه فضحك الراعى منه ، وأقبل ابنائه إليه فلما رآهما أنشأ يقول :

يا ابْنِي أُمِيَّةُ إِنِّي عَنَكُمَا غَانَ وما الغنى غير أئى مرعش فان
يا ابْنِي أُمِيَّةُ إِلَّا تَحْفَظًا ^(١) كِبْرِي فإنما أنتما واتشکل سيان ^(٢)
أصبحتُ فرداً لراعى الضان يلعبُ بي ^(٣)

ماذا يريُّك منى راعى الضان

أعجب لغيرى إني تابع سلقى أعمام مجدٍ وإخوانى وأخذانى ^(٤)
وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى خطبة له على منبر الكوفة .

قال عبد الله بن عدى : شهدت الحكمين ، ثم أتيت الكوفة وكانت لى إلى على رضى الله عنه حاجة فلما دخلت عليه قال لى : مرحباً بك يا ابن أم قتال

(١) فى ذيل الأمالى : تشهدا .

(٢) فى ذيل الأمالى ١٠٨ : فإن تأيكما والشكل مثلان

(٣) فى ذيل الأمالى : أصبحت هزء الراعى الضان أعجبه . وفى غ . يسخر بى بدل يلعب بى .

(٤) فى غ : أعمام مجد وأجدادى وإخوانى .

أَرَأَيْتَ أَمْ لِحَاجَةٍ؟ فقلت: كَلِّمْ جَاءَ بِي، جِئْتُ لِحَاجَةٍ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أُجِدَّ بِكَ عَهْدًا، وسألته عن حديث فحدثني على ألا أحدثت به أحدًا، فبينما أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُتَنَكِّبًا قَرَنًا فجعل يقول: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، وجلس على المنبر، واجتمع الناس، وجاء الأشعثُ بنُ قيس، فجلس إلى جانب المنبر، فلما اجتمع الناس ورضي منهم، قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَرْعُمُونَ أَنْ عِنْدِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ! أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي إِلَّا مَا فِي قَرْنِي هَذَا، ثم نكته كِنَانَتَهُ، فأخرجَ مِنْهَا صَحِيفَةً فِيهَا: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، أَلَا لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ، وَمَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُجِدِّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

فقال له الأشعثُ بنُ قيس: هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ، دَعَهَا تَرَحَّلَ^(١)، فخفضَ على إِلَيْهِ بَصَرَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَى مِمَّا لِي، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ حَائِكُ ابْنِ حَائِكٍ مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْإِسْلَامَ مَرَّةً وَالْكَفْرَ أُخْرَى، فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا حَسْبُكَ وَلَا مَالُكَ، ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ وَقَالَ:

أَصْبَحْتُ فَرْدًا لِرَاعِي الضَّانِ يَلْعَبُ بِي

مَاذَا يَرِيْبُكَ مَنِ رَاعِيَ الضَّانِ

قلت: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَدْ كُنْتُ وَاللَّهِ أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ هَذَا مِنْكَ، قَالَ:

هُوَ وَاللَّهِ ذَاكَ:

فَمَا قِيلَ فِيهَا بَعْدَنَا مِنْ مَقَالَةٍ وَلَا عَلِقَتْ مِنَّا جَدِيدًا وَلَا دَرَسَا

(١) في غ: ترحل.

ولمّا مات أُمَيَّةُ بنُ الأَسْكَرِ عادَ ابنُه كِلابٌ إلى البَصْرَةِ ، وكان يَغزُو
مع المسلمين ، وشهد فُتُوحَاتِ كثيرة إلى أن بَقِيَ إلى أَيَّامِ زِيَادَ ، فَوَلَّاهُ الأُبَلَّةَ ،
فَسَمِعَ يوماً عُثْمَانَ بنَ أَبِي العاصِ يُحَدِّثُ أن دَاوُدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
كَانَ يَجْمَعُ أَهْلَهُ فِي السَّحَرِ فيقول : أَدْعُوا رَبِّكُمْ فَإِنِ فِي السَّحَرِ سَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا
عَبْدٌ مُؤْمِنٌ إِلَّا غُفِرَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً ، فلما سمع ذلك كِلابٌ ، كَتَبَ
إلى زِيَادَ ، فاستَعفاه من عَمَلِهِ فَأَعفَاهُ .

ولم يزل كِلابٌ بالبَصْرَةِ حتى مات بها . وَالرَّبْعَةُ المَعْرُوفَةُ بِرَبْعَةِ كِلابٍ
مَنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ .

الأغلبُ العجَلِيّ

هو الأغلبُ بنُ جُثَمِ بنِ سَعْدِ بنِ عِجَلِ بنِ جُثَمِ (١) بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيِّ بنِ بَكْرِ ابنِ وائِلِ ، وهو أحدُ من عَمَرَ في الجاهلية طويلاً وأدرك الإسلامَ فأسلمَ وحَسُنَ إسلامُهُ وهَاجَرَ .

وكانَ فيمَن تَوَجَّهَ إلى الكوفةِ معَ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ ونَزَلَهَا وأُسْتُثْمَدَ في وقعةِ نَهَاوَنْدَ فقبْرُهُ هناكَ معَ قُبُورِ الشَّهَدَاءِ .

وهو أولُ من رَجَزَ الأَرَاجِيزَ ، وسَلَكَ الناسُ طَرِيقَهُ ، وكانتِ العربُ تقولُ الرَّجَزَ في الحَرْبِ والجِدِّ والمُفَاخِرَةِ وما جَرَى هذا الجَرَى ، فتَأَنَّى منه بأبياتِ يَسِيرَةٍ ، والأغلبُ أولُ من قَصَدَ الرَجَزَ .

قالَ الشَّعْبِيُّ : كنتُ عندَ عمرَ بنِ الخَطَّابِ رضِيَ اللهُ عنه وقد كَتَبَ إلى المُغِيرَةَ ابنِ شُعْبَةَ وهو على الكوفةِ : أن أُسْتَنْشَدَ مِنْ قِبَلِكَ مِنْ شُعْرَاءِ أَهْلِ مِصْرَ ما قَالُوا في الإسلامِ ، فاستنشدَ الأَغلبُ ، فأنشده شيئاً من شعره ، واستنشدَ لبيداً ، فأطلقَ وكتبَ سُورَةَ البَقَرَةِ في صحيفَةٍ وقالَ : أبدو لى اللهُ عزَّ وجلَّ هذه في الإسلامِ مكانَ الشعرِ . فكتبَ المُغِيرَةَ بذلكَ إلى عُمرَ ، فنقصَ من عطاءِ الأَغلبِ خمسمائةَ وجعلها في عطاءِ لبيدٍ ، فكتبَ الأَغلبُ إلى عمرَ : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتُنْقِصُ عَطَائِي أَنْ أَطْعَمَكَ ؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ خَمْسَمِائَةَ ، وأقرَّ عطاءَ لبيدٍ على ألفينِ وخمسمائةَ درهمٍ .

وقيلَ : إنَّ الأَغلبَ لَمَّا دَخَلَ على عُمرَ رضِيَ اللهُ عنه قَالَ له : هِيهِ أَنْتَ القَائِلُ :

أَرْجِزاً تُرِيدُ أمَ قَصِيداً لَقَدْ سَأَلْتَ هَيْئاً مَوْجُوداً

فقال : يا أمير المؤمنين لقد أطمعتك ، فردّ عليه الخمسائة .

وهو القائل في سجاج لما تزوجت مسيئمة الكذاب :

كأنّ عرق أيره إذا ودَى (١)	حَبْلٌ عَجُوزَ ضَفَرَتِ سَبْعَ قُوَى
يَمْشِي عَلَى قَوَائِمِ خَمْسٍ بَظًا (٢)	يَرْفَعُ وَسْطَاهُنَّ مِنْ بَرْدِ النَّدَى
قالت متى كنت أبا الخير متى	قال حديثاً لم يُغَيِّرْني البلي
ولم أفارق حُلَّةَ لي عن قلى	فانتفشت (٣) فيشته ذات الشوى
ما زال عنها بالحديث والمُنى	قال ألا ترينه قالت : أرى
قال ألا أدخِله (٤) قالت : بلى	فشام فيها مثل مِحْرَاثِ الغَضَا
يقول لَمَّا غَابَ فيها واستوى	لمثل ذا (٥) كنت أحسيك الحسا

(١) الودى : الماء الذى يخرج أبيض رقيقاً على إثر البول من الإنسان . وودى : سال .

(٢) كذا فى اوت . وفى طبقات الشعراء : يمشى على قوائم له خمسى وفى غ : زكا بدل بظا .

(٣) فى غ : فانتسفت وكذلك اوت . وفى طبقات الشعراء : فانتفشت فيشه ذات الشذى .

(٤) فى طبقات الشعراء : أشيمه .

(٥) كذا فى اوت . وفى طبقات الشعراء : لمثلها .

أَوْسُ الْقُرْظِيِّ

هو أَوْسُ بْنُ ذُبَيْبِ الْقُرْظِيِّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَبَنُو قُرَيْظَةَ وَبَنُو النَّضِيرِ يُقَالُ لَهُمْ : السَّكَاهِنَانُ ، وَهُمْ مِنْ وَلَدِ السَّكَاهِنِ بْنِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ أَخِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

[وَكَانُوا نَزُولًا بِنَوَاحِي يَثْرِبَ بَعْدَ وَفَاةِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(١) وَقِيلَ : تَفَرَّقَ الْأَزْدُ عِنْدَ أَنْفِجَارِ سَيْلِ الْعَرِيمِ وَنَزُولِ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ بِيَثْرِبَ .

وَكَانَ سَاكِنُو الْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ الدَّهْرِ قَبْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمًا مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ يُقَالُ لَهُمْ : الْعَمَالِيقُ ، وَكَانُوا قَدْ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، وَكَانُوا أَهْلَ عِزٍّ وَمَنْعَةٍ وَبَنِي شَدِيدٍ ، وَكَانَ سَاكِنُو الْمَدِينَةِ مِنْهُمْ بَنُو سَعْدٍ وَبَنُو الْأَزْرَقِ وَبَنُو هَفِّ وَبَنُو مَطْرُوقٍ ^(٢) ، وَكَانَ مَلِكُ الْحِجَازِ مِنْهُمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : أَرْقَمٌ يَنْزِلُ تَيْمَاءَ إِلَى فِدَاكٍ ، وَكَانُوا قَدْ مَلَأُوا الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ بِهَا نَخْلٌ كَثِيرٌ وَزَرْعٌ .

وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ بَعَثَ الْجُنُودَ إِلَى الْجَبَابِرَةِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى يَغْزُوهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَى الْعَمَالِيقِ جَيْشًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوهُمْ جَمِيعًا إِذَا ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَسْتَبِقُوا مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَقَدِمَ الْجَيْشُ الْحِجَازَ ، فَأَظْهَرَهُمُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ عَلَى الْعَمَالِيقِ فَقَتَلُوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا ابْنًا لِلأَرْقَمِ ، فَإِنَّهُ كَانَ وَضِيئًا جَمِيلًا ، فَضَنُّوا بِهِ عَلَى الْقَتْلِ ، وَقَالُوا : نَذِيبُ بِهِ إِلَى مُوسَى فَيَرَى فِيهِ رَأْيَهُ ، فَرَجَعُوا إِلَى الشَّامِ ، فَوَجَدُوا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدِمَاتٍ ، فَقَالَ لَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ : مَا صَنَعْتُمْ ؟ فَقَالُوا :

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطٌ مِنَ التَّكْمِلَةِ مِنْ أ .

(٢) كَذَا فِي تَوْغٍ . وَفِي أ : مَطْرُوقٌ .

أظهرنا الله عليهم فقتلناهم فلم نُبْقِ منهم أحداً غيرَ غلامٍ كان شاباً جميلاً نفَسْنَا به عن القتل (١) ، فقلنا: نَأْتِي به مُوسَى فِيرَى فِيهِ رَأْيَهُ ، فقالوا لهم: هذه معصية وقد أمرتُم ألا تَسْتَبِقُوا أحداً منهم ، والله لا تدخلوا عايِنا الشَّامَ أبداً ، فلما مُنِعُوا من ذلك قالوا: ما كان لنا خيراً من منازل القوم الذين قتلناهم ، نرجعُ إليها فنُقِيمُ بها ، فرجموا على حاميَتهم حتى قدموا المدينة فنزلوها ، فكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود المدينة (٢) ، فانتشروا في نَوَاحِي المدينة كلها إلى العالِيَةِ ، فاتخذوا بها الآطام والأموال والمزارع ، ولَبِثُوا بالمدينة زمانا طويلا .

(ثم ظَهَرَت الرُّومُ على بني إسرائيل جميعاً بالشَّامِ ، فوطئوهم وقتلوهم ، وَنَكَحُوا نساءَهُمْ ، فخرج بنو النَّضِيرِ وبنو قُرَيْظَةَ وبنو بهدل هارين منهم إلى مَنْ بِالْحِجَازِ مِنْ بني إسرائيل فلما فَصَلُوا عن الشَّامِ بأهليهم بَمَثِ ملك الروم في طلبهم لِيَرُدَّهُمْ ، فَأَعْجَزُوهُ ، وكان ما بين الشَّامِ وَالْحِجَازِ (٣) مَقَاوِزَ ، فلما بلغ طلب (٤) الروم التَّمَدَّ انقطعت أعناقهم عَطَشًا فَمَاتُوا ، وَسُمِّيَ الْمَوْضِعُ تَمَدُّ الرُّومِ ، فهو أَسْمُهُ إلى اليوم .

فلما قَدِمَ بنو النَّضِيرِ وبنو قُرَيْظَةَ وبهدل المدينة نزلوا الغابة فوجدوها وَبَيْئَةً ، فَكَرِهُوهَا ، وبعثوا رائداً وأمرؤهُ أن يَلْتَمِسَ لهم منزلاً سواها ، فَأَتَى الْعَالِيَةَ وَهِيَ بُطْحَانُ وَمَهْزُورُ واديان يهبطان من حرَّةٍ على تِلَاعِ عَدْبَةَ تُنْمِتُ حُرَّ الشَّجَرِ ، فرجع إليهم فقال: وجدتُ لكم بلداً طَيِّباً نَزْهاً على حرَّةٍ يَصُبُّ مِنْهَا واديان على تِلَاعِ عَدْبَةَ وَمَدْرَةَ طَيِّبَةً فِي مُتَأَخَّرِ الْحَرَّةِ (٥) فَتَحَوَّلُوا إليها من منزلهم ذلك ، فنزل بنو النَّضِيرِ

(١) في غ: على القتل .

(٢) كذا في ا و غ . وفي ت: المدينة اليهود .

(٣) في ا: ما بين الشام وبين الحجاز .

(٤) في ت: صاحب « تحريف » .

(٥) في ا و ت: الحرم .

وَمَنْ مَعَهُمْ عَلَى بُطْحَانَ ، وَكَانَتْ لَهُمْ إِبِلٌ نَوَاعِمٌ ، فَاتَّخَذُوهَا أَمْوَالًا ، وَنَزَلَتْ قُرَيْظَةَ وَبَنُو بَهْدَلٍ وَمَنْ مَعَهُمْ عَلَى مَهْزُورٍ ، فَكَانَتْ لَهُمْ تِلَاعُهُ وَمَا سَقَى مِنْ بُمَاتٍ وَسَمَرَاتٍ ، وَكَانَ مِمَّنْ يَسْكُنُ الْمَدِينَةَ الْأَوْسَ وَالْحَزْرَجَ . وَمِنْ قِبَائِلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَنُو عَكْوَةَ وَبَنُو كَمَلَةَ ، وَبَنُو مَحْمَرٍ ، وَبَنُو زَعُورَاءَ ، وَبَنُو قَيْنَقَاعَ ، وَبَنُو زَيْدٍ ، وَبَنُو النَّضِيرِ ، وَبَنُو قُرَيْظَةَ ، وَبَنُو بَهْدَلٍ ، وَبَنُو عَوْفٍ ، وَبَنُو الْقَصِيصِ . وَكَانَ يَسْكُنُ يَثْرِبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَّةٍ ^(١) الْيَهُودِ فِيهِمُ الشَّرْفُ وَالتَّرْوَةُ وَالْعِزُّ عَلَى سَائِرِ الْيَهُودِ .

(ولما أرسل الله تعالى سَيْلَ الْعَرَمِ عَلَى أَهْلِ مَأْرِبَ ، وَهِيَ الْأَزْدُ ، قَامَ رَائِدُهُمْ فَقَالَ : مَنْ كَانَ ذَا جَمَلٍ مِفْنٍ وَوَطْبِ مَدَنٍ ، وَوَقْرَبَةَ وَشَنٍّ ، فَلْيَنْقَلِبْ عَنِ بَقَرَاتِ النِّعَمِ ، فَهَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ هَمٍّ ، وَلْيَلْحَقْ بِالثَّنِيِّ مِنَ شَنٍّ - قَالَ وَهُوَ بِالسَّرَاةِ - فَكَانَ الَّذِي نَزَلُوهُ أَزْدُ شَنْوَةَ ، وَمَنْ كَانَ ذَا فَاقَةَ وَفَقْرًا ^(٢) ، وَصَبَرَ عَلَى أَزْمَاتِ الدَّهْرِ ، فَلْيَلْحَقْ بِبَطْنِ مُرٍّ ، فَكَانَ الَّذِي سَكَنُوهُ حُزَاعَةَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْحَمْرَ وَالْحَمِيرَ ، وَالْأَمْرَ وَالتَّامِيرَ ، وَالدِّيَابِجَ وَالْحَرِيرَ ، فَلْيَلْحَقْ بِبَصْرَى وَغَوِيرٍ ^(٣) ، وَهِيَ [مِنْ] أَرْضِ الشَّامِ ، فَكَانَ الَّذِي سَكَنُوهَا ^(٤) عَسَّانَ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَاهِمًا بِعَمِيدٍ ، وَجَمَلٍ شَدِيدٍ ، وَمِرَادٍ جَدِيدٍ ، فَلْيَلْحَقْ بِقَصْرِ عَمَّانَ الْحَدِيدِ ^(٥) ، فَكَانَ الَّذِي نَزَلُوهُ أَزْدِ تَمَانَ ، ثُمَّ قَالَ : [وَ] مَنْ كَانَ [مِنْكُمْ] يَرِيدُ الرَّاسِيَاتِ ^(٦) فِي الْوَحْلِ ، الْمَطْعَمَاتِ فِي الْمَحَلِّ فَلْيَلْحَقْ بِيَثْرِبِ ذَاتِ النَّخْلِ ، فَكَانَ الَّذِينَ نَزَلُوهَا ^(٧) الْأَوْسَ وَالْحَزْرَجَ ،

(١) فِي أَوْتٍ : أَفْنَاءُ .

(٢) فِي تٍ : ضَرْ .

(٣) كَذَا فِي أَوْتٍ ، وَفِي غٍ : الْحَفِيرِ .

(٤) فِي غٍ : سَكَنُوهُ .

(٥) فِي تٍ : الْمَشِيدِ .

(٦) كَذَا فِي أَوْتٍ . وَفِي غٍ : الرَّاسِيَّاتِ .

(٧) كَذَا فِي غٍ : وَفِي أَوْتٍ : نَزَلُوهُ .

فَلَمَّا تَوَجَّهُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَوَرَدُوهَا نَزَلُوا فِي صَرَارٍ^(١) وَتَفَرَّقُوا ، فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ لَجَأَ إِلَى عَقَارٍ مِنَ الْأَرْضِ لَا سَاكِنَ فِيهِ فَنَزَلُوا بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَجَأَ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قَرَاهَا ، فَكَانُوا مَعَ أَهْلِهَا ، فَأَقَامَتِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ فِي مَنَازِلِهِمُ الَّتِي نَزَلُوا بِهَا بِالْمَدِينَةِ فِي جَهْدٍ وَضِيقٍ فِي الْمَعَاشِ ، لَيْسُوا بِأَصْحَابِ إِبِلٍ وَلَا شَاءَ ؛ لِأَنَّ الْمَدِينَةَ لَيْسَتْ بِلَادَ نَعْمٍ ، وَلَيْسُوا بِأَصْحَابِ نَخْلٍ وَلَا زَرْعٍ ، وَلَيْسَ لِلرَّجُلِ إِلَّا الْأَعْدَاقُ الْيَسِيرَةُ ، وَالْمَزْرَعَةُ يَسْتَخْرِجُهَا مِنْ أَرْضِ مَوَاتٍ ، وَالْأَمْوَالُ لِلْيَهُودِ ، فَلَبِثَتِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ بِذَلِكَ حِينًا .

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى أبي جبلة^(٢) الغسانی ، وهو يومئذ ملك غسان ، فسأله عن قومه وعن منزلهم ، فأخبره بحالهم وضيقهم في معاشهم ، فقال له أبو جبلة : والله ما نزل منا قوم بلداً قط إلا غلبوا أهله عليه ، فما بالكم ؟ ثم أمره بالمضي إلى قومه وقال له : أعلمهم أني سائر إليهم ، فرجع مالك بن العجلان فأخبرهم بأمر أبي جبلة ، ثم قال لليهود : إن الملك يريد زيارتكم فأعدوا نزلاً ، فأعدوه له ، وأقبل فنزل بنى خرض ، ثم بعث إلى الأوس والخزرج ، فذكر الذي قدم له ، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤسهم وأشرفهم ، وخشى إن لم يمكر بهم أن يتحصنوا في أطامهم فيطول^(٣) حصاره لهم ، فأمر ببناء حائر^(٤) واسع ؛ ثم أرسل إلى اليهود : إن أبا جبلة الملك قد أحب أن تأتوه ، فلم يبق ورجيه^(٥) من وجوه القوم إلا أتاه ، وجعل الرجل يأتي معه بخاصته^(٦) وحشمه ، وجاء أن يحببهم ، فلما اجتمعوا ببابه

(١) صرار : موضع قرب المدينة .

(٢) كذا في اوت والقاموس . وفي غ : جبيلة .

(٣) في ا : فيطول .

(٤) كذا في ا و غ . وفي ت : حاجز .

(٥) في غ : وجه .

(٦) في غ : بمخاصه .

أمر رجلاً من جنده أن يدخلوا الحائر الذي بناه ، ثم يقتلوا كل من دخل عليهم من اليهود ، ثم أمر حجاباه أن يأذنوا لهم في دخول الحائر ويدخلوهم رجلاً رجلاً ، ولم تزل الحجاب يأذنون لهم كذلك ، ويقتلهم الجند الذين في الحائر حتى أتوا على آخرهم ، وقال للأوس والخزرج : إن لم تغلبوا على البلاد بعد من قتلتم من أشرف أهلها فلا خير فيكم ، ثم رحل فرجع إلى الشام . ثم إنهم أقاموا زماناً بعد ما صنع أبو جبلة ما صنع واليهود تَمَتَّرَضُ عليهم وتناوئهم . فقال مالك بن العجلان للقوم : والله ما أتخنا يهود غلبه كما نريد ، فهل لكم أن أصنع طعاماً ، ثم أرسل إلى مائة^(١) من أشرف يهود ، فإن جاءوني قتلتمهم فيدلوا حينئذ جميعاً ، فلما جاءهم رسول مالك قالوا : والله لا نأتيهم أبداً ، وقد قتل أبو جبلة منا من قتل ، فقال لهم مالك : إن ذلك كان من غير هوى منا ، وإنما أردنا أن نخوه وتعلموا حالكم عندنا ، فأجابوه ، فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به فقتل ، حتى قتل منهم بضعة^(٢) وثمانين رجلاً ، فأقبل رجل منهم حتى قام على باب مالك ، فسمع فلم يسمع صوتاً ، فقال : أرى أسرع ورد وأبعد صدر ، ورجع وحذر أصحابه الذين بقوا ، فلم يأت منهم أحد . فقال رجل من اليهود للمالك :

فَسَقَّهْتَ قَيْلَةَ أَحْلَامَهَا فَفَيْمِنَ بَقِيَتْ وَفَيْمِنَ نَسُودُ

فقال مالك :

إني امرؤ من بني سالم^(٣) بن عوف فِ وَأنتَ امرؤ من يهود

وصورت اليهود مالكا في بيعهم وكنائسهم ، وكانوا يلعنونه كما دخلوها .

ولما قتل مالك من اليهود من قتل ذلوا وقل امتناعهم ، وخافوا خوفا شديدا ،

(١) كذا في اوغ . وفي ت : ثم آتى مائة .

(٢) في ت : من بني قيس مالك بن عوف . وفي ا من بني مالك بن عوف .

وجعلوا كلما هاجهم أحدٌ من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمشِ بعضهم إلى بعض كما كانوا يفعلونه قبل ذلك ، ولكن يذهب اليهودي إلى جيرانه الذين [هو بين] أظهرهم فيقول : إنما نحن جيرانكم ومواليكم ، فكان كل قوم من اليهود قد لجأوا إلى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم)

وكان لأوس القرظي امرأة من بني قريظة ، فأسلمت وفارقتة ، ونازعتها نفسها إليه ، فأنتهت وجعلت ترغبه في الإسلام فقال فيها :

دَعَّتْنِي إِلَى الْإِسْلَامِ يَوْمَ لَقَيْتُهَا فَقَالَتْ لَهَا : لَا بَلْ تَعَالَى تَهَوِّدِي
فَنَحْنُ عَلَى تَوَارَةِ مُوسَى وَدِينِهِ وَنِعْمَ لِعَمْرِ اللَّهِ ^(١) دِينَ مُحَمَّدٍ
كَلَانًا يَرَى أَنَّ الرَّشَادَةَ دِينُهُ وَمَنْ يَهْدِ أَبْوَابَ الْمُرَاشِدِ يَرْشُدِ

(١) في أوغ : لعمرى الدين دين محمد .

(كُنَيْتُهُ أَبُو إِسْحَاقَ ، كَاتِبَ شَاعِرٍ مُتَقَدِّمٍ ، مِنْ وَجْهِهِ كُتِّبَ الْعِرَاقَ وَذَوِي
الْجَاهِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي كِبَارِ الْأَعْمَالِ . وَكَانَ الْمُتَوَكِّلَ يُقَدِّمُهُ ، وَيُؤَثِّرُهُ وَيَفْضَلُهُ ، وَكَانَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَرِيبٍ حَالٌ مَشْهُورَةٌ ، كَانَ يَهْوَاهَا وَتَهْوَاهَا .

مَرَضَ الْمُتَوَكِّلَ مَرَضَةً خِيفَ عَلَيْهِ مِنْهَا ، ثُمَّ عُوِيَ ، وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْوَصُولِ
إِلَيْهِ ، فَدَخَلُوا عَلَى طِبَقَاتِهِمْ ، وَدَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ مَعَهُمْ . قَالَ : فَلَمَّا رَأَى الْمُتَوَكِّلَ
اسْتَدْنَانِي حَتَّى قَمْتُ وَرَاءَ الْفَتْحِ ، وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا ، فَأَنشَدْتَهُ :

فالحمد ^(١) لله الكبير	— يومَ أَنَا بالشُّرُورِ
ووفيتُ فيه بالتدور	— أَخْلَصْتُ فِيهِ شُكْرَهُ
شعبُ القلوب من ^(٢) الصدور	لَمَّا اعْتَلَّتْ تَصَدَّعَتْ
د وبين مُلْتَهَبِ الضَّمِيرِ ^(٣)	من بَيْنِ مُكْتَتِبِ الْفُؤَادِ
نيا وللخطب الخطير	يَا عُدَّتِي لِلدِّينِ وَالذُّ
أماق بالدمع الغزير	كَانَتْ جَفَوْنِي ثَرَّةَ الْ
رُكِّ إِنِّي عَيْنُ الصَّبُورِ	لَوْ لَمْ أُمْتَ جَزَعًا لَعَمَّ
نَ وَسَاعَتِي مِثْلُ الشُّهُورِ	يَوْمِ هُنَالِكَ كَالسَّنِيِّ
عالي على البدر المنير	يَا جَمْفَرُ الْمُتَوَكِّلِ الْ
العود ذا وِزْقٍ نَضِيرِ	الْيَوْمِ عَادَ الْمَلِكُ ^(٤) غَضَّ

(١) فِي أَوْتٍ : وَالْحَمْدُ .

(٢) فِي غٍ : مَعَ .

(٣) كَذَا فِي أَوْتٍ . وَفِي غٍ : مَلْتَهَبِ الْفُؤَادِ ، وَبَيْنَ مَكْتَتِبِ الضَّمِيرِ .

(٤) فِي غٍ : الدِّينِ .

واليوم أَصْبَحْتَ الْخَلَا
 قَدْ مَا لَفْتِكَ وَوَأَدَّتْ
 — يَارَحْمَةً لِلْعَالِمِ
 — يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي
 اللَّهُ أَنْتَ فَمَا نَشَأُ
 حَتَّى نَقُولَ وَمَنْ يَقْرُ
 الْبَدْرَ يَنْطِقُ بَيْنَنَا
 — فَإِذَا تَوَارَتْ الْعِظَا
 وَإِذَا تَمَدَّرَتِ الْعَطَا
 تَمْضِي الصَّوَابَ بِإِلَاطِهِ
 فَهُوَ وَهِيَ أَرْسَى مِنْ ثَبِيرِ
 كَ عَلَى مُطَاوَلَةِ الدَّهْوَرِ
 بَيْنَ وَيَا ضِيَاءَ الْمُسْتَنِيرِ
 ظَهَرَتْ لَهُ بِهِدَى وَنُورِ
 هِدْمَكَ مِنْ كَرَمٍ وَخَيْرِ
 بَكَ مِنْ وَلِيٍّ أَوْ نَصِيرِ
 أَوْ (١) جَعْفَرَ فَوْقَ السَّرِيرِ
 أَمْ كُنْتَ مَنْقَطَعَ النَّظِيرِ
 يَا كَفْتَ فَيَاضَ الْبَحُورِ
 رَأَوْ وَزِيرِ (٢) أَوْ مُشِيرِ

فقال المتوكل للفتح: إن إبراهيم لينطق عن نية خالصة وود محض، وما قضينا
 حقه؛ فاحمل إليه الساعة خمسين ألف درهم، وتقدم إلى عبد الله بن يحيى بأن
 يؤكِّيه عملاً سنياً (٣) ينتفع به.

كان أحمد بن المدبر ولي عبید الله (٤) بن يحيى بن خاقان عملاً فلم يحمد أثره فيه،
 وعمل على أن ينكبه، وبلغ ذلك أحمد فهرب؛ وكان عبید الله منحرفاً على (٥)
 إبراهيم، شديد النقاسة عليه؛ لرأى المتوكل فيه، فأغراه به، وعرفه خبر أخيه،
 وأدعى عليه مالاً جليلاً، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه، وأوغر صدره عليه، حتى
 أذن له في حبسه. فقال في محبسه أشعاراً منها:

(١) في غ: أم.

(٢) كذا في اوت. وفي غ: بلا وزير أو ظهير..

(٣) في غ: سرياً.

(٤) كذا في غ وفي اوت: عبد الله.

(٥) في غ: عن.

أَدْمُوعُهَا أَمْ لَوْلُو مُتَنَارُ
 لَا تَوُؤِسَنَّكَ مِنْ كَرِيمِ نَبْوَةٍ
 هَذَا الزَّمَانُ تَسُوْمُنِي أَيَّامُهُ
 إِنْ طَالَ كَيْلِي فِي الْإِسَارِ فَطَالَمَا
 وَالسَّجْنِ (٣) يَحْجُبُنِي وَفِي أَكِنَافِهِ
 عَجَبًا لَهُ كَيْفَ أَلْقَتْ أَبْوَابُهُ
 هَلَا تَقَطَّعَ أَوْ تَصَدَّعَ أَوْ هَوَى (٥)

وَمَا قَالَهُ فِي الْحَبْسِ :

— هُوَ الْحَبْسُ مَا فِيهِ عَلَى غَضَاضَةٍ
 — أَلَسْتَ تَرِينَ خَمْرَ يَظْهَرُ حُسْنُهَا
 وَمَا أَنَا إِلَّا كَالْجُودِ يَصُونُهُ
 أَوْ الدُّرَّةِ الزَّهْرَاءِ فِي قَعْرِ لُجَّةٍ
 — وَهَلْ هُوَ إِلَّا مَنْزِلٌ مِثْلُ مَنْزِلِي
 فَلَا تُتَكَبَّرِي (٦) طَوْلَ الْمَدَى وَأَذَى الْعِدَا
 — لَعَلَّ وَرَاءَ الْغَيْبِ أَمْرًا يُسْرِنَانَا
 — وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَصُولَ بِجَمْعٍ

وهل كان في حبس الخليفة من عار
 وبهجتها بالحبس في الطين والقار
 مقومه للسبق في طي مضمار
 فلا تجتلي إلا بهول وأخطار
 — وبيت ودار مثل بيتي أو داري
 فإن نهايات الأمور لإقصار
 يقدره في علمه الخالق الباري
 فأهضم أعدائي وأدرك بالشار

(١) كذا في اوت . وفي غ يندى به ورد جنى ناصر .

(٢) في ا : كالسيف .

(٣) كذا في ا . وفي غ : والحبس . وفي ت : والحي .

(٤) كذا في اوت . وفي غ : والنعام .

(٥) كذا في اوت . وفي غ : وهى .

(٦) كذا في غ وتهذيب الأغاني . وفي اوت : تنكرن .

(ثم إن حبسه طال ، ولم يكن لأحد في خلاصه حيلة مع عبيد الله وقصده إياه ، حتى تخلصه (١) محمد بن عبد الله بن طاهر وجرّد (٢) المسألة في أمره) ولم يلتفت إلى عبيد الله (٣) (لو بذل أن يحتمل في ماله ، كل ما يطلب (٤) به ، فأعفاه التوكّل من ذلك ، ووهبه له). وكان ممّا قاله فيه إبراهيم بن المدبر :

— دَعَوْتُكَ مِنْ كَرْبٍ فَلَبَّيْتُ دَعْوَتِي
إِلَيْكَ وَقَدْ حُلِّمْتُ (٧) أوردتُ هَمَّتِي
نَمَى بِكَ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْعِزِّ وَالْمَلَا
— فَأَنْتُمْ بَنُو الدُّنْيَا وَأَمْلَاكُ جَوْهَا
— مَا تَرُّ كَانَتْ لِلْحُسَيْنِ وَمُصْعَبِ
— إِذَا بَدَلُوا قِيلَ الْغَيْوُثُ الْبَوَاكِرُ
— تُطِيمُكُمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ الْبَوَاكِرُ
وَمَا لَكُمْ غَيْرَ الْأَسْرَةِ مَجْلِسُ
وَلِي حَاجَةٌ إِنْ شَتَّتْ أَحْرَزْتَ مَجْدَهَا
كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَظْفُهُ

ولم تعرّضني (١) إذ دعوتُ المعاذِر
وقد أعجزتني عن هُمُوى المصَادِرِ
وحازَ لَكَ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلَّ طَاهِرِ
وسأستها (٨) والأعظمون الأَكَابِرِ
وظلحة لا تجوى مداها المفاخرُ
وإن غضبوا قيل اللبوثُ الهواصرُ
وتزهي (٩) بكم يوم المقام المنايرِ
وما لكم غيرَ السيوفِ مخاصِرِ
وسركَ منها أولُ ثم آخرُ
فَمَا لِي بَعْدَ اللَّهِ غَيْرَكَ نَاصِرِ

(١) كذا في أوغ . وفي ت : خلصه .

(٢) كذا في أوغ . وفي غ : جود .

(٣) في ت : عبد الله .

(٤) كذا في غ وتهذيب الأغاني . وفي أوغ : يطلب .

(٥) كذا في غ ، وفي أوغ : عن .

(٦) في ت : تعرضني « تحريف » .

(٧) كذا في أوغ وتجريد الأغاني أي منعت . وفي ت وغ : جليت .

(٨) في ت : وسادتها .

(٩) كذا في أوغ . وفي غ : وتزهو .

فإن سَاعَدَ المقدار^(١) فَالْتَجِعْ وَاقِمْ وَإِلَّا فَإِنَّ مُخْلِصَ الْوَدِّ شَاكِرٌ
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ طَلْحَةَ الْكَاتِبِ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ الْمُدَبَّرِ ، وَقَدْ زَارْتَهُ ،
 بَدْعَةً وَتَحْفَةً جَارِيَتَا عَرِيبٍ ، وَأَخْرَجْتَنَا إِلَيْهِ رَقْمَةً مِنْ عَرِيبٍ فَقَرَأَهَا^(٢) فَإِذَا فِيهَا :
 بِنَفْسِي أَنْتَ وَبِسَمْعِي^(٣) وَبِصَرِّي ، وَقَلَّ ذَلِكَ لَكَ مِنِّي ، أَصْبَحَ يَوْمَنَا هَذَا طَيِّبًا ،
 طَيِّبَ اللَّهِ عَيْشِكَ قَدْ أَحْتَجِبْتَ سَمَاؤُهُ ، وَرَقَّ هَوَاؤُهُ ، وَتَكَامَلَ صَفَاؤُهُ ، فَكَأَنَّهُ
 أَنْتَ فِي رِقَّةٍ شَمَاءُكَ ، وَطَيِّبٍ مَحْضَرِكَ وَمَخْبِرِكَ^(٤) ، لَا فَقَدْتِ ذَلِكَ أَبَدًا مِنْكَ ،
 وَلَمْ يُصَادِفْ حُسْنُهُ وَطَيِّبُهُ مِنِّي نَشَاطًا وَلَا طَرَبًا ، لِأُمُورٍ صَدَّتْنِي عَنْهَا ، أَكْرَهُ^(٥)
 تَنْغِيصَ مَا أُشْتَهِيَتْ^(٦) لَكَ مِنَ السَّرُورِ بِشَرِّهَا^(٧) ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بَدْعَةً وَتَحْفَةً ؛
 لِيُؤْنِسَاكَ وَتُسَرَّ بِهَمَّا ، سَرَّكَ اللَّهُ وَسَرَّتْنِي بِكَ . فَكَتَبْتُ إِلَيْهَا :

كَيْفَ السَّرُورُ وَأَنْتِ نَازِحَةٌ عَنِّي وَكَيْفَ يَسُوعُغُ لِي الطَّرَبُ
 إِنْ غَيْبَتْ غَابَ الْعَيْشُ وَانْقَطَعَتْ أَسْبَابُهُ وَالْحَتَّ الْكَرْبُ

وَأَتَقَدَّ الْجَوَابُ ، فَلَمْ تَلْبِثْ أَنْ جَاءَتْ ، فَبَادَرَ إِلَيْهَا ، وَتَلَقَّاهَا حَافِيًا ، حَتَّى
 جَاءَ بِهَا عَلَى حِمَارٍ مِصْرِيٍّ كَانَتْ تَحْتَهَا إِلَى صَدْرٍ مَجْلِسُهُ وَأَجْلَسَهَا ، وَوَطِئَ الْحِمَارُ
 مَجْلِسَهُ وَمَا عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ رِكَابَهَا وَأَنْزَلَهَا ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهَا . ثُمَّ قَالَ :

(١) كَذَا فِي أَوْت ، وَالْمَقْدَارُ : الْقَدْرُ . وَفِي غ : الْمَقْدُورُ بَدَلِ الْمَقْدَارِ .

(٢) فِي ت : فَقَرَأَهَا .

(٣) كَذَا فِي أَوْت . وَفِي غ وَتَهْذِيبِ الْأَغَانِي : وَسَمِعِي .

(٤) كَذَا فِي أَوْغ . وَفِي ت : مَجْدِكَ « تَحْرِيفٌ » .

(٥) فِي ت : أَكْرَهُ « تَحْرِيفٌ » .

(٦) كَذَا فِي أَوْت . وَفِي غ : أُشْتَهِيَهُ .

(٧) فِي غ : بِنَشْرُهَا .

→ ألا رُبَّ يومٍ قصرَ اللهُ طوله بقُربِ عَرِيبٍ حَبِذَا هو من قُربِ
→ بها تحسُنُ الدنياَ وينعمُ عيشُها وتجتمعُ السَّرَاءُ للعينِ والقلبِ
كُتبتُ عَرِيبَ إِبْرَاهِيمَ رُفْعَةً تَسْأَلُهُ عَن أَخْبَارِهِ فَكُتِبَ بَيْنَ سَطُورِهَا :
وساءَ لُتْمُوهُ (١) بعدَكم كيفَ حالُهُ وذلكَ أمرٌ بينَ لَيْسَ يَشْكَلُ
فلا تَسْأَلُوا عَن قَلْبِهِ فَهُوَ عِنْدَكُمْ وَلسَكنَ عَن الجِسمِ المُخَافَ فَاسْأَلُوا

(١) كذا في اوت و غ ، وساءل : سأل . وفي تهذيب الأغاني : وسألتموه .
(٣١ / الأغاني)

يوم أواره

كان عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وهو عمرو بن هند يعرف بأمه هند بنت الحارث الملك المقصور بن حجر آكل المرار الكندي ، وهو الذي يقال له : مُضْرَطُّ الحِجَارَةِ ، وكان قد عاقَدَ هذا الحَيَّ من طَيِّبٍ على ألا يُنَازِعُوا ولا يُفَاحِرُوا ولا يَغزُوا ، وإن عمرو بن هند غزَا اليمامة ، فرجع مُنْفِضًا ، فمر بطيبي ، فقال له زُرارة بن عُدُس بن زَيْد بن عَبْدِ اللَّهِ بن دَارِم : أبيتَ اللعن ، أصبُ من هذا الحَيِّ شيئًا ، قال : وَيْلَكَ ، إنَّ لهم عقدا ، قال : وإن كان ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذوادًا . فقال قَيْس بن جِرْوَةَ الطَّائِي :

الأحَى قَبْلَ البَيْنِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهُ	ومن أَنْتَ مُشْتَاقٌ إِلَيْهِ وَشَاقِقُهُ
وَمَنْ لَا تُؤَاتِي دَارَهُ غَيْرَ فَيَمْتَنَةِ	وَمَنْ أَنْتَ تَبْكِي كُلَّ يَوْمٍ تَفَارِقُهُ
تَخُبُ ^(١) بِصَحْرَاءِ التَّوَيْبَةِ نَاقَتِي	كَعَدُوِّ رِبَاعٍ قَدْ أُبْحِتَ ^(٢) نَوَاهِقُهُ
إِلَى الْمَلِكِ الْخَيْرِ بْنِ هِنْدٍ نَزُورِهِ	وَلَيْسَ مِنَ الْفُوتِ الَّذِي هُوَ سَابِقُهُ
وَإِنْ نِسَاءً هُنَّ مَا قَالَ قَائِلُ	غَنِيمَةً سَوْءٍ يَدْنَهُنَّ مَهَارِقُهُ
وَلَوْ نِيلَ فِي عَهْدٍ لَنَا لَحْمٌ أَرْنَبُ	رَدَدْنَا وَهَذَا الْعَهْدُ أَنْتَ مُعَالِقُهُ
فَهَيْكَ ابْنَ هِنْدٍ لَمْ تَعْقُكْ أَمَانَةٌ	وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا عَهْدُهُ ^(٣) وَمَوَاقِقُهُ

(١) في غ : وتعدد .

(٢) في غ : التحرص قد أبحت . والرباع : الفرس السريعة العدو الواسعة الخطو ، وأبحه الصياح : غلظ صوته وخشنه . والنواهيق من الخيل والحمر : حيث يخرج النهاق من حلقه « لسان العرب » .

(٣) في غ : عقده .

وكنا أناسا حافِضِينَ بنعمة يَسِيلُ بنا^(١) تَلَعُ المني^(٢) وأبارقه
فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بالمنازل من مَنِي وما خَبَّ في بَطْحَاهِمْ دَرَاقَهُ
لئن لم تَغَيِّرْ بعضَ ما قد فَعَلْتُمْ لَأَنْتَحِينَ العَظْمَ ذُو أَنَا عَارِقَهُ

فَسُمِّيَ عَارِقًا بهذا البيت ، فبلغ شعره عمرو بن هِند ، فقال له زُرارة بن عُدس :
إنه يَتَوَعَّدُكَ . فقال [عمرو بن هِند : والله لَأَقْتُلَنَّه ، فبلغ ذلك عارِقًا ، فَأَنْشَأُ يَقُولُ] ^(٣) :

ألا فابِلِغنا^(٤) عَمْرَو بن هِنْد رِسالَةَ إذا اسْتَحَقَّ بَها العِيسُ تُنْضَى من البُعدِ
أبو عِدْنِي والرَّمْلُ بَيْنِي وبَيْنَه تَأَمَّلْ ^(٥) رُوَيْدًا ما أَمَامَهُ من هِنْدِ
ومن أَجْلِ دُونِي رِعاَنُ كَأَنَّها قَنابِلُ خَيْلٍ ^(٦) من كُمَيْتٍ ومن وَرْدِ
غَدَرْتُ بأمرٍ أَنْتَ كُنْتَ ^(٧) اجْتَدَبْتَنَّا

إليه وبئس ^(٨) الشِّيمَةُ الغَدْرُ بالهَدِّ

وقد يترك الغدرُ الفسَى وطعامُهُ إذا هو أَمْسَى حَلَبَةً من دَمِ الفَصْدِ

فبلغ عمرو بن هِند شعره فغزا طَيْمًا ، وأسرَ أَمْرِي من طَيْبِي من بني عَدِي بن
أخْزم رَهْطِ حَاتِمِ بن عبد الله ، فيهم رجل [من الأَجْيِيِّينَ] ^(٩) يقال له : قَيْسُ بن
جَحْدَرٍ ؛ وهو جدُّ الطَّرْمَاحِ بن حَكِيمٍ ، وهو ابن خالة حَاتِمِ ، فوفد حَاتِمِ فيهم إلى

(١) في ا : لنا .

(٢) في غ : الملاء .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٤) كذا في ت وفي ا وفي غ : من مبلغ .

(٥) كذا في ا و ت ، وفي غ : تبين .

(٦) في ت : قبائل خيل . والقنابل : الجماعة .

(٧) كذا في ا و غ . وفي ت : كنت أنت .

(٨) في غ : وشي .

(٩) ما بين القوسين ساقط من ا .

عمرو بن هند ، وكذلك كان يصنع ، فسأله إيتاهم^(١) ، فوهبهم إلا قيس بن جحدر ؛
لأنه كان من الأجبثيين من رهط عارق ، فقال :

فَكَتَّ عَدِيًّا كُلَّهَا مِنْ إِسَارِهَا فَأَنْعَمَ وَشَفَعْنِي بِقَيْسِ بْنِ جَحْدَرٍ
أَبُوهُ أَبِي وَالْأُمَّهَاتُ أُمَّهَاتُنَا فَأَنْعَمَ فِدَاكَ الْيَوْمَ أَهْلِي^(٢) وَمَعَشِرِي
فَأَطْلَقَهُ لَهُ .

وكان المنذر بن ماء السماء وضع ابناً له أو أخاً يُقال له مالك عند زُرارة ، وأنه
خرج ذات يوم يتصيد ، فأخفق ولم يُصب شيئاً ، فرجع فمرَّ بإبل لرجل من
بني عبد الله بن دارم يُقال له سويد ، وكانت عند سويد ابنة زُرارة بن عدس ،
فولدت له سبعة غلّمة^(٣) فأمر مالك بن المنذر بِنَاقَةٍ سمينة منها فنحرها ، ثم اشتوى .
وسويد نايم ، فلما انتبه شدَّ على مالك فضرَّ به فأمه ، ومات الغلام ، وخرج سويد
هارباً فلحق بمكة ، وعلم أنه لا يأمن ، فخالف بني نوفل بن عبد مناف واختطَّ
بمكة ، فمِنَ وَلَدِهِ أَبُو إِهَابِ بْنِ عُدْسِ بْنِ قَيْسِ بْنِ سُوَيْدٍ .

وكانت طيبيّ تطلب عترات زُرارة وبني أبيه ، حتى بلغهم ما صنعوا بأخي
الملك ، فأنشأ عمرو بن [ثعلبة بن]^(٤) مَلَقَطِ الطَّائِي يَقُول :

مَنْ مَبْلِغٌ عَمْرًا بَأْنَ الْمَرْءُ لَمْ يُخْلَقْ صُبَارَةً
وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ لَا يَبْسُقُ لَهَا إِلَّا الْحِجَارَةُ
إِنَّ ابْنَ عِجْزَةَ أُمَّهُ بِالسَّفْحِ أَسْفَلَ مِنْ أَوَارَةِ

(١) فت : لغاهم .

(٢) كذا في اوت . وفي غ : فِدَتِكَ الْيَوْمَ نَفْسِي .

(٣) فت : أغلّة .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ت .

تَسْفِي الرِّيحُ خِلَالَ كَشْدِ حَيِّهِ (١) وَقَدْ سَلَبُوا إِزَارَةَ
فَاقْتُلْ زُرَّارَةَ لَا أَرَى فِي الْقَوْمِ أَفْضَلَ مِنْ زُرَّارَةَ

أَوَّلُ وَلَدِ الْمَرْأَةِ يُقَالُ لَهُ تَكْمُهُ وَالْآخِرُ عُجْزَةٌ .

فلما بَلَغَ الشَّعْرُ عمرو بنَ هِنْدَ بَكَى حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَبَلَغَ الْخَبْرُ زُرَّارَةَ ،
فَهَرَّبَ ، وَطَلَبَهُ عمرو بنَ هِنْدَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حُبْلَى ، فَقَالَ :
أَذْكَرُ فِي بَطْنِكَ أَمْ أَنْثَى ؟ فَقَالَتْ : لَا عِلْمُ لِي بِذَلِكَ ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ زُرَّارَةَ الْغَادِرَ
الْفَاجِرَ ؟ قَالَتْ : إِنْ كَانَ مَا عَلِمْتَ الطَّيِّبَ الْعَرَقَ ، السَّمِينِ الْمَرَقَ ، يَأْكُلُ مَا وَجَدَ ،
وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا قَدَّ (٢) لَا يَنَامُ لَيْلَةً يُخَافُ ، وَلَا يَشْبَعُ لَيْلَةً يُضَافُ ، فَيَقْرَبُ بَطْنَهَا ، فَقَالَ
قَوْمُ زُرَّارَةَ لِزُرَّارَةَ : وَاللَّهِ مَا قَتَلْتَ أَخَاهُ ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَاصْدُقْهُ الْخَبْرَ ، فَأَتَاهُ زُرَّارَةَ
فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ ، فَقَالَ : جِئْتَنِي بِسُوَيْدٍ ، فَقَالَ : قَدْ لَحِقَ بِمَكَّةَ ، قَالَ : فَعَمَلِي بَيْنِيهِ ، فَأَتَاهُ
بِابْنِهِ السَّبْعَةَ وَبِأُمَّهُمْ بِنْتَ زُرَّارَةَ وَهِيَ غِلْمَةٌ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، فَتَنَاقَلُوا
أَحَدُهُمْ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ ، وَتَعَلَّقَ بِزُرَّارَةَ الْآخَرُونَ ، فَتَنَاقَلُوهُمْ ، فَقَالَ زُرَّارَةَ : يَا بَعْضِي
سَرَّحَ بَعْضِي (٣) . فَذَهَبَتْ مَثَلًا ، وَوَقَّتِلُوا .

وَأَلَى عمرو بنَ هِنْدَ أَلِيَّةٌ لِبِجْرَقِنٍّ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ مِائَةَ رَجُلٍ ، فَخَرَجَ يُرِيدُهُمْ ،
وَبَعَثَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ [الْمَطَائِي] (٤) عمرو بنَ ثَعْلَبَةَ بنَ غِيَاثَ بنَ مَلِيقَةَ ، فَوَجَدَ الْقَوْمَ
قَدْ نَدَرُوا بِهِمْ ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةً وَتَسْعِينَ رَجُلًا [بِأَسْفَلِ أَوَارَةِ] (٥) مِنْ نَاحِيَةِ
الْبِجْرَقِينَ ، فَخَبَسَهُمْ ، وَلَحِقَهُ عمرو بنَ هِنْدَ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى أَوَارِهِ وَضُرِبَتْ فِيهِ

(١) فِي غ : خِلَالَهُ سَخِيًا بَدَلًا : خِلَالَ كَشْحِيهِ .

(٢) كَذَا فِي أَوْغ . وَفِي ت : عَهْدِ .

(٣) فِي غ : يَا بَعْضِي دَعِ بَعْضًا .

(٤) سَاقِطَةٌ مِنْ « ت » .

(٥) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ « ت » .

قبتة ، فأمر لهم بأخذود فجعل لهم ، ثم أضرَمه ناراً ، فلما اضطرمت^(١) وتلظت قذف بهم [فيها]^(٢) فاحترقوا .

وأقبل راكب من البراجم - وهم بطن من حنظلة - عند المساء ، لا يدري بشيء مما كان يصنع عمرو ، فوضع به بغيره ، فأناخ فقال له عمرو : ما جاء بك ؟ فقال : حب الطعام ، قد أقوىت^(٣) ثلاثاً لم أذق طعاماً ، فلما سَطَعَ الدخان ظننته دُخان طعام ، فقال له عمرو : بمن أنت ؟ قال : من البراجم . فقال عمرو : إن الشقَّ وإفدُ البراجم . فذهبت مثلاً ، ورَمَى به في النار ، فهجَّت العرب تمياً بذلك .
فقال ابن الصِّعق العامري :

أَلَا أْبْلِغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ بَأْيَةٍ مَا يُحِيُونَ الطَّعَامَا

وأقام ابن هند لا يرى أحداً ، فقيل له : أبيت اللعن ، لو تحللت بامرأة منهم ، فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً ، فدعا بامرأة من بني حنظلة ، فقال لها : من أنت ؟ فقالت : أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر بن قطن بن نهمش بن دارم ، فقال : إني لأظنك أعجمية ، قالت : ما أنا بأعجمية ولا ولدني العجم :

إِنِّي لَبَيْتُ ضَمْرَةَ بْنَ جَابِرٍ سَادَ مَعْدًا كَابِرًا عَنِ كَابِرِ

إِنِّي لَأُحْتُ ضَمْرَةَ بْنَ ضَمْرَةَ إِذَا الْبِلَادُ لُقِّحَتْ^(٣) بِجَمْرَةَ

قال عمرو : أما والله لولا تخافة أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار . قالت : أما والذي أسأله أن يضع سادك ويخفف عمادك ويسلبك ملكك ويقرب هلكك ما أبالي ما صنعت ، فقال : أذفوها في النار ، فالتفتت فقالت : ألا فتني

(١) كذنا في ا . وفي غ : احتدمت ، وفي ت : أضرمت .

(٢) ساقطة من « ت » .

(٣) في غ : لقت .

يكون مكان هذه المعجزة؟ فلما أبطأوا عليها قالت: صار الفتيان محمماً، فذهبت مثلاً فأخرقت، وكان زوجها هوذة بن جرول بن نهشل بن دارم. فقال لقيط بن زُرارة يعير بنى مالك بن حنظلة بأخذ^(١) من أخذ منهم الملك وقتله إياهم ونزولهم معه.

لمن^(٢) دمنة أقرت بالجناب
 بكيث لعران آياتها
 فأبلغ لديك بنى مالك
 فإن امرأ أتم حوله
 يهين سراتكم عامداً
 فلو كنتم إبلا أملحت
 ولكنكم غم تصطفى
 لعمر أبيك أبا الخير ما
 ولا نعمة إن خير الملو

إلى السّفح بين الملا فالهضاب
 وهاج لك الشوق نعب العراب
 مُغلغلة وسرارة الرّباب
 تحفون قبته بالقباب
 ويقتلكم مثل قتل الكلاب
 لقد نزحت^(٣) للمياه العذاب
 ويترك سائرها للدّئاب
 أردت بقتلهم من صواب
 لك أفضلهم نعمة في الرقاب

وفيهما يقول الطرمّاح بن حكيم:
 وأسأل زُرارة والمأموم^(٤) ما فعلت
 ودارماً قد قدفنا^(٥) منهم مائة
 يترّون بالمشتوى منها ويوقدها

قتلى أواره من رعلان باللدد^(٥)
 في جاحم النار إذ يُلقون بالحدرد
 عمرو ولولا شحوم القوم لم تقد

(١) في غ: في أخذ.

(٢) كذا في اوت. وفي غ: أمن.

(٣) في غ: نزعت.

(٤) في غ: المأمون.

(٥) في غ: واللدد.

(٦) في غ: قتلنا.

وكان زُرارة بن عُدس رجلاً شريفاً فنظر إلى ابنه لقيط يوماً ، فرأى منه خيلاءً ونشاطاً ، وجعل يضرب غلماناًه ، وهو يومئذٍ شابٌّ فقال له زُرارةُ : لقد أصبحتَ تصنعُ صنيعاً كأنما جئتني بمائةٍ من هجانِ المنذرِ بنِ ماءِ السماءِ أو نكحتِ بنتَ ذى الجدينِ قيسِ بنِ خالدٍ . فقال لقيطُ : لله عليّ ألا يمسه^(١) رأسي غُسلٌ ، ولا آكلُ لحماً ، ولا أشربُ سِمْراً حتى أجمعهما ، جميعاً أو أموت ، فخرجَ لقيطُ ومعه ابنُ خالٍ له يقال له : القَرادِ بنُ إهابٍ ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارَا حتى أتياَ بنى شيبانٍ ، فسَلَّما على نادِيهم ، فقال لقيطُ : أفيكم قيسُ بنُ خالدِ ذُو الجدينِ ؟ وكان سيِّدَ ربيعةَ يومئذٍ ، قالوا : نعم ، قال : فأيشمُ هو ؟ فقال قيسُ : أنا قيسُ فما حاجتكِ ؟ قال : جئتُ^(٢) خاطِياً أبنتك ، وكان على قيسِ يمينِ ألا يخطبُ أحدٌ ابنتهَ إلا أصابهَ بِشَرٍّ وسمَّعَ به ، فقال له قيسُ : مَنْ أنت ؟ قال : أنا لقيطُ بنُ زُرارةِ بنِ عُدسٍ ، فقال له : عجباً منك إذا القصةَ هَلاً كانَ ذا بئنى وبئنتك ؟ قال : لم ياعمِ والله إنَّكَ لرَغبةٌ وما بي من قِصاةٍ^(٣) . أى ما بي عارٌ ، وإن ناجيتك لا أأخذُكَ ، وإن عالنتك لا أفضحك ، فأعجبَ قيساً كلامه ، وقال : كُفْ كَرِيمٌ ، إني قد زوَّجتُكَ ، ومهرتك مائةُ ناقةٍ ليس فيها مُطايِرةٌ ولا نَابٌ ولا كَرُومٌ^(٤) ، ولا تبيتُ عندنا عزباً ولا محرّوماً ، وأرسل إلى أمِّها أنى قد زوَّجت لقيطُ بنَ زُرارةِ ابنتي القُدُورَ ، فاصنعيها واخبري لها ذلكَ البَلقُ ، فإن لقيطُ ابنَ زُرارةِ لا يبيتُ عندنا عزباً ، وجلسَ لقيطُ يتحدَّثُ عندهم^(٥) فذَكَرُوا العزوَ ،

(١) في غ : يلمسه .

(٢) في غ جئتك .

(٣) في غ : نفاة .

(٤) في غ : مصابرة . بدل مطايرة . والمطاييرة : الهائجة . والناب والكزوم : المسنة الهرمة .

(٥) في غ : معهم .

فقال لقيط : أما الغزو فأرذلها^(١) ، للّقاح ، وأهزلها للجمال ، وأما المقام فأسمها للجمال ، وأحبها للنساء ، فأعجب ذلك قيسا ، وأمر لقيطا فذهب إلى البلق وجلس فيه ، وبعثت إليه أمُّ الجارية بمجمّر وبنحور ، وقالت للجارية : أذهبي بها ، فإن ردها فوالله ما فيه خير ، وإن وضعتها تحته ما فيه خير ، فلما جاءت الجارية بنحور شعره ولحيته ، ثم ردها عليها ، فلما رجعت الجارية خبرتها بما صنع ، فقالت : إنه خليم للخير ، فلما أمسى لقيط أهديت الجارية إليه ، فمآزحها بكلام اشأزت منه ، فنام وطرح عليها [طرف] خميصته^(٢) ونامت^(٣) إلى جنبه ، فلما استثقلت انسلت فرجعت إلى أمها ، فاتبه لقيط فلم يرها ، فخرج حتّى أتى ابن خاله قرّادا ، وهو في أسفل الوادي ، فقال : أرحل بعيريك^(٤) وإياك أن يسمع رغاؤهما ، فرحلا متوجهين إلى المنذر بن ماء السماء ، وأصبح قيس فققد لقيطا ، فسكت ولم يدّر ما الذي ذهب به . ومضى لقيط حتى أتى المنذر ، فأخبره بما كان من قول أبيه ومن قوله ، فأعطاه مائة من هجانه ، فبعث بها مع قرّاد إلى أبيه زرارة ، ثم مضى إلى كسرى فكساه ، وأعطاه جوهرأ^(٥) ، ثم انصرف [لقيط]^(٦) فأتى أباه فأخبره خبره ، فأقام ، ثم خرج هو وقراد حتى جاء أمحلة بنى شيبان ، فوجداهم قد أتجّعوا ، فخرجوا في طلبهم حتى وقعا في الرمل ، فقال لقيط :

أُنظر قرّاد وهانا نظرة جزعا
فمين أترجّه نضح العبير بها
عُرّض الشقّاق هل بيئت أظمانا ؟
تكسى ترائبها شدرا ومرجانا

(١) في غ : فأردوها .

(٢) الخميصة : كساء أسود مربع .

(٣) في غ : ونامت .

(٤) في غ : بعيرك .

(٥) في غ : جواهر .

(٦) ساقطة من « ت » .

فخرَجَا حتى أتيا قيس بن خالد ، فجهَّزها أبوها ، فلما أرادت الرحيل قالت (١) لها أمها : يا بُنَيَّةُ : كوني لزوجك أمةً يكن لك عبداً ، وليكن أكثر طيبك الماء ، فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء ، وأراك إن ولدت فستلدين لنا غيظاً طويلاً ، واعلمي أن زوجك فارس مضر ، وأنه يوشك أن يُقتل أو يموت ، فلا تخمِشي عليه وجهاً ، ولا تحلِقي عليه شعرا ، قالت لها : أما والله لقد رببتني صميرةً وأقصيتني كبيرةً وزودتني عند الفراق شرَّ راد ، وارتحل بها لقيط إلى حيه ، فجعلت لا تمرُّ بحَيٍّ من العرب إلا قالت : يا لقيطُ أهولاً قومك ؟ فيقول : لا ، حتى طلع على محلَّة بني دارم ، فرأت القباب ، والخبيل العرب ، فقالت : يا لقيطُ أهولاً قومك ؟ قال : نعم ، فأقام أياماً يُطعم وينحر ، ثم بنى بها ، فأقامت أياماً عنده حتى قتل يوم جَبَلَة ، فبعث إليها أبوها أخاً لها ، فحملها ، فلما ركبت بغيرها أقبلت حتى وقفت على نادى بنى عبد الله بن دارم فقالت : يا بنى دارم . [أوصيكم بالفرائب خيراً] (٢) فوالله ما رأيت مثل لقيط ، لم تخمش عليه امرأةً وجهاً ، ولم تحلق عليه شعراً ، ولولا أنى غريبة (٣) خلقت وخمشت ، فحبب الله بين نسائكم ، وعادى بين رجالكم (٤) ، فاثنوا عليها خيراً . فمضت حتى قدمت على أبيها فزوجها رجلاً من قومه ، فجعل زوجها يسممها تذكر (٥) لقيطاً وتحرزن عليه ؛ فقال لها : أى شئ رأيت من لقيط أحسن في عمينك ؟ قالت : خرج في يوم دجن ، وقد تطيب وشرب ، فطرد البقر وصرع منها (٦) ، ثم أتاني وبه نضح الدم من صيده ، فضممتني ضمة

(١) في غ : قال ، والضمير يعود على أبيها .

(٢) بياض فت ، والتسكلة من غ . وفي ا : شرا بدل خيرا .

(٣) و ت : ولو فعلتن .

(٤) في غ : رعائكم .

(٥) في ت : يمنع ذكرها .

(٦) كذا في ا و غ . وفي ت : مهاة .

وَسَمَّيْنِي سَمَّةً ، فَلَيْتَنِي مِتَّ ثَمَّةً ، فَلَمْ أَرْ مَنْظَرًا كَانَ أَحْسَنَ مِنْ لَقِيْطٍ ، فَكَثَّ
عِنَهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ دَجْنِ شَرِبٍ وَتَطْيَبٍ ، ثُمَّ رَكِبَ فَطَرَدَ الْبَقْرَ ، ثُمَّ أَنَاهَا
وَبِهِ نَضَحَ الدَّمُ وَالطَّيْبُ وَرِيحُ الشَّرَابِ ، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ وَقَبَّلَهَا وَقَالَ : كَيْفَ تَرِينَ ؟
أَأَنَا أَحْسَنُ أُمَّ لَقِيْطٍ ؟ فَقَالَتْ : مَاءٌ وَلَا كَصَدَاءٍ وَمَرَعَى وَلَا كَالسَّمْدَانِ ، فَذَهَبَتْ مَثَلًا .
وَصَدَاءٌ : رَكِيَّةٌ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَاءٌ أَطْيَبَ مِنْهَا . وَقَدْ ذَكَرَهَا التَّمِيمِيُّ فِي شِعْرِهِ
فَقَالَ :

وَإِنِّي وَتَهْيَأِي بَزِينَبَ كَالَّذِي يُخَالِسُ مِنْ أَحْوَاضِ صَدَاءٍ مَشْرَبًا
يَرَى دُونَ وَرْدٍ ^(١) الْمَاءَ هُوًّا وَلَا وَدَادَةً إِذَا شَدَّ صَاحُوا قَبْلَ أَنْ يَتَحَبَّبَا
[التَّحَبُّبُ : الرِّيُّ] ^(٢) .

(١) كَذَا فِي أَوْت . وَفِي غ : بَرْد .

(٢) سَاقَطَةٌ مِنْ ت .

أحمد بن صدقة الطنبوري

هو أحمد بن صدقة بن أبي صدقة ، كان أبوه حجازياً مُغنياً طنبورياً مُحسناً حاذقاً ، قدم على الرشيد وكان يَبْرُل الشام ، ووُصِف للمتوكل فأمرَ بإحضاره فقدم عليه وغناه ، فاستَحَسَنَ غناءه^(١) ، وأجزل صلته ، واشتهاه الناسُ ، وكثُرَ مَنْ يدعوه وكسب بذلك أكثر مما كسبه مع المتوكل .

قال أحمد بن صدقة : اجترتُ بِمُحَالِدِ بْنِ يَزِيدِ الكَاتِبِ ، فقلت : أنشدني بيتين من شعرك أغنى فيهما ، فقال : وأى حظ لي في ذلك ؟ تأخذ أنت الجائزة وأحصل أنا الإيتم ، فحلفتُ له لأنني إن أخذتُ^(٢) بشعره فائدة جمعتُ له منها حظاً ، وأذكرتُ به الخليفة ، وسألتُه فيه ، فقال : أما الحظُّ من جهتك فانت أنذلُ من ذلك ، ولكن عسى أن تُفْلِحَ في مسألة الخليفة . وأنشدني :

تقول سَلا فَن المَدَنُفُ ومن عينه أبدأ تَدْرِفُ
ومن قلبه قَلِقِ خَافِقُ عليك وأحشاؤه تَرَجُفُ

فلما جلس المأمونُ للشرب دعاني ، وقد كان غَضِبَ على حَظِيَّةَ له ، فحضرت مع المُغَنِّيِّينَ ، فلما طابت نفسه وجَّهتُ إليه حَظِيَّتَهُ بِتُفَاحَةٍ من عَنَبٍ عليها مكتوبٌ بالذهب : يا سيدي سلوت . وعلم الله أني ما عرفتُ شيئاً من خبرها^(٣) وانتهى الدُورُ إِلَيَّ فَنَبَيْتُ البَيْتَيْنِ فَأُحْمَرُّ وجهُ المأمون ، وانقلبتُ عيناه ، وقال : يا ابن الفاعلة ! ألك عليّ وعلى حُرْمِي صَاحِبُ خَبَرٍ ؟ فوثبتُ وقلت : يا سيدي : ما السبب ؟

(١) في غ : فاستحسنه .

(٢) في غ : أفدت .

(٣) في اوت : وما علم الله أني عرفت شيئاً من خبرها .

فقال : مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ رِصَّتِي مَعَ جَارِ بَيْتِي حَتَّى غَنَيْتَ فِي مَعْنَى مَا بَيْنَنَا ؟ فَخَلَفْتُ لَهُ
أَنْ لَمْ أَعْرِفْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَحَدَّثْتُهُ حَدِيثِي مَعَ خَالِدٍ ، فَلَمَّا أُتْمِمْتُ إِلَى قَوْلِهِ :
أَنْتَ أَنْذَلُ مِنْ ذَلِكَ ، ضَحِكَ وَقَالَ : صَدَقَ وَإِنْ هَذَا لَا تَفَاقُ ظَرِيفٌ ، وَأَمَرَ لِي بِخَمْسَةِ
آلافٍ دِرْهَمٍ وَخَالِدٍ بِمِثْلِهَا .

قال أحمد بن صدقة : دخلتُ على المأمون في يومِ الشعانين^(١) وعنده^(٢) عشرون
وصيفةً جلياً^(٣) روميّاتٍ مُزَنَرَاتٍ ، قد زُنُنَ^(٤) بالديباجِ الروميِّ و [علقن في
أعناقهنَّ]^(٥) صلبان الذهب ، وفي أيديهنَّ الخوصُ والزيتونُ ، فقال لي المأمون :
وَيْلَكَ يَا أَحْمَدُ ، قَلْتُ فِي هَؤُلَاءِ آيَاتًا فَعَنَّنِي فِيهَا ، ثُمَّ أَشَدَّنِي :

ظِبَاءٌ	كالدَّ نَائِرٍ	مِلَاحٌ	فِي الْمَقَاصِيرِ
جِلاهُنَّ	الشَّعَائِنِ	عَلِينَا	فِي الزَّانِيرِ
وَقَدْ	زَرَفْنَ	أَصْدَاغًا	كَذُنَابِ الزَّرَازِيرِ
وَأَقْبَلْنَ	بِأَوْسَاطِ	كُؤُوسَاطِ	الزَّانِيرِ

فَحَفِظْتُهَا وَغَنَيْتُهُ فِيهَا ، وَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ وَتَرْقُصُ الْوَصَائِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَنْوَاعِ
الرَّقْصِ حَتَّى سَكِرَ ، وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَمَرَ بَأَنْ يُنْشَرَ عَلَى الْجَوَارِي ثَلَاثَةُ
آلافِ دِينَارٍ ، فَقبِضْتُ الألفَ ، وَأُتْمِمْتُ مَعَهُنَّ مِنَ الثَّلَاثَةِ الأَلافِ دِينَارًا .

ولم يزل أحمدُ مقبياً حتى بلغه موتُ ابنته له بالشَّامِ فَشَخَّصَ نَحْوَ مِثْرَلِهِ ، فَخَرَجَ
عَلَيْهِ الأَعْرَابُ فَأَخَذُوهُ وَمَا مَعَهُ وَقَتَلُوهُ .

(١) الشعانين : عيد الأحد الذي قبل الفصح عند النصارى ويقال له: الشعانين، والمشهور بالشين .

(٢) في أوغ : وبين يديه .

(٣) في أوغ : جاب .

(٤) في غ : ترين .

(٥) ساقطة من ت .

أبو دُهْمَانَ الغلابي

شاعرٌ من شعراء البصرة مِمَّنْ أدرك دولة بني أمية وبني العباس ، ومدح المهدي ، وكان طبيباَ ظريفاً مَلِيحَ النَّادِرَةِ . وهو القائلُ لَمَّا ضَرَبَ المهديُّ أبا العتاهية بسبب [عشقه] ^(١) عُتْبَةَ :

لولا الذي أخذت الخليفة في الع شاق من ضرهم إذا عشقوا
لبحتُ يا نَمَّ الذي أحبُّ ولكي نبي أمرؤ قد ثمانِي الفرقُ
قال رجل لأبي دُهْمَانَ : ألا أحدثُكَ بظريفة ؟ قال : بلى ، قال : كنتُ عند
فلان فمدَّ رجله هكذا فضرطُ ومدَّ المُحدثُ رجله ليحكيمه فضرطُ ، فقال
أبو دُهْمَانَ : يا هذا أنتَ أهدقُ خلقُ الله بحكاية .

مرَّ أبو دُهْمَانَ وهو أميرُ بني سَابور على رجل جالس ومعه صديق له يُسَامِرُهُ ^(٢) ،
فقامَ الناسُ إليه ودعوا له إلا ذلك الرجلُ . فقال أبو دُهْمَانَ لصديقه : ما ترى
ذلك الرجل في النظارة ، وترى تيمه على ؟ فقال له : وكيف يتيمه عليك وأنت
الأمير ؟ قال : لأنه قد ناكني وأنا غلام .

ومرض أبو دُهْمَانَ مرضاً أشقى منه [على الموت] ^(١) ، فأوصى وأملى وصيته
على كاتبه ، وأوصى بِعَمَتِ غلام كان واقفاً ، فلما فرغ الكاتبُ عدَا الغلامُ بالرُقْمَةَ
فأثر بها ، ونظر إليه أبو دُهْمَانَ فقال له : نعم أثيرها يا ابن الزانية ، حتى تكون
أنجح للحاجة لا شفاني الله إن أنجحت ، وأمر به فأخرج من وقتِه وَيَسَعُ ،
وهو القائلُ :

لئن مِصْرُ فأتتني بما كنتُ أرْتَجِي وأخلفني فيها الذي كنتُ آملُ
فسا كلُّ ما يخشى الفتى بمصيبه ولا كلُّ ما يرجو الفتى هو نائلُ

(١) النكمة من غ .

(٢) في أوغ : يسايره .

أبو شراعة

هو أحمد بن محمد بن شراعة بن ثعلبة بن محمد بن عمير بن أبي نعيم بن خالد ابن عبدة بن مالك بن مرة بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، شاعر بصرى من شعراء الدولة العبّاسية ، جيد الشعر جزله ، ليس بريق الشعر^(١) ولا سهل اللفظ ، وهو كالبدوي في مذهبه ، وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره ، وكانت به لؤثة وهوج وأمه من بني تميم بن مرّ من بني العنبر .

وكان أبو شراعة قبيح الوجه جداً ، فنظر يوماً في المرأة فأطال ، ثم قال : الحمد لله الذي لا يُحمد على الشرّ غيرُهُ .

وابنه أبو الفياض سوار بن أبي شراعة أحد الشعراء الرواة قدم مدينة السلام بعد سنة ثلاثمائة ، فمما كتب إلينا من أخبار أبيه أنه كان جواداً لا يسأل ما قدر عليه إلا سمح به ، وأنه وقف عليه سائل يوماً فرمى إليه بنعله وأنصرف حافياً ، فعثر فدميت إصبعه . فقال في ذلك من أبيات :

ألا لا أبالي في العُلا ما أصابني وإن نقيت نعلاي أو حفيت رجلي
فلم تر عيني قط أحسن منظرا من الرجل تدمي^(٢) في المواساة والبذل

وبلغه أن أخاه يقول : إن أخي مجنون قد أفقرنا ونفسه ، فقال :
أبزر مجنوناً إذا جدت بالذي ملكت وإن دافعت عنه فعاقل

(١) في غ : الطبع .

(٢) كذا في ١ ، وفي غ : من التكب يدمي .

فداموا على التَّبْرِ (١) الذي قَرَفُوا (٢) به
وَدُمْتُ على الإِعْطَاءِ مَا جَاءَ سَائِلِ
أَبَيْتُ وَتَأْبَى لِي رِجَالُ أَشْحَه (٣)
على المَجْدِ تَنْمِيهِمْ تَمِيمٌ وَوَائِلٌ (٤)

وقال أيضا :

[لئن كنت في الفَتَيَانِ آلوت (٥) سَيِّدًا

شَدِيد (٦) شحوب اللون مُخْتَلِط (٧) العَصَب (٨)
فمالك من مولاك إلا حِفَاطُهُ وما المرء إلا باللسان وبالقلب
ها الأصفران الذَائِدَانِ عن القَتَى مَكَارَهَهُ والصاحبان على الخَطْبِ
فإِلَّا أُطِقَ سَمَى الكِرَامِ فَإِنِّي أَفُكُّ عن العَانِي وَأصبر في الحُرْبِ
وَتَمَارَى رجلٌ من أهل بَغْدَادِ وَأَبُو شُرَاعَةَ في النَّبِيدِ ، فَجَعَلَ البَغْدَادِي يَدُمُّ
نَبِيدَ التمر والدُّبْسِ ، فقال أَبُو شُرَاعَةَ :

إِذَا انْتَخَبْتَ حَبَّهُ وَدَبْسَهُ ثُمَّ أَجَدْتَ ضَرْبَهُ وَمَرَسَهُ
ثُمَّ أَطَلْتَ فِي الإِنَاءِ حَبْسَهُ شَرِبْتَ مِنْهُ البَابِلِيَّ نَفْسَهُ

قال سَوَارٌ (٩) بن أَبِي شُرَاعَةَ : حَلَفَ أَبِي البَطَّلَانِ أَلَّا يَشْرَبَ النَّبِيدَ ،

فَهَجَرَهُ حَوْلَيْنِ ، ثُمَّ حَنَّتْ فَشَرِبَ وَطَلَّقَ امْرَأَتَهُ ، وقال :

(١) كذا في ١ ، وفي غ : الزور .

(٢) قرفوا : كذبوا .

(٣) كذا في ١ وفي غ : أعزة .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ت ، والتكملة من ا .

(٥) كذا في ١ ولعلها واليت .

(٦) في غ : كثير .

(٧) في غ : مختلف .

(٨) البيت ساقط من ت موجود في ا .

(٩) في ا : أبو سوار « تحريف » .

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَسْمَعْ عَجَبِيَا فَإِنِّي
 وَقَدْ كَانَ لِي أَنْسَانِ يَا أُمَّ مَالِكِ
 عَزِيْزَةٌ وَالكَأْسُ الَّتِي مِنْ يُحِلُّهَا
 تَحَارَبَتَا عِنْدِي فَمَطَّطَ دَنَهَا
 فحَرَمْتُهَا (١) حَوْلَيْنِ ثُمَّ أَزَلْنِي (٢)
 [فَلَمَا شَرِبْتُ الْكَأْسَ بَانَتْ بِأَخْتِهَا
 فَمَا طِيبَ الْكَأْسِ الَّتِي اعْتَضْتُ مِنْكُمْ
 [كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ (٤) تَوَلَّى الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ مُحْسِنًا إِلَى أَهْلِهَا إِحْسَانًا
 يَمْتَنُّهُمْ ، وَيَشْمَلُ بِنَفْعِهِ (٥) جَمَاعَتَهُمْ ، وَكَانَ أَبُو شُرَاعَةَ لَا يُفَارِقُهُ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ ،
 وَلَا يَمْنَعُهُ حَاجَةٌ يَسْأَلُهُ إِيَّاهَا وَلَا يَشْفَعُ لِأَحَدٍ إِلَّا شَفَعَهُ .

فَلَمَا صُرِفَ إِبْرَاهِيمُ عَنِ الْبَصْرَةِ ، شَيَّعَهُ أَهْلُهَا ، وَتَوَجَّعُوا (٦) لِنِفَارِقِهِ ، وَسَاءَ هَمُّ
 صَرَفِهِ ، فَجَعَلَ يَرُدُّ النَّاسَ رِجْمًا يُشَيِّعُهُ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا
 أَبُو شُرَاعَةَ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا شُرَاعَةَ ، إِنَّ غَايَةَ كُلِّ مَوَدَّعٍ الرُّجُوعُ (٧) ، وَقَدْ
 بَلَغْتَ أَقْصَى الْغَايَةِ (٨) ، فَبِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَنْصَرِفْتَ ، فَأَنْصَرِفُ رَاشِدًا مَكْلُومًا

(١) في غ : وحرمتها .

(٢) في غ : أزلى .

(٣) البيان ساقطان من ت موجودان في ا .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ت موجود في ا .

(٥) كذا في ا ، وفي ت : ويشفع فيهم جماعتهم .

(٦) كذا في ت ، وفي ا : وتجعوا .

(٧) في غ : الفراق .

(٨) في ت : الغايات .

من غَيْرِ قَلْبِي وَاللَّهِ وَلَا مَلَلَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا غُلَامَ ، أُحْمِلْ إِلَى أَبِي سُرَاعَةَ مَا أَمَرْتُكَ
بِهِ ، فَأَحْضِرْ لَهُ زَيْبًا وَطَيِّبًا وَمَالًا ، فَمَاتَتْهُ أَبُو سُرَاعَةَ وَبَكَى وَأَطَالَ ، وَأَنْشَدَ :
يَا أَبَا إِسْحَاقَ سِرٌّ فِي دَعَاةٍ وَأَمْضِ مَصْحُوبًا فَمَا مِنْكَ خَلْفُ
لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ أَرْضٍ أَجْدَبْتَ فَأَغِيثْ بَكَ مِنْ جَهْدِ الْمَجْفُ
نَزَلَ الرَّحْمُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ (١) وَحُرْمُنَاكَ بِذَنْبِ (٢) قَدْ سَلَفَ
إِنَّمَا أَنْتَ رَبِيعٌ بَاكِرٌ حَيْثَمَا صَرَّفَهُ اللَّهُ أَنْصَرَفَ

(١) في غ : ٣٣٠ .
(٢) في غ : لذاب .

أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الْكَاتِبِ

(هو أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ صُبَيْحِ الْكَاتِبِ ، أصله من السُّكُوفَةِ ، وكان مَذْهَبُهُ الرِّسَالَةَ وَالْإِنْشَاءَ ، لَهُ رِسَالَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى دِيوانَ الرِّسَالَةِ لِلْمَأْمُونِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَعْفَرٍ . وَكَانَ مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ غُلَامَهُ وَخِرِّيًّا لَهُ)

فروى عن موسى بن عبد الملك أنه قال : وَهَبَ لِي أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ تَفَارِيْقَ عَلَيَّ (١) ظَهَرَ يَدِي .

وأخوه الْقَاسِمُ بْنُ يُوسُفَ شَاعِرٌ مَلِيحٌ الشُّعْرَ ، وَكَانَ يَنْتَعِي إِلَى بَنِي عَجَلٍ ، وَلَمْ يَكُنْ أَخُوهُ أَحْمَدَ يَدْعِي ذَلِكَ .

وَكَانَ الْقَاسِمُ قَدْ جَعَلَ وَكُدَّهُ (٢) فِي مَدْحِ الْبَهَائِمِ وَمَرَائِيهَا ، فَاسْتَفْرَقَ أَكْثَرَ شِعْرِهِ فِي ذَلِكَ ، فَفِي ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي شِائِهِ :

عَيْنُ جُودِي لِعَمْرِنَا السَّوْدَاءِ كَالْمَرْوَسِ الْأَدْمَاءِ يَوْمَ الْجَلَاءِ

كَانَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ قَدْ تَبَنَّى جَارِيَةَ لِلْمَأْمُونِ اسْمُهَا مُؤَنَسَةٌ ، فَأَرَادَ الْمَأْمُونُ أَنْ يُسَافِرَ وَخَلَفَهَا (٣) ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ بِهَذَا الشُّعْرِ عَلَى لِسَانِهَا ، وَأَمَرَ بَعْضَ الْمُعْتَنِينَ فَفَنَّاهُ بِهِ فَلَمَّا سَمِعَهُ وَقَرَأَ الْكِتَابَ أَمَرَ بِأَخْرَاجِهَا إِلَيْهِ :

قَدْ كَانَ عَتْبُكَ مَرَّةً مَكْتُومًا فَالآنَ (٤) أَصْبَحَ ظَاهِرًا مَعْلُومًا

نَالَ الْأَعَادَى سَعِيهِمْ لَا مُمْعُوا (٥) لِمَا رَأَوْنَا ظَاعِنًا وَمُقِيمًا

(١) فِي غ : عَنِ .

(٢) كَذَا فِي أَوْغ وَفِي ت : فِكْرُهُ . وَالْوَكْدُ : الْقَصْدُ .

(٣) فِي غ : وَخَلَفَهَا .

(٤) فِي غ : فَالْيَوْمِ .

(٥) فِي غ وَمَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ٥ / ١٦١ : نَالَ الْأَعَادَى سَوْهُمْ لَا هَتُوا .

والله لو أبصرتني لأويت لي^(١) والدمعُ يجري كالجمانِ سُجوما
هَبْنِي أَسَاتُ فَعَادَةٌ لَكَ أَنْ تُرَى مُتَطَوَّلًا مُتَجَاوِزًا^(٢) مَظْلُومًا

وَعَتَبَ الْأَمُونَ عَلَى مُؤَنَسَةَ ، نَخْرَجَ إِلَى الشَّمْسِيَّةِ مُتَزَرِّهَا ، وَخَلَفَهَا عِنْدَ أَحْمَدَ
ابن يوسف الكاتب ، فَرَجَتْ أَنْ يَذْكَرَهَا إِذَا صَارَ فِي مُتَزَرِّهِ فَيُرْسِلَ فِي حَمَلِهَا ،
فَلَمْ يَقْعَلْ ، وَتَمَادَى فِي عَتْبِهِ ، فَسَأَلَتْ أَحْمَدَ أَنْ يَقُولَ عَلَى لِسَانِهَا شِعْرًا يَرْفُقُهُ بِهِ^(٣)
فَقَالَ :

يَا سَيِّدًا فَقَدُهُ أَغْرَى بِي^(٤) الْحَزَنَانَا مَا ذُقْتُ بَعْدَكَ نَوْمًا لَا وَلَا وَسْنَا^(٥)
مَا زِلْتُ بَعْدَكَ مَطْوِيًّا عَلَى حُرْقِ أَشْنَا الْمَقَامِ وَأَشْنَا الْأَهْلِ وَالْوَطَانَا
وَلَا التَّذَذْتُ بِكَأْسٍ مِنْ^(٦) مُنَادِمَةٍ مُذْ قِيلَ لِي : إِنْ عَبْدَ اللَّهِ قَدْ ظَنَّنَا
وَلَا أَرَى حَسَنًا تَبْدُو مُحَاسِنُهُ إِلَّا تَذَكَّرْتُ شَوْقًا وَجْهَكَ الْحَسَنَانَا

وَبَعَثَتْ بِهِ إِلَى إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِي فَغَنَّى بِهِ . وَقِيلَ : بَعَثَتْ بِهِ إِلَى سُندُسَ
فَغَنَّتْ بِهِ^(٧) فَاسْتَحْسَنَهُ وَقَالَ : لِمَنْ هَذَا الشُّعْرُ ؟ فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ : لِمُؤَنَسَةَ
يَا سَيِّدِي تَرَضَّاكَ وَتَشَكُّوْا إِلَيْكَ الْبُعْدَ مِنْكَ . فَرَكِبَ مِنْ سَاعَتِهِ حَتَّى تَرَضَّاهَا
وَصَالَحَهَا .

(١) في غ : لو جدتني . وأوى له : رق له ورجه .

(٢) كذا في اوت و غ . وفي معجم الأدباء ١٦١/٥ : متجاوزا متفضلا .

(٣) في غ : تربقه .

(٤) في ت : بنا .

(٥) في غ : ما ذقت بعدك لا نوما ولا وسنا .

(٦) في غ : في .

(٧) في غ : فغنته .

كان أحمد بن يوسف في مجلس وفيه قينة فتحلّاهما ، وكتب إلى صاحب المنزل :

أنا رهين للمنايا بين إبرامٍ ونقض
من هوى ظبي غرير موق النظر غص
ليتها جادت بتقييد ل لخدّيتها وعص
إن عجزتم عن سراها لي بفرض أو بقرض
فتمنّوا لي جميعاً أنها تقبر بعضي (١)

[ومن شعره :

قلبي يحبك يا منى قلبي ويُبغض من يحبك
لأكون فرداً في هواك فليد ت شعري كيف قلبك] (٢)

كان أحمد بن يوسف يتعشق محمد بن سعيد أحد أولاد الكتاب

« بسر من رأى » ومن شعره فيه :

كم ليلة فيك لا صباح لها أحيتها قابضاً على كيدي
قد غصت العين بالدُموع وقد وضعت خدي على بنان يدي
كان قلبي إذا تدكركم (٣)

قال حسين بن الضحاک : دخلت على الواثق ذات يوم وفي السماء لطح غيم

فقال : يا حسين ما الرأي عندك في هذا اليوم ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ما حكم به

أحمد بن يوسف وأشار به من قبل ؛ فإنه حكم برأي لا يرد ، وجعل ذلك في شعر

لا يعارض ، فقال : وما هو ؟ قلت : قوله :

(١) في غ : قدر لبعضي .

(٢) ما بين القوسين جاء في أول يرد في ت ولا في غ .

(٣) في غ : ذكر تكلم .

— أَرَى غَيْمًا نُؤَلِّفُهُ جَنُوبَ — وأحسبه سيأتينا^(١) بهطل
— فَمِنْ الرَّاْيِ أَنْ تَدْعُو بِرِطْلٍ — فَتَشْرَبَهُ وَتَدْعُو لِي بِرِطْلٍ
[وَتَسْقِيهِ نَدَامَانَا جَمِيْعًا] فينصرفون^(٢) منه بغير عقل
— فَيَوْمَ النِّعَمِ يَوْمَ النِّعَمِ إِنْ لَمْ — تُبَادِرْ^(٣) بِاللَّدَامَةِ كُلَّ شُغْلٍ
وَلَا تُتَكْرَهُ مُحَرَّمًا عَلَيْهَا فَإِنِّي لَا أَرَاهُ لَهَا بِأَهْلٍ^(٤)
— فَقَالَ : أَصَبْتُمَا وَدَعَا بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْمَغَانِي وَالنَّدْمَاءَ وَاصْطَبَحَا .

(١) كذا في اوت و غ . وفي معجم الأدباء ٥ / ١٦١ : وأحسب أن سيأتينا .

(٢) في غ : فينصرفون .

(٣) في ا تبارز .

(٤) ما بين القوسين لم يرد في الأغاني .

أَبَانُ اللَّاحِقِ

(هو أَبَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ لَاحِقِ بْنِ عُفَيْرِ اللَّاحِقِيِّ مَوْلَى رَقَاشِ ،
وَبَنُو رَقَاشِ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ يُنْسَبُونَ إِلَى أُمَّهِمْ وَاسْمُهَا رَقَاشُ ؛ وَهِيَ مَالِكٌ وَزَيْدٌ مَنَاةٌ وَعَامِرٌ
بَنُو شَيْبَانَ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ تَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ .

أَشْكَاهُ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ تَغَيَّرَ الرَّشِيدُ عَلَيْهِ وَإِمْسَاكَ يَدِهِ
عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ أَنْشَكُو الرَّشِيدَ بَعْدَ مَا أَعْطَاكَ ؟ فَقَالَ : أَوْتَجَبَ مِنْ
هَذَا^(١) ؟ هَذَا أَبَانُ اللَّاحِقِيِّ ، قَدْ أَخَذَ مِنَ الْبَرَامِكَةِ بِقَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ مَا أَخَذَتْهُ
مِنَ الرَّشِيدِ فِي دَهْرِي كُلِّهِ ، سِوَى مَا أَخَذَهُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْبَاهِهِمْ^(٢) بَعْدَهَا .

وَكَانَ أَبَانٌ نَقَلَ لِلْبَرَامِكَةِ كِتَابَ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةَ ، فَعَمِلَهُ فِي شِعْرِ ؛ لَيْسَ هَلْ عَلَيْهِمْ
حِفْظُهُ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ ، وَأَوَّلُهُ :

هَذَا كِتَابُ أَدَبٍ وَمِحْنَةٍ وَهُوَ الَّذِي يَدْعَى كَلِيلَ دِمْنَةَ
فِيهِ أَحْتِيَالَاتٌ وَفِيهِ رُشْدٌ وَهُوَ كِتَابٌ وَضَعْتَهُ الْهِنْدِيُّ

فَأَعْطَاهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأَعْطَاهُ الْفَضْلُ خَمْسَةَ آلَافِ
دِينَارٍ ، وَلَمْ يُعْطِهِ جَعْفَرٌ شَيْئًا ، وَقَالَ : أَلَا يَكْفِيكَ أَنْ أَحْفَظَهُ فَأَكُونَ رَاوِيَتَكَ ؟
وَعَمِلَ أَيْضًا الْقَصِيدَةَ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا مُبْتَدَأَ الْخَلْقِ ، وَأَمْرَ الدُّنْيَا ، وَشَيْئًا مِنْ
الْمَنْطِقِ ، وَسَمَّاها : ذَاتُ الْحُلَلِ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُنْسِبُهَا إِلَى أَبِي الْمَتَاهِيَةِ ،
وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا لِأَبَانَ .

(١) في غ : ذلك .

(٢) كذا في ا و ت . وفي غ : أشباههم .

كان يَحْيَى بْنُ خَالِدِ الْبَرَمَكِيِّ قد جعل أمر الشعراء وأمتحان أشعارهم وترتيبهم في الجواز إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرض أبو نؤاس المرتبة التي جعله فيها أبان ، فقال يهجوهُ :

جالستُ يوماً أباناً لا در در أبانِ
حتى إذا ما صلاة أُلِّ أولى دنت لأوان^(١)
فقام ثم بها ذو فصاحه وبيانِ
وكلماً قال قلنا إلى انقضاء الأذانِ
فقال كيف شهدتم بهذا بغير عيانِ
لا أشهد الدهر حتى تعان العينانِ
فقلت سبحان ربِّي فقال: سبحان ماني

فقال أبانٌ يجهينه :

إن يكن هذا النواصي بلا ذنب هجاناً
فلقد نكناه حيناً وصفعناه زماناً
هانئ الجربى^(٢) أبوه زاده الله هواناً
سائل العباس وأسمع منه في أمك شاناً
عجنوا من جلبانٍ ليكيدوك عجاناً

وجلبان اسم أم أبي نؤاس ، والعباس زوجها بعد أبيه .

كان لأبان جار ، وكان يعاديه ، فاعتل علة عظيمة طويلة ، وأرجف أبان

(١) كذا في غ : وفي اوت : لأذان .

(٢) في غ : الجون !

بموته ، ثم صحَّ (١) من علته ، وخرج كجلس على بابيه ، وكانت علته من السل ، وكان يُكنى أبا الأطول ، فقال له أبان :

أَبَا الْأَطْوَلِ طَوَّلْتَ وما يُنْجِيكَ تَطْوِيلُ
بِكَ السُّلُّ وَلَا وَاللَّـ ما يَبْرَأُ مَسْئُولُ
فَلَا يَغْرُرُكَ مِنْ ظَنِّ أَقْوَالِ أَبَاطِيلُ
أَرَى فِيكَ عِلْمَاتٍ وللأشياء (٢) تَأْوِيلُ
هُزَّالًا قَدِ بَرَى جِسْمِ كِ وَالْمَسْئُولُ مَهْزُلُ
وَحَمَى مِنْكَ فِي الظَّهْرِ وَأَنْتَ الْيَوْمَ (٣) مَمْلُولُ
وَذِبَانًا (٤) حَوَالَيْكَ فَمَوْقُودٌ (٥) وَمَمْتُولُ
وَأَعْلَامًا سِوَى ذَاكَ تَوَارِيهَا السَّرَاوِيلُ
وَلَوْ بِالْفَيْلِ مِمَّا بَدِ كِ عَشْرٌ مَا نَجَا الْفَيْلُ
فَإِذَا هَذَا عَلَى فِيكَ قَلَاعٌ (٦) أَوْ دَمَامِيلُ
وَمَا بَالُ مُنَاجِيكَ تَوَلَّى وَهُوَ مَمْلُولُ
لَنْ كَانَ (٧) مِنَ الْخَوْفِ لَقَدْ سَالَ بِكَ النَّيْلُ
وَذَا دَلَالٌ بِوَحْيِكَ (٨)

(١) في اوت : صلح .

(٢) في غ : وللأسباب .

(٣) في غ : وأنت الدهر .

(٤) في اوت : وذبان .

(٥) الموقود : المشرف على الموت .

(٦) القلاع : داء في الفم .

(٧) في غ : لقد كاد .

(٨) وحاه : عجله . وفي غ : يزجيك .

فلما أُنشده هذا الشعرُ ارتعدَ واضطربَ ودخل منزله فما خرج منه^(١) حتى مات

وكان أبانُ اللّاحِقِ صديقاً للمعدّل بنِ عَيلان ، وكانا مع صداقتهما يتعمّان بالهجاء ، فيهجّوه المعدّل بالكُفْر ، وينسبه إلى الشؤم ، ويهجّوه أبان بالفساء وبالِقصر [الَّذِي تُهْجَى بِهِ عَبْدِ الْقَيْسِ]^(٢) .

فقال أبانُ يهجّو المعدّل :

أحاجيكم ما قوس لحم سهاؤها من الرّيح لم توصل بقدي ولا عصب^(٣)
وليست بشرّيانٍ وليست بشوخطٍ وليست بنبعٍ لا وليست من الغرب
تصكُ خياشيم الأُفوف تعمداً وإن كان رامياً يُريدُ بها المقب
ألا تلك قوسُ الدّحدحيّ مُعدّلٍ بها صار عبدياً وتمّ له النسب
وقال له المعدّل في جواب ذلك :

رأيت أبانا يوم فطر مُصلّياً فقسّم فكرى واستغزّنى الطرب
وكيف يُصلّي مُظلم القلب دينه على دين ماني إن هذا^(٤) من العجب

خرج أبانُ بن عبد الحميد من البصرة طالِباً للاتّصال بالبرّامة ، وكان الفضلُ ابن يحيى غائباً ، فقصدَه فأقام بيّابه مُدّة لا يصل إليه فتوسّل^(٥) إلى بعض بني هاشمٍ ممّن شخّص مع الفضل وخاطبه بشعر وسأله إيصال مدّحه إلى الفضل فقال : هاتِ مدّحك ، فأعطاه شعراً من جُمَلته :

(١) في ت : من منزله .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت موجود في ا .

(٣) في غ : عقب .

(٤) في غ : ذاك .

(٥) كذا في غ . وفي ا و ت : فتوصل .

أَنَا مَنْ بُغِيَّةُ الْأَمِيرِ وَكَثْرُ
 كَاتِبِ حَاسِبِ أَدِيبِ ظَرِيفِ^(١) نَاصِحِ زَائِدِ عَلَى النَّصَاحِ
 شَاعِرِ مُفْلِقِ أَخْفُ مِنْ الرِّيشَةِ مِمَّا يَكُونُ تَحْتَ الْجَنَاحِ^(٢)
 إِنْ دَعَانِي الْأَمِيرَ عَايِنِ مِنِّي شِعْرِيًّا^(٣) كَالْبُكْبُلِ الصِّيَاحِ
 فِدْعَا بِهِ وَوَصَلَهُ ، وَخُصَّ بِالْفَضْلِ ، وَقُدِّمَ مَعَهُ ، فَتَقَرَّبَ مِنْ قَلْبِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ،
 وَصَارَ صَاحِبَ الْجَمَاعَةِ وَذَا أَمْرِهِمْ^(٤) .

كَانَ أَبَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَدْ عَاتَبَ الْبَرَامِكَةَ عَلَى تَرْكِهِمْ إِيصَالَه إِلَى الرَّشِيدِ ،
 وَإِيصَالَ مَدْحِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : وَمَا تَرِيدُ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَنْ أُحْطَى بِمَا حَظَى
 بِهِ مِرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ فَقَالُوا لَهُ : إِنْ لَدَاكَ مَذْهَبًا فِي هِجَاءِ آلِ أَبِي طَالِبٍ
 وَذَمِّهِمْ ، بِهِ يُحْطَى وَعَلَيْهِ يُعْطَى ، فَاسْلُكْهُ حَتَّى نَفْعَلَ^(٥) ، فَقَالَ : لَا أُسْتَحِلُّ
 ذَلِكَ ، قَالُوا : فَمَا تَصْنَعُ ؟ لَا يَجِيءُ طَلَبُ الدُّنْيَا إِلَّا بِفِعْلٍ مَا لَا يَحِلُّ . فَقَالَ
 أَبَانُ :

نَشَدْتُ بِحَقِّ اللَّهِ ^(٦) مِنْ كَانَ مُسْلِمًا	أَعْمُ بِمَا قَدْ قَلْتَهُ الْعُجْمَ وَالْعَرَبَ
أَعْمُ رَسُولِ اللَّهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً	لَدَيْهِ أُمُّ ابْنِ الْعَمِّ فِي رُتْبَةِ النَّسَبِ
وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِهِ وَبِمَهْدِهِ	وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التَّرَاثِ بِمَا وَجِبَ
فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقُّ بِتِلْكَكُمْ	وَكَانَ عَلَيٌّ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى سَبَبِ
فَأَبْنَاؤُهُ عَبَّاسٌ هُمْ يَرْتُونَهُ	كَالْعَمِّ لِابْنِ الْعَمِّ فِي الْإِرْثِ قَدْ حَجَبَ

(١) في غ و خزائن الأدب ٣ / ٥٥٩ : خطيب أدب مكان أدب ظريف .

(٢) في غ : مما يكون عند الجناح . وفي خزائن الأدب : فيما يكون تحت الجناح .

(٣) الشمري : الماضي في الأمور .

(٤) في غ : زمام .

(٥) في ت : تقبل .

(٦) في ت : بحمد الله .

وهي طويلة ، فقال له الفضل : ما يرد على أمير المؤمنين اليوم شيء أعجب من
أبياتك ، فركب وأنشدَهَا الرشيدَ ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم ، ثم اتصل
مدحُه للرشيد بمد ذلك وخصَّ به .

ذُكر أبان بن عبد الحميد في مجلس أبي زيد الأنصاري قميل : كان كافرًا ،
ففضب أبو زيد ، وقال : كان جاريًا فاقتدت قراءته في ليلة قط .



إسماعيل القراطيسي

هو إسماعيل بن مَعْمَر السُّكُوفِي ، مَوْلَى الْأَسَاعِثَةِ ، كَانَ مَأْلَفًا لِلشُّعْرَاءِ .
وكان أبو نُوَاس وأبو العتاهية ومُسْلِمٌ وطَبَقَتَهُمْ يَقْصِدُونَ مَنْزِلَهُ ، وَيَجْتَمِعُونَ
عِنْدَهُ وَيَقْصِفُونَ ، وَيَدْعُو لَهُمُ التَّيْمَانَ وَغَيْرَهُنَّ مِنَ الْغِلْمَانِ .

قال القَرَّاطِيسِيُّ : قلتُ لِلْمُبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ : هل قلتَ شَيْئًا فِي مَعْنَى قَوْلِي :

وَيْلِي عَلَى سَاكِنِ شَطِّ الصَّرَاهِ	مَرَّرَ حُبِّيهِ عَلَى الْحَيَاهِ ^(١)
مَا تَنْقِضِي مِنْ عَجَبٍ فِكْرَتِي	فِي خِصْلَةٍ فَرَّطَ فِيهَا الْوَلَاهِ
تَرَكْتُ الْمُحِبِّينَ بِلَا حَاكِمِ	لَمْ يَنْصِبُوا ^(٢) لِلْعَاشِقِينَ الْقُضَاهِ
وَقَدْ أَتَانِي خَيْرٌ سَاءَنِي	مَقَالُهَا فِي السَّرِّ : « وَاسْوَأَاتَاهُ
أَمِثْلُ هَذَا يَبْتَغِي وَصَلْنَا	لَمْ يَرِ هَذَا وَجْهَهُ ^(٣) فِي الْمِرَاةِ »

فقال : نعم ، وَأَشَدَّنِي :

جَارِيَةٌ أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا	وَمِثْلُهَا فِي النَّاسِ لَمْ يُخْلَقِ
خَيْرُهَا أُنِّي مُحِبُّ لَهَا	فَأَقْبَلَتْ تَضْحَكَ مِنْ مَنْطِقِي
وَالْتَفَتَتْ نَحْوَ فَتَاةٍ لَهَا	كَالرَّشَاءِ الْوَسْنَانَ فِي قُرْطُقِ
قَالَتْ لَهَا قَوْلِي لِهَذَا الْفَتَى	أَنْظُرُ إِلَى وَجْهِكَ ثُمَّ اعْشَقِ

(١) كذا في اوت . وفي غ : من وجنتيه شمت برق الحياة .

(٢) في غ . لم يقعدوا .

(٣) في غ : أما يرى ذا وجهه .

مدح إسماعيل القرطبي الفضل بن الربيع . فقال فيه :

— ألا قل للذي لم يهـ بده الله إلى نفعي
— لن أخطأت في مدحي ك ما أخطأت في منعي
— لقد أحلت حاجاتي بواد غير ذي زرع

فهرست تراجم الكتاب

- ۱۷ - إبراهيم بن العباس ۲۷۶ - ۲۹۱
 ۱۸ - إبراهيم بن المهدي ۲۹۲ - ۳۱۴
 ۱۹ - أوس بن حجر ۳۱۵ - ۳۱۸
 ۲۰ - أبو جلدة اليشكري ۳۱۹ - ۳۲۶
 ۲۱ - إسماعيل بن عمار ۳۲۷ - ۳۳۱
 ۲۲ - أساقفة نجران ۳۳۲ - ۳۳۳
 ۲۳ - إبراهيم بن سيابة ۳۳۴ - ۳۳۶
 ۲۴ - الأسود بن يعفر ۳۳۷ - ۳۳۹
 ۲۵ - أرطاة بن سهية ۳۴۰ - ۳۴۴
 ۲۶ - الأبيرد الرياحي ۳۴۵ - ۳۴۹
 ۲۷ - الأسود النوفلي ۳۵۰ - ۳۵۱
 ۲۸ - أحيحة بن الجلاح ۳۵۲ - ۳۶۱
 ۲۹ - قصة أحد ۳۶۲ - ۳۸۳
 ۳۰ - آدم بن عبد العزيز ۳۸۴ - ۳۸۶
 ۳۱ - أم حكيم ۳۸۷ - ۳۹۲
 ۳۲ - أحمد المكي ۳۹۳ - ۳۹۵
 ۳۳ - أربد بن قيس ۳۹۶ - ۴۰۲
 ۳۴ - أبو قيس بن الأسلت ۴۰۳ - ۴۰۶
 ۳۵ - أبو عطاء السندی ۴۰۷ - ۴۱۵
 ۳۶ - الأضببط بن قريع ۴۱۶
 ۳۷ - أشجع السلمي ۴۱۷ - ۴۳۰

- ۱ - مقدمة المؤلف ۱ - ۲
 ۲ - المختار من الأصوات ۳ - ۶

حرف الألف

- ۳ - أبو العتاهية إسماعيل ۷ - ۷۳
 ۴ - أمية بن أبي الصلت ۷۴ - ۸۳
 ۵ - أبو سعيد مولى فائد ۸۴ - ۱۱۴
 ۶ - إسماعيل بن يسار
 النسائي ۱۱۵ - ۱۲۳
 ۷ - إبراهيم الموصلي ۱۲۴ - ۱۶۶
 ۸ - إسحاق بن إبراهيم
 الموصلي ۱۶۷ - ۲۰۷
 ۹ - أحمد النصبي ۲۰۸ - ۲۱۰
 ۱۰ - إسماعيل بن جامع ۲۱۱ - ۲۲۴
 ۱۱ - إسماعيل المهربد ۲۲۵ - ۲۲۶
 ۱۲ - أبو زكار الأعشى ۲۲۷ - ۲۲۸
 ۱۳ - إسماعيل بن السيد
 الحيري ۲۲۹ - ۲۴۳
 ۱۴ - امرؤ القيس ۲۴۴ - ۲۷۰
 ۱۵ - أمتهب بن رميلة ۲۷۱ - ۲۷۴
 ۱۶ - المتضد بالله أحد ۲۷۵

- | | | | |
|------------------------|-----------|----------------------------|-----------|
| ٤٧ - إبراهيم بن المدير | ٤٧٦ - ٤٨١ | ٣٨ - إبراهيم بن عبد الله | |
| ٤٨ - يوم أواره | ٤٨٢ - ٤٩١ | ابن الحسن | ٤٣١ - ٤٣٣ |
| ٤٩ - أحمد بن صدقة | | ٣٩ - أبو عيينة | ٤٣٤ - ٤٤٠ |
| الطنبوري | ٤٩٢ - ٤٩٣ | ٤٠ - إبراهيم بن أبي محمد | |
| ٥٠ - أبو دهمان الغلابي | ٤٩٤ | اليزيدي | ٤٤١ - ٤٤٣ |
| ٥١ - أبو شراعة | ٤٩٥ - ٤٩٨ | ٤١ - أحمد بن محمد اليزيدي | ٤٤٤ - ٤٤٧ |
| ٥٢ - أحمد بن يوسف | | ٤٢ - أيمن بن خريم | ٤٤٨ - ٤٥٢ |
| الكتاب | ٤٩٩ - ٥٠٢ | ٤٣ - أبو نخميلة الحمانى | ٤٥٣ - ٤٦١ |
| ٥٣ - أبان اللاحق | ٥٠٣ - ٥٠٨ | ٤٤ - أمية بن الأسكر الليثي | ٤٦٢ - ٤٦٧ |
| ٥٤ - إسماعيل القراطيسى | ٥٠٩ - ٥١٠ | ٤٥ - الأغلب العجلي | ٤٦٨ - ٤٦٩ |
| | | ٤٦ - أوس القرظي | ٤٧٠ - ٤٧٥ |